صورة العرب في عقول الأمريكيين

الدكتور ميخائيل سليمان

صورة العرب
في عقول الأمريكيين

مركز دراسات الوحدة العربية

صورة العرب في عقول الأمريكيين

الدكتور ميخائيل سليمان

ترجمة : عطا عبد الوهاب

المحتويات

قائمة الجداول

استهلال

يمثل هذا الكتاب نظرة متعددة الوجوه للتصورات الأمـريكية عن الشرق الأوسط وعن شعوب المنطقة، ولا سيما العرب. ويقدم كذلك إطاراً مع خلفيـة من المعلومات عن العلاقة بين العرب والأمريكيين. ومع أن تركيزنا سينصب على المواقف الأمريكية إزاء العرب، ولكن من الواضح أن المواقف الأمريكية ازاء أي مجموعة بعينها في الشرق الأوسط إنما تفهم بصورة أفضل وتصور بشكـل أوضح من خـلال تقديم آراء الأمـريكيين عن الشعـوب الأخـرى في المنطقة. ويصدق هذا على الأخص لأن التصورات الأمريكية عن الصهيـونية، إسرائيـل مثلا تؤثر جداً في مواقفهم حيال العرب الذين هم في نزاع مع إسرائيل. فضلاً عن ذلك، وبما أن أغلب الأمريكيين لا يفرقون بين العرب والأتراك والايرانيين، فيخلطونهم جيمعاً كمسلمين، فإن من الضروري بحث المواقف الأمريكية نحو الاسلام، وكذلك نحو الشعوب الاسـلامية غير العربية في المنطقة.

يبحث الفصل الأول في التفاعل بين العرب والأمريكيين، وكذلـك في العوامـل المؤثرة في عـلاقتهما، مثـلاً الاتصالات والتصـورات الاسلاميـة ـ الغـربيـة، الصهيـونيـة، المسـألـة الفلسطينية، القومية العربية. . . الخ. وتقدم الفصول: الثاني والثالث والرابع دراسة نظامية ومطولة للتغـطية الصحفيـة الأمريكيـة لأنبـاء الشرق الأوسط خـلال حـروب اعـوام ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣. وهـذه تعطينـا صورة واضحـة عن «الحالـة الذهنيـة» للأمـريكيين والمنـاخ العقلي السائد (كما قدمتها التقـارير المنشـورة في الجرائـد والمجلات الـرئيسية المـدروسة هنـا) خلال كل مواجهة من تلك المواجهات العربية ـ الاسرائيلية. وهي كذلك تمكننا من المقـارنة والمغايرة بين الآراء الأمريكية الشعبية والـرسمية، والسيـاسات الأمـريكية في هـذه المفترقـات الحـرجة في مقـدرات شعوب الشرق الأوسط. يستمـر مثل هـذا البحث في الفصل الخـامس حيث تقدم الحجة على أن القوالب الذهنية عن العرب، ولا سيما السلبية منها، قد استعملت

كسلاح ثبت أنه لا يقل تأثيراً عن بعض الأسلحة العسكرية والاقتصادية والسياسية.

يقدم الفصل السادس نتائج استقراء لآراء معلمي المدارس الثانوية الأمريكية عن العرب والمسلمين والفلسطينيين والإسرائيليين. . . الخ. وبالنظر لأهمية المدارس في غرس القيم والمواقف والقوالب الذهنية في العقول عن الشعوب والأقطار الأخرى حاولت هذه الدراسة ان تقيس أثر المدارس على الأمريكيين في تطور نزعات معينة نحو الشرق الأوسط وشعوبه. ولسوء الحظ وضعنا أيدينا هنا أيضاً على جهل بالعرب والمسلمين وعلى شيء من التعصب ضدهم، لا سيما حيث لا يكون معلمو الاجتماعيات قد درسوا دروساً جامعية عن الشرق الأوسط أو الوطن العربي.

ويقدم الفصل السابع عرضاً شاملاً للمواقف الأمريكية عن الشرق الأوسط كما انعكست في مئات من استطلاعات الرأي العام على مدى نصف قرن ابتداء من عام ١٩٣٩. والقضايا المبحوثة هنا تشمل: آراء الجمهور الأمريكي عن العرب والاسرائيليين والفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية والنفط والمقاطعة النفطية، وفلسطين وعلاقتها بالنزاعات العربية ـ الاسرائيلية والتعاطف مع الطرفين وكذلك السياسات المحددة التي يجب أن يتبعها صنّاع القرار الأمريكيون. فضلاً عن تقديم دراسة مقارنة لوكالات الاستطلاع وتكتيكات التحيّز المختلفة التي يتبعها بعض مستطلعي الرأي، بخاصة هاريس، ووصفها بوضوح.

أما الفصل الثامن فيأتي على عرض شامل للمواقف العامة عن القضية الفلسطينية والفلسطينيين في أغلب أنحاء العالم. إن مصادر المعلومات الرئيسية لهذا العرض هي استطلاعات الرأي العام وتقارير الجرائد والمجلات وتصريحات وبيانات الزعماء النقابيين ومدراء الأعمال أو رؤساء الجماعات ذوي المصالح في شتى الأقطار. ويظهر العرض «إجماعاً عالمياً» عن المسألة الفلسطينية من المفيد أن يشخص ويدرس. ومن الواضح أن السياسة الأمريكية عن فلسطين تسير على نحو مناقض لهذا الاجماع العالمي، وكانت في بعض الأحيان، وبخاصة في السنوات القليلة الماضية، مناقضة لآراء الجمهور الأمريكي. ويصدق هذا على الأخص في مسألة المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف بها.

بعد هذه الدراسة المفصلة والبعيدة المدى لمواقف الجمهور وتوجهاته نحو العرب والاسرائيليين وغيرهم من سكان الشرق الأوسط، يبحث الفصل التاسع أثر المواقف والقوالب الذهنية الأمريكية على العلاقات الأمريكية ـ العربية. وتشمل: الضغوط على المراسلين الصحفيين والرقابة الذاتية التي يمارسها على أنفسهم الكتاب عن الشرق الأوسط والافتقار الى التحسس بالقضايا العربية، ومضايقة الجالية العربية ـ الأمريكية والضغوط على صناع القرار السياسي والطامحين بالمناصب السياسية الرفيعة. ثم تقدم الحجج على أن المسؤولين في الحكومة الأمريكية قد استندوا في قراراتهم على افتراضات خاطئة وقوالب ذهنية

سلبية عن العرب، فاتبعوا سياسات ساهمت في نشوب حرب عام ١٩٧٣، وهي حرب كان يمكن تجنبها لو كانّ لدى الزعماء الأمريكيين آراء ومواقف أكثر دقة وموضوعية إزاء العرب والاسرائيليين.

ويقدم الفصل العاشر نقداً واضحاً نحن بأشد الحاجة إليه لجهود الاعلام العربي أو حملاته في شمالي أمريكا. يقدم أولاً عرضاً مستفيضاً لمناقشات وتقارير وقرارات وزراء الإعلام العرب وكذلك وكالات جامعة الدول العربية ذات العلاقة. ثم يأتي الفصل على تقويم بنّاء لكنه نقدي لتلك التقارير والفعاليات. يتبع هذا مجموعة من الاقتراحات والتوصيات التي تبسط ما يحتاجه الأمر لتحسين الإعلام العربي (لا الدعاية) وتطوير مجهوده في أمريكا.

ويعطي الفصل الحادي عشر خلاصة موجزة للاستنتاجات المستخلصة من هذه الدراسات. كذلك يتناول المسألة الخاصة بحوار عربي ـ امريكي وهل هو حوار ناجع و/أو مرغوب فيه أم لا.

والفصل الثاني عشر هو فهرسة مراجع شاملة وحديثة التاريخ لما كتب باللغتين الانكليزية والعربية عن المواقف الأمريكية حيال الشرق الأوسط. ولا بد أنها ستعين المهتمين بهذا الموضوع أو بالعلاقات العربية ـ الامريكية.

بدأ اهتمامي ودراستي وتنقيبي عن المسائل التي أثيرت هنا في عام ١٩٦١ حين عملت على اطروحتي لنيل شهادة الماجستير من جامعة وسكونسن في الولايات المتحدة. واتسع تركيزي على مدى السنين فشمل دراسات عن مواقف وقوالب ذهنية تتضح في نواحي أخرى من وسائل الاعلام المطبوعة. وبصفتي عضواً في «لجنة الصور عن الشرق الأوسط في التعليم الثانوي»، ثم رئيساً لها فيما بعد، وهي اللجنة التي ألّفتها جمعية دراسات الشرق الأوسط في شمال أمريكا (MESA) عملت على تحليل بعض كتب العلوم الاجتماعية وتاريخ العالم المستعملة في المدارس الأمريكية. كذلك قمت، وبرعاية «لجنة الصور»، باجراء استقراء لمعلمي المدارس الثانوية في نيويورك وبنسلفانيا وانديانا وكنساس وكولورادو وكاليفورنيا. وانتفعت إبّان عملي هذا انتفاعاً كبيراً من الآراء السديدة والتعليقات التي أبداها أعضاء اللجنة الآخرون وهم: أياد القزاز، وليام غريزوالد، جون جوزيف، لورنه كني، دون بيريتز، غلين بيري وفرحات زيادة. وقد أشركني إثنان من الزملاء على الأخص في خبرتهما وبحوثهما على مدى عدد من السنين، وهما الأستاذ جانيس جي. تيري من جامعة مشيغان الشرقية وأياد القزاز من جامعة ولاية كاليفورنيا في سكرامنتو، فلهما امتناني. كذلك فقد عقدت مناقشات متعددة وطويلة عن وسائل الاعلام والمواقف والقوالب الذهنية مع سيد ياسين مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في جريدة **الاهرام** بالقاهرة. وكان الأخ سيد هو الذي اقترح عليّ أن أجمع دراساتي المختلفة عن الموضوع في شكل متكامل يسهل الرجوع اليه. وإني شاكر اهتمامه واقتراحه. كذلك أود أن أشكر أربعة أشخاص غفل من

الاسماء قرأوا مخطوطتي الأصلية وقدموا اقتراحات ممتازة بشأن التغييرات والإضافات والرجوع الى ما هو أحدث تاريخاً. لقد اقتضى هذا بحوثاً وكتابة اضافية ولكنها حسنت كثيراً من الثمرة النهائية. كذلك اسجل امتناني العميق لزوجتي عما ابدته من آراء سديدة وما أثارته من مناقشات منبهة للفكر وانتقادات واقتراحات عديدة كانت تضيفها الى المخطوطة وهي تطبعها وتعيد طبعها على الآلة الكاتبة. وأخيراً، يستحق كل من إبنتي سعاد وولدي جبران شكراً خاصاً لصبرهما وتفهمهما طيلة الوقت الذي استغرقه إعداد وكتابة هذا الكتاب. إن المسائل المبحوثة هنا تخصهما بالذات بصفتهما من الأمريكيين من أصل عربي. فلهما أهدي هذا الكتاب.

الفصل الأوّل

أمريكا والعرب: تكوين الصّورة

ستجمل هذه المقالة الافتتاحية خلاصة الآراء الأمريكية عن سكان الشرق الأوسط، لا سيما العرب، وتستعرض العوامل الرئيسية التي تساهم في هذه الآراء، ثم تناقش التفاعل الجاري في العلاقات بين المواقف وصنع السياسة.

كانت المواقف نحو إيران في عهد الشاه غامضة نوعاً ما وغير مبنيّة على اطلاع صحيح، حتى بين الأمريكيين المتعلمين. لذا، وجد أحد الاستقراءات أن معلمي المدارس عامة يستحسنون موقف إيران المؤيد للغرب ولكنهم لا يعلمون إلا القليل عن شعبها. والصورة عنهم هي صورة حضارة قديمة وسجاد ايراني ونفط وحاكم يدعى الشاه[1]. وبعد إخراج الشاه ووقوع المواجهة بين نظام الخميني والولايات المتحدة أخذ الأمريكيون ينظرون الى الايرانيين كمتعصبين اسلاميين، قساة، غير متحضرين[2].

وتركيا في عقول الأمريكيين لا تختلف عن ايران في زمن ما قبل الخميني، فهي بلاد قديمة، صديقة للغرب وحليفة له. بيد أن الأتراك يعترف لهم كذلك بأنهم مقاتلون أشداء ويقرنون بالصليبيين[3].

أما نظرة الأمريكيين لإسرائيل والإسرائيليين فتأتي في إطار ايجابي جداً، وهو بالتأكيد أكثر ايجابية من أي إطار آخر يخص الشعوب الأخرى في الشرق الأوسط. إنهم ينظر اليهم كيهود مصممين على تأسيس دولة خاصة بهم. وبينما ينظر اليهم عموماً كمقاتلين أشداء

---

(١) Michael W. Suleiman, *American Images of Middle East Peoples: Impact of the High School* (New York: Middle East Studies Association of North America, 1977), pp. 49-50.

(٢) Edward W. Said, *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World* (New York: Pantheon Books, 1981).

(٣) Suleiman, Ibid., p. 50.

جيدين فإن البعض ينظر اليهم كذلك كعداثيين وأناس «لا يطاقون»[٤].

يحمل الأمريكيون آراء سلبية على العموم عن العرب وعن شعوب عربية بعينها، مثل الفلسطينيين واللبنانيين. . . الخ، وإن كان «العرب» ينظر اليهم نظرة أكثر سلبية من أي قطر أو شعب في الوطن العربي. والعرب، من بين جميع سكان الشرق الأوسط باستثناء ايران الخميني، هم الذين ينظر إليهم بصورة سلبية جداً. وهكذا ففي استقراء حديث كانت النظرة اليهم أنهم شعب غني وفي الوقت عينه «متأخر، بدائي، غير متحضر» شعب ملبسه غريب، ويسيء معاملة المرأة، ويبدو «مولعاً بالحروب، متعطشاً للدماء» «غداراً ماكراً» «قوياً، شديداً» و«بربرياً، قاسياً»[٥]. على أن من الواضح أن هذه الآراء لا يحملها جميع الأمريكيين، أو حتى أكثرهم، وهم جميعاً لا يستنبطون حتى معظم هذه الآراء. بيد أنه لا ريب في وجود «فكرة ثابتة» في عقول الأمريكيين، صورة عامة عن العرب مشوهة وغير صحيحة وإن كانت غامضة، وهي سلبية دائماً وتتاخم العنصرية أحياناً[٦]. وبالتالي فما أن تحدث حالة «مناسبة» حتى تتحرك القوالب الذهنية في العقول فتستحضر بيسر ويمسي العرب أو أحد الشعوب أو الأقطار العربية هدفاً سهلاً، مواتياً و/أو «مفيداً». ففي الخمسينات مثلاً غدا الرئيس عبد الناصر بؤرة لحملة عدوانية وانتقامية وصفته بأنه «هتلر على النيل» و«الشيوعي المستتر» معاً وفي الوقت نفسه. كذلك، تقذف منظمة التحرير الفلسطينية وحتى الشعب الفلسطيني بأسره بأنهم شرذمة من الإرهابيين، وبخاصة حين تتناول العناوين الرئيسية في الصحف عملاً من أعمال الإرهاب، وهذا بصرف النظر عما إذا كانت منظمة التحرير قد أدانت العمل أم لا. وجرى في الأيام الأخيرة تشخيص الزعيم الليبي معمر القذافي من قبل حكومة الولايات المتحدة باعتباره المحرض الأوحد على الارهاب الدولي وجرِّد من هويته الإنسانية إذ صار ينعت «بالكلب المسعور».

إننا لا نناقش هنا مميزات أي حالة من هذه الحالات. كل ما نقوله هو أن الصورة السلبية التي يحملها الأمريكيون عن العرب والمسلمين تسهّل على أي معادٍ للعرب أن يستثير مشاعر الجمهور ضدهم أو ضد أي زعيم أو قطر أو شعب عربي. يستغل الصهاينة هذه الحالة بالتأكيد، كما يستغلها رجال السياسة الأمريكيون والطامحون بالمراكز السياسية ورؤساء الجمهورية الأمريكيون في سعيهم لتطبيق سياسات معينة[٧].

---

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٧ و٤٨، و Shelley Slade, «The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes,» *Middle East Journal,* vol. 35, no. 2 (Spring 1981), p. 147.

(٥) Slade, Ibid., pp. 147-150.

(٦) Seymour Martin Lipset, «Carter vs. Israel: What the Polls Reveal,» *Commentary,* vol. 64, no. 5 (November 1977), p. 22, and Michael W. Suleiman, «An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News Magazines, July-December 1956,» (M.A. Thesis, University of Wisconsin, Madison, 1961).

(٧) انظر: Alfred M. Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?* (New Brunswick, N.J.: North American, 1982), part 2, and Paul Findley, *They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby* (Westport, Conn.: Lawrence Hill, 1985).

ولكن لماذا يحمل الأمريكيون قوالب ذهنية سلبيـة عن سكان الشرق الأوسط ولا سيـما عن العرب؟ يعزو البعض هذه الحالـة الى الصهاينـة ومؤيديهم الـذين يدافعـون عن اسرائيل ويروجون قضيتها على حساب العرب. ولولا ذلك، كما يقال، لرأى الأمريكيون بوضـوح أن من مصلحتهم مصادقة العرب وتأييد قضاياهم، بما في ذلك قضية فلسطين[٨]. ثمة قـول آخر يفيد ان الدول هي التي تقرر مصالحها القومية وتحدد الدول التي هي عدوة محتملة أو حقيقية لها تخلق تهديداً أكيداً أو متصـوّراً لمصالحهـا. وما أن يتم تشخيص الـدول الأخرى عـلى هذا الأساس حتى يقوم الزعماء بتطوير توجّه أساسي من الصداقة أو العداوة نحوها. عندئذ يجري تصور الأصدقـاء على أنهم يتمتعـون بسجايـا حميدة، في حـين تلصق بالأعـداء قوالب ذهنيـة سلبية[٩]. وللمرء أن يستنتج من هذه الحجة، بالتـالي، أن العرب أو العـروبة ينـظر اليها من قبل الولايات المتحدة كتهديد واضح وأكيد لمصالحها في الشرق الأوسط ـ ومن هنا نشر الأنباء السلبية وما ينشأ عنه من إعلام مشوّه وقوالب ذهنية سيئة[١٠].

إن الحجتين المذكـورتين ليستـا بالضرورة من الحجـج القطعيـة الفاصلة، إذ إن هنـاك عملية ارتجاعية بالتأكيد حيث قد يؤثر التغيير في التصور، مثـلاً، في السياسيـة أيضاً الى حـد ما[١١]. كذلك فإن عملية صنع السياسة في النظام الديمقراطي تتيح مجالاً لتغيير ممكن كنتيجـة لمطالبة أو ضغط شعبيين من أقلية ذات تصميم وحسنـة التنظيم[١٢]. مـع ذلك، وعـلى الرغم من أن كلتا الحجتين قابلتان للتـطبيق، فثمة دليـل ملموس بـأن حجة المصلحـة القوميـة هي الأرجـح وكانت الأسـاس العام لسيـاسة الـولايات المتحـدة، على الأقـل منذ تـأسيس دولـة إسرائيل[١٣]. فإذا كان هذا هو الوضـع، فلماذا وعلى أي نحـو تكون أمـريكا والـوطن العربي عدوين؟ من المهم أن نوضح أن العرب والأمريكيين، كشعبين، ليسا بـالضرورة، ولا هما في

---

(٨) أكثر أدبيات الجانب العربي تأخذ بهذا الرأي.

(٩) William Buchanan and Hadley Cantril, *How Nations See Each Other* (Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1953); Bernard C. Cohen, *The Press and Foreign Policy* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1963), and *The Public's Impact on Foreign Policy* (Boston: Little, Brown, 1973).

(١٠) Ibrahim I. Ibrahim, «The American-Israeli Alliance: Raison d'état Revisited,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 15, no. 3 (Spring 1986), pp. 17-29.

(١١) Richard P. Stevens, «Zionism Re-Examined: U.S. Tool or Israeli Lobby?» in: Margaret Pennar, ed., *The Middle East: Five Perspectives* (North Dartmouth, Mass.: Association of Arab-American University Graduates, 1974), pp. 29-32.

(١٢) للإطلاع على مثال حديث يرجع إلى عهد الرئيس كارتر، انظر:

Montague Kern, ***Television and Middle East Diplomacy: President Carter's Fall 1977 Peace Initiative*** (Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1983), and Montague Kern, Patricia W. Levering and Ralph B. Levering, ***The Kennedy Crises: The Press, the Presidency and Foreign Policy*** (Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1983), especially chapter 15.

(١٣) للإطلاع على مقال حديث وعرض للأدبيات، انظر:

Shanto Iyengar and Michael W. Suleiman, «Trends in Public Support for Egypt and Israel, 1956-1978,» *American Politics Quarterly*, vol. 8, no. 1 (January 1980), pp. 34-60.

الواقع، معاديان أحدهما للآخر. وإن كانت ثمة فجوة تفصلهما فهي فجوة ثقافية/ دينية، وسنبحثها فيما بعد. إن التصادم بين الطرفين كان على مستوى المصالح القومية كما تتصورها الحكومات المتعاقبة في الولايات المتحدة من جهة، ودعاة القومية العربية والأصوليون الاسلاميون الراديكاليون وزعماء عرب معنيين من جهة أخرى؛ زعماء حاولوا دفع هذه القضايا الى الأمام مثل عبد الناصر أو القذافي؛ أو أنواع مختلفة من حركات إسلامية راديكالية مناهضة للمؤسسات القائمة.

حدث النزاع الرئيسي الأول بين الطرفين في الخمسينات. كانت الولايات المتحدة في ذلك الوقت قد بدأت دورها للتو كدولة غربية رئيسية في الشرق الأوسط، والمدافع الأول عن منطقة استراتيجية ازدادت أهميتها جداً باكتشاف أضخم الاحتياطات من النفط والغاز في العالم في أراضيها. وفي الوقت ذاته ظهر التحدي للحكام في شتى البلدان العربية من قبل قوة جديدة ورئيسية تطالب بتغيير كاسح وثوري (انقلاب). وابتغى هذا المد المتصاعد من القومية العربية الثورية، وحقق أحياناً، الإطاحة بأنظمة وحكام ينظر اليهم كفاسدين أو عاجزين أو تجاوزهم الزمن، والذين كان لا بد من إزاحتهم إذا أريد للحلم بأمة عربية ناهضة ومتحدة أن يتحقق. وادعى المثقفون الذين قادوا الحركة القومية العربية أنهم يتكلمون باسم الأمة العربية كلها، ونيابة عنها، وبالتالي تحدّوا مباشرة جميع الحكام العرب الذين كانوا يريدون الحفاظ على شرعيتهم وتعزيزها في دولهم الحديثة التأسيس.

إن القومية العربية ودعاتها تحدّت، اضافة الى تهديدها لحكام وأنظمة عربية معينة، الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين، وذلك عن طريق المطالبة بالانفصال التام والكاسح عن الدول الاستعمارية السابقة. ومثل هذا صحبه نداء متمم إلى أن يسيطر القوميون العرب على مصادر الوطن العربي، وبخاصة النفط، ويمارسوا سيطرة تامة عليها. وكان التحدي واضحاً لجميع الأطراف: للقوميين العرب والحكام العرب ومؤيديهم المحليين، وكذلك للدول الغربية من ضمنها الولايات المتحدة. فلما تلقف الرئيس عبد الناصر قضية القومية العربية، تعاظم التهديد لأنظمة عربية متعددة تعاظماً شديداً. وكانت الحكومات الأمريكية المتعاقبة، على الرغم من أنها أحياناً نظرت في إمكانية الوقوف بجانب المد القومي العربي، كانت تقرر في العادة أن المصالح الأمريكية إنما تخدم على نحو أفضل بتأييد الحكام المحليين، لا سيما حين بدأ عبد الناصر وغيره من القوميين بالتحول الى الاتحاد السوفياتي طلباً للعون في بحثهم عن تغيير ساحق للوضع الراهن.

والعامل الآخر الذي كان ولا يزال يعقد العلاقة بين العرب والأمريكيين هو مسألة فلسطين/ إسرائيل. كان معظم الزعماء الأمريكيين، حتى عام ١٩٤٨، سواء في الحكم أم خارجه، يرون أنه ليس من مصلحة أمريكا معاداة الوطن العربي أو العالم الاسلامي، وأن تأسيس دولة يهودية في فلسطين سيؤدي الى ذلك بالضبط. مع ذلك، فإن الشرق الأوسط لم

يكوّن في ذلك الوقت منطقة ذات أهمية استراتيجية كبيرة للولايات المتحدة. وعلى أي حال، والى حد هذا المفهوم الذي كان الأمريكيون ينظرون بموجبه الى المنطقة، فإنهم كانوا لا يزالون يعتبرون المنطقة على أنها خاضعة للنفوذ الأوروبي، وبخاصة البريطاني. بالتالي كان ممكناً، في مثل هذه الظروف، بل وأصبح متصور الوقوع، أن تقوم مجموعة متنفذة ذات تصميم وحسنة التنظيم والتمويل ضمن الحياة السياسية الأمريكية، ونعني بالمجموعة الحركة الصهيونية، باستغلال الآليات المعتادة لحكومة ومجتمع ديمقراطيين لتجعل من مصالحها الحزبية الخاصة سياسة قومية مقبولة. أما كيفية حدوث ذلك فقد فصلتها كتابات عديدة عن تلك المرحلة الحرجة من تاريخ الشرق الأوسط والوطن العربي على الأخص. وباختصار تم البدء بالفعاليات الآنية أو جرى تكثيفها. فقد شنت حملة إعلامية كبرى لاقناع الجمهور بأن فلسطين هي آخر ملجأ، بل الملجأ الوحيد لليهود المعدمين اللاجئين من أوروبا، الناجين من معسكرات الإبادة النازية. وفي أثناء ذلك سهّل الجهل بالعرب واللامبالاة نحوهم، من ضمنهم الفلسطينيين، أن ينظر الى العرب والى حججهم على أنها ليست ذات قيمة، فتعامل كذلك. واستخدمت الصحافة وجميع وسائل الاعلام المتطورة، وكذلك الافلام السينمائية. فضلاً عن ذلك جرى توجيه الضغط لإلزام الزعماء السياسيين بتبني المنهاج الصهيوني وتأييد إدخاله كسياسة متبعة. وبدأ الحزبان الديمقراطي والجمهوري، بأمل استغلال القضية لترويج حظوظهم، بمزايدة أحدهما الآخر في كونه الحزب الأول الذي يعلن تأييده للقضية الصهيونية وفي تقديمه تأييداً أكبر لها. ووجد أعضاء الكونغرس، وكذلك المتطلعون الى مراكز سياسية، في محاباة الصهيونية قضية مفيدة وأمنية يستغلونها في حملاتهم. وجرى توجيه الضغط الى وزارتي الخارجية والدفاع، والى جميع الدوائر الحكومية ذات العلاقة بصنع القرار، للتأثير في هذه القضية. وأخيراً تركز أشد الضغط على الرئيس ترومان بصفته صانع السياسة الخارجية الرئيسي[١٤].

إن نجاح الحملة الصهيونية في الولايات المتحدة في عام ١٩٤٨ قد يسرته عوامل أخرى، وهي لا تزال مستمرة اليوم، ولذا يجب بحثها. فإضافة الى العامل البنيوي الخاص بالعمل في نظام ديمقراطي في الولايات المتحدة كان الصهاينة يتمتعون بميزة العمل في مجتمع لا توجد فيه مجموعة ضغط مضادة لها. ولذا، فإن غياب الجمعيات العربية الفعالة، بخاصة

---

(١٤) من بين الكتب العديدة التي تتناول الموضوع نذكر ما يلي:

Walter Millis, ed., *Forrestal Diaries* (New York: Viking Press, 1951); Harry S. Truman, *Years of Trial and Hope* (New York: Doubleday, 1956); Alfred M. Lilienthal, *What Price Isreal* (Chicago, Ill.: Regnery Co., 1953); Richard P. Stevens, *American Zionism and U.S. Foreign Policy, 1942-1947* (New York: Pageant Press, 1962); Evan M. Wilson, *Decision on Palestine: How the U.S. Came to Recognize Israel*, Hoover Institution Publication, 218 (Stanford, Calif.: Stanford University, Hoover Institution Press, 1979); Alan R. Taylor, *Prelude to Israel* (New York: Philosophical Library, 1959), and Dean Acheson, *Present at the Creation* (New York: W.W. Norton, 1969).

في عام ١٩٤٨، بل وحتى اليوم الى حد كبير، إن غيابها عن العمل للقضايا العربية في الولايات المتحدة قد سهّل مهمة الصهاينة وجعل نتائج جهودها أكبر بكثير. كذلك أعيق الجهد العربي في الولايات المتحدة لأن الأمريكيين من أصل عربي قليلو العدد نسبياً، وغير منظمين، وميالون للابتعاد عن السياسة، وهم متشرذمون الى تجمعات طائفية وعرقية متعددة حسب بلد المنشأ[١٥].

والعامل الآخر الذي ساهم في نجاح الصهيونية في أمريكا هو أن أغلب العرب هم مسلمون، في وقت لم يكن الاسلام معروفاً جيداً في الولايات المتحدة وحيث النفور من المسلمين ليس شيئاً غير شائع. إن الغرب المسيحي قد نظر الى الاسلام، تاريخياً، نظرة الريبة والخوف. والاسلام مثّل لأكثر من ألف عام، تهديداً خطيراً للمسيحية كمؤسسة دينية وكعقيدة معاً، وإن ذكرى ذلك التهديد قد تخلفت فيما يبدو في الأذهان. وقد تجلى قسم من استجابة الغرب لهذا الخوف من الاسلام في الكتابات العدائية والمنددة بالاسلام والمسلمين، ومن ضمنهم العرب. في أثناء ذلك قدم الكتاب الغربيون عن الاسلام، بمن فيهم المستشرقون وواضعو الكتب المدرسية المعاصرون والصحفيون، قدموا الاسلام والمسلمين في الغالب بصورة غير محبذة[١٦]. وبما أن أغلب الأمريكيين لا يميزون بين العرب والمسلمين ويظنون أن المصطلحين مرادفان، فإن النشر السلبي عن الإسلام يشوّه صورة العرب أوتوماتيكياً. وتتعاظم هذه المشكلة حين يضاف سوء تصور آخر للمعادلة، وتعني أن الأمريكيين على العموم لا يميزون بين العرب والأتراك والايرانيين. لذا، فحين تختلف أمريكا مع أي قطر اسلامي في الشرق الأوسط ينتقل ما ينشأ من عداء وقولبة سلبية انتقالاً سريعاً الى العرب كذلك. ثمة مثل حديث على هذا هو النزاع بين الولايات المتحدة ونظام الخميني في ايران، وبخاصة أثناء أزمة الرهائن، التي شهدت أيضاً عداءً متزايداً مناهضاً للعرب.

وإجمالاً، حين كانت الصهيونية تحاول أن تفتح لها دروب الغزوات في الولايات المتحدة فإنها وجدت الجو ملائماً لغرضها بقدر ما كان معادياً لدعاة القومية العربية. كما أن التأييد للمشروع الصهيوني قد جُعل أكثر تقبّلاً من الجمهور لأنه عُرض كمشروع إنساني

---

(١٥) بالإضافة الى كتاباتي حول الموضوع، انظر:

Abdulrahman Abdulla Zamil, «The Effectiveness and Credibility of Arab Propaganda in the United States,» (Ph.D. Dissertation, University of Southern California, 1973).

(١٦) Edward W. Said, *Orientalism* (New York: Vintage Books, 1979); William J. Griswold and Ayad al-Qazzaz, *The Image of the Middle East in Secondary School Textbooks* (New York: Middle East Studies Association of North America, 1975); Samir Ahmad Jarrar, «Images of the Arabs in United States Secondary School Social Studies Textbooks,» (Ph.D. Dissertation, Florida State University, 1976); Ayad al-Qazzaz, «Images of the Arab in American Social Science Textbooks,» in: Baha Abu-Laban and Faith T. Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Realities*, AAUG Monograph Series, 5 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975), pp.113-132, and Glenn Perry, «The Treatment of the Middle East in American High School Textbooks,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 4, no. 3 (Spring 1975), pp. 46-58.

لمساعدة لاجئين معدمين وأشخاص مشردين ـ بقايا اليهود الاوروبيين الذين عانوا الاضطهاد مدى قرون على يد الأمم المسيحية ـ وبالتالي، كان من السهل والمريح، بل والجذاب نفسياً لعدد من الناس في الغرب، بما في ذلك الولايات المتحدة، أن يتخلصوا من الشعور بالذنب عن سوء المعاملة السابقة لليهود، وذلك بمدّ يد العون لتأسيس دولة يهودية، لا سيما وأنها ستقام بعيداً عنهم وعلى أرض لا تعود اليهم.

ولعدد من السنين بعد تأسيس إسرائيل كانت التوجهات الأمريكية نحو تلك الدولة تتأثر أساساً بالعوامل البنيوية الثقافية والداخلية. بعبارة أخرى، وعلى وجه الخصوص، كانت الحكومة الأمريكية في عهد الرئيسين آيزنهاور وكنيدي لا تزال تبتغي الوصول الى أساس مشترك للتعايش مع الحركة القومية العربية، ولذا تجنبت المماهاة التامة مع دولة اسرائيل أو القطيعة التامة مع الرئيس عبد الناصر وأتباعه من العرب[١٧].

بيد أنه، وابتداءً من مجيء إدارة جونسون، وبخاصة منذ نشوب حرب عام ١٩٦٧، أصبحت القومية العربية ودعاتها هدفاً رئيسياً، وأصبحت سياسة الولايات المتحدة ملتزمة بشكل أكثر وضوحاً تجاه اسرائيل وأشد قوة لكي تستخدم في الدفاع عن المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط[١٨]. وما أن تعزز «الحلف» الاسرائيلي ـ الأمريكي حتى نشأت خلافات رئيسية بين الدولتين بشأن موضوعين رئيسيين تتباين فيهما تصوراتهما لمصالحهما القومية. الخلاف الأول والأبسط، يتعلق بمبيعات الأسلحة الأمريكية الى أقطار عربية معينة صديقة للولايات المتحدة، مثل: الأردن والسعودية ومصر. والآخر والأكثر خطورة هو خلاف يتعلق بمحاولة إدارة كارتر تحقيق تسوية شاملة للقضية الفلسطينية والنزاعات العربية ـ الاسرائيلية[١٩]. وخلال وقوع مثل هذه الخلافات، تستخدم العوامل الثقافية والسياسية المحلية استخداماً كاملاً من قبل الإسرائيليين ومؤيديهم في الولايات المتحدة، سواء الصهاينة الملتزمين أم أولئك الذين يعتقدون جزماً أن اسرائيل هي أفضل حليف لأمريكا وخير مدافع عن مصالح الولايات المتحدة في المنطقة.

إن التشابه أو الاختلاف الثقافي لا يقرر بنفسه السياسات الخارجية للدول ذات السيادة. بيد أن له أثره على عملية صنع السياسة. لذا، يتيسر الاتصال كثيراً ويتحقق

---

(١٧) Henry William Brands (Jr.), «What Eisenhower and Dulles Saw in Nasser: Personalities and Interests in U.S. - Egyptian Relations,» *American-Arab Affairs*, no. 17 (Summer 1986), pp. 44-54.

(١٨) William Baur Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976* (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1977); Donald Neff, *Warriors for Jerusalem: The Six Days that Changed the Middle East* (New York: Linden Press, Simon and Schuster, 1984), and Stephen Green, *Taking Sides: America's Secret Relations with a Militant Israel* (New York: Morrow, 1984).

(١٩) William Baur Quandt, *Camp David: Peacemaking and Politics* (Washington, D.C.: Brookings, 1986), and Jimmy Carter, *Keeping Faith: Memoirs of a President* (New York: Bantam Books, 1983).

التفاهم الجيد بسهولة أكبر بين دولتين صديقتين تكون لشعبيهما الخلفيات الثقافية ذاتها أو المتشابهة. من جهة أخرى، فإن زعماء دولتين مختلفتي الثقافة يكون عليهم، إذا قرروا أن مصالحهم مشتركة، أن يعملوا عملاً اشد لتحقيق اتصال أفضل وتفاهم أكبر بين شعبي الدولتين. وفي الحالات التي يبتغي فيها شعبان أو أمتان أهدافاً متعادية، وينتميان في الوقت ذاته الى تراثين ثقافيين مختلفين تماماً فإن من المحتمل أن يتعاظم العداء بينهما ويستثار بسرعة أكبر. فضلاً عن ذلك، وحتى حين يشخص الزعماء المعنيين بعض المصالح المتبادلة للدولتين، ستكون محاولة المصالحة بينهما أصعب تحقيقاً ويصدق هذا على الأخص حين تصمم عناصر مهمة في كل منهما أو في احداهما، ولأغراضها الخاصة، على ان تبقي على العداء كما هو. وهذه الحالة الأخيرة هي التي وجد العرب/ المسلمون والغرب، وبخاصة الولايات المتحدة، أنفسهم فيها خلال الكثير من اتصالهم والعديد من مواجهاتهم، كما سنبحث ذلك فيما يلي.

لم يكترث البيزنطيون قبل ظهور الاسلام، بالقبائل العربية إلا قليلاً - حين كانوا يحتاجونهم ويستخدمونهم كحلفاء عسكريين ضد الفرس. ولم يكن اهتمامهم، حتى في هذه الحالة، بالجماعات العربية المستوطنة أو الحضرية، بل بالعشائر الرحالة. وكان ينظر الى هؤلاء باعتبارهم يعيشون حياة متقشفة بسيطة. لقد كانوا محاربين ممتازين، ولكنهم كانوا أساساً ينهبون من أجل الفدية ويبتزون الجزية. نظر البيزنطيون الى تلك العشائر العربية نظرة سلبية واعتبروهم برابرة، الا حين يتنصر بعضهم أو يصبح من الحلفاء العسكريين. على أنه نظر اليهم كحلفاء غير موثوقين ولا يبرعون في خوض المعارك الضارية. كذلك ندّد بآلهتم الوثنية، ونسب اليهم زوراً ممارستهم التضحية البشرية. ونظر الى ملبسهم وطريقة حياتهم على أنها بدائية وأدينت قواعدهم الأخلاقية لا سيما في المسائل الجنسية(٢٠).

تسربت آراء البيزنطيين عن العرب الى أوروبا فكوّنت جزءاً من الصورة الغربية عنهم في وقت ظهور الاسلام. وأضيفت صور أخرى الى هذه الصورة عند توسع الامبراطورية الاسلامية/ العربية. وفي دراسة عن المواقف الغربية ازاء المسلمين قبل الحروب الصليبية أجراها جيمز ولتز، يعدد الكاتب ستة توجهات مختلفة، يتشابك أحدها بالآخر، ويحمل بعض الأشخاص أحياناً عدداً منها. تلك المواقف هي: اللامبالاة، التعايش مع الطوائف، العداء السياسي، العداء العسكري، العداء الأكاديمي، والعداء الديني. والواقع أن اللامبالاة والجهل قد يكونان سائدين على الدوام، ولكن المواقف المذكورة كانت هي السائدة بالتأكيد عند بداية ظهور الاسلام (٦٢٢ - ٧١٠) فتحول الجهل الى عداء سياسي (٧١٠ - ١٠٠٠)، ثم تحول هذا عندئذ الى عداء ديني (١٠٠٠ - ١٢١٦) فالحرب. مع هذا، وبينما كان هناك الكثير من الجهل واللامبالاة وشيء من التغرض، فإن التغيير الرئيسي في المواقف

(٢٠) Vassilios Christides, «The Image of the Pre-Islamic Arab in the Byzantine Sources,» (Ph. D. Dissertation, Princeton University, 1970).

الغربية نحو العرب/ المسلمين إنما حدث حين تولت الكهانة الكنسية (أي الباباوات) الزعامة والسلطة السياسية من الجهات العلمانية غير القديرة، ودعت الى السلم بين الأمم المسيحية المتحاربة، وكذلك سعت الى توجيه ذلك العداء والقتال ضد المسلمين الخارجين. فلما تحول موقف التعايش السابق بين الجماعتين المسلمة والنصرانية الى مواجهة، تطورت عقيدة مناهضة للاسلام ورسمت صورة قاتمة وشريرة عنه وعن النبي والمسلمين عموماً، بمن فيهم العرب طبعاً[٢١]. كانت تلك الصورة هي التي ما فتئت تسود المواقف الاوروبية الغربية لمئات السنين، حتى هذا القرن، من بعض النواحي على الأقل[٢٢].

ورث هذه الصورة الغربية القروسطية عن المسلمين/ العرب فيما بعد سكان المستعمرات الأمريكية. ولصياغة تلك الآراء السلبية جرت محاولة للحط من شأن الاسلام وذلك بمحاولة الحط من مؤسسه. ونظر الى العرب والمسلمين كوثنيين يعبدون محمد وغيره من الأرباب. ونسبت اليهم خصال استثنائية كالقسوة والوحشية. والواقع أن الأدب الغربي يعكس مثل هذه المواقف. مثلاً، كانت المواضيع الرئيسية في الأدب الأليزابيثي عن المشرق هي: الحرب، الفتح، قتل الأخوة والأخوات، الغدر والشبق[٢٣].

هذه المواضيع وأمثالها كانت تنبث في معظم التقارير التي يكتبها التجار والرحالة الغربيون الذين زاروا الشرق الأوسط في القرنين السادس عشر والسابع عشر. ولم يجر، في الواقع، أي تمييز بين العرب وبين المقيمين الآخرين في المنطقة تحت الحكم العثماني. كان يشار الى العرب بأسماء مختلفة وتنسب اليهم صفات مختلفة قليلاً حسب مكانهم، فإذا كان الصحراء فهم عرب وإذا كان سوريا ولبنان فهم الساراسين (Saracen)، وإذا كان شمال افريقيا فهم بربر (Moor) وإذا كان مصر فهم مماليك. وينظر اليهم جميعاً على أنهم قساة أو متوحشون بدرجات تزيد أو تنقص[٢٤]. ثم ما أن ترجمت الف ليلة وليلة الى اللغات الغربية في القرن الثامن عشر حتى صارت تجري مماهاة العرب بهذا الكتاب، فكانت خصال الشخصيات في حكاياته وأساليب حياتهم تنتقل آلياً وبصورة متكررة الى «العرب». وأخذ

---

(٢١) James Calvin Waltz, «Western European Attitudes toward the Muslims Before the Crusades,» (Ph. D. Dissertation, Michigan State University, 1963).

(٢٢) انظر على الأخص:

Norman Daniel, *Islam and the West: The Making of an Image*, Language Literature, 12 (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1960); *Islam, Europe and Empire* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1966); Richard William Southern, *Western Views of Islam in the Middle Ages* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1962), and Abderrahim Ali Nasralla, «The Enemy Perceived: Christian and Muslim Views of Each Other during the Crusades,» (Ph. D. Dissertation, New York University, 1980).

(٢٣) Louis Wann, «The Oriental in Elizabethan Drama ,» *Modern Philology*, vol. 12, no. 7 (January 1915), pp. 163-187, and Mohammad Hassan Asfour, «The Crescent and the Cross: Islam and the Muslims in English Literature from Johnson to Byron,» (Ph. D. Dissertation, Indiana University, 1973).

(٢٤) Sari J. Nasir, *The Arabs and the English*, 2nd. ed. (London: Longman, 1979).

الغربيون ينظرون الى العرب الآن على أنهم «يؤمنون بالخرافات جداً. . . كسولون، عُنُد بإفراط، خانعون للسلطة، وشهوانيون»[٢٥]. أما بعض الرحالة والعلماء الآخرين في القرن التاسع عشر فقد بسّطوا هذه المواضيع وأخذوا يفرقون بين البدوي (ويسمونه أحياناً المتوحش النبيل) وبين الحضري من سكان المدن. وحظي عربيّ الصحراء بصورة صالحة ورومانسية كمستقل بسيط حر، يكافح ضد عقبات عظيمة، مضياف شجاع ومقاتل جيد. أما عرب المدينة فهم على النقيض من ذلك لا يعوّل عليهم ولا جاذبية فيهم، حقودون وانتقاميون[٢٦].

وإذ ورث الأمريكيون هذه الصورة عن العرب من الغرب، فقد أضافوا اليها عناصر أمريكية أخرى بالذات متأثرة بعوامل أمريكية بعينها. شمل هذا تأكيد أشد على الانجيل كعرض حرفي لما حدث في الشرق الأوسط. والانجيل يصور العرب كبدو رحّل، ساسة ماكرين ومرتزقة «مترصدين»[٢٧]. كذلك نظر اليهم **العهد القديم** كتهديد مستمر للعبرانيين وجاء ذكرهم أحياناً باعتبارهم «وكلاء الله للقصاص والغواية» أما الصور الأخرى عنهم فتتعلق بالعنف والشهوانية والثراء الفاحش[٢٨].

هناك ثلاثة عوامل أخرى أمريكية صرف، أضافت ما أضافته الى الصورة الأوروبية عن العرب، وهي: الميل الأمريكي للمباهاة مع العبرانيين القدماء؛ عقيدة الهمجية؛ وعقيدة الرسالة. ويمتاز البيوريتانيون من ولاية نيو إنكلند على الأخص بأنهم ينظرون الى أنفسهم باعتبارهم بني إسرائيل، تشبّهاً. بل اعتقد البعض، مثل كوتن ميثر، أن الهنود الحمر هم من نسل الحثيين والكنعانيين. وكان تشبيه العرب بالهنود الحمر قد وضع مبكراً ـ فألح على البقاء. وهكذا «فإذا رأى المستوطنون الأمريكيون الأوائل أنفسهم على أنهم من بني إسرائيل القدامى، فإن أمريكيي القرن العشرين غالباً ما يقارنون الاسرائيليين الحديثين بالرواد الأمريكيين»[٢٩].

أما عقيدة الهمجية فقد طورها رواد أمريكا الأوائل لحماية أنفسهم بالأساس، كشعب متحضر من الهنود الحمر «غير المتحضرين». إن أمريكا التي اكتشفوها كانت تيهاً مرعباً، بلاداً متوحشة، «فراغاً أخلاقياً، باباً حلت عليه اللعنة وسادت فيه الفوضى»[٣٠]. عاش الهنود الحمر في هذا التيه همجاً. كان لا بد من تنصيرهم أو تصفيتهم مخافة ان يضحى المستوطنون

---

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٧١، و Ahmed Mohamed Metwalli, «The Lure of the Levant, the American Literary Experience in Egypt and the Holy Land: A Study in the Literature of Travel, 1800-1865,» (Ph. D. Dissertation, State University of New York, Albany, 1971).

(٢٧) James A. Montgomery, *Arabia and the Bible* (Philadelphia, Penn.: University of Pennsylvania Press, 1934), pp. 27-36.

(٢٨) Terry Brooks Hammons, «A Wild Ass of a Man: American Images of Arabs to 1948,» (Ph.D. Dissertation, University of Oklahoma, 1978), pp. 20-22.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣٠) Roderick Nash, *Wilderness and the American Mind* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1967), p. 24.

الأوروبيون أنفسهم، بخلاف ذلك، همجاً غير متحضرين[٣١]. وقد تغيرت المواقف الأمريكية حيال الهنود الحمر وظهرت كتابات كثيرة متعاطفة معهم منذ أواخر القرن التاسع عشر، ولكن هذا لم يحدث إلا بعد أن زال خطرهم على المستعمرين مادياً وخلقياً[٣٢]. بيد أن النقطة هي أن عقيدة الهمجية والتوجة الأساسي نحو الهنود الحمر قد طبقا بعدئذ على العرب، وبخاصة على عرب فلسطين في نزاعهم مع الصهيونية وإسرائيل.

بدأ الأمريكيون في القرن التاسع عشر الاتصال بالعرب على المستوى الشخصي بدرجة أكبر، كمبشرين ذهبوا الى المنطقة ليعظوا بما ورد في الإنجيل. وكما هو معروف جيداً لم تكن محاولة تغيير المسلمين لدينهم الى المسيحية محاولة ناجحة جداً؛ بل وحتى اجتذاب مسيحيين آخرين الى البروتستانية قد ثبتت صعوبته. على أنه ما أن أخذ المبشرون الأمريكيون بالعيش في المنطقة والاختلاط بالسكان حتى بدأوا يرسلون التقارير ويؤلفون الكتب عن الشرق الأوسط، والمسلمين والأتراك والمسيحيين الشرقيين والعرب عموماً. وكانت تلك التقارير على العموم سلبية تماماً وكان لها أثر كبير على الجمهور وكذلك على صناع السياسة[٣٣]. كتبت هلين م. كيرني تقول إن معظم روايات المبشرين قد ضبّبت الفارق بين المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط ونظرت الى كليهما نظرة سلبية: «يعتقد أن كلتا الجماعتين الدينيتين تشترك في النقصان الأخلاقي والفكري والذي حجر الأجناس الشرقية في حالة شبه بربرية: دوغماطية متزمتة تخنق الفكر والعلم؛ كسل يتعذر استئصاله ويحول دون إنتاجية كفوءة وعقلانية؛ نسبة مذهلة من الأمية؛ تواكل مُشلّ ناشيء عن الايمان بالقضاء والقدر؛ قسوة وقمع عموميين لا يلطف منهما وجود إدارة قديرة، ونظام قضائي، ومنهاج تعليمي أو وسائل صحية أولية، فكل هذا غير معروف. إن القيم الاجتماعية الثانوية والمواقف الطائفية ازاء الحقيقة والحرية الفردية وقدسية الحياة الانسانية والرق ومركز المرأة والتكنولوجيا قد عزّزت وأبّدت نظاماً معادياً للحداثة»[٣٤].

إن مجريات الحرب العالمية الأولى ومذابح الأرمن والحاجة الى حلفاء عرب، قد عدّل موقتاً من المواقف المذكورة. لذا، فإن الأرض والعرب معاً قد نظر اليهما في ضوء أكثر ايجابية، ولكن هذا التحول «قد ذاب في أعقاب السلام فإذا بهما (العرب والأرمن) يظهران في وسائل الاعلام بعد الحرب بالمظاهر المعتادة لسكان سواحل سورية ولبنان (الليفانت) ويصورون عادة أشخاصاً يتسمون بالغرابة»[٣٥].

إن الصورة الرومانسية للعرب قد يسرت المجال لظهور نواح أخرى تلصق بالشخصية

---

(٣١) Roy Harvey Pearce, *The Savages of America: A Study of the Indian and Idea of Civilization* (Baltimore, Mad.: Johns Hopkins Press, 1953), pp. 127 and 232.

(٣٢) Nash, Ibid., pp. 143-144.

(٣٣) Joseph Leon Grabill, «Missionaries Amid Conflict: Their Influence Upon American Relations with the Near East, 1914-1927,» (Ph. D. Dissertation, Indiana University, 1964).

(٣٤) Helen McCready Kearney, «American Images of the Middle East, 1824-1924: A Century of Antipathy,» (Ph. D. Dissertation, University of Rochester, N.Y., 1976), p. 176.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٣٧٢.

العربية مما هو أكثر ملاءمة لحاجات الأطراف المعنية في الغرب ولأهدافها السياسية، ويشمل الغرب في هذا الولايات المتحدة. إن وسائل الاعلام، ولا سيما الأفلام، وصناعة التسلية والتلفزيون قد صورت العرب بشكل سلبي على العموم وبصورة متكررة. أما في الأفلام التوراتية والسياسية فيعرض العربي واليهودي وهما في نزاع، ويحبّذ اليهودي باستمرار على العربي. ويعرض العرب على أنهم من جماعة منبوذة، واليهود والاسرائيليون على أنهم من جماعة مفضلة ومقربة. ومواضيع الجنس والعنف هي من المواضيع السائدة، كما يصور العرب كخطرين وينظر الى قيمهم على أنها غير أخلاقية[٣٦]. ويجري تطوير مواضيع مشابهة، مع عقد قصصية خيالية ومذهلة، عن ثروة العرب وتهديد البترو- دولار للاقتصاديات الغربية، وعن خطط عربية مزعومة لسرقة أسلحة نووية وتطويرها واستعمالها بصورة من الصور لتهديد، بل وحتى تحطيم الأقطار الغربية أو تعريض الحضارة الغربية للخطر[٣٧].

إن ظهور الحركة الصهيونية والنزاع على فلسطين وتفاقم المصالح الإمبريالية والاستعمارية، فضلاً عن سذاجة العرب في العلاقات العامة والسياسة الدولية معاً، قد ساهمت في هذا التطور السقيم. كان من السهل على بريطانيا وفرنسا، مثلاً، أن تتخذ من «تخلف» العرب ذريعة لنصب أنفسهما سادةً على المنطقة. يضاف الى ذلك أن بوسع الصهيونية أن تقول ان وجود دولة يهودية سيكون بمثابة الحامي الأفضل للمصالح الإمبريالية. عندئذ يمكن النظر الى العرب على أنهم بدو يمكن الاستغناء عنهم ونبذهم[٣٨]. أما بالنسبة للأمريكيين «فالعرب هم قوم عاشوا خارج التاريخ»[٣٩]. أما إذا سجلوا أي أثر على الاطلاق في عقول معظم الأمريكيين فإن ذلك بالتأكيد ليس عن طريق مساهماتهم الكبيرة في الحضارة العالمية. لا بل ينظر اليهم كشعب في الشرق الأوسط لم يتغير إلا قليلاً منذ زمن المسيح، والذي عارض في القرن العشرين التغلغل الغربي في المنطقة وانحشر في نزاع مميت مع

---

(٣٦) Sari J. Nasir, «The Image of the Arab in American Popular Culture,» (Ph.D. Dissertation, University of Illinois, 1962); Jack G. Shaheen, *The TV Arab* (Bowling Green, O.: Bowling Green State University Popular Press, 1984), and «The Hollywood Arab: 1984-86,» *Mideast Monitor,* vol. 3, nos. 1 and 2 (1986), pp. 1-6.

(٣٧) Janice Terry, *Mistaken Identity: Arab Stereotypes in Popular Writing* (Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1985).

(٣٨) هذا موضوع مستمر في الكتابات الصهيونية عن الفلسطينيين. وقد بُعث هذا الزعم مؤخرا مع كثير من التهريج، وأولاه الامريكيون الكثير من الدعاية والتأييد، وكان ذلك على شكل كتاب، انظر:

Joan Peters, *From Time Immemorial: The Origins of the Arab-Jewish Conflict over Palestine* (New York: Harper and Row, 1985).

انظر أيضاً المقالات النقدية المختلفة عن الكتاب، بضمنها:

Anthony Lewis, «There Were No Indians,» *New York Times* (13 January 1986), p. 15.

(٣٩) William E. Leuchtenburg, «The American Perception of the Arab World,» in: George N. Atiyeh, ed., *Arab and American Cultures* (Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1977), p. 15.

إسرائيل، وهي «حليفة» للغرب، كما أنها تحقيق لنبوءة بالنسبة للأصوليين المسيحيين[٤٠].

يتضح مما ذكر آنفاً، أن الصهاينة قد وجدوا من السهل عليهم نشر رسالتهم وترويج قضيتهم وذلك بالضبط لأن الصورة الغربية عن العرب/ المسلمين (أي أعداء الصهاينة) كانت صورة سلبية جداً أصلاً. كان الصهاينة في داخل الولايات المتحدة أكثر نجاحاً بكثير في البداية في إفساد قضية العرب والتهجم على الشخصية العربية/ المسلمة مما كانوا عليه في إقناع صنّاع القرار السياسي في قبول مشروعهم لتأسيس دولة يهودية. على أنه ما أن تم لهم تحقيق ذلك حتى استطاعوا أن يعلنوا كذلك ويبرهنوا على فائدتهم في خدمة المصالح الأمريكية في المنطقة.

اضافة الى هذا أثبت الصهاينة أنهم يتقنون فن الاتصالات ويبرعون جداً في عرض وجهة نظرهم، في حين لم يكن الطرف العربي كذلك، على الأقل في أغلب الأوقات. وكانت النتيجة حملة مستمرة في وسائل الاعلام تبني صورة ايجابية عن إسرائيل/ الصهيونية، وفي الوقت عينه تشين العرب/ المسلمين بواسطة دس القوالب الذهنية السلبية عنهم. إن الدراسات المختلفة في كتابنا تفصل هذه القضايا وتقدم أمثلة محددة عن فترة تمتد زهاء ثلاثين سنة.

---

(٤٠) Ruth W. Mouly, *U.S. -Arab Relations: The Evangelical Dimension* (Washington, D.C.: National Council on U.S. - Arab Relations, 1985); *The Religious Right and Israel: The Politics of Armageddon* (Chicago, Ill.: Midwest Research, 1985); Wesley Granberg-Michaelson, *The Evangelical Right and Israel: What Place for the Arabs?* ADC Issues, 8 (Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee,[1983]); O. Kelly Ingram, «Christian Zionism,» *The Link*, vol. 16, no. 4 (November 1983), pp. 1-13, and Grace Halsell, *Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War* (New York: Lawrence Hill, 1986).

الفصل الثاني

تقويم التغطية الإخبارية عن الشرق الأوسط في سبع مجلات أمريكية (تموز / يوليو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٦)

يعتمد هذا البحث على أطروحتي لنيل شهادة الماجستير والتي اعدّت في جامعة وسكونسن. وقد واجهت آنئذ بعض الصعوبة في نشر البحث في الولايات المتحدة. أرسلته الى **صحيفة الشرق الأوسط** *the Middle East Journal* عسى أن تنشره. وبعد فترة تدقيق استمرت أكثر من تسعة أشهر أعاده المحرر إليّ مع الملاحظة التالية: «مع أني والمختصين بقراءة البحوث في صحيفتنا قد وجدنا في البحث الكثير مما يثير الاهتمام، فإننا نرى آسفين أنه هامشيّ نوعاً ما بالنسبة لحقل اختصاص الصحيفة».

غالباً ما يشير العرب الى اسرائيل على انها السبب في نفورهم واغترابهم من الولايات المتحدة، وأنها السبب في ريبتهم بسياستها في الشرق الأوسط؛ ويتهمون حكومة الولايات المتحدة وصحافتها بالخضوع التام لإرادة الصهاينة الذين أقاموا دولة اسرائيل والذين يستمرون بتزويدها بمئات الملايين من الدولارات سنوياً. ويسوق العرب كذلك تهمة أخرى مفادها أنه من غير الممكن نشر معلومات حيادية عن أي مشكلة من مشاكل الشرق الأوسط في الصحافة الأمريكية، حيث يسود نقيض تلك المعلومات وتبرز وجهات النظر الإسرائيلية - الصهيونية. وهذه حقاً اتهامات خطيرة جداً وينبغي ألا ينظر إليها نظرة مبسّطة. لقد صُمّم هذا البحث للتحقق من صدق هذه التهمة الأخيرة، والخاصة بالصحافة الأمريكية.

لعل من المفيد أن نذكر منذ الابتداء ما لا يفترض أن يبينه البحث. إنه لن يقول لنا هل أن سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط تتأثر بالطريقة التي تعالج بها الصحافة العلاقات العربية - الاسرائيلية. بل بالأحرى سنفترض، كما فعل لويس ليونز في مقدمته لكتاب ولتون وين عن عبد الناصر المعنون **البحث عن الكرامة**، أن «نوعية معلوماتنا عن الآخرين تقرر صورهم في عقولنا». فإذا افترضنا أيضاً أن الدول إنما تعمل بما تعلم وأن

الصحافة، وهي التي تزود الناس بالمعرفة، تعمل أحياناً كصانع للسياسة، أصبح واضحاً مدى الأهمية في أن تكون الصحافة «محايدة»، أو على الأقل متوازنة، في نشرها للأنباء أو في تأويلها لها والخاصة بقضية من قضايا السياسة الخارجية. بعبارة أخرى، إن البحث يقارن محتوى الصحافة مقارنة ضمنية بمستوى التوازن والانصاف اللذين هما ضروريان إذا كان لصانعي السياسة أن يضعوا سياسات ترمي الى خدمة مصالح الولايات المتحدة المثلى.

المشكلة وطريقة البحث

المشكلة إذاً هي الوصف الإيجابي لمعاملة الصحافة الأمريكية للعرب والاسرائيليين (الصهاينة) ولمعالجة قضاياهم. والوسيلة المستخدمة هنا هي تحليل المحتوى (وهو أسلوب في البحث لغرض الوصف الموضوعي والنظامي والكمي للمحتوى الظاهر في وسائل النشر)، وذلك لتقرير ما إذا كانت الصحافة الأمريكية متحيّزة، وبأيّ قدر من التحيّز، في عرضها للقضايا العربية ـ الاسرائيلية. ولتجنب التناول العشوائي للمشكلة كان لا بد من اختيار فترة زمنية معينة. وقد وجدنا في أزمة السويس، من تموز/ يوليو الى كانون الاول/ ديسمبر عام ١٩٥٦، أمداً من الزمن (ستة أشهر) يمكن معالجته خلال فترة من «العداء النشيط» بين مصر، القطر العربي، وبين دولة اسرائيل، اضافة الى عدد من الحوادث الحدودية على الحدود الاسرائيلية ـ الأردنية.

وبما أن من غير الممكن كما هو واضح دراسة جميع الجرائد والمجلات في الولايات المتحدة فقد كان من الضروري انتخاب بعضها. إن مسألة تحديد المجموعة النموذجية صعبة التقرير جداً. لذا فقد جرى الاختيار بصورة اعتباطية الى حدٍ كبير. وقد ارتؤي أن المجلات الأسبوعية توفر نموذجاً مناسباً نوعاً ما من التقارير الاخبارية وتفسير الأنباء مما يقدم لجمهور القراء الأمريكيين. ومع أن الملحق المسمى *«News of the Week in Review»* الذي يصدر مع جريدة النيويورك تايمز أسبوعياً لا يعتبر مجلة بالمعنى الصحيح ولكنه أدخل في الدراسة لأنه يعتبر عموماً «إنجيل الأخبار» للمثقفين والمسؤولين الحكوميين في الولايات المتحدة. أما المجلات الأخرى فهي: (لايف) *Life*، (تايم) *Time*، (نيوزويك) *News week*، (يو. اس. نيوز اند وورلد ريبورت) *U.S. News and World Report*، (ذا نيو ريبلك) *The New Republic*، (ذا نيشن) *The Nation*.

كان عدد النسخ الذي يباع من هذه المجلات أسبوعياً خلال أزمة السويس عام ١٩٥٦ يناهز أحد عشر مليون نسخة[1].

---

(١) تبينٌ الأرقام أو التقديرات التي تزودها المجلات نفسها أن توزيع «لايف» بلغ ٥٧٣٩٠٠٠ تليها «تايم» بأكثر من مليوني نسخة أسبوعياً. أما عدد الأحد من «النيويورك تايمز»، و«يو. اس. نيوز أند وورلد ريبورت» و«نيوزويك» فيناهز مبيع كل منها مليون نسخة . وباعت كل من «نيشن» و«نيو ريبلك» ٢٥ ألف الى ٣٠ ألف نسخة أسبوعياً.

ولغرض تحقيق الشمول بذلت جهود عسيرة لدراسة كل مادة من المواد المتعلقة بالعرب أو اليهود أو البلدان العربية أو إسرائيل. وما أن جرى تحديد المشكلة تحديداً واضحاً وتم اختيار المجلات حتى أصبحت الخطوة التالية تتلخص بتشذيب المشكلة موضوع البحث ورفدها بالمادة وذلك بصياغة فرضيات مناسبة لغرض التمحيص والتدقيق. وقد جرى هذا عن طريق قراءة بعض التقارير والمقالات في هذه المجلات من جهة، وعن طريق دراسة المشكلة العربية ـ الاسرائيلية من جهة أخرى.

سننظر في هذا البحث بفرضيتين فقط، وهما بشكلهما النهائي كما يلي:

الفرضية الأولى: إن أغلب كتاب التقارير الصحفية والمراسلين يقدمون صورة للعربي كانت قد شوهتها أفلام هوليوود: بدوي، وقد يكون من الرحّل، ذو مستوى معيشي منخفض، ومستوى تعليمي واطىء، ومكان للحريم حيث لا تتمتع النسوة إلا بحقوق وامتيازات قليلة، إن كان لهن ذلك. إنه غير ديمقراطي، ويسكن أماكن قذرة تحت استبداد الولاء العشائري، وبخنوع. من جهة أخرى يُمتدح الاسرائيلي لكونه «ديمقراطياً» و«شبيهاً بالغرب».

الفرضية الثانية: ثمة ذكر متكرر لسوء معاملة اليهود السابقة، وتأكيد لرغبة إسرائيل «بالسلام» و«الأمن» فضلاً عن إنجازات إسرائيل. ولا يذكر إلا القليل عن محنة عرب فلسطين. بل على العكس، ففيما يتعلق بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي يجري تقديم العرب كمعتدين و«شقاة» وأمم «معادية» تحيط بإسرائيل المستضعفة وهي مصممة على تدميرها.

وشملت الخطوة التالية في طريقة البحث تحويل هاتين الفرضيتين الى فئات تمثلهما تمثيلاً مناسباً. فمثلاً برزت من الفرضية الأولى فئات مثل «العربي يصور كبدوي»؛ «الاسرائيلي ذو مستوى معيشة مرتفع»؛ «الاسرائيلي ذو صفات حميدة»، الخ. ولكن هذه الفئات وغيرها هي من التعميم بحيث لا تنفع كأدوات وافية للتحليل. لذا تطلب الأمر استخلاص مؤشرات محددة وملموسة تمثل الفئات المعنية وتشير مباشرةً الى النص أو المحتوى موضوع الدراسة. ويمكن بالطبع عرض الفئات بواسطة بنود متعددة. بيد أن المؤشرات ليست سوى مجموعة نموذجية لهذه البنود. لذا، فتحت فئة «العربي ذو مستوى معيشة منخفض» تكون العبارات التالية مؤشرات مناسبة: معوز (عوز)، فقر، شحاذة، مملق (إملاق)، حاجة... الخ. وسُجّل تكرار استعمال كل من هذه الرموز أو المؤشرات بالنسبة لكل من الفئات المستخلصة من الفرضيتين. ثم نظمت الجداول لمقارنة ما بين السطور (بالنسبة لكل مجلة في تناول شؤون العرب واليهود)، والمعالجة المختلفة للموضوع في مختلف المجلات قيد الدرس.

ما أن تتم قراءة المقال أو العمود أو الافتتاحية وتسجل جميع المؤشرات المناسبة حتى يجري الحكم على البند المعني وتقرير ما إذا كان مع العرب، مع اسرائيل، ضد العرب، ضد

مصر، ضد إسرائيل. . . الخ. وكثيراً ما نجد بنداً هو مع هذا الجانب وضد ذاك معاً. يلاحظ أن هذه العملية الأخيرة ليست بالدرجة نفسها من الصلاح والوثوق التي نجدها في العملية الأخرى حيث يقتصر الأمر على تعداد الرموز وتسجيلها. بعبارة أخرى، ثمة مجال لعدم الموضوعية هنا. بيد أن جميع الاحتياطات قد اتخذت لانتهاج الموضوعية، وكلما نشأ شك حول مقال ما وهل هو على العموم ضد العرب أم هو متوازن، مثلاً، وضع المقال في الطبقة الأخيرة.

الفرضية الأولى

من التهم الشائعة التي يوجهها العرب للصحافة الأمريكية أنها دائماً تصور العرب قوماً متخلفين، يهيمون في الصحارى، مزواجين منسالين، غير ديمقراطيين. هذه التهمة، إن صحت، هي تهمة مزعجة جداً للعرب من سكان المدن عموماً وللمثقفين منهم خصوصاً. ليس من الغريب إذاً أن نجد جمهور القراء في الوطن العربي، وأغلبهم من سكان المدن، يغضبون حين يشبّهون أو يقرنون بالبدوي الهائم في الصحراء. والسؤال الذي يتصل بهذا الأمر هو هل أن هذا التشبيه أو القران يجري من قبل المجلات موضوع الدراسة؟ والجواب غير المتوقع نوعاً ما هو بالنفي على وجه التأكيد! وما يجري هو ما يلي: إن الجمهور الأمريكي أكثر اهتماماً، وهذا أمر مفهوم، بقراءة شيء عن طريقة حياة «مختلفة». إنه لشيء «غريب جذاب» أن يرى الأمريكي صورة شخص بعباءة هفهافة معتمراً كفيته وممتطياً جمله في الصحراء. لذا، يتكرر نشر التقارير عن القبائل وأبناء العشائر. والتقارير والصور حقيقية وليست مزيفة. بيد أنها تمثل جانباً طفيفاً واحداً من الحياة العربية؛ ذلك أن أقل من ١٠ بالمائة من العرب جميعاً لا يزالون يعيشون حياة البدو الرحّل أو شبهها[٢]. كذلك فهذه التقارير تعزز الى حدٍ ما صورة العرب التي قدمتها ولا تزال تقدمها هوليوود في سعيها الى التنويع والدراما والرومانس والخيال الجامح[٣].

لعل الصفات المزعومة الأخرى في الجدول (٢ ـ ١) هي صفات حقيقية الى حد كبير. فمستويات المعيشة والتعليم منخفضة بالنسبة لأغلب الناس، وعدم الأمانة وعدم الثقة

---

(٢) Erskine B. Childers, *Common Sense about the Arab World,* Common Sense Series, 5 (New York: Macmillan, 1960), p. 88.

في الثمانينات لا يوجد إلّا عدد ضئيل جداً من العرب ما زالوا من البدو.

(٣) يعزو الأستاذ نبيه فارس الصورة المشوهة التي يحملها الأمريكيون عن العرب الى أربعة عوامل «أساسية ومؤثرة»: «الانجيل، الشك المتبادل الناشيء عن الكفاح الطويل بين أتباع المسيحية وأتباع الاسلام وهزيمة المسيحية في موطن ولادتها ذاته، والتقليد الذي أوجده المبشرون وتطلعهم اللذان تركزا على إصطفاء العالم الاسلامي للمسيح، وأعمال المستشرقين الموضوعية في ظاهرها والتي تسعى للعثور على أخص أخيل [أي نقطة الضعف الأساسية] في الاسلام وفضح ذلك». انظر: Nabih Amin Faris, «The United States Image of the Near East,» *Middle East Forum,* vol. 36 (February 1960), p. 16.

جدول رقم (٢ - ١)
الصفات العربية والاسرائيلية في الصحافة(*)
الفرضية (١)

المجلة	الصفات العربية								الصفات الاسرائيلية				
	حياة البداوة	مستوى معيشة منخفض	مستوى تعليم منخفض	حقوق قليلة للمرأة	توجه غير ديمقراطي	عدم الصدق وعدم الجدارة بالثقة	خلاف و منافسة	صفات حميدة	مستوى تعليم مرتفع	مستوى معيشة مرتفع	توجه ديمقراطي وشبيه بالغرب	صفات حميدة	صفات رديئة
نيويورك تايمز	١٢	١٧	٥	صفر	٢	صفر	١٢	٤	صفر	صفر	١	١	صفر
يو أس نيوز اند وورلد ريبورت	٤١	٤٢	٣١	صفر	١٠	١٦	٢٠	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر
نيشن	٣	١٠	٧	١	٦	٤	١	٨	١	١	٦	٢	صفر
نيو ريبلك	صفر	٩	٤	صفر	٥	٨	٥	صفر	٤	١	٣	١٨	صفر
لايف	٢١	١	١	١	صفر	صفر	٤	صفر	٢	صفر	صفر	صفر	صفر
نيوزويك	٢٤	١٦	١	١	٢	صفر	٢	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر
تايم	١٨	١٦	٢	٩	١	١٠	١٨	٥	صفر	صفر	صفر	٨	صفر
المجموع	١١٩	١٠١	٥١	١٢	٢٦	٣٨	٦٢	١٧	٧	٢	١٠	٢٩	صفر

(*) تشير الأرقام الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر الصيغة.

صفتان لعلهما ما زالتا موجودتين بخاصة في أوساط بعض الموظفين الحكوميين؛ والنساء العربيات ما زلن لا يشغلن مراكز عالية كنظيراتهن الغربيات. ولا تزال الفرقة والتنافس من العقبات الكأداء أمام هدف الوحدة العربية العزيز في النفوس. فإذا كان كل هذا صحيحاً فلماذا الضجة إذاً كلما نشر شيء عن هذه الحقائق؟ والجواب بسيط وإن لم يكن واضحاً كل الوضوح. فأغلب الناس لا تحب قول الحقيقة إذا كانت جارحة. ولا يستثنى العرب من هذا. اضافة الى ذلك فإن الانتلجنسيا العربية، في سعيها للهروب من الواقع البغيض، قد

تعودت على التفكير في إطار مستقبل الفرد المثالي. وهي تنظر الى جهود التحديث الجارية على أنها بشائر لأمور قادمة. بيد أن الصحافة الغربية لم تكن متساهلة جداً في هذا الصدد. إن عدداً قليلاً جداً فقط من التقارير ينوّه بالإصلاحات والمحاولات التي قامت بها الأقطار العربية لتحسين أحوال شعوبها. كذلك، فإن أغلب تلك التقارير كانت تتعلق بالأقطار التي كانت آنئذ مؤيدة للغرب مثل تونس ومراكش ولبنان. لقد قامت أقطار عربية أخرى، لا سيما مصر التي كان اسمها يرد يومئذ في الأنباء دائماً، بعدد من الاصلاحات في حقول الثقافة والتجارة والصناعة. ولم تأت التقارير على تغطية شاملة لهذا التقدم.

أما بالنسبة للاسرائيليين فليس هناك محاولة قوية لتقديمهم كديمقراطيين وشبيهين بالغرب، بل يوصفون بالتمتع بمستويات عالية في المعيشة والتعليم كلما جاء ذكرهم. وتؤخذ هذه الأمور على العموم على أنها مسلم بها. ولا تؤكّد الصفات المذكورة إلا في التقارير الخاصة بإسرائيل. أما الأهم في هذا الصدد فهو عدم اسناد صفات غير مرضية عنهم.

الفرضية الثانية

لا يستطيع المرء أن يلمس تشويهاً أو تحريفاً في الأنباء التي تنشرها الصحافة الأمريكية عن الشرق الأوسط إلاّ إذا كان ملماً بما يجري فيه ومطلعاً إطلاعاً عميقاً على مشاكل المنطقة. وقد نشر «معهد الصحافة الدولي» في زوريخ كراساً في عام ١٩٥٤ بعنوان «الأنباء من الشرق الأوسط». وقد بيّن المراسلون الذين وردت آراؤهم في استقراء زوريخ هذا، وبكل وضوح، أن العرب هم أشد من يقاسي من نشر أنباء الشرق الأوسط، وذلك نتيجة لمجموعة من العوامل ضدهم: القوالب الذهنية الجاهزة، الضغط المناصر لإسرائيل والصهيونية في الولايات المتحدة، والخوف من وصمة «معاداة السامية»[٤]. وقد أفاد بعض المراسلين كذلك أن «الممارسة المقيدة» موجودة أساساً في الولايات المتحدة (وليس في الشرق الأوسط) حيث نجد «المحررين الأمريكيين كلهم تقريباً يخافون من ذكر الحقيقة عن الجدال العربي ـ الاسرائيلي بسبب اللوبي الصهيوني»[٥]. ويبدو أن مراقبي الهدنة التابعين للأمم المتحدة يؤيدون آراء أولئك المراسلين. فقد كتب الكولونيل و.ت. ماكنينش (W.T. McAninch)، المراقب العسكري من مراقبي الهدنة المذكورين (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤) قائلاً بصراحة تامة:

> «لقد أعمى الصهاينة فيما يظهر عدداً كبيراً من... اليهود الأمريكيين واستغلوا الجهل واللامبالاة في أغلبية الأمريكيين. إن علاقات الولايات المتحدة مع الشرق الأوسط هي اليوم في خطر عظيم نتيجة لذلك»[٦].

---

(٤) انظر: Alfred M. Lilienthal, *There Goes the Middle East* (New York: Devin-Adair, 1957), pp. 217-223.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(٦) Elmo H. Hutchinson, *Violent Truce: A Military Observer looks at the Arab-Israeli Conflict, 1951-1955* (New York: Devin-Adair, 1956), pp. ix-ixx.

أما الكومـاندور اي. هـ. هيتشسن (E. H. Hutchison)، المـراقب العسكري ورئيس لجنة الهدنـة المشتركـة الأردنية ـ الاسرائيليـة (١٩٥١ ـ ١٩٥٤) فقد كتب في مقـدمته لكتـابه المعنون Violent Truce الذي نشر عام ١٩٥٦ يقول:

«مع أن عدداً من المقالات غير المتحيزة يجري نشرها فإن أكثرية الأخبار لا تزال توجه أسـاساً لإرضـاء رغبات الذين لا يجدون ضيراً في أعمال إسرائيل»[٧].

إن مسحنا الحالي يؤيد صحة الآراء المذكورة آنفاً. لقد جرى تقديم اسرائيـل، في جميع تلك المجلات موضوع الدراسة، على أنها من دون خطيئة وأن الحق والفضيلة بجانبها كليـاً. أمـا العرب فيـلامون بـاستمرار، وغـالباً لسبب بسيط فيـما يظهـر وهو أنهم عـلى خلاف مـع اسرائيل.

جدول رقم (٢ ـ ٢)

نسبة المساحة في الافتتاحيات عن الشرق الاوسط، للفترة (تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)(*)
الفرضية (٢)

المجلة	ضد ناصر	ضد مصر	ضد العرب	مع ناصر	مع العرب	مع اسرائيل	مع بريطانيا	مع فرنسا	مع امريكا	ضد اسرائيل	ضد بريطانيا	ضد فرنسا	ضد امريكا	متوازنة	حيادية	مجموع عدد الصفحات
نيويورك تايمز	٤٠	صفر	صفر	صفر	٣	٦	١٢	١٢	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١٥	٤٢	٢,٣
يو اس نيوز اند وورلد ريبورت	٨١	صفر	صفر	صفر	صفر	١٩	١٩	١٩	–	صفر	صمر	صفر	–	صفر	١٩	٥,٢٥
نيشن	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٢١	صفر	صفر	٣٥	صفر	٣٥	٤٠	٩	٣	١٢	٩,٣٣
نيو ريبيلك	١٤	صفر	٢٩	صفر	صفر	٣٢	صفر	صفر	٧	صفر	صفر	صفر	صفر	١٠٠	٨١	٧
لايف	٢٩	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٢٠	صفر	٤٥	صفر	٢٦	٧	صفر	٣٢	١٣	٥,١٦
المجموع	١٦٤	صفر	٢٩	صفر	٣	٧٨	٥١	٣١	٨٧	صفر	٦١	٤٧	٩	١٥٠	١٦٧	٢٩,٠٤

(*) تشير جميع الأرقام، عدا العمود في أقصى اليسار، الى نسبة الافتتاحيات (بالصفحات) لكل موضوع.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (–) الى أن المعلومات غير متوافرة.

إذا جمعت الاعداد أفقياً يتجاوز الموضوع ١٠٠ بالمائة لأن الافتتـاحية الـواحدة قـد تكون مـع فريق وضـد الآخر، وهي غالباً كذلك.

---

(٧) المصدر نفسه، ص xv.

جدول رقم (٢ - ٣)

نسبة المواضيع في الافتتاحيات عن الشرق الأوسط، للفترة (تموز/يوليو - كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)(*)

الفرضية (٢)

المجلة	ضد ناصر	ضد مصر	ضد العرب	مع ناصر	مع العرب	مع اسرائيل	مع بريطانيا	مع فرنسا	مع امريكا	ضد اسرائيل	ضد بريطانيا	ضد فرنسا	ضد امريكا	متوازنة	حيادية	مجموع المواضيع
نيويورك تايمز	٣٧,٥	صفر	صفر	صفر	٤	٤	١٢,٥	١٢,٥	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١٢,٥	٤٦	٢٤
يو أس نيوز اند وورلد ريبورت	٨٣	صفر	صفر	صفر	صفر	١٧	١٧	١٧	-	صفر	صفر	صفر	-	صفر	١٧	٦
نيشن	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٨	صفر	صفر	٢٣	صفر	٢٣	٢٣	٢٣	٨	١٥	١٣
نيو ريبلك	٤	صفر	١٢,٥	صفر	صفر	١٢,٥	صفر	صفر	٤	صفر	صفر	صفر	صفر	٣٩	٣٩	٢٤
لايف	٢٩	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١٤	صفر	٤٣	صفر	٢٩	١٤	صفر	٢٩	١٤	٧
المجموع	١٥٣,٥	صفر	١٢,٥	صفر	٤	٤١,٥	٤٣,٥	٢٩,٥	٧٠	صفر	٥٢	٣٧	٢٣	٨١,٥	١٣١	٧٤

(*) تشير جميع الأرقام، عدا العمود في أقصى اليسار، الى نسبة الافتتاحيات (بعدد المواضيع) لكل فئة.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (-) الى ان المعلومات غير متوافرة.

إذا جمعت الاعداد أفقياً، يتجاوز الموضوع ١٠٠ بالمائة لأن الافتتاحية الواحدة قد تكون مع فريق وضد الآخر، وهي غالباً كذلك.

ويتضح منها أن أغلب الافتتاحيات كانت مناهضة للعرب و/أو مؤيدة لاسرائيل. أما الافتتاحيات القليلة التي كانت متعاطفة مع العرب فتتعلق بحكومة أو أخرى من حكومات العراق ولبنان ومراكش وتونس والتي كانت مؤيدة آنئذٍ للغرب. وفي هذه الفترة الحافلة بالأحداث والتي تميزت بموقف عدائي من جانب إسرائيل ثم من جانب فرنسا والمملكة المتحدة لا نجد عنواناً رئيسياً واحداً على الصفحة الأولى يصور اسرائيل أو الغرب من المعتدين[٨]. ولما لم تظهر المجلات الاخبارية موقفاً موضوعياً (مثلاً: «حد السيف: الكفاح من

(٨) يجب إعارة أهمية كبيرة للعناوين إذ «أن ذلك هو كل ما يقرأه نصف الناس». أنظر:

Bernard C. Cohen, *The Press and Foreign Policy* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1962), p. 257.

وكذلك «ويبدو أن العنوان يمهد السبيل للطريقة التي يُقرأ بها موضوع المقال. وهو يثبت الإطار الذي يجري تصور =

أجل السويس»)[9] فإنها حاولت أن تسوّغ العمل (مثلاً: «ما الذي دعا إسرائيل أن تضرب»)[10]. وقد نشرت مجلة **لايف** على صفحتها الأولى صورة لجندي مصري جريح يستقي ماءً من آسره الإسرائيلي[11]. وطلعت **يو. اس. نيوز أند وورلد ريبورت** بعنوان كبير بارز بعبارة تلفت الأنظار، «لعبة موسكو في مصر»[12]، وهي عنوان لفصل طويل اجتزأته المجلة من كتاب ولتر. لاكور Walter Z. Laqueur عنوانه **الشيوعية والقومية في الشرق الأوسط**.

وبالنتيجة فإن تهجم الافتتاحيات على العرب بلغ ٣٨,٦ بالمائة ($\frac{١٦٤ + ٢٩}{٥٠٠} \times ١٠٠$) الجدول رقم (٢ - ٢)، مقابل لا شيء ضد إسرائيل. من جهة أخرى حازت إسرائيل من الافتتاحيات المؤيدة على ١٥,٦ بالمائة ($\frac{٧٨}{٥٠٠} \times ١٠٠$)، الجدول رقم (٢ - ٢)، مقابل ٠,٦ بالمائة ($\frac{٣}{٥٠٠} \times ١٠٠$) إلى جانب العرب[13]. وهكذا برِّئت ساحة إسرائيل بشكل ساحق وجرِّم العرب.

ثمة سؤال يتعلق بالموضوع يطرح نفسه الآن: هل كانت إسرائيل هي الضحية والعرب هم المعتدون خلال الفترة موضوع الدراسة؟ تشير الدلائل إلى أن إسرائيل كانت في أغلب الأحيان هي المعتدية وليست الضحية. وقد قالت جريدة **النيويورك تايمز**:

«خلال الفترة بين ٢٩ تموز/يوليو و٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٥٦ مثلاً بلغت ضحايا اسرائيل تسعة عشر قتيلاً وثمانية وعشرون جريحاً، ورفعت تسعاً وخمسين شكوى، كما جاء على لسان الجنرال بيرنز كبير مسؤولي الأمم المتحدة في المنطقة. وخسر الأردن في الفترة نفسها إثنين وسبعين قتيلاً وأربعة وعشرين جريحاً، ورفع مائتين وعشر شكاوى»[14].

ولنا أن نسأل: كيف كان وضع إسرائيل، وهي الضحية كما تقدمها الصحافة الأمريكية، في التعداد الدموي؟ (هذا باستثناء الخسائر التي بلغت المئات كنتيجة للهجوم

= وقائع الموضوع ضمنه. إنه يخلق الانطباع الأول الذي يهيمن بلطف وربما بدون شعور على اهتمام القاريء فهو يتابع الموضوع بأسره. إنه يزود القاريء بشكل ما بعدسة ينظر من خلالها إلى ما تبقى من المقال». انظر:

Percy H. Tannenbaum, «The Effect of Headlines of the Interpretation of News Stories,» *Journalism Quarterly*, vol. 30, no.2 (Spring 1953), p. 197.

(٩) *Newsweek*, vol. 46 (24 September 1956), p. 1.

(١٠) *New Republic*, vol. 135 (5 November 1956), p. 1.

(١١) *Life*, vol. 41 (19 November 1956), p. 1.

(١٢) *U.S. News and World Report*, vol. 41 (10 August 1956), p. 1.

(١٣) في سرد مختصر ورد ضمن دراسة مشابهة، وإن كانت على درجة أقل من الشمول والتوسع، وجد الأستاذ Ralph Crow، على الرغم من أن الوقائع تدين اسرائيل بوضوح عن هجومها الواسع على قرية قبية الأردنية في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٣، ان ٨١ بالمائة من الافتتاحيات في خمس جرائد امريكية قومية ذكرت حججاً في تأييد اسرائيل، و١٩ بالمائة فقط منها ذكرت حججاً في تأييد العرب. انظر:

Ralph Crow, «Is There Bias?» *Middle East Forum*, vol. 32 (March 1957), p. 14.

(١٤) *New York Times* (7 October 1956), p. E2.

المسلح البريطاني ـ الفرنسي على مصر). إن الأرقام نفسها تجيب على هذا السؤال:

إسرائيل			الأردن		
قتل	جرحى	شكاوى	قتل	جرحى	شكاوى
٤٢	٥٧	٩	١٥٩	٢٤	٢١٠

مع هذا فقد يتساءل المرء عمّا إذا كانت هذه الأرقام غير متوازنة لأنها تغطي فترة قصيرة من الزمن ربما كانت إسرائيل خلالها كثيرة الاعتداء. بيد أن إحصائيات لجنة الهدنة المشتركة التابعة للأمم المتحدة تبيّن أن ما جاء أعلاه لم يكن من الحوادث المنعزلة أو الاستثنائية. فقد أدينت اسرائيل في الفترة من حزيران/يونيو عام ١٩٤٩ إلى ١٥ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٥٤ عن ٩٥ مخالفة للهدنة؛ وأدينت الأردن عن ٦٠ مخالفة[١٥]. والأرقام الأخرى عن الفترة ذاتها هي[١٦]:

إسرائيل		الأردن	
قتلى	جرحى	قتلى	جرحى
٣٤	٥٧	١٢٧	١١٨

وإذا كان سجل الأرقام يدين إسرائيل بهذا الشكل القاطع فكيف يتسنى للصحافة الأمريكية أن «تخفي» الحقائق بل وفي الغالب تجعل الضحية تظهر وكأنها هي المعتدية؟ لقد قدمنا سلفاً جزءاً من الجواب: إن الغالبية الساحقة من جميع الافتتاحيات كانت دفاعاً عن إسرائيل أو تعاطفاً معها أو إعجاباً بها، كما كانت في الوقت ذاته تهاجم العرب.

ولعل الأفظع من كل ذلك هو ألّا يجرؤ أحد فيما يظهر على إدانة إسرائيل أو مخاشنتها. فمن بين جميع ما نشر عن الشرق الأوسط، لتغطية الفترة الحافلة فقط والموصوفة لماماً أعلاه، كانت٥,٠ بالمائة ($\frac{٤}{٧٠٠}$ × ١٠٠)، الجدول رقم (٢ ـ ٤)، ضد إسرائيل. وتتألف هذه النسبة الضئيلة من نصوص الخطب التي ألقاها الزعماء العرب، أو المقابلات التي أجريت معهم، فهاجموا فيها إسرائيل. وقد جاءت الإدانة الوحيدة، إن صحت تسميتها إدانة، في

(١٥) Hutchinson, *Violent Truce: A Military Observer Looks at the Arab-Israeli Conflict, 1951-1955*, p. 91.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٩٢.

جدول رقم (٢ ـ ٤)

نسبة المساحة لجميع المنشور عن الشرق الأوسط، للفترة (تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)(*) الفرضية (٢)

المجلة	ضد ناصر	ضد مصر	ضد العرب	مع ناصر	مع العرب	مع اسرائيل	مع بريطانيا	مع فرنسا	مع امريكا	ضد اسرائيل	ضد بريطانيا	ضد فرنسا	ضد امريكا	متوازنة	حيادية	مجموع عدد الصفحات
نيويورك تايمز	١٠	صفر	١	صفر	٠,٧	٦,٥	٥	٣	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٦٧	١٨	٤٦,٢٥
يو اس نيوز أند وورلد ريبورت	٤٤	٢	٥	٠,٦	٢	٢٠	١١	٩	–	٢	٢	٢	–	١٩	١٦	٢٠٢,٧٠
نيشن	٢	صفر	٨	صفر	١١	٣٠	١	١	٨	صفر	١٤	١٤	١	٢٢	١٣	٤٢
نيو ريبلك	١٢	صفر	٢٠	صفر	١٣	٢٢	صفر	صفر	١	صفر	٣	صفر	٣	٢٦	٢٣	٤٥,١٦
لايف	١٣	٣	١	٣,٥	صفر	٢٤	٨	٣,٥	٨	صفر	١٨	٠,٥	صفر	٣٩	١١	٥٧,١٩
نيوزويك	٢٩	صفر	٢,٥	صفر	١,٣	٦,٥	١٥,٨	٦,٥	٢,٨	صفر	صفر	صفر	١,٣	٣٠	٣٠,٢	١٠٠
تايم	١٧	١	٣	٠,٥	صفر	١	٦	٦	٣	٢	٦	١.٤	صفر	٤٢	١٤	٧٣,٩٩
المجموع	١٢٧	٦	٤٠,٥	٤,٦	٢٨	١١٠	٤٦,٨	٢٩	٢٢,٨	٤	٤٣	١٧,٩	٥,٣	٢٤٥	١٢٥.٢	٥٦٧,٢٩

(*) تشير جميع الأرقام، عدا العمود في اقصى اليسار، الى نسبة التغطية الصحفية (بالصفحات) لكل فئة.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (–) الى ان المعلومات غير متوافرة.

إذا جمعت الاعداد افقياً يتجاوز المجموع ١٠٠ بالمائة لأن المنشور نفسه قد يكون مع فريق وضد الآخر، وهي غالباً كذلك.

مقال بصفحة وثلث في مجلة تايم لمحاولة إثبات التواطؤ في الهجوم المشترك الإسرائيلي ـ البريطاني ـ الفرنسي على مصر(١٧).

وكلما ارتكبت إسرائيل عملاً عدوانياً وقفت الصحافة تدافع عنها وتصف العمل بأنه غارة إنتقامية. وتؤكد الصحافة الأمريكية، في كل مرةٍ تقريباً، عند ذكرها للأعمال العسكرية الاسرائيلية، على أن إسرائيل قد دفعت دفعاً إلى عمل من أعمال الاستماتة اليائسة. أما إدانة

(١٧) *Time* (12 November 1956), pp. 32 and 33.

جدول رقم (٢ ـ ٥)

نسبة المواضيع المنشورة عن الشرق الاوسط، للفترة (تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)(*)

الفرضية (٢)

المجلة	ضد ناصر	ضد مصر	ضد العرب	مع ناصر	مع العرب	مع اسرائيل	مع بريطانيا	مع فرنسا	مع امريكا	ضد اسرائيل	ضد بريطانيا	ضد فرنسا	ضد امريكا	متوازنة	حيادية	مجموع عدد المواضيع
نيويورك تايمز	١٢	صفر	١	صفر	١	٨	٤	٢	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٥٧	٢٣٠	١٨٧
يو اس نيوز أند وورلد ريبورت	٤٤	٣	٥	٢	٣	١٦	١٠	٨	ـ	٣	٣	٣	ـ	١٧	٢٨	١٠٠
نيشن	٦	صفر	٣	صفر	٦	٢٢	٣	٣	١٢	صفر	١٢	١٢	٩	١٩	١٦	٣١
نيو ريبلك	١١	صفر	١٥	صفر	٦	١٥	صفر	صفر	٢	صفر	٢	صفر	٢	٢٦	٢٦	٤١
لايف	١٦	٣	٣	٣	صفر	١٦	٩	٣	١٦	صفر	١٢	٣	صفر	٣٢	١٩	٣١
نيوزويك	٢٠	صفر	٣	صفر	١	٨	٨	٥	١	صفر	صفر	صفر	٢	٣١	٤٢	١٠٣
تايم	٩	٢	٣	١	صفر	١	٣	٣	٤	١	٤	١	صفر	٤٦	٢٤	٩٥
المجموع	١١٨	٨	٣٣	٦	١٧	٨٦	٣٧	٢٤	٣٥	٤	٣٣	١٩	١٣	٢٢٨	١٧٨	٥٨٨

(*) تشير جميع الارقام، عدا العمود في اقصى اليسار الى نسبة التغطية (بعدد المواضيع) لكل فئة.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (ـ) الى ان المعلومات غير متوافرة.

إذا جمعت الاعداد افقياً يتجاوز المجموع ١٠٠ بالمائة لأن الموضوع نفسه قد يكون مع فريق وضد الآخر، وهو غالباً كذلك.

الأمم المتحدة لاسرائيل فيجري تجاهلها أو بالكاد تذكر. هذا مع أن إدانة الأمم المتحدة لأيّ من الطرفين هي أمر خطير ولا يتم إلاّ بعد تحقيق مفصل في جميع المسائل ذات العلاقة بما في ذلك الاستفزاز. ويبدو، كما كتب هاجيسون عن الهجوم الاسرائيلي على قطاع غزة.

«أن الناس تنسى، تحت وابل متواصل من الدعاية لمصلحة اسرائيل، أن مجلس الأمن لا يصدر قراراً بالإدانة إلاّ بعد دراسة دقيقة لجميع الوقائع المتعلقة بالحادث.

فإذا كانت الأحداث التي سبقت الهجوم الاسرائيلي قد تطلبت مثل هذا الفعل الشديد فإن كلاً من مصر واسرئيل كانا سيدانان»[١٨].

جدول رقم (٢ ـ ٦)

معاملة الاسرائيليين والعرب في الصحافة،

للفترة (تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)(*)

الفرضية (٢)

المجلة	الاساءة السابقة في معاملة اليهود	الرغبة في السلام والأمن	الجزارون	محاطة بجيران معادين	العرب مصممون على تدمير اسرائيل	تسويغ أعمال اسرائيل	العرب «يسيئون معاملة» اسرائيل	تعليل مغالط لأعمال العرب «الحسنة»	ذكر اللاجئين العرب	رغبة العرب في السلام والأمن	الجزارون	تسويغ أعمال العرب	اسرائيل «تسيء معاملة» العرب	تعليل مغالط لأعمال اسرائيل «الحسنة»
نيويورك تايمز	٣	٣٢	١٥	٣	٢٤	٣٦	١٣٧	٢	٥	صفر	٢	٩	٣٦	صفر
يو أس نيوز أند وورلد ريبورت	١	٢١	٢٤	١٩	٥٠	٦٠	٦٤	صفر	١	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر
نيشن	١٢	١٥	٩	٤	٨	٢٣	٢٥	صفر	٣	صفر	٥	صفر	٤	صفر
نيو ريبلك	صفر	١٣	١	٤	٢٤	١٨	٤٩	٤	٢	صفر	صفر	٢	٣	صفر
لايف	صفر	٥	١٠	صفر	١	١	١٥	صفر	٢	صفر	صفر	صفر	٦	صفر
نيوزويك	١٥	٣	١	صفر	٢	٤	١١	صفر	٢	صفر	صفر	صفر	٦	صفر
تايم	٣	١١	٩	صفر	٩	١٨	١٠	صفر	١	صفر	٤	٣	١٧	صفر
المجموع	٣٤	١٠٠	٦٩	٣٠	١١٨	١٦٢	٣١١	٦	١٦	صفر	١١	١٤	٧٢	صفر

(*) تشير الأرقام الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر النعت.

يبيّن الجدول رقم (٢ ـ ٦) وجود تحيّز أكيد من جانب المجلات موضوع الدراسة الى جانب اسرائيل. فالعرب يصنفون على أنهم متبطلون عاجزون فقراء، غير قادرين على انجاز شيء كثير، وإن كانت المجلات تبدي بعض الملاحظات اللطيفة عن محاولات التحديث في تونس ومراكش. أما إسرائيل فتقدم كصانعة للمعجزات، تحول الصحراء إلى فردوس على

(١٨) Hutchinson, Ibid., p. xvi.

الأرض. كذلك ففي المجلات مقالات وتعليقات حول المذابح النازية في الحرب العالمية الثانية والمعاملة المريعة لليهود. إن هذه أفعال فظيعة يجب أن تذكر الناس دائماً بلا إنسانية الانسان المألوفة نحو أخيه الانسان. ويتوقع المرء أن تولى معاملة مشابهة لجميع المآسي الشنيعة وغير الانسانية. بيد أن الحال ليست كذلك. فالمليون نسمة تقريباً من عرب فلسطين الذين أمسوا لاجئين عند قيام دولة اسرائيل لا يكادون يذكرون، ناهيك عن نشر شيء عن محنتهم. ولم ترد الاشارة اليهم إلاّ على لسان أحد المحررين الذي اقتصر على القول «إن مشكلة اللاجئين يجب حلها».

لماذا يا ترى يجري تبرير أعمال اسرائيل بسرعة وتوسع ولا يذكر أي شيء «سيّىء» عن دولة اسرائيل في حين أن أشد المحررين والمراسلين الأمريكيين تأييداً والبالغ عددهم مئة وعشرة يدينون أحياناً أعمال حكومة الولايات المتحدة نفسها؟ لقد سألت فرجينيا غيلدر سليف السؤال ذاته بصيغة أخرى:

«إني بصفتي أمريكية صالحة أُدين علناً وبحرية أعمال بلادي التي أظنها خاطئة. كذلك أدين أحياناً أعمال البلاد التي كانت أوطاناً لأجدادي في الماضي البعيد، وأعني انكلترا وفرنسا[19].

فلماذا لا أكون حرة في إدانة أعمال اسرائيل بالطريقة نفسها؟ لماذا تكون تلك الدولة وشعبها وحدهما بين الأمم من المقدسات جداً والتي لا تمس؟»[20].

إن هذه أسئلة مفحمة. ومع أنه لا يمكن إعطاء جواب بسيط، غير أن من الممكن إيراد أسباب عديدة محتملة لتفسير الظاهرة. إن حقيقة كون الاسرائيليين أقرب ثقافياً الى الغرب من العرب تجعل أعمالهم أسهل على الفهم وأسرع في القبول. كذلك فإن عدد اليهود المهرجين و/أو المتنفذين في الولايات المتحدة أكثر من عدد العرب[21]. ولعل من الضروري أن نؤكد هنا على حقيقة أن العرب، حتى حين وجودهم كمجموعة مرموقة في منطقة محددة، قد تصرفوا في الغالب السائد كمواطنين أمريكيين وكأنهم لايعلمون شيئاً عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي في المنطقة. ومن جهة أخرى نجد أن الجالية اليهودية الأمريكية قد لعبت دوراً فعالاً بدرجة أكبر بكثير في محاولتها لدعم قضية اليهود في فلسطين وفي مساعدتها على خلق دولة اسرائيل وتقويتها[22].

---

(١٩) لقد أبدي بعض الانتقاد على الأقل لفرنسا وانكلترا كما يشير الجدولان رقم (٢ ـ ٢) و(٢ ـ ٣). وحتى الولايات المتحدة خصت ببعض اللوم. مع هذا فإن الإدانة الوحيدة لاسرائيل ظهرت في قسم الرسائل: خمس رسائل في الـ «تايم» وواحدة في كل من «نيوريبيلك» و«نيوزويك».

(٢٠) Gildersleeve, as quoted in: Lilienthal, *There Goes the Middle East*, p. 246.

(٢١) انظر: Harry S. Truman, *Years of Trial and Hope* (New York: Doubleday, 1956), vol. 2, pp. 157 and 158.

(٢٢) ظهرت مؤخراً بعض المقالات لشرح هذه النقطة واثباتها. انظر:

= Joseph S. Roucek, «The American Zionists As a Pressure Group,» *Issues* (Summer 1964), pp. 36-44;

وقد يتمثل التفسير الآخر للتردد في طبع المعلومات بشأن اسرائيل في رغبة الصحافة الأمريكية بعدم تكدير خواطر الجمهور اليهودي من القراء والمعلنين وبالتالي تنفيرهم[٢٣].

وقد يعود الأمر كذلك الى رد الفعل الناشيء عن سجل الاضطهاد الطويل والمحزن

جدول رقم (٢ - ٧)

نسبة المساحة حسب مصدر المادة المنشورة عن الشرق الأوسط[١]، للفترة (تموز/يوليو - كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)

المجلة	مصر	البلدان العربية	الشرق الأوسط	اسرائيل	بريطانيا	فرنسا	اوروبا	أمريكا	الأمم المتحدة	آخرون	المجموع
نيويورك تايمز	١٠	٤	صفر	٤	١٣,٥	٧	٢,٥	٤٩,٥	٨	١,٥	١٠٠
يو أس نيوز أند وورلد ريبورت	١٦	٣	صفر	٦	٣١	٩	٣	٣٣	٢	صفر	١٠٣[+]
نيشن	صفر	١٣,٥	صفر	٢٢,٦	١٧,٢	صفر	صفر	٤٣,٤	٣,٣	صفر	١٠٠
نيو ريبلك	صفر	١٣	صفر	٩	٣٢	صفر	صفر	٤٦	صفر	صفر	١٠٠
لايف	٢١	٤	١٨,٥	٧	١٦,٥	صفر	صفر	٢٩	٤	صفر	١٠٠
نيوزويك	١١	٨,٤	٤,٣	٣,٤	٢٢	٤	٩	٣٧,٦	صفر	صفر	٩٩,٧[*]
تايم	٢٨	٦	٦	٧	٢٩	٨	٥	١٨	٥	صفر	١١٢[+]
المجموع	٨٦	٥١,٩	٢٨,٨	٥٩	١٦١,٢	٢٨	١٩,٥	٢٥٦,٥	٢٢,٣	١,٥	٧١٤,٧

(١) تشير جميع الأرقام الى النسبة (بالصفحات) للتغطية الصحفية التي صدرت من القطر المعين في المنطقة أو كتبت عنه.

(*) المجموع لا يبلغ ١٠٠ بالمائة لعدم ادراج المواد القصيرة جداً تحت أي «مصدر». ويفترض أن أغلبها صدر من اوروبا.

(+) المجموع يتجاوز ١٠٠ بالمائة لأن بعض التقارير صدر من أكثر من قطر واحد فيما يفترض.

Harry Nicholas Howard, «The American Tradition and U.S. Policy in the Middle East,» *Middle East = Forum*, vol. 40, no. 3 (May 1964), pp. 10-22; «The Hearings before the Committe on Foreign Relations of the U.S. Senate,» cited in: Truman, Ibid., p. 22, and Richard P. Stevens, *American Zionism and U.S. Foreign Policy, 1942-1947* (New York: Pageant Press, 1962).

(٢٣) يصدق هذا على أية جريدة، لأن كل جريدة ومجلة هي «مشروع تجاري».

Cohen, *The Press and Foreign Policy*, p. 66.

جدول رقم (٢ ـ ٨)
نسبة المواضيع حسب مصدر المادة المنشورة عن الشرق الأوسط[١]، للفترة (تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)

المجلة	مصر	البلدان العربية	الشرق الأوسط	اسرائيل	بريطانيا	فرنسا	اوروبا	أمريكا	الأمم المتحدة	آخرون	المجموع
نيويورك تايمز	١٠	٤	صفر	٥	١٣	٦	٢	٥٠	٨	٢	١٠٠
يو اس نيوز أند وورلد ريبورت	١٦	٣	صفر	٥	٢	٨	٤	٤٢	٣	صفر	١٠٢[+]
نيشن	صفر	٩,٥	صفر	٩,٥	٩,٥	صفر	صفر	٦٨	٣,٥	صفر	١٠٠
نيو ريبلك	صفر	٧	صفر	٥	٢٢	صفر	صفر	٦٦	صفر	صفر	١٠٠
لايف	١٦	٧	٧	٧	١٩	صفر	صفر	٣٥	٩	صفر	١٠٠
نيوزويك	٨	١٤	٨	٥,٥	١٦	٥,٥	٤	٣٨,٥	صفر	صفر	٩٩,٥[*]
تايم	١٣	١٠	٩	١٢	٢١	٦	٣	٢٣	٧	صفر	١٠٤[+]
المجموع	٦٣	٣٢,٥	٢٤	٤٩	١٢١,٥	٢٥,٥	١٣	٣٢٢,٥	٣٠,٥	٢	٧٠٥,٥

(١) تشير جميع الأرقام الى النسبة (في عدد المواضيع) للتغطية الصحفية التي صدرت من القطر المعين في المنطقة أو كتبت عنه.

(+) يتجاوز المجموع ١٠٠ بالمائة لأن بعض التقارير صدرت فيها يفترض في أكثر من قطر واحد.

(*) المجموع لا يبلغ ١٠٠ بالمائة لعدم ادراج المواد القصيرة جداً تحت أي «مصدر»، ويفترض أن أغلبها صدر من أوروبا.

الذي أوقعه العالم المسيحي باليهود خلال التاريخ. ومن العوامل المساعدة المحتملة الأخرى للتغطية الصحفية المؤيدة التي تلقتها اسرائيل (إضافة الى بريطانيا وفرنسا) في الولايات المتحدة خلال أزمة السويس مسألة منشأ التقارير «الاخبارية» أي مكان صدورها[٢٤].

وهما يبينان النسبة المئوية لحجم وعدد بنود جميع المواد التي كتبت من الشرق الأوسط أو عنه في الفترة من تموز/يوليو الى كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٥٦. وباستثناء الولايات المتحدة، كانت بريطانيا هي المصدر الرئيسي للأنباء والمعلومات «الخارجية» لهذه المجلات

---

(٢٤) ان المراسل الصحفي، كالموظف الدبلوماسي، يتأثر بالصحافة المحلية للبلد المضيف. انظر: المصدر نفسه، ص ٦٦.

الأمريكية. وكانت الأنباء من المملكة المتحدة أو عنها بمقدار ضعف الأنباء الصادرة من مصر، عدوتها اللّدود آنئذٍ. والواقع أن مصر، مع أنها كانت صانعة أخبار من أواخر تموز/يوليو الى نهاية دراستنا، قد تقدمت على إسرائيل بنسبة ٣ الى ٢ فقط. ويجب أن نتذكر أن اسرائيل لم تكن صانعة أخبار خلال شهري آب/أغسطس وأيلول/سبتمبر عام ١٩٥٦ بأسرهما.

وعلى العموم يبدو أن الوطن العربي قد قدم ٢٤ بالمائة من الأخبار، $\left(\frac{٨٦ + ٥١,٩ + ٢٨,٨}{٧٠٠} \times ١٠٠ \right)$

وقدمت اسرائيل ١٢,٦ بالمائة، $\left(\frac{٥٩ + ٢٨,٨}{٧٠٠} \times ١٠٠ \right)$(وقد أضيف «الشرق الأوسط» لكل من اسرائيل والأقطار العربية)،

وقدمت أوروبا ٣٠ بالمائة وهي نسبة كبيرة $\left(\frac{١٦١,٢ + ٢٨ + ١٩,٥}{٧٠٠} \times ١٠٠ \right)$، الجدول (رقم ٢ ـ ٧)[٢٥].

يجب التأكيد هنا أن جميع الأطراف في نزاع الشرق الأوسط كانوا في الواقع منهمكين بحرب الدعاية قبل أي فترة من فترات العداء النشيط وخلالها وبعدها. إن كل طرف من المتخاصمين يحاول أن يعرض المسألة من وجهة نظره الى شعوب وحكومات العالم. قد يفترض أن مراسلي المجلات الأمريكية كانوا في الأصل أفراداً منصفين وغير متحيزين لأي طرف. بيد أنه ليس مما يجانب الانصاف، ربما، أن يُجادل بأن هؤلاء المراسلين ـ وقد جيء بهم، في حالات عديدة، الى مركز الأحداث على عجل وبصورة موقتة ـ يحتمل أن يتأثروا، بل وحتى يقنعوا، بالحجج التي تقدمها حكومة وصحافة القطر المضيف. وبالتالي فإن مراسلاً في المملكة المتحدة، مثلاً، لا يخالف ضميره كثيراً، هذا إن خالفه إطلاقاً، حين يرسل الى مجلته تقريراً «موضوعياً» وهو يعكس في واقع الأمر وجهة النظر البريطانية. ويصدق الشيء ذاته على مراسلٍ ما في قطر عربي، إذا كان يتكلم العربية أو إذا كانت تصدر في ذلك القطر صحف باللغة الانكليزية.

هذا العنصر، إذاً، ربما كان من العوامل المساعدة (ضمن عوامل عديدة أخرى، بالطبع) في التغطية الصحفية المؤيدة لكل من بريطانيا وفرنسا في الولايات المتحدة، حتى حين كانت الحكومة الأمريكية غير موافقة على أعمالهما أدبياً وسياسياً وعسكرياً. قد ينطبق هذا التحليل نفسه على اسرائيل، حيث كان فيها تسعة مراسلين أمريكيين بالمقارنة مع خمسة في مصر. لذا فالوضع هو بالتأكيد بغير صالح الوطن العربي بسبب التوزيع غير المتوازن للمراسلين الأمريكيين فيما بين المتخاصمين الرئيسيين. كان هناك تسعة مراسلين أمريكيين في اسرائيل وخمسة في مصر وأربعة في

---

(٢٥) هذا بالمقارنة مع ١٠ بالمائة من مصادر أخبار عربية و٣١ بالمائة اسرائيلية و٥٩ بالمائة محايدة عن نشر حادثة قبية المذكورة آنفاً. أنظر: Crow, «Is There Bias,» p. 13.

الاردن وثلاثة في لبنان وواحد في كل من مراكش وتونس ومراسل واحد متجول. وهكذا كان هناك في الوطن العربي بأسره ما مجموعه خمسة عشر صحفياً أمريكياً بالمقارنة مع عشرة في اسرائيل وحدها. كان لجريدة النيويورك تايمز ثلاثة مراسلين في إسرائيل ومراسل واحد فقط في كل من مصر ولبنان والأردن. فمن الواضح أن التقارير الصادرة من أقطار غير عربية كانت ميالة الى أن تكون أشد عداءً نحو العرب وأكثر انتقاداً لهم من اسرائيل. وبعبارة أخرى، كانت التقارير الصادرة من أقطار عربية أقل على العموم في مناهضتها للعرب وأكثر حياداً نحوهم و/أو مؤيدة لهم.

وهكذا ففيما يتعلق بكافة التغطية الاخبارية لأحداث الشرق الأوسط من تموز/يوليو الى كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٥٦ كانت أوروبا الغربية واسرائيل هما مصدر وموضوع التغطية الاخبارية في المجلات الأمريكية بمقدار ضعف التغطية الخاصة بالأقطار العربية مجتمعة، وهذا باستثناء الولايات المتحدة. وكانت إسرائيل وحدها هي مركز ٤٠ بالمائة من جميع المراسلين الأمريكيين في الخارج الذين يغطون الشرق الأوسط، وهذا باستثناء أوروبا الغربية التي هي خزان هائل لأولئك المراسلين.

خلاصة واستنتاجات

جرت دراسة ست مجلات قومية مع ملحق «استعراض أخبار الأسبوع» للنيويورك تايمز وذلك لتقويم تقاريرها والسياسات التي تنتهجها افتتاحياتها عن مسائل الشرق الأوسط خلال أزمة السويس للفترة من تموز/يوليو الى كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٥٦. ووضعت فرضيتان جرى فحصهما لتبيان صدقهما. وعلى العموم لا تزال الصورة الباقية كل البقاء عن العربي النموذجي هي صورة بدوي مرتحل من سكان الصحراء، وإن كان العرب الحضريون من سكان المدن وكذلك المتشبهون منهم بالحياة الغربية قد ذكروا أيضاً وبحث أمرهم. ويظن أن الإلحاح في إبراز تلك الصورة هو نتيجة للتأكيد المفرط على صورة ذلك البدوي «المثيرة للاهتمام» و«الرومانسية». أما الاسرائيليون فقد عرضوا بصفتهم أناس يشبهون الغربيين وكذلك بصفتهم ديمقراطيين. في حين عرض العرب بصفتهم «شقاة» ومعتدين على الاسرائيليين «المحبين للسلام». وعرض اهتمام اسرائيل الأساسي على أنه «أمنها» دون أي نيات سيئة من جانبها. وحين هاجمت اسرائيل جاراتها العربيات بشدة تفوق المعتاد جرى تبرير أعمالها على أنها «غارات انتقامية».

لم تكن جميع المجلات على الدرجة نفسها من الحياد أو التحيز. وكانت مجلة نيوريبلك في المقدمة في نشر افتتاحيات متوازنة أو محايدة عن الشرق الأوسط (بنسبة ٧٨ بالمائة، الجدول رقم (٢ ـ ٣)). وكان للملحق «استعراض أخبار الاسبوع»، تليه مجلة تايم، أكبر نسبة، في عدد البنود والمساحة المخصصة معاً، من النشر الكلي المتوازن والمحايد لأخبار الشرق الأوسط. وباستثناء يو. اس. نيوز كان هناك من التغطية الاخبارية المحايدة أو المؤيدة

لمراكش وتونس ولبنان والعراق، وكلها أقطار مؤيدة للغرب آنئذٍ، أكثر من التغطية عن بقية الوطن العربي، وكانت مجلتا نيو ريببلك ونيشن على الأخص متعاطفتين مع تونس ومراكش والوطنيين الجزائريين. وأعطت يو. اس. نيوز سرداً مفرط التبسيط لقضايا الشرق الأوسط، لا ينظر إلاّ الى الحسن أو الرديء متجاهلاً ما بينهما. وأبدت المجلات الأخرى من المرونة أكثر قليلاً، إلاّ إذا مسّ الأمر اسرائيل.

ومع أن الاستنتاجات أعلاه تقتصر أساساً على المجلات موضوع الدراسة وإبّان أزمة السويس، لكنها يمكن تطبيقها بشكل عام على التغطية الصحفية الأمريكية لأخبار الشرق الأوسط منذ أن اتخذت قضية فلسطين مكان الصدارة في الصفحات الأولى بعد الحرب العالمية الثانية. ويعتقد أن هذا التعميم له ما يبرره لأن لتلك المجلات توزيعاً كبيراً ونظراً لأن النيويورك تايمز تعتبر حجة كمصدر للأنباء.

وكما اتضح الآن لم يكن نصيب العرب جيداً جداً في التغطية الصحفية الأمريكية لأخبار الشرق الأوسط. فهم فيما يبدو يعرضون باطراد بصفتهم «الأوغاد» إزاء الاسرائيليين بصفتهم «الأبطال» في أي نزاع أو احتكاك. إن مثل هذه الصورة التبسيطية التي لا تعرف إلاّ الحسن أو الرديء دون تمحيص ما بينهما لا تعلي من شأن هذه المؤسسة الأمريكية العظيمة. وما لم يصحح هذا العرض غير المتوازن أو يجري التعويض عنه فإنه لا يمكن تقديم معرفة وافية بقضايا الشرق الأوسط للشعب الأمريكي وحكومته، وهي معرفة يقوم عليها الحل المحايد والعادل لمشاكل المنطقة المتعددة. والعرب يشيرون الى الولايات المتحدة، والوضع على ما هو عليه، فيقولون: «إنكم لا تعرفوننا إلاّ من خلال عيون اسرائيلية». ويبدو أن العرب في هذا على صواب.

الفصل الثالث

وسائل الإعلام الجماهيرية وحرب حزيران / يونيو

يتبع هذا التحليل الطريقة ذاتها التي استخدمت في تقصي حرب السويس. وتبيّن النتائج بوضوح تزايداً كبيراً في تحيّز الصحافة سواء لصالح إسرائيل أم ضد الطرف العربي. وقد شنت حملة تشويه ضد سمعة الرئيس جمال عبد الناصر كان المقصود منها في أغلب الظن إضعاف مركزه داخل مصر وكذلك زعزعته كزعيم قومي عربي. ومن الواضح أن التغطية الأمريكية لحرب عام ١٩٦٧ كانت من أسوأ التغطيات إن لم تكن أسوأها طراً، وعلى أشد درجات التحيز في النشر في أي فترة زمنية منذ الحرب العالمية الثانية.

من احدى النتائج التي سيتوصل اليها المؤرخون في المستقبل من دراساتهم لاحداث صيف عام ١٩٦٧ هي أن أعظم عمل انجزته اسرائيل لم يكن انتصارها العسكري بل نجاحها في ايصال وجهة نظرها الى الرأي العام العالمي وقبوله لها، وان هزيمة العرب الكبرى لم تكن على ارض المعركة بل في التنافس على استدراج عقول الناس.

وقد قال كارل دويتش بهذا الصدد: «ان تنظيم وسائل الاعلام الجماهيرية ومراقبتها من قبل المؤسسات الاجتماعية ونشر المعلومات وحفظها هي عامل كبير للقوة»[1]. فالحملة لعرض وجهة نظر اسرائيل والقصة الاسرائيلية فقط لمجريات الاحداث في الشرق الاوسط في صيف عام ١٩٦٧، كانت في شمولها وحدّتها حملة عززت قوة اسرائيل ومركزها للمساومة الى حد كبير.

وعلى الرغم من انه ما من احد قام حتى الآن بدراسة ما نقلته محطات الاذاعة والتلفزيون من انباء ومعلومات لتغطية احداث حرب حزيران/ يونيو فقد اجريت دراسة على

---

(١) Karl W. Deutch, *The Nerves of Government* (New York: Free Press, 1966), p. 203.

عدد من الصحف اليومية[٢] والمجلات[٣] والكتب الانتهازية[٤] عن الحرب الاخيرة بين العرب واسرائيل. فقد وجدت المؤسسة الاميركية لنشر المعلومات السياسية، وهي مؤسسة مستقلة لا تعمل من اجل الكسب المادي وتهتم «بتحسين وسائل نشر المعلومات عن الشؤون الحكومية والسياسية على الشعب الامريكي» وجدت ان من بين ١٨ محرراً صحفياً (من كتاب الأعمدة التي تنشرها صحف متعددة والذين لهم صلات بواشنطن) كان تسعة محررين ينظرون الى «الأزمة بصورة رئيسية من خلال وجهة نظر سياسة امريكا الخارجية» وان ستة محررين اتخذوا موقفاً صلباً موالياً لاسرائيل على الدوام وان محرراً واحداً فقط كتب عموداً في احدى الصحف اوضح فيه الصعوبات والمشكلات التي تواجه العرب واحتياجاتهم[٥]. ولقد وصل كل من لزلي فارمر وويلارد ج. اوكستوبي وهاري هوارد الى استنتاجات مماثلة في دراساتهم. ويظهر الجدول رقم (٣ - ١) والجدول رقم (٣ - ٢) ان الدراسة التي قمت بها تؤيد ذلك.

وكنت قد اتبعت في تحليلي الطريقة ذاتها التي اعتمدتها في دراسة سابقة[٦] فقد اخترت الصحف والمجلات ذاتها وهي يو أس نيوز اند وورلد ريبورت، نيوزويك، تايم، لايف، ذي نيشن، ذي نيو ريبيليك، نيويورك تايمز، وذي ويك اند ريفيو، بغية ملاحظة أي تغيير في الموقف[٧]. وكانت النتائج التي توصلت اليها في أبحاثي لا تختلف عن تلك التي توصلت اليها من دراستي للعدوان على منطقة السويس في عام ١٩٥٦، ولا بد لي من أن أشير هنا الى أن التأييد الذي حظيت به اسرائيل والمواقف المعادية للعرب عامة وللرئيس عبد الناصر خصوصاً كانت أكبر بكثير في عام ١٩٦٧، وان افتتاحيات الصحف وانباءها افضل شاهد على ذلك.

ولعل العامل الاشد اثارة هو تردد الصحف الامريكية في انتقاد اسرائيل سواء في المقالات الافتتاحية ام في نقلها للانباء. وكنت حين اصادف في قراءتي اي توبيخ لاسرائيل أو للشعب الاسرائيلي اجد ان التوبيخ كان دائماً مقروناً باسباب مبررة. ولم تكن هذه الصحف

---

(٢) American Institute for Political Communication (AIPC), «Domestic Communications: Aspects of the Middle East Crisis,» a special report (Washington, D.C., July 1967).

(٣) Leslie Farmer, «All We Know Is What We Read in the Papers: A Study of U.S. Press Coverage of the Middle East Crisis,» *Middle East Newsletter*, vol, 2, no. 2 (February 1968), pp. 1-5, and Willard G. Oxtoby, «The War of Words: A Look at the Literature,» in: *America and the Middle East* (New Haven, Conn.: New Haven Committee on the Middle East Crisis, 1968), pp. 31-36 (Mimeographed).

(٤) Harry Nicholas Howard, «The Instant Potboilers and the «Blitzkrige» War,» *Issues*, vol.21, no. 3 (Autumn 1967), pp. 48-52.

(٥) AIPC, «Domestic Communications: Aspects of the Middle East Crisis,» p. 2.

(٦) Michael W. Suleiman, «An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News Magazines, July-December 1956,» *Middle East Forum*, vol. 41, no. 2 (Late Autumn 1956), pp. 9-30. The methodology is outlined here in some detail.

(٧) امتدت مدة الدراسة من ١١ أيار/مايو ١٩٦٧، تاريخ البيانات الاسرائيلية التي تهدد «بالعدوان» على سوريا، حتى نهاية حزيران/يونيو ١٩٦٧.

جدول رقم (٣ ـ ١)

النسبة المئوية لجميع أنباء الشرق الأوسط(*)، للفترة (أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٦٧)

المجلة	ضد ناصر	ضد سوريا	ضد العرب	ضد فرنسا	ضد الأمم المتحدة	ضد الولايات المتحدة	ضد اسرائيل	ضد السوفيات	مع ناصر	مع سوريا	مع العرب	مع فرنسا	مع الأمم المتحدة	مع الولايات المتحدة	مع اسرائيل	مع الأردن	معتدلة	محايدة	مجموع عدد الأخبار
نيويورك تايمز	٣٠,٨	٤	٨	٤	١١,٥	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١١,٥	١١,٥	٣٠,٨	صفر	٢٣	٨	٢٦
لايف	٢٣,١	صفر	٣٠,٨	صفر	٨	صفر	صفر	٨	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٨	٣٨,٥	صفر	صفر	صفر	١٣
يو اس نيوز اند وورلد ريبورت	٣٠,٢	٤,٦	٢١	صفر	٢,٣	٢,٣	٢,٣	٩,٣	٢,٣	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٣٩,٥	صفر	٢,٣	١٨,٦	٤٣
نيشن	٦٠	٢٠	صفر	صفر	٢٠	صفر	صفر	٤٠	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٢٠	٥
نيو ريبلك	٣٣,٣	صفر	١٦,٦	١٦,٦	صفر	١٦,٦	صفر	١٦,٦	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٣٣,٣	صفر	صفر	صفر	٦
نيوزويك	٤٤,٤	صفر	٧,٤	٣,٧	٣,٧	صفر	١٤,٨	١٤,٨	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٣٧	٣,٧	صفر	١١,١	٢٧
تايم	١٠	صفر	٥٠	١٠	٣٠	صفر	صفر	١٠	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١٠	٥٠	صفر	صفر	صفر	١٠
المتوسط المئوي	٣٠,٢	٣	١٧,٧	٣	٧,٧	١,٥	٣,٨	١٠	٠,٨	صفر	صفر	صفر	٢,٣	٣,٨	٣٦,١	٠,٨	٥,٤	١٠,٨	١٣٠

(*) باستثناء العمود الى اقصى اليسار والسطر الأخير من أسفل، فإن جميع الأرقام تدل على النسبة المئوية (في عدد الاخبار) للتغطية الصحفية تحت كل باب. اذا جمعت افقياً زاد المجموع على ١٠٠ بالمائة ذلك لأن الخبر نفسه يمكن أن يكون ـ وغالباً ما يكون ـ مع فريق وضد آخر.

جدول رقم (٣ ـ ٢)
النسبة المئوية للافتتاحيات عن الشرق الأوسط(*)، للفترة (ايار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٦٧)

المجلة	ضد ناصر	ضد سوريا	ضد العرب	ضد فرنسا	ضد الأمم المتحدة	ضد الولايات المتحدة	ضد اسرائيل	ضد السوفيات	مع ناصر	مع سوريا	مع العرب	مع فرنسا	مع الأمم المتحدة	مع الولايات المتحدة	مع اسرائيل	مع السوفيات	معتدلة	محايدة	عدد الافتتاحيات
نيويورك تايمز	٤٠	صفر	٢٠	٢٠	صفر	صفر	صفر	٢٠	صفر	صفر	صفر	صفر	٤٠	٤٠	٢٠	صفر	صفر	٢٠	٥
لايف	٤٠	صفر	٤٠	صفر	٢٠	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٢٠	صفر	صفر	صفر	صفر	٥
نيشن	٥٠	٢٥	صفر	صفر	صفر	٢٥	صفر	٥٠	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٢٥	٤
نيو ريبيلك	٢٠	صفر	٢٠	٢٠	صفر	٢٠	صفر	٢٠	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٤٠	صفر	صفر	صفر	٥
تايم	صفر	صفر	١٠٠	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١٠٠	صفر	صفر	صفر	١
المتوسط المئوي	٣٥	٥	٢٥	١٠	٥	١٠	صفر	٢٠	صفر	صفر	صفر	صفر	١٠	١٥	٢٠	صفر	صفر	١٠	٢٠

(*) باستثناء العمود الى اقصى اليسار والسطر الأخير من أسفل، فإن جميع الأرقام تدل على النسبة المئوية (في عدد المقالات) للافتتاحيات تحت كل باب. اذا جمعت افقياً زاد المجموع على ١٠٠ بالمائة ذلك لأن المقال الافتتاحي نفسه يمكن أن يكون ـ وغالباً ما يكون ـ مع فريق وضد آخر.

تقدم وجهة النظر العربية الا بصورة عرضية وبطريقة تبدو فيها غريبة وغير مقنعة للقارىء الذي كان تشبع بالآراء الموالية لاسرائيل. وكان بعض الصحف يتبع في بعض الاحيان «تكتيكاً» معيناً لتشويه وجهة النظر العربية حتى عند تقديمها وذلك بجعل الشيوعيين يتحدثون بلسان العرب. فمثلاً، نشرت صحيفة نيويورك تايمز في عددها الصادر في ١٨ حزيران/ يونيو مقتطفات من مقال نشر في صحيفة ازفستيا يهاجم الاسرائيليين ويصفهم بالمعتدين، بينما وصفت مجلة تايم الفظائع واعمال السرقة والنهب التي ارتكبها الجنود الاسرائيليون بأنها تهمة شيوعية. ونشرت الصحيفة كذلك تفسيراً للتهمة على لسان موشيه دايان جاء فيه قوله: «إن جيشاً من الجنود النظاميين وجنود الاحتياط من مختلف الاعمار والمشاعر والدوافع النفسانية لا يمكن ان يكون جيشاً يبلغ حد الكمال»(٨).

الصحافة الامريكية والرئيس عبد الناصر

يعكس الجدول رقم (٣ ـ ٣) بوضوح موقف الصحف الامريكية ازاء الرئيس عبد الناصر. فالرئيس المصري بالمقارنة مع زعماء اسرائيل وقادتها بمن فيهم موشيه دايان، شخص يمثل كل ما هو رديء وكريه. فقد كان هنالك على ما يبدو ميل قوي لوضع اللوم على شخص واحد لكل مشكلات الشرق الاوسط. واذا كانت هنالك فئة من الناس تعتقد اعتقاداً جازماً بأن عبد الناصر هو سبب كل علة، فإن اولئك الذين يعتقدون ذلك انما يجهلون الكثير عن الوطن العربي وعن منطقة الشرق الاوسط بصورة عامة. ومن ناحية اخرى، فإن هذا الموقف ربما كان محاولة مقصودة من قبل اعداء الرئيس المصري لكي يتجنبوا محاولات وضع اللوم عليهم لأي مشكلة من المشكلات في المنطقة. وقد يسأل المرء مثلاً هل الزعماء الاسرائيليون اقل اخطاء أم أن الصحافة الامريكية لا تعتقد أن هذه الأخطاء هي «مواد صالحة للنشر».

والجدير بالملاحظة أن المجلات التي وصفت الرئيس عبد الناصر بأنه رجل شديد الحذر لا يرغب في الدخول في حرب مع اسرائيل(٩)، ما لبثت ان غيرت موقفها بعد نشوب الحرب وبدأت تتهم الرئيس بأنه سبب كل المشكلات، كما أن صورة عبد الناصر كشخص بارع في الاستراتيجية الحربية يحاول ان يوقع بين الشرق والغرب سرعان ما اختفت لصالح نظرية اتسمت بصبغة تآمرية في ايدي ش. ل. سولزبرغر، مراسل النيويورك تايمز. فقد قال المستر سولزبرغر أن جميع مشكلات الشرق الأوسط مردها الى التعاون بين السوفيات الأسياد والرئيس المصري التابع لهم. واتهم عبد الناصر باتباع الأوامر التي يمليها عليه السوفيات

---

(٨) *Time* (30 June 1967), p. 27.

(٩) انظر على الأخص: *Time* (2 June 1967), p.21, and *Life* (9 June 1967), p. 4.

جدول رقم (٣ ـ ٣)
عبد الناصر والزعماء الاسرائيليون حسب الصحافة

المجلة	عبد الناصر								الزعماء الاسرائيليون		
	مواقف دكتاتورية	سبب كل المتاعب	الارتباط مع الشيوعية	موقف معاد للغرب	لا يمكن الركون أو الاعتماد عليه	الايقاع بين الشرق والغرب	سذاجة بدون خبرة	خصال حميدة	مجتهدون شجعان	الميل نحو الغرب	خصال سيئة
نيويورك تايمز	١٣	٤١	٣٩	٢	٣	صفر	١١	١١	٥	صفر	٢
لايف	٣	١٠	١٠	١	صفر	صفر	٣	١	صفر	صفر	صفر
يو اس نيوز اند وورلد ريبورت	٢٠	٤٣	٢٦	صفر	١١	صفر	١	٢١	١٠	٣	صفر
نيشن	٦	٤	٤	صفر	صفر	صفر	٢	صفر	صفر	صفر	صفر
نيو ريبيلك	٢	٤	٤	٤	٢	صفر	صفر	صفر	٣	صفر	صفر
نيوزويك	٨	١٥	١٤	٦	١١	صفر	٢	٣	٦	صفر	١
تايم	صفر	٣	١٠	صفر	٣	صفر	٢	صفر	١٧	صفر	٣
المجموع	٥٢	١٢٠	١٠٧	١٣	٣٠	صفر	٢١	٣٦	٤١	٣	٦

الارقام تدل على عدد المرات التي ذكرت فيها الصفة.

وباثارة الاضطراب في النزاع العربي ـ الاسرائيلي ليحوّل الانظار عن الصعوبات التي كان يواجهها في حرب اليمن(١٠).

العرب والاسرائيليون في نظر الصحف الامريكية

لكن حملة التحقير والذم لم تكن مقتصرة على الرئيس عبد الناصر. فقلما اسبغت أي صفات حميدة على العرب عامة في حين أن الاسرائيليين يعتبرون منزهين عن الخطأ. فالصورة الرومانطيقية القديمة التي كانت تمثل العربي بدوياً يتنقل في الصحراء ويعيش فيها حلت محلها صورة اخرى تمثله رجلاً مكفهر الوجه، متحايلاً وجباناً(١١). وهي صورة دعمتها الافلام السينمائية والتلفزيونية. وبالمقابل كانت الصحف الامريكية تصور الاسرائيليين كشعب فتيّ مليء بالحيوية والنشاط، مجتهد، يحب مباهج الحياة، لوحت بشرته اشعة الشمس(١٢).

---

(١٠) *New York Times* (25 June 1967), p. 8E.

(١١) Marcus Smith, «Reflections in Mirror,» *Middle East Newsletter*, vol. 2, no. 2 (February 1968), p.7.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٦.

ويبين الجدول رقم (٣ - ٤) بوضوح تـردد الصحف الامريكيـة في اظهار الاسرائيليـين بمـظهر غـير لائق، في حين أنها لا تحجم عن تعـداد الصفـات السيئـة للعـرب وهي صفـات لخصتها لزلي فارمر كما يلي:

«ان غايتي ليست القول بأن ليس للعرب أخطاء، لكن اذا جمعنا كل الصفات الـرديئة لشعب مـا من الشعوب أو لشخص ما. . . معاً واعلناها على الملأ فأنها ستبدو أردأ بكثير مما هي عليه. فالمرء باستطاعته أن يقـول عن سقراط ويكون صادقاً في قوله، إنه رجل قبيح المنظر وثيابه مهلهلة وان له زوجة بغيضة، وهو مع ذلك لم يكن يشعر بحاجة الى تطليقها ويقضي معظم أوقاته في الكلام والثرثرة»[١٣].

جدول رقم (٣ - ٤)
الخصال العربية والاسرائيلية في الصحافة

المجلة	الخصال العربية								الخصال الاسرائيلية				
	الحياة البدوية	مستوى المعيشة المتدني	مستوى التعليم المتدني	حقوق المرأة القليلة	توجيه غير ديمقراطي	عدم أمانة عدم ثقة عدم كفاءة	انقسام وتنافس	خصال حميدة	مستوى تعليم عال وحديث	اجتهاد بطولي على النفس، اجتهاد، فعالية	امانة، ثقة بالنفس	ديمقراطية وتوجيه غربي	خصال سيئة
نيويورك تايمز	١٥	١	١	صفر	٣	١٨	٢٤	٥	صفر	١٥	٦	صفر	٢
لايف	صفر	صفر	صفر	صفر	٢	٢٣	١٤	٤	٤	٢٤	٩	صفر	صفر
يو أس نيوز اند وورلد ريبورت	٣	١٥	صفر	صفر	صفر	١٥	٤١	٥	٤	٣٧	٢	١	٢
نيشن	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١	صفر	صفر	١	صفر	صفر	صفر
نيو ريبلك	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٢	٣	صفر	صفر	٧	صفر	صفر	صفر
نيوزويك	٢	٢	صفر	صفر	٣	١١	٩	١٠	٥	٤	٥	٣	صفر
تايم	٥	صفر	صفر	صفر	صفر	٢٠	١٠	١٢	٩	١٧	٤	صفر	٣
المجموع	٢٥	١٨	١	صفر	٨	٨٩	١٠٢	٣٦	٢٢	١٠٥	٢٦	٤	٧

الأرقام تدل على عدد المرات التي ذكرت فيها الصفة.

امـا الجدول رقم (٣ - ٥) فـإنـه يبـين كيف أن الصحف كـانت تنشر من حـين لآخـر المعاملة السيئة التي تعرض لها اليهـود في السابق ولكن ليس بـالدرجـة المتوقعـة من التكرار. وكانت هذه المادة تنشر على شكل اعلانات دعائية في صحيفة نيـويورك تـايمز لتـذكر النـاس بفظائع المجازر البشرية الاوروبية «التي لا يزال الشعب الاسرائيلي يذكرها وينفض عن نفسه آثارها»[١٤].

(١٣) Farmer, «All We Know Is What We Read in the Papers: A Study of U.S. Press Coverage of the Middle East Crisis,» p.5.

(١٤) *New York Times* (4 June 1967), p. 4E.

وقد حثت الصحيفة الرئيس والشعب الامريكي على تجنب ميونيخ اخرى، والعمل مع الدول الأخرى لتجنب حدوث مجزرة اخرى اذا امكن وبصورة مستقلة عنها اذا لزم الأمر»[١٥]. وعندما انتهت الحرب حيّت منظمة هداسا، وهي منظمة نسائية صهيونية في امريكا، «حماة» اسرائيل[١٦].

جدول رقم (٣ ـ ٥)
نظرة الصحف الى الاسرائيليين والعرب، للفترة (ايار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٦٧)

المجلة	سوء معاملة اليهود في السابق	رغبة اسرائيل في السلام والأمن	منجزات اسرائيل	اسرائيل قوية لكنها مضطهدة	عزم العرب على تدمير اسرائيل	تبرير اعمال اسرائيل	العرب يسيئون معاملة اسرائيل	ذكر اللاجئين العرب	رغبة العرب في السلام والأمن	منجزات العرب	اسرائيل تسيء معاملة العرب	تبرير اعمال العرب	اتصال العرب بالسوفيات	العرب ضد الغرب
نيويورك تايمز	صفر	٢٤	٣٠	١١	١٨	٥٨	٤٧	١٩	صفر	صفر	٤	٤	١٨	صفر
لايف	٦	١٠	٢٣	٤	٢٤	٢٨	٤٥	١١	صفر	صفر	٦	٣	١٦	صفر
يو أس نيوز اند وورلد ريبورت	١	٦	٤	٣٤	٢٦	١٩	٢٩	١	٢	صفر	٨	—	٩١	٢٨
نيشن	صفر	٣	صفر	١	٧	٥	٩	٥	صفر	صفر	١	صفر	١٠	صفر
نيو ريبلك	صفر	صفر	١	١	٢	٣	٤	٣	صفر	صفر	١	—	٥	١
نيوزويك	٤	٨	٢	صفر	٥	٧	٢٢	١٣	١	صفر	٧	—	١٠	٩
تايم	١٢	٢٠	١١	٣	٣٠	٣٠	٤٧	١٤	صفر	صفر	٣١	٨	١٣	١٤
المجموع	٢٣	٧١	٧١	٥٤	١١٢	١٥٠	٢٠٣	٦٦	٣	صفر	٥٨	١٥	١٦٣	٥٢

الأرقام تدل على عدد المرات التي ذكرت فيها الصفة.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (—) إلى أن المعلومات غير متوافرة.

وأكدت الصحيفة رغبات اسرائيل المزعومة في الأمن والسلام. ويجب الاضافة هنا إلى أن هذا الكلام عن الأمن والسلام كان يتردد بكثرة بعد الحرب التي أظهرت بطريقة لا تقبل الشك أن اسرائيل لم تكن في خطر كبير. وبدأت الصحف الامريكية تردد طلبات بعض الرسميين الاسرائيليين وبأن ليس في الامكان العودة الى الأوضاع السابقة وأن اسرائيل بحاجة الى مزيد من «الحدود الطبيعية». وكانت اسرائيل تبرر ذلك على اساس المحافظة على «الأمن» والرغبة في العيش «بسلام». هذا، ولم يتضح للقراء كيف أن مثل هذا العمل من شأنه أن يجعل السلام أكثر احتمالاً بين اسرائيل والبلدان العربية.

---

(١٥) المصدر نفسه، ص 7E.

(١٦) Ibid. (11 June 1967), p. 5E.

ولم يكن الاسرائيليـون بعيدين عن الانتقـاد فحسب بل ان انجـازاتهم كانت كـما يبدو انجـازات عظيمـة لا يمكن مقارنتهـا بغيرهـا. والمرء قـد يسـأل احيـانـاً عن عـدد المراسلين الصحفيين الذين زاروا فلسطين قبل أن يستـولي عليها الاسرائيليـون لكي يتكلموا بثقـة عن كيفية تحويـل الاسرائيليين «الصحـراء الى جنة مـزهرة». والاسرائيليـون هم، طبعاً، لـطفاء وكرماء تجاه العرب الذين وضعهم «القضاء والقدر» في ايديهم لـرعايتهم، وكـانت مثل هـذه الحجـج تعرض عـلى بساط البحث لتـبرير اي محـاولة من قبـل اسرائيـل لضم أي جـزء من الاراضي التي احتلتهـا في صيف عـام ١٩٦٧ أو كلهـا. إن هـذه الحجـج شبيهـة بحجـج المستعمرين[١٧]... وهي حجج رفضها الذين يدينون بمبدأ التحرر والمثقفـون في الغرب منـذ نحو عشرين سنة خلت.

وعـلى الرغم من هـذه الانجازات فقـد كانت الصحف تـذكّـر الـزعـماء الامـريكيـين باستمرار بأن على الولايات المتحدة التزامـات «ادبية وقـانونيـة» لاعانـة اسرائيل. وقـد قالت المؤسسة الاميركية لنشر المعلومات السياسية:

«تعرضت حكومة الرئيس جونسون بشكل محرج لحملة ضغط منظمة من الداخل نيابة عن اسرائيـل في الاسبوعين اللذين سبقا الصدام العربي ـ الاسرائيلي مباشرة. وقد اضطرت الحكومة حفاظاً على حرية العمـل الدبلوماسي ولكي لا تجبر على اتخاذ موقف من جانب واحد ازاء أزمـة الشرق الأوسط، اضطرت الى أن تشن حملة اعلام دفاعية»[١٨].

والحقيقة المذهلة هي أن هذه الحملة استمرت حتى بعد الحرب. فلم يكن بـاستطاعـة اي مرشح للرئـاسة الامـريكية، عـلى ما يبـدو، التهرب من اصـدار بيان حـول «التزامـات» امريكا تجاه اسرائيل. ومـا زال المعلقون السيـاسيون يـطرون الانتصار العـظيم الذي حققتـه اسرائيل ويعربون في الوقت ذاتـه عن عدم ايمـانهم بأن «اسرائيـل الصغيرة» يمكن أن تشكـل خـطراً على الـوطن العربي. ويبـدو أن قصة داود وجـوليات الجبـار لم تفقد رونقهـا. وكانت الصحف تقدم للشعب الامريكي صورة تمثل ٢,٧٠٠٠٠٠ اسرائيلي مقابل عدد يـتراوح بين ٦٠ ـ ١١٠ ملايين عربي[١٩]. ويتناسى الكاتب أنه وصف لتـوه هذا العـدد الكبير من العـرب

---

(١٧) اعتمـد بول جينيـوسكي، في مجادلاتـه حـول القضيـة العنصريـة في جنـوب افـريقيـا وانشـاء دولـة مستقلة (بانتوستان) فيها، الطريقة الصهيونية لاقامة دولة اسرائيل واتخذها مثلاً. وباختصار فإن قضيته ضد انصهار السكان ومع التمييز العنصري يعبر عنها السؤال التالي الذي صاغه بشكل بلاغي: «ألم يتعلم اليهود أن الحقوق السياسية الوحيدة التي لا يمكن الـطعن فيها، والـراية الـوحيدة التي لا يمكن أن تلصق بهـا جـريمـة هي حقـوقهم وقـوميتهم وانهم بـدلاً من أن ينصهروا في الدول الأجنبية وبدلاً من أن يكونوا المان أو انكليز أو فـرنسيين أو أي شيء آخـر غير أنفسهم، وجب عليهم أن يكونوا أنفسهم، يهوداً، فلسطينين، اسرائيليين؟». انظر:

Paul Giniewski, *The Two Forces of Apartheid* (Chicago, Ill.: Henry Regnary, 1961), p. 350.

(١٨) AIPC, «Domestic Communications: Aspects of the Middle East Crisis,» p.1.

(١٩) *Time* (9 June 1967), p. 38.

بأنه شعب غير كفء، ومنقسم على ذاته وبأنه شعب ضعيف ومن البدو الرحّل الخ . . .

والأنكى من ذلك أن عدد السكان إنما يقارن عندما تكون الحقائق متعلقة بالقوات العسكرية. فقد قدر عدد القوات العربية كالآتي: القوات الاردنية ٥٥ ألفاً. القوات السورية ٧٠ ألفاً. القوات المصرية ١٠٠ ـ ١٥٠ ألفاً وقوات أخرى عربية بنحو ١٠ آلاف. وهذا ما مجموعه ٢٨٥ الف رجل مقابل ٣٠٠ ألف جندي اسرائيلي من القوات النظامية والاحتياطية تحت قيادة واحدة[٢٠]. والسؤال الآن هو هل من المعقول لأي مراقب غير متحيز عندما يقف على قوة الجيش الاسرائيلي وقدرته وعلى تدريبه الممتاز واسلحته الحديثة ان يفكر بالوضع بمثابة مبارزة بين داود وجوليات الجبار؟ المراقبون المعتدلون لم يفكروا هكذا بالطبع. فقد كتب هيو سيدني في مجلة لايف[٢١] تقريراً نقله دان راذر عن (CBS News) جاء فيه أن الجنرال ايرل ويلر الذي كان آنذاك رئيساً لهيئة الأركان المشتركة قد قدم للرئيس جونسون تقريراً عن تقديرات تتعلق بامكانات اسرائيل العسكرية، وقد بيّن التقرير ان الجيش الاسرائيلي سيحرز النصر في غضون ثلاثة أيام أو أربعة. أما آرثر غولدبرغ الذي كان يومذاك سفيراً للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة وغيره فقد كان يعتريهم الشك. وقد دقق الجنرال ويلر في هذه التقديرات مع رئيس وكالة الاستخبارات المركزية، ريتشارد هيلمز للتأكد من صحتها وكانت النتيجة صحيحة[٢٢].

وعلى الرغم من هذه التأكيدات يستمر الصراخ والزعيق عن «نضال اسرائيل من اجل البقاء»، وتجدر الاشارة هنا الى ان فلسطين كانت تناضل في سبيل البقاء عندما تمكن الصهاينة من انشاء دولة اسرائيل. وقد دخلت مصر والاردن وسوريا في الآونة الاخيرة في عداد الشعوب التي تناضل من اجل بقائها، ومع ذلك فإن جيمز ريستون، بعد مضي اسبوع كامل على النصر الاسرائيلي الذي عالجه بصورة مفصلة يمضي ليقول: «انه لمن الصعب اثبات أن مليوني اسرائيلي ونصف المليون يشكلون خطراً عظيماً على ستين مليون عربي»[٢٣].

فمثل هذا القول يعطي لمراسلي الصحف والمعلقين ذريعة لتبرير اعمال اسرائيل وتصرفاتها. لذلك نراهم يرددون باستمرار أن العرب يعاملون اسرائيل معاملة سيئة وهم عازمون على تدميرها والقضاء عليها. وعندما تشن اسرائيل عدواناً على البلدان العربية

---

(٢٠) *New York Times* (28 May 1967), p. 1E.

نشرت هذه الصحيفة تقديرات عن عدد القوات: اسرائيل ٢٥٠٠٠٠، الجمهورية العربية المتحدة، ٨٠٠٠٠، الاردن ٥٥٠٠٠، سوريا ٧٠٠٠٠. وقدرت (التايم) عدد قوات اسرائيل النظامية بـ ٧١٠٠٠ وعدد قوات الاحتياط بـ ٢٣٠٠٠٠. انظر: *Time* (9 June 1967), p. 38.

(٢١) *Life* (23 June 1967), p. 32B.

(٢٢) عندئذ أعلنت حكومة جونسون «حيادها» في النزاع العربي الاسرائيلي.

(٢٣) *New York Times* (18 June 1967), p. 14E.

المجاورة وتعامل سكانها معاملة سيئة أو تضم اليها اراض جديدة فإن مثل هذه الاعمال تجد ما يبررها دائماً وتقدم الحجج الاسرائيلية كدليل يثبت شرعية العمل وفقاً لمقتضيات الوضع الراهن. وعلاوة على ذلك كان العرب إبان حرب حزيران غالباً ما يقرنون وبدون تمييز تقريباً بالمعسكر الشيوعي. فانباء التظاهرات التي قامت ضد ما كان يعتقد بتدخل امريكا الى جانب اسرائيل كانت تنشر بالتفصيل. ولعل اسوأ مثل على ذلك هو المقال الذي بعث به توماس تومبسون، رئيس تحرير لايف في باريس، تحت عنوان «يوميات القاهرة عن إهانة الولايات المتحدة»[٢٤]، وكان هذا المقال من ثلاث صفحات يهاجم بعنف الرئيس عبد الناصر..

ماذا بصدد اللاجئين العرب؟ لقد قبلت الصحف الامريكية أو بالاحرى صدّقت قصة اسرائيل ومفادها أن الزعماء العرب طلبوا من العائلات الفلسطينية ترك منازلها الى ان تنتهي الحرب، بينما الصهيونيون طلبوا من الفلسطينيين البقاء في بيوتهم![٢٥]. هذا ولم يبذل اي مجهود للتأكد من صحة هذه الاقوال. وعلى الرغم من هذه الادعاءات فإن الصحف الامريكية كانت تنشر أحياناً معلومات عن المحنة التي اصابت اللاجئين العرب. ولكن كل ما كان باستطاعة اي معلق ان يقدمه للاجئين العرب هو الاقتراح على اسرائيل السماح لبعض اللاجئين بالعودة الى ديارهم (متجاهلين قرارات الامم المتحدة التي تطالب اسرائيل باعادة اللاجئين أو التعويض عليهم). وكان المعلقون يضيفون في سياق كلامهم أن جميع اللاجئين يمكن توطينهم في ايران وسوريا على أساس أنهما بلدان ليسا مكتظين بالسكان[٢٦].

مصادر الانباء

باستطاعة القارىء ان يستنتج من هذه المعالجة أن الجهة التي تستطيع اقناع الجهات الاخرى بصحة أقوالها عن الحرب تكون هي المنتصرة. وأحد العوامل التي ساعدت اسرائيل بهذا الصدد هو أن معظم الأنباء كانت ترد من مصادر اسرائيلية أو من مصادر موالية لاسرائيل.

والجدول رقم (٣ ـ ٦) لا يعرض الوضع بصورة صحيحة إلا إذا اضاف القارىء عمود «الولايات المتحدة أو المصدر المجهول» الى عمود «اسرائيل». ولكن لا مبرر لذلك، إذ

---

(٢٤) *Life* (23 June 1967), pp. 70-74, and Smith, «Reflexions in Mirror,» p. 7.

يصف الكاتب كيف أن اصدقاءه ومعارفه لم يصدقوا أنه سيعود الى لبنان ليعلّم فيها بعد ان زار الولايات المتحدة في الصيف. ويبدو ان نظرتهم الى العرب كانت نظرة أثرت فيها مقالات تومبسون.

(٢٥) *Life* (23 June 1967), p.4.

(٢٦) يجب أن نتذكر أنه حتى ١٩٦٧ كان ينظر الى الفلسطينيين على أنهم لا أكثر من «لاجئين عرب» أي ليسوا شعباً. لذا اشارت التقارير الصحفية الامريكية الى الفلسطينيين «كلاجئين عرب» فقط. انظر: المصدر نفسه.

جدول رقم (٣ - ٦)
النسبة المئوية لمصادر الأخبار عن الشرق الأوسط(*)

المجلة	مصر	الاردن	سوريا	لبنان	اوروبا	الولايات المتحدة أو عدم ذكر المصدر	الأمم المتحدة	اسرائيل	مجموع عدد المواد
نيويورك تايمز	٣,٩	صفر	صفر	صفر	صفر	٩٠,٢	صفر	٣,٩	٢٦
لايف	١٥,٤	٧,٧	صفر	صفر	صفر	٧٧	٧,٧	٤٦,١	١٣
يو اس نيوز اند وورلد ريبورت	٢,٣	٢,٣	صفر	١١,٦	١٦,٣	٤١,٨	صفر	١٦,٣	٤٣
نيشن	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١٠٠	صفر	صفر	٥
نيو ريبلك	صفر	صفر	صفر	١٦,٦	صفر	٥٠	١٦,٦	١٦,٦	٦
تايم	٢٠	١٠	صفر	صفر	١٠	٨٠	٣٠	٤٠	١٠
المتوسط المئوي	٥,٨	٢,٩	صفر	٥,٨	٧,٨	٦٦	٤,٩	١٨,٤	١٠٣

(*) باستثناء العمود الى اقصى اليسار والسطر الأخير من أسفل، فإن جميع الأرقام تدل على النسبة المئوية (في عدد المواد) للتغطية الصحفية الصادرة عن أو المكتوبة حول البلد المعين أو المنطقة المعينة.

اذا جمعت افقياً زاد المجموع على ١٠٠ بالمائة ذلك لأن الخبر نفسه يمكن أن يكون صادراً عن أكثر من بلد واحد.

ان معظم المواد الواردة من مصادر غير مشار اليها كانت ترد من مصادر اسرائيلية أو من مصادر متعاطفة مع اسرائيل. ان كلاً من مجلة تايم ولايف، تعطي لائحة بأسماء مراسيلها الذين يغطون الاحداث في الشرق الأوسط. كان للتايم مراسل واحد في بيروت يتبع التطورات في الاردن وسوريا: ومراسل في مصر وثلاثة مراسلين في اسرائيل[٢٧].

وكان لمجلة لايف ١٦ مراسلاً في المنطقة حددت اماكن تسعة منهم. فكان من بين المراسلين التسعة، خمسة في اسرائيل، واثنان في مصر وواحد في الاردن وواحد مع الاسطول الامريكي السادس في البحر الأبيض المتوسط[٢٨]. فاذا افترض ان هذه الارقام ليست ارقاماً نموذجية (باستثناء صحيفتي ذي نيشن وذي نيوريبلك وكل منهما صحيفة غير اخبارية) يتضح من ذلك أن ٦٠ بالمائة من الانباء والمعلومات كانت تأتي من اسرائيل.

غير أن ندرة الانباء التي كانت ترد من الاقطار العربية التي اشتركت في القتال او

(٢٧) *Time* (9 June 1967), p. 27.
(٢٨) *Life* (23 June 1967), p. 3.

التقارير التي تتحدث عن الناحية العربية كانت ترجع بنظر بعض الدوائر الى القيود الصارمة كالرقابة الصحفية والى المضايقات من قبل العرب(٢٩). ولكن هذه المشكلات ما كانت لتعوق المراسل الصحفي المقدام الذي يفترض فيه البحث عن وجهات نظر مختلفة أو قصص أصيلة لم يسبقه اليها أحد. ثم أنه أقر بأن الاسرائيليين فرضوا رقابة على الصحف وقيوداً على السفر(٣٠). وعلاوة على ذلك، جرت محاولات جدية لعرض مواقف مناوئة للصهيونية أو مواقف موالية للعرب، ولكن هذه المحاولات كانت تقاوم من وسائل الاعلام(٣١). وهذا يدل لسوء الحظ على تردد في عرض الناحية الاخرى من القصة أو الحقيقة لا على صعوبة الحصول على المعلومات. ولعل الصحيفة الامريكية الوحيدة التي غطت الاحداث بطريقة منصفة للطرفين هي كريستشن ساينس مونيتر. وهذا استثناء جدير بالثناء. كذلك تستحق شبكات التلفزيون إطراءاً على تغطيتها الواسعة لمناقشات مجلس الامن الدولي.

خلاصة واستنتاجات

قد يكون من المفيد بالنسبة للقارىء ان يتتبع تطورات حرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ أو بمعنى آخر النزاع العربي ـ الاسرائيلي بالطريقة التي اوردتها الصحف الامريكية. وبهذا الصدد أود أن أشير الى مخالفات الصحف كالحذف والاهمال والاضافة وغير ذلك من المواضيع الكبرى التي برزت من هذه الدراسة، ومن الدراسات الاخرى التي أجريت على الصحف خلال هذه المدة.

فقبل بدء الحرب كانت الصحف تقول إن الرئيس عبد الناصر استعاد بعض الاعتبار الذي فقده في الوطن العربي وإنه لا يرغب في الدخول في حرب مع اسرائيل، بخاصة وأنه كان يدرك أن لا مصر وحدها ولا البلدان العربية مجتمعة تستطيع دحر اسرائيل. وقد شددت الصحف على استخدام الامم المتحدة لحل الأزمة(٣٢).

وبعد أن نشبت الحرب وُصم الرئيس عبد الناصر بالعدوان وبأنه سبب جميع المشكلات في الشرق الأوسط. أما مسألة من هاجم من في الحقيقة فقد اكتنفها التشويش. هذا ويمكن الحكم على ما اذا كانت هنالك محاولة دولية لتشويش المسألة من الامثلة التالية: فقد قال هيو سايدي في تعليق نشر في مجلة لايف في السادس عشر من حزيران/ يونيو ان قسم الاخبار التابع لوكالة الاستخبارات المركزية ابلغ الحكومة الامريكية أن الجمهورية العربية المتحدة شنت هجوماً على اسرائيل، وان التحقيقات التي أجريت فيما بعد أكدت

---

(٢٩) *Newsweek* (19 June 1967), p. 82, and *Life* (23 June 1967), p. 3.
(٣٠) *Newsweek*, Ibid., p. 82.
(٣١) AIPC, «Domestic Communications: Aspects of the Middle East Crisis,» p. 3, and Oxtoby, «The War of the Words: A Look at the Literature,» p. 34.
(٣٢) AIPC, Ibid., p. 2.

صحة النبأ. وفي مكان اخر من المقال كتب هيو سايدي يقول: «ثم افادت مصادر سرية أن بعض المطارات العربية بدت مشلولة وأن شكل الهجوم بدأ يتضح. وأضاف قائلاً ان القوات الاسرائيلية - بغض النظر عما اذا كانت هي التي بدأت الضربة الأولى أم لا - تتحرك بقوة وبسرعة ضد القوات الجوية المصرية»[٣٣].

ومن الامثلة الاخرى على الطريقة الملتوية لنقل الانباء ما رواه تيودور هوايت من أن اسرائيل قررت شن هجوم مباغت. «وهكذا وبعد ظهر يوم الاحد الواقع في ٤ حزيران/ يونيو واجهت الوزارة الاسرائيلية في النهاية عدة مسائل لاتخاذ قرارات بشأنها، وهي: الانتظار للحصول على عون دبلوماسي وهو تأخير قد يعني الموت، أو أن يترك للجيش أمر تقرير وقت إبعاد الهجوم المصري، وطريقة الاستجابة له. لقد اجتمع ثمانية عشر رجلاً بعد ظهر ذلك اليوم وصوتوا بالايجاب»[٣٤].

ولقد تأثرت هيبة الأمم المتحدة وتأثرت بالتالي فعاليتها حين تعرضت لموجة كبيرة من الانتقادات وجهت في البدء الى الامين العام يوثانت لسحبه قوات الطوارىء الدولية من الحدود المصرية - الاسرائيلية بناء على طلب الرئيس عبد الناصر. ولم يخطر ببال أي صحفي أو معلق سياسي امريكي أن يقترح أنه اذا كانت هذه القوات قادرة فعلاً على المحافظة على السلام الذي تزعم اسرائيل بأنها تهتم بالمحافظة عليه، فإن هذه القوات الدولية يجب أن توضع على الجانب الاسرائيلي من الحدود. وليس هذا فحسب، بل لم تأبه إلا قلة من المعلقين لذكر ان اسرائيل كانت منذ عام ١٩٥٦ ترفض السماح بتمركز مثل هذه القوات داخل حدودها كما أنها رفضت طلب يوثانت لنقلها الى الناحية الاسرائيلية بعدما طلب الرئيس عبد الناصر ازالة عدة مراكز لقوات الطوارىء الدولية التي كانت على حدود سيناء»[٣٥].

كما تتضح الازدواجية من موقف بعض الغربيين تجاه العرب والاسرائيليين وذلك من الحملة التي شنت على أثر الانتصار الاسرائيلي والتي كانت تستهدف الحط من مكانة هيئة الأمم المتحدة كمنظمة تستطيع ان تساعد في حل النزاع[٣٦]. وفي الوقت ذاته كانت هذه الحملة تدعم كيان اسرائيل على اساس أنها دولة أوجدتها الأمم المتحدة[٣٧]. وقد قدمت **النيويورك تايمز** مثلاً آخر على الازدواجية تجاه العرب واسرائيل. فقد قالت الصحيفة «عندما انتهت الحرب العالمية الثانية كانت دولة يهودية على أهبة الظهور الى حيز الوجود». وفي حين أن الصحيفة اعترفت بان نحو مليون عربي فلسطيني قد شردوا جراء ذلك من اراضيهم فانها لامت

---

(٣٣) *Life* (16 June 1967), p. 24B.

(٣٤) Ibid. (23 June 1967), pp. 24B and 24C.

(٣٥) Charles W. Yost, «The Arab-Israeli War: How it Began,» *Foreign Affairs*, vol. 46, no. 2 (January 1968), p. 313.

يعتبر مقال المستر يوست احد افضل المقالات التي نشرت حول الأزمة وكيف نشأت.

(٣٦) Nadav Safran and Stanley Hoffmann, «Middle East: Guidelines for Policy,» *Nation*, vol. 204 (26 June 1967), pp. 806-808.

(٣٧) *Time* (23 June 1967), pp. 24-25.

الفلسطينيين والعرب عامة «لرفضهم الوصول الى اتفاق» مع اسرائيل. ثم مضت الصحيفة تقول تبريراً لاعمال اسرائيل: «حينما قرر الرئيس عبد الناصر اغلاق مضايق تيران المؤدية الى خليج العقبة أصبحت الحرب أكيدة لأن الاسرائيليين شعروا أن بقاءهم أصبح مهدداً بالخطر»[٣٨]. ولا بد للقارىء من أن يستخلص أن بقاء الفلسطينيين بالنسبة لمحرر هذه الجريدة لا قيمة له بينما بقاء اسرائيل أمر مهم.

واستخدمت الصحف الامريكية طرقاً مختلفة للحط من العرب أو من وجهة نظرهم ابان مساعدتها لقضية اسرائيل. فقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز (٢٨ أيار/ مايو) مثلاً في الصفحة الأولى وبأحرف كبيرة هذين العنوانين: «موقف مصر: مغامرة ناصر الخطرة» و«موقف اسرائيل: مسألة حياة أو موت»[٣٩]. ونشرت مجلة لايف صورة جندي عربي جريح يتولى معالجته طبيب اسرائيلي[٤٠]. وقد ذكرت في العدد ذاته في مقال عن خلفية الموضوع أن عدد اليهود في فلسطين بحلول الحرب العالمية الأولى ٩٠ الفاً ولكنها لم تشر الى أن هذا العدد يشكل ١٠ بالمائة فقط من مجموع عدد السكان. ثم تقول في سنة ١٩٤٧ ارتفع عدد اليهود في فلسطين الى ٦٠٠ ألف نسمة. ولكنها لم تشر مرة اخرى الى أن السكان العرب يمثلون ثلثي مجموع عدد سكان فلسطين. وبينما ذكرت الصحف الامريكية ان الكونت برنادوت، الوسيط الدولي اغتيل على يد الارهابيين فإنها تعمدت تجاهل نشر الحقيقة وهي ان الارهابيين كانوا من الصهيونيين.

ولعل احدى النواحي المؤسفة والمحزنة للصحافة الامريكية في تغطيتها احداث عام ١٩٦٧ في الشرق الأوسط كانت في عرضها للقضية كنزاع عربي (اسلامي) - يهودي[٤١].

وهنالك، لسوء الحظ، امثلة كثيرة على ذلك، فقد كتب ش. ل. سولزبرغر مقالاً في الثامن عشر من حزيران/ يونيو قال فيه: «المفهوم ان فرنسا ترغب في استعادة مكان لائق في العالم العربي ورأت، للاسف، أن اسهل الطرق لتحقيق هذه الغاية هي خداع الشعوب الناطقة باللغة الانجليزية والتوقف عن تدليل اسرائيل»[٤٢]. وكتبت مجلة تايم تقول ان السيد محمد القوني مندوب مصر لدى الامم المتحدة مزّق بياناً هجومياً من عشرين صفحة ينتقد اسرائيل بعنف ويسخر منها ثم قدّم ليوثانت، الامين العام، مذكرة يوافق فيها على وقف اطلاق النار[٤٣].

ويتساءل المرء مرة ثانية هل أن هذه المحاولة لتشويش القضية مقصودة. فالنزاع ليس

---

(٣٨) *New York Times* (11 June 1967), p. 12E.

(٣٩) Ibid. (28 May 1967), p.1E.

(٤٠) *Life* (16 June 1967), p. 38A.

(٤١) قدم السيناتور غور القضية بتعبيرات دينية أيضاً، انظر:
Howard, «The Instant Potboilers and the «Blitzkrige » War,» p. 50.

(٤٢) *New York Times* (18 June 1967), p. 14E.

(٤٣) *Time* (16 June 1967), pp. 16-17.

بين عربي ويهودي بل بين العرب، عرب فلسطين خصوصاً، والاسرائيليين الصهيونيين. ومن المفارقات أنه عندما بدأت القومية العلمانية العربية بالظهور في أواخر القرن التاسع عشر، بدأت كذلك القومية اليهودية القائمة على الدين والعنصر تنبثق بسرعة وقوة. وكانت النتيجة دولة اسرائيل. وكما قال ي. ف. ستون، وهو يهودي امريكي، بهذا الصدد: «(من الصعب ان تكون يهودياً)، هذه العبارة هي عنوان قصة شالوم أليخم الشهيرة، الآن نرى أن من الصعب أن تكون غير يهودي في تل ابيب، وخصوصاً ان تكون عربياً غير يهودي»[٤٤].

والنقطة الاخيرة التي يجب ذكرها هنا هي تجريد العرب من الصفات الانسانية في الصحف الامريكية وذلك بترديدها الصفات الرديئة والمشينة للعرب باستمرار. ويقول ماركوس سميث ان «العرب هم الآن موضوع للتحامل في الولايات المتحدة»[٤٥]. ولقد ظهرت في مختلف الصحف والمجلات الامريكية عدة نكات جافية وقاسية عن العرب بعد حرب حزيران/ يونيو. وكانت الصور الكاريكاتورية وعلى الأخص تلك التي رسمها بيل مولدن تشكل في الواقع حملة كراهية ضد العرب. كذلك فان افلام الاستعراضات الهزلية التي تعرض بالتلفزيون وخصوصاً مسلسل روان ومارتن الفكاهي كانت تتضمن مشاهد ساخرة تنتقد العرب. كل هذه الأمور تحدث في وقت تزداد فيه الجهود للتوفيق بين شتى المجموعات على اختلاف اعراقها ومذاهبها الدينية وعناصرها في داخل الولايات المتحدة وخارجها.

إن نوعية المعلومات التي لدينا عن شعوب أخرى تقرر الصور العالقة في اذهاننا عنها[٤٦]. ان هذه الدراسة للصحف الامريكية ونظرة هذه الصحف الى العرب والاسرائيليين اظهرت انها تتعمد الاستخفاف والازدراء بالعرب وقضيتهم. إن صحافة على درجة أكبر من المسؤولية هي التي تؤدي دورها المرسوم في نظام ديمقراطي وتساعد على تحقيق تفاهم أفضل بين العرب والأمريكيين.

---

(٤٤) I.F. Stone, «Holy War,» *New York Review of Books* (3 August 1967).

(٤٥) Smith, «Reflections in Mirror,» p. 6.

(٤٦) Louis M. Lyons, «Introduction,» in: Wilton Wynn, *Nasser of Egypt: The Search for Dignity* (Clinton, Mass.: Colonial Press, 1959), p. viii.

الفصل الرّابع

التصوّرات الخاصّة بالشرق الأوسط في المجلّات الأمريكيّة خلال حرب ١٩٧٣

يضع المسؤولون الحكوميون سياسات الدولة، وهم يعتمدون في ذلك على المعلومات المتوافرة وعلى مجموعة من افتراضات أساسية عن المصالح الوطنية وقدرات بلادهم السياسية والعسكرية فضلاً عن الاهتمامات والتوجهات والقدرات الخاصة بأطراف أخرى في النزاع. تبين هذه الدراسة أن الولايات المتحدة لم تدرك إلا بعد فوات الأوان أن افتراضاتها الأساسية حول الوضع في الشرق الأوسط وحول اهتمامات وقدرات البلدان العربية على الأخص كانت افتراضات خاطئة. ويجوز القول إن حرب عام ١٩٧٣ ـ الحرب التي بددت الأوهام الأمريكية عن الشرق الأوسط ـ كان يمكن تجنبها لو أن صانعي السياسة الامريكية كانوا أفضل اطلاعاً على الأوضاع وغير ميالين كل الميل الى الرأي الاسرائيلي.

نجح الاسرائيليون نجاحاً كبيراً في جهودهم لإقناع الغربيين بأن ينظروا الى الشرق الأوسط وشعوبه بعيون إسرائيلية[١]. وبالتالي تقبل الجمهور الأمريكي وزعماؤه السياسيون الصيغة الاسرائيلية عن تطورات الشرق الأوسط على أنها أكثر «موضوعية» أو «واقعية» وأنها أكثر عوناً لترويج مصالح الولايات المتحدة في المنطقة من التقديرات التي يقدمها العرب عن الوضع. ولعل أهم نتائج حرب تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٧٣ بين اسرائيل والأقطار العربية المجاورة لها كان «تبديد الأوهام» التي استندت عليها افتراضات معينة إسرائيلية وغربية.

أولاً: إفتراضات إسرائيلية وغربية عن الشرق الأوسط

إن جميع الحركات القومية هي بمعنى من المعاني محاولات لإعادة تحديد صور الناس

(١) Michael W. Suleiman, «National Stereotypes As Weapons in the Arab-Israeli Conflict,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 3, no. 3 (Spring 1974), pp. 109-121.

لأنفسهم. أما الصهيونية، وهي الحركة القومية اليهودية التي ظهرت في القرن الماضي، فيمكن تعريفها على هذا الأساس وحده تقريباً. بعبارة أخرى، كان الدافع المهم وراء الحركة الصهيونية رغبة أساسية لتغيير الصورة التي تحملها الأقوام الأخرى عن اليهود، فضلاً عن الصورة التي يحملها اليهود عن أنفسهم. وبهذا المنظور يصبح الكثير من أفعال الصهيونية واسرائيل في الحرب والسياسة الخارجية والدعاية أقرب للفهم.

كان التأكيد في البداية على تغيير صورة اليهودي كشيلوك وتاجر ومراب. ومن هنا الإتجاه القوي من أجل العودة الى الأرض سعياً وراء تجديد ما أبلاه الزمن، وبحثاً عن فرصة تثبت لليهود أنفسهم وللأقوام الأخرى أن اليهود لا «يختلفون» عن غيرهم. وكان لا بد كذلك من مناهضة صورة اليهودي كجبان أو غير مقاتل. وفي هذا المجال أشرب الشباب بكثير جداً من التأكيد على «عدم التهيّب»، وجرى ذلك أحياناً على حساب عواطف أخرى من ضمنها الحب والعطف[٢]. واتخذت جميع الاحتياطات للتأكد كلياً من النصر في أي اشتباك عسكري متوقع مع العدو. وتضمن ذلك اتباع عادة التفوق عددياً على قوات العدو كلما كان ذلك ممكناً[٣]. ثم يكون التكتيك، بعد النصر، استخدام دعاية واسعة لترويج ما سُمّي بمعركة طالوت وجالوت التي يربحها «المستضعف». وبهذه الطريقة، ومع مرور الوقت، بدأ الاسرائيليون وعدد من اليهود خارج الدولة يكتسبون الثقة بقدرة الاسرائيليين القتالية وبسالتهم[٤]. ولكن عندما أخذ هذا الموقف يولّد الإفراط في الثقة والعنجهية بدأ الزعماء الاسرائيليون يقللون من أهمية العدو ويتجاهلون خيارات الحلول الوسط الممكنة، ويبالغون بتقدير قابلية قواتهم على الاستجابة السريعة والفعالة في حالة حربية ما، وباستخدام أقوال مبهرجة، اعتدائية، وأحياناً زائفة في مخاطبتهم لشعبهم ولعدوهم كذلك -

---

(٢) انظر: Yael Dayan, *Envy the Frightened* (London: Widenfeld and Nicholson, 1961).

(٣) لأجل أرقام حول عدد قوات كل جانب لعام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧، انظر:

John Bagot Glubb, *A Soldier with the Arabs* (London: Hodder and Stoughton, 1957), pp. 94 and 95; Peter Young, *The Israeli Campaign, 1967* (London: Kimber, 1967); Edgar O'Ballance: *The Arab Israeli War, 1948* (New York: Praeger, 1957), and *The Third Arab-Israeli War* (Hamden, Conn.: Archon Books; London: Faber and Faber, 1972).

لأجل روايات مراقبي الهيئة التابعين للأمم المتحدة المتقاعدين، عما يسمى غارات انتقامية، وعن العنف العربي - الاسرائيلي بوجه عام، انظر:

Elmo H. Hutchinson, *Violent Truce: A Military Observer Looks at the Arab-Israeli Conflict, 1951-1955* (New York: Devin-Adair, 1956); Carlson Von Horn, *Soldiering for Peace* (New York: Mckay, 1967), pp. 71-139, and Eedson Burns, *Between Arab and Israeli* (London: Harrup; New York: Obolensky, 1962).

(٤) تجدر الملاحظة أنه في حين أخذ بعض الغربيين في النظر الى الاسرائيليين «كجنود جيدين» أو على انهم «مشربون بالروح العسكرية الحربية»، فإن الفكرة نفسها لا تنتقل الى اليهود بوجه عام، انظر:

Michael W. Suleiman, «Middle East in American High School Curricula: A Kansas Case Study,» *Middle East Studies Association Bulletin*, vol. 8, no. 2 (May 1974), pp. 8-19.

تماماً كسلوك الزعماء العرب الذي ظهر في ١٩٤٨ - ١٩٤٩، وكذلك في عام ١٩٦٧[٥].

إذا انتقلنا، على الأخص، الى الفترة التي سبقت حرب تشرين الأول/ اكتوبر مباشرةً نجد أن موقف الاسرائيليين ومؤيديهم الغربيين، وبخاصة الامريكيين منهم، موقف مسرف في الثقة. كان موقف الاسرائيليين نحو العرب داخل اسرائيل وخارجها معاً. وبخاصةً بعد حرب عام ١٩٦٧، هو موقف الاستعلاء. كان العربي بالنسبة اليهم ليس جندياً جيداً. وهو لا بالفعّال ولا بالشجاع. فضلاً عن ذلك فإن من غير المحتمل أن يتغير هذا العربي لمدة من الزمن - هذا إذا تغير على الاطلاق. وإنها لمفارقة ساخرة، كما قال أي. ف. ستون I.F. Stone، أن شعباً قاسى قروناً من الذل والقهر والاضطهاد يأخذ بالوقوف موقف «الاستعلاء المهين»[٦]. والأهم كثيراً من المفارقة التي ينطوي عليها هذا الموقف هو التهديد للسلام الذي نشأ عنه والثمن الذي كان على الاسرائيليين أنفسهم أن يدفعوه لقاء هذا السوء في التقدير.

لم يكن العربي، بالنسبة للرأي الإسرائيلي - الغربي السائد آنئذ، جندياً ضعيفاً فحسب، بل وان الآلة القتالية العربية بأجمعها تنظيم عديم الكفاءة[٧]. ويرجعون هذا فيما يزعمون الى نقص ما في التكوين النفسي العربي بحيث يترتب على الشعور بالكبرياء والتأكيد على «الفردية» أن يكون من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، استمرار العمل التعاوني في منظمات كبيرة لفترات طويلة من الزمن. ويستشهد أصحاب هذا الرأي، اضافة الى ذلك، بحساسية العرب من الانتقاد، وعدم الاستعداد لنقل الأخبار السيئة، وسيادة الولاءات البدائية (القبيلة، العشيرة، الأسرة) دون الولاءات القومية، ويقول أصحاب هذا الرأي بأن كل هذه الصفات تعتبر «برهاناً» إضافياً على عدم قدرة العرب على تكوين قوة قتالية كفوءة[٨]. ولئن كان بلوغ مثل هذا التعاون صعباً في أي بلد عربي واحد فلا يمكن أن يتوقع

---

(٥) وردت الملاحظة ذاتها في:

«A War that Broke the Myths,» *Newsweek* (22 October 1973), p. 60.

(٦) I.F. Stone, *In a Time of Torment* (New York: Random House, 1967), p. 438.

(٧) انظر: Terence Smith, «The October War Changed Everything: The First Israeli Revolution,» *New York Times* (30 December 1973), pp. 120 and 121, 129-131 (compact edition).

وقبل ذلك كان المؤلف نفسه قد كتب يقول: «لقد مالوا (أي الاسرائيليون) أكثر فأكثر الى تجاهل العرب بوصفهم جنوداً رديئين قد يحسنون معداتهم تدريجياً ولكنهم لن يستطيعوا ابدا أن يجعلوا من أنفسهم قوة مقاتلة فعالة». انظر:

Terence Smith, «Explosions on Two Fronts,» *New York Times* (14 October 1973), p. 3E.

(٨) لشرح هذه الآراء، انظر:

Sania Hamady, *Temperament and Character of the Arabs* (New York: Twayne Publishers, 1960); Yehoshafat Harkabi, «Basic Factors in the Arab Collapse during the Six-Day War,» *Orbis*, vol. 11, no. 3 (Fall 1967), pp. 677-691.

لشرح اقل، انظر: Morroe Berger, *The Arab World Today* (New York: Doubleday, 1964). =

المرء من الوطن العربي أن يعمل جماعياً. بعبارة أخرى، ليس من الممكن للعرب أن يتحدوا في صراعهم ضد إسرائيل ومؤيديها، بصرف النظر عما يختارونه من سلاح، أكان عسكرياً أم اقتصادياً. أما بشأن إمكانية مقاطعة نفطية عربية فقد قبلت الولايات المتحدة على الأخص الرأي الإسرائيلي القائل بأن الأقطار العربية المنتجة للنفط هي أقطار «محافظة» ولا يحتمل أن تنضم الى البلدان العربية «المتطرفة» في فرض حصار ضد الغرب. وثمة عامل نهائي يكمل الرأي الاسرائيلي والغربي القديم عن العرب، ألا وهو أن العرب لا يمكنهم أن يحفظوا سراً. وهكذا فقد مضت حجتهم تقول إنه حتى لو لم تصح الافتراضات الأخرى عن أعمال عربية ممكنة الوقوع فإن أي استعداد للحرب من جانب العرب سيتسرب الى الغرب والاسرائيليين[٩].

والافتراض الخاطىء الاخر - ولعله يفوق في أهميته جميع الافتراضات الأخرى وكان يعتنق حتى بصورة أشد وأوكد - هو الاعتقاد بأن رأي العرب فيما يكوّن «العقلانية» في النزاع العربي - الاسرائيلي شبيه بالرأي الاسرائيلي والغربي ذاته. فبموجب هذا الرأي الأخير، إذا عُرف مقدماً أن حرباً ما ستؤدي الى كارثة أكيدة كبرى لطرف من الأطراف، إذن سيكون ذلك الطرف «مجنوناً» إذ يبدأ المعركة[١٠]. وعلى هذا كان الزعماء الاسرائيليون واثقين بأن مصر وسوريا لن تشنا هجوماً كبيراً. وقد عبّروا عن هذه الثقة بشكل تحذيرات تهدد العرب بكوارث جديدة لا مثيل لها. وكان الغرض من ذلك ذا ثلاثة جوانب: ١ - تطمين الاسرائيليين عن القوة العسكرية الهائلة لدولتهم - وبالتالي تطمينهم عن أمن السكان وأمن المهاجرين القادمين معاً، ٢ - إقناع الغرب، ولا سيما الولايات المتحدة، أن حرباً كبيرة في المنطقة غير محتملة الوقوع، ولذا ليس هناك من سبب يدعو الى إلجاء إسرائيل الى تقديم أي تنازل أو الموافقة على أي حل وسط، ٣ - إخناع العرب وإكراههم على حالة من اللافعل وتحاشي القتال كوسيلة لاسترداد أرضهم كلاً أو جزءاً.

ولا داعي للقول أن العرب كانوا وما زالوا قوماً عقلاء. على أن بعض مواقفهم وأفعالهم تختلف عن مواقف وأفعال الغربيين - ولهذا الاختلاف أثر على الطريقة التي يتصرفون بها في حالة وقوع نزاع. إنه لمن المحزن حقاً أن نلاحظ ما يعتور الثقافة الغربية

= لنقد وجهات النظر هذه وغيرها. . . انظر:

Benjamin Beit-Hallahmi, «Some Psycho-Social-Cultural Factors in the Arab-Israeli Conflict: A Review of the Literature,» *Journal of Conflict Resolution,* vol. 16, no. 2 (June 1972), pp. 269-280

(٩) «A War that Broke the Myths,» p. 60.

(١٠) وفقاً لرسالة اخبارية نشرتها مجلة: *U.S. News and World Report* (22 October), p. 270.

فقد «شك الكثيرون من المراقبين العسكريين في حكمة القرار المصري نقض وقف النار الذي ابتدأ في آذار/مارس ١٩٧٠ والذي حافظ على سلام ضعيف في الشرق الأوسط، لقد سماها البعض (نزوة انتحارية)» (التشديد من قبل المؤلف).

الخاصة بالعرب والشرق الأوسط عامة من ظاهرة تتمثل بإحتواء عدد كبير جداً من الأوهام و/ أو السماح لها بالدوام. والواقع أن من «المنطقي» و«العقلاني» بالنسبة للفرد الضعيف في الغرب ألا يبدأ قتالاً مع آخر أقوى كثيراً، حتى لو كان الضعيف يشعر أن الحق والعدالة في جانبه. لكن هذا لا هو بالسلوك «المنطقي» ولا «العقلاني» في الوطن العربي. لذا فإن شعر شخص بأنه قد خُدع أو اسيئت معاملته أو أوذي وأهين فإن الشرف والواجب و«المنطق» يملي عليه القتال بصرف النظر عن النتيجة. بعبارة أخرى، من «الافضل» في حالة كهذه ـ بل من «المنطقي» و«العقلاني» جداً ـ أن يقاتل المرء ويخسر من أن لا يقاتل على الإطلاق[11]. ولو كان الأمر خلاف ذلك لكان الفلسطينيون قد قُمعوا من أمد بعيد بسبب المعوقات الهائلة التي تقف ضدهم. يفسّر هذا أيضاً فشل سياسة القوة الاسرائيلية باعتبارها اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب. على أنه كان من الافضل لو أن الصقور الاسرائيليين فيما يسمونهم، بزعامة بن غوريون وموشي دايان وغولدا مئير، قد فهموا النفسية العربية فهماً حسناً، وأدركوا أن استراتيجية «القوة باعتبارها اللغة الوحيدة» لا تهدف الى إنهاء النزاع بل الى تفاقمه وتوفير الفرصة لإسرائيل لمزيد من التوسع أو المنافع الأخرى.

والصورة الاسرائيلية ـ الغربية عن الاسرائيلي، وهي نقيض صورة العربي لديهم، تمثله جندياً ممتازاً وبطولياً. أما الآلة العسكرية الاسرائيلية فهي من أحسن ما هو موجود، إن لم تكن أحسنها طراً، لا في المنطقة فحسب، بل في العالم أجمع. والجنود والضباط يعملون معاً بانسجام، ولا يبخلون بأي تضحية من أجل الدفاع عن الوطن. والاسرائيليون يجدون مصدر قوتهم في حب أبناء وطنهم وحب بلادهم، على خلاف العرب فدافعهم الرئيسي هو كراهية الاسرائيليين[12]. ولا توجد انقسامات في داخل اسرائيل تضعف من عزيمة الشعب. هذا وقد أخذ الإسرائيليون (وآخرون غيرهم) يعتقدون أنهم لا يقهرون.

وكان على الإسرائيليين، الى جانب نقلهم للصور المذكورة عن أنفسهم وعن أعدائهم

---

(١١) هذا المفهوم يبدو «غريباً» تماماً و«غير منطقي» بالنسبة الى الغربيين. وقد رفض أحد مراسلي نيوزويك اعتباره «طبيعياً» أو «عقلانياً»، ووصفه بأنه «يأس مفض الى التهور». كما في الاقتباس التالي: «ربما كان هناك عنصر يأس مفض الى التهور في التحرك العربي». وعندما سئل وزير الخارجية المصرية محمد حسن الزيات إذا كان باستطاعة العرب الانتصار، قال: «بصراحة، كلا، ولكنك لا تناضل لأن النجاح مضمون لك، بل تناضل لأنك على حق». انظر: *Newsweek* (15 October), p. 41.

(١٢) يستشهد هيربرت كروزني بقول جندي اسرائيلي عن الجنود المصريين: «انهم مجرد سذج مساكين». ومن ثم يصف السيد كروزني الجنرال الاسرائيلي بأنه ذكي و«مستعد للقيام بتلك المهمة، مضحياً حتى بالحياة، بما فيها حياته هو». وقد فوجىء السيد كروزني بمدى «عمق روح الحب الشديد للبلاد». والجندي الاسرائيلي، وفقاً لهذه الرواية أيضاً، «يبغض الحرب... وربما كان كرهه للحرب هو الذي يدفعه الى خوضها على هذا النحو الحسن». ولا معنى للملاحظة الأخيرة، حتى كاعتذار عما قد يبدو من «حب للحرب» لدى الإسرائيليين. انظر:

Nation (26 Novomber 1973), p. 551.

الى الغرب، أن يُطمئنوا مؤيديهم الغربيين بأن مصالحهم هي محل حماية ورعاية وترويج في المنطقة. ويجري هذا حسب الحجج الآتية:

أ ـ إن العرب (وهم يعرفون) أضعف من أن يخاطروا بحرب قد تؤدي الى مواجهة بين الدول العظمى ـ وهو ما يريد أن يتجنبه الغرب بالتأكيد ـ.

ب ـ إن المصالح الأمريكية والغربية تتم خدمتها بشكل أفضل بالمحافظة على الوضع القائم الذي كان سائداً قبل تشرين الأول/أكتوبر: إذ ستؤدي حتى التسوية الجزئية الى فتح قناة السويس، فيقوي هذا بالدرجة الأولى الوجود العسكري السوفياتي في المنطقة وفي أطراف العالم.

ج ـ إن اسرائيل (ومعها ايران) مستعدة للعمل بالنيابة عن الولايات المتحدة في معارضة أو قمع أية حركة أو نظام «متطرف»، أي «ضد الغرب»، في المنطقة. وبما أن العرب لا يحفظون سراً، أو بعبارة أخرى، بما أن شبكة الاستخبارات الاسرائيلية والأمريكية لا تخيب، فإن أي عنف متوقع من الجانب العربي سيقضى عليه في المهد قبل أن تتخذ القضية طابعاً دولياً أو تكوّن تهديداً للسلام العالمي.

ومع أن الأمم الأوروبية عامة كانت مستعدة، بالنظر لحاجتها القصوى لفتح قناة السويس بوجه الملاحة ولإعتمادها الأكبر على النفط العربي، للضغط على إسرائيل لحملها على الموافقة على حل وسط من نوع ما، فإن الرأي الاسرائيلي ـ الأمريكي الذي كان سائداً نظر الى المصالح «الغربية» على أنها لا تتجزأ. وتشمل هذه المصالح النفط بالتأكيد. ويفيد ذلك الرأي، كما أشير سابقاً، بأن العرب غير مستعدين و/أو غير قادرين على استعمال سلاح النفط استعمالاً فعالاً، وحتى لو استعمل بشكل فعال فإنه في الواقع لن يؤذي الغرب، وبخاصة الولايات المتحدة. وقد كتب ريتشارد. ب.ماناك Richard B. Manake، وهو موظف اقتصادي في الهيئة الخاصة التابعة للوزارة الأمريكية وأستاذ القانون والاقتصاد في جامعة مشيغان يقول: «الخلاصة فيما يبدو لي أن من غير المحتمل أن يؤدي النفور من سياستنا في الشرق الأوسط الى فرض حصار عام على مبيعات النفط العربي لسببين: أن الولايات المتحدة لن تكون الضحية الرئيسية، وأن أعضاء الأوبك من غير العرب سيكونون المستفيدين الرئيسيين»[١٣].

ومن نافلة القول إن الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين لم ينظروا، كما اتضح بعد أن بدأت الحرب، الى مصالحهم في الشرق الأوسط في هذا الضوء ذاته. إن أوروبا لا تستطيع البقاء على محض «التطمينات» الأمريكية. وقد شعرت حتى الولايات المتحدة بضيق من المقاطعة النفطية.

كان الاسرائيليون قد نجحوا قبل حرب تشرين الأول/ أكتوبر في الحيلولة دون مؤيديهم الغربيين والقيام بأي محاولة لكسر حالة الاستعصاء وزحزحة الوضع عما هو ثابت

---

(١٣) Richard B. Mancke, «Blackmail by Oil,» *New Republic* (20 October 1973), p. 9.

عليه. بعبارة أخرى تمكن الاسرائيليون من منع وقوع أي تغيير في الوضع القائم فيما عدا تلك التي قد تخدم مصالحهم. وقد لخصنا فيما سلف الأجزاء المختلفة للمعادلة التي طبقها الاسرائيليون بنجاح كبير. والجزء الآخر والأهم من تلك المعادلة هو إقناع الدول الغربية بقبول الرأي الاسرائيلي بشأن طبيعة المشكلة في الشرق الأوسط. وبموجب هذا تعتبر المسألة الأساسية مسألة «لاجئين عرب» و«أمن» اسرائيلي، أما جميع القضايا الأخرى فهي إما إضافية أو هامشية أو مصطنعة. واتباعاً لهذا «المنطق» استطاعت غولدا مئير أن تعلن قائلة: «لا يوجد شيء يدعى فلسطينيين... وليس الأمر كأن هناك شعباً فلسطينياً كان موجوداً في فلسطين ويعتبر نفسه شعباً فلسطينياً فجئنا وطردناه وأخذنا وطنه منه. إنه لم يكن موجوداً»(١٤). فلئن لم يكن هناك شعب فلسطيني فلا داعي أن تشعر اسرائيل وأنصارها بالذنب بشأن تشتيت شعب آخر لتهيئة مكان للدولة اليهودية. وإذا كانت المشكلة هي مشكلة لاجئين عرب فالحل هو إعادة توطين هؤلاء اللاجئين بين إخوانهم خارج فلسطين أو إسرائيل. وبما أن الفلسطينيين لا يكوّنون أمة فإنهم ليسوا بحاجة الى دولة خاصة بهم، أو أنهم لا يستحقون ذلك، وهذا رأي تستمر الزعامة الاسرائيلية في تبنّيه(١٥).

إن الزعماء في كل الدول يستخدمون «الأمن القومي» كذريعة أو تبرير لعدد من الأعمال. بيد أن «الأمن» لدى الاسرائيليين أصبح، حتى باعترافهم هم، أشبه بالهاجس المستحوذ. وفي حالة كهذه يكون على المراقبين الخارجيين أن يقرروا هل أن الزعامة، في أي حالة بعينها، تستخدم «الأمن القومي» كغطاء لأغراض أخرى أقل قبولاً، ونعني التوسع وليس من المهم هنا أن يتقرر هل أن أصدقاء إسرائيل الغربيين يدركون وجود دافع خفي وراء زعم إسرائيل بالتمسك «بالأمن القومي» مثلاً في إقامتها كثيراً من المستوطنات في أجزاء مختلفة من الأراضي المحتلة. فالنقطة المهمة هي أن هؤلاء الأصدقاء لم يفعلوا إلا القليل لمنع إنشاء هذه المستوطنات. وبالنظر لفشل الاقطار العربية المعتدلة، أي المؤيدة للغرب، في إثارة اهتمام الغرب، لا سيما الولايات المتحدة، في أي مشروع معقول لتحقيق انسحاب إسرائيلي وعقد تسوية عادلة، فإن منطويات الأعمال الغربية، (أو الافتقار اليها) تصبح أمراً واضحاً. إن الولايات المتحدة خصوصاً ليست مستعدة لتحدي رأي الزعماء الإسرائيليين بصورة فعالة، ذلك الرأي القائل بأن احتلال الأراضي التي استولوا عليها من العرب في عام ١٩٦٧ يكوّن أفضل الأمن لإسرائيل ويخدم بشكل أفضل مصالح الولايات المتحدة.

ثانياً: الرأي الأمريكي وحرب تشرين الأول/ اكتوبر

ليس غريباً إذاً أن تفاجأ إسرائيل وأنصارها الغربيون معاً، وبالدرجة الأولى الولايات

---

(١٤) من مقابلة اجراها فرانك جاغلر مع غولدا مائير في: *Sunday Times* (15 June 1969).

(١٥) انظر أول خطاب لاسحق رابين كرئيس وزراء لإسرائيل في الكنيست بتاريخ ٣ حزيران/يونيو ١٩٧٤، في: *Middle East Monitor*, vol. 4, no. 12 (June 1974), pp. 4-6.

المتحدة، بأحداث الأيام الأولى من تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٧٣. لقد أدركوا بعد فوات الأوان أن أغلب الافتراضات التي بنيت عليها السياسة الاسرائيلية والأمريكية كانت خاطئة. وهذه الظاهرة هي التي أشارت اليها وسائل الاعلام الأمريكية فنعتتها بـ «تبدّد الأوهام» بشأن الشرق الأوسط. على أن من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن وسائل الاعلام الأمريكية كانت تعكس المواقف السائدة آنئذ لصانعي السياسة الاسرائيليين والامريكيين وهي تقدم صورة الشرق الأوسط من منظور قديم، واستمرت في ذلك لأسبوع أو اسبوعين بعد بدء الحرب. ولم يتغير هذا إلا بعد أن أصبح واضحاً أن عدد الإصابات الاسرائيلية كان مرتفعاً جداً وأن نصراً إسرائيلياً حاسماً لم يكن محتملاً. ينعكس هذا التغير في الموقف في الجداول في نهاية هذا الفصل والتي تتضمن بيانات عن تغطية المجلات الاخبارية الأمريكية للشرق الأوسط. والنقطة المهمة التي لا تظهر في الجداول هي التأكيد الذي وضعته الصحافة الأمريكية على أن العرب هم الذين بدأوا الهجوم. إن هذا، في الأوضاع الطبيعية، لا ينظر إليه، ولا ينبغي أن ينظر إليه، باعتباره شيئاً غير اعتيادي أو متحيزاً. غير أنه عند مقارنته بوضع عام ١٩٦٧ يصبح التحيز الى جانب إسرائيل واضحاً. ففي خلال ذلك النزاع تجاهلت المجلات التي دُرست مسألة من الذي شن الهجوم فعلياً، أو شوشت ذلك[١٦]. والنقطة التي نحن بصددها هي، إذا كانت معرفة من ضرب الضربة الأولى شيئاً مهماً بما فيه الكفاية لنشره والتأكيد عليه، إذن كان ينبغي القيام بذلك في كلتا الحالتين.

ستبيّن الجداول عموماً تحزب الصحافة الأمريكية فيما تنشره عن النزاع العربي - الاسرائيلي على مدى العقدين الماضيين[١٧]. ويستدل بوضوح أن عام ١٩٦٧ يمثل أدنى دركات النشر المتحيز في تلك المجلات، لكن عام ١٩٧٣ شهد بداية التحرك نحو التوازن.

إذا نظرنا الى الجداول على انفراد نجد أن وسائل الإعلام الغربية وقد توقفت على العموم عن أن تقرن العرب بالمعيشة البدوية، وبالمستوى الواطىء من التعليم، وبمستوى المعيشة الكئيب (الجدول رقم (٤ - ١)). ومع أن إشارات الى العرب خلال حرب عام ١٩٧٣ على أنهم غير صادقين وغير موثوقين كانت متعددة، كما ذُكر انقسامهم وتنافسهم وذلك في مجلة تايم، وفي مجلة نيوزويك على نطاق أضيق، فإن صفات العرب «الحميدة» قد ذكرت أيضاً مراراً.

في عام ١٩٧٣ كانت أعمال العرب ونياتهم المزعومة تنشر بتفهم أكبر، إن لم نقل

---

(١٦) Michael W. Suleiman, «American Mass Media and the June Conflict,» in: Ibrahim Abu-Lughod, ed., *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective* (Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1970), pp. 138-154.

(١٧) لتفصيل أكثر عن المنهجية المتبعة، انظر:

Michael W. Suleiman, «An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News Magazines, July-December 1956,» (M.A. Thesis, University of Wisconsin, Madison, 1961).

جدول رقم (٤ - ١)

صفات نسبت الى العرب في مجلات امريكية معينة(*)

(تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)، (أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٦٧)، و(تشرين الاول/اكتوبر ـ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣)

المجلة	حياة البداوة			مستوى معيشة منخفض			مستوى تعليم منخفض			توجه غير ديمقراطي			عدم الصدق وعدم الجدارة بالثقة			خلاف منافسة			صفات «حميدة»		
	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣
نيويورك تايمز	١٢	١٥	—	١٧	١	—	٥	١	—	٢	٣	—	—	١٨	١	١٢	٢٤	١	٤	٥	٣
يو اس نيوز اند وورلد ريبورت	٤١	٣	١	٤٢	١٥	—	٣١	—	—	١٠	—	—	١٦	١٥	٥	٢٠	٤١	٦	—	٥	—
نيشن	٣	—	—	١٠	—	٤	٧	—	٢	٦	—	—	٤	—	١	١	١	—	٨	—	—
نيو ريبيلك	—	—	—	٩	—	—	٤	—	—	٥	—	١	٨	٢	١	٥	٣	—	—	—	—
نيوزويك	٢٤	٢	٢	١٦	٢	٥	١	—	—	٢	٣	٢	—	١١	١١	٢	٩	٢	—	١٠	١٠
تايم	١٨	٥	١٥	١٦	—	٣	٢	—	—	١	—	٣	١٠	٢٠	٢٥	١٨	١٠	٥	٥	١٢	٤٢
المجموع	٩٨	٢٥	١٨	١١٠	١٨	١٢	٥٠	١	٢	٢٦	٦	٦	٣٨	٦٦	٤٤	٥٨	٨٨	١٤	١٧	٣٢	٥٥

(*) الأرقام تشير الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر الصفة.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (—) الى أن المعلومات غير متوافرة.

جدول رقم (٤ ـ ٢)

صفات تميز العرب والبلدان العربية في مجلات امريكية معينة(*)

(تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)،

(أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٦٧)،

و(تشرين الاول/اكتوبر ـ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣)

المجلة	ذكر اللاجئين العرب			رغبة العرب في السلام والأمن			انجازات العرب			اسرائيل «تسيء معاملة» العرب			تسويغ أعمال العرب		
	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣
نيويورك تايمز	٥	١٩	٣	—	—	١	٢	—	١٠	٣٦	٤	٢	٩	٤	١٣
يو اس نيوز أند وورلد ريبورت	١	١	٢	—	٢	—	—	—	١٢	—	٨	٣	—	+	٢٠
نيشن	٣	٥	٢	—	—	—	٥	—	—	٤	١	—	—	—	—
نيو ريبيلك	٢	٣	١	—	—	—	—	—	٢	٣	١	١	٢	+	—
نيوزويك	٢	١٣	٥	—	١	٢	—	—	٢٤	٦	٧	٦	—	+	٢
تايم	١	١٤	٢٤	—	—	١٤	٤	—	٤٦	١٧	٣١	٨	٣	٨	٢٧
المجموع	١٤	٥٥	٣٧	—	٣	١٧	١١	—	٩٤	٦٦	٥٢	٢٠	١٤	١٢	٦٢

* الأرقام تشير الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر الصفة.

(+) لم يوضع فيها تقرير.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (—) الى أن المعلومات غير متوافرة.

جدول رقم (٤ - ٣)

صفات نسبت للاسرائيليين في مجلات امريكية معينة(*)

(تموز/يوليو - كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)، (أيار/مايو - حزيران/يونيو ١٩٦٧)، و(تشرين الأول/اكتوبر - تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣)

المجلة	مستوى حديث مرتفع من التعليم			بطوليون، يعتمدون على النفس، مجتهدون، اكفاء			صادقون، غير حسودين			ديمقراطيون وشبيهون بالغربيين			صفات «رديئة»		
	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣
نيويورك تايمز	—	—	—	+	١٥	١	+	٦	—	١	—	—	—	٢	١
يو اس نيوز أند وورلد ريبورت	—	٤	—	+	٣٧	٢	+	٢	٣	—	١	—	—	٢	—
نيشن	١	—	٢	+	١	٣	+	—	٢	٦	—	—	—	—	٣
نيو ريبيلك	٤	—	—	+	٧	—	+	—	—	٣	—	—	—	—	—
نيوزويك	—	٥	—	+	٤	٥	+	٥	٣	—	٣	—	—	—	٣
تايم	—	٩	—	+	١٧	٢٦	+	٤	٢	—	—	١	—	٣	١٩
المجموع	٥	١٨	٢	+	٨١	٣٧	+	١٧	١٠	١٠	٤	١	—	٧	٢٦

(*) تشير الأرقام الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر الصفة.

(+) لم يوضع فيها تقرير.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (—) الى أن المعلومات غير متوافرة.

جدول رقم (٤ ـ ٤)

صفات تميز اليهود واسرائيل في مجلات امريكية معينة(*)

(تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)، (ايار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٦٧)، و(تشرين الأول/اكتوبر ـ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣)

المجلة	سوء معاملة سابقة لليهود			رغبة اسرائيل في السلام والأمن			انجازات اسرائيل			اسرائيل ضحية ظلم صغيرة ولكن قوية(**)			العرب مصممون على تدمير اسرائيل			العرب «يسيئون معاملة» اسرائيل			تسويغ اعمال اسرائيل		
	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣
نيويورك تايمز	٣	—	١	٣٢	٢٤	١١	١٥	٣٠	١٥	٣	١١	٣	٢٤	١٨	٣	١٣٧	٤٧	١٥	٣٦	٥٨	١٣
يواس نيوز اند وورلد ريبورت	١	١	٣	٢١	٦	٢٠	٢٤	٤	٦	١٩	٣٤	٣	٥٠	٢٦	١٢	٦٤	٢٩	١٥	٦٠	١٩	١٧
نيشن	١٢	—	١	١٥	٣	١٢	٩	—	٤	٤	١	٤	٨	٧	٢	٢٥	٩	٥	٢٣	٥	١٠
نيو ريبلك	—	—	—	١٣	—	٤	١	١	١	٤	١	١	٢٤	٢	٣	٤٩	٤	٤	١٨	٣	٥
نيوزويك	١٥	٤	٤	٣	٨	٧	١	٢	٢٧	—	—	٣	٢	٥	٣	١١	٢٢	٢٠	٤	٧	٣٩
تايم	٣	١٢	١٤	١١	٢٠	١٧	٩	١١	٣٧	—	٣	٧	٩	٣٠	١٧	١٠	٤٧	٤١	١٨	٣٠	٣٦
المجموع	٣٤	١٧	٢٣	٩٥	٦١	٧١	٥٩	٤٨	٩٠	٣٠	٥٠	٢١	١١٧	٨٨	٤٠	٢٩٦	١٥٨	١٠٠	١٥٩	١٢٢	١٢٠

(*) تشير الأرقام الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر الصفة.

(**) هذه الفئة كانت تسمى «بين جيران معادين» في دراسة عام ١٩٥٦.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (—) الى ان المعلومات غير متوافرة.

بتعاطف، كما يوضح الجدول رقم (٤ ـ ٢). وأهم تغيير نجده هو في حقلي الجدول المعنونين «ذكر انجازات العرب» و«تسويغ أعمال العرب». أظهرت المجلات الأسبوعية التي روجعت، باستثناء مجلتي نيشن ونيوريببلك، اهتماماً وتحسساً بوجهة النظر العربية. ونشرت انجازات العرب على أرض المعركة بصورة وافية. والأهم من ذلك أن الأعمال أو الآراء العربية أخذت تبرز، أو توضع في إطارها الصحيح، أو توضح، وبشكل وافٍ. وهذه هي بالطبع مهمة النشر الصحفي الجيد. أما في الماضي، كما يمكن أن نرى من الجدولين رقم (٤ ـ ٢) ورقم (٤ ـ ٤)، فقد كان هذا الإجراء وقفاً على النشر عن اسرائيل. في عام ١٩٧٣ طبق ذلك على الطرفين.

وإذا انتقلنا الى التغطية الصحفية الأمريكية لإسرائيل نجد أن الجدول رقم (٤ ـ ٣) يبين أن مجلة تايم هي الوحيدة من المجلات المدروسة التي أكدت في عام ١٩٧٣ على صفات الاسرائيليين في البطولة، والاعتماد على النفس والجد والكفاءة. على أن هناك أيضاً ذكر للصفات الاسرائيلية السيئة، مثل الافتقار للاستعداد، والافراط في الثقة وتقليل أهمية العدو. فإذا كان هذا بداية اتجاه ستتبعه مجلة تايم وغيرها فهو إذن تطور مهم ومعاق ـ كما أنه يتفق مع الاهداف الأساسية للصهيونية، ونعني تغيير صورة اليهودي للنظر إليه كإنسان. إن الصهيونية في حماستها تمكنت، على الأقل في التصريحات العمومية، أن تغير صورة اليهودي من كونه «دون الانسان» الى «فوق الانسان». وهذا خطأ جسيم. إن المشكلة بالنسبة لليهود وغير اليهود على السواء، في الشرق الأوسط وفي غيره من مناطق العالم، ستستمر في وجودها حتى يعامل اليهود معاملة البشر الآخرين ـ أي حتى ينظر اليهم كشعب ذي صفات حميدة وأخرى رذيلة، كشعب قادر على العظمة ولكنه قادر كذلك على الخطأ، شعب فيه مزيج من القوة والضعف، الرقة والقسوة، الشجاعة والجبن.

ويعكس الجدول رقم (٤ ـ ٥) مدى التحسن في النشر الأمريكي عن الشرق الأوسط في عام ١٩٧٣. إذ لم تكن هناك إدانة للزعماء العرب ـ وهذا تغيير ملحوظ عما في السنين السابقة. كان الرئيس عبد الناصر في الماضي، بالطبع، هدفاً سهلاً يوجه إليه اللوم عن جميع «مشاكل» الشرق الأوسط. أما خلفه أنور السادات فقد تحاشى معاداة وسائل الأعلام الغربية فيما يبدو. والواقع أنه صار موضع إطراء، وإن كان ضئيلاً، من أوساط معينة. ولعل الأهم هو أنه قد نجا بجلده من الانتقاد في أعمدة الرأي لهذه المجلات[١٨].

ويظهر التحليل أن وسائل الاعلام الأمريكية لم تتوقف بأي حال من الأحوال عن إنتقاد أو إدانة البلدان العربية. على أن مقدار النشر لمصلحة العرب، في النيويورك تايمز على

---

(١٨) من ١١ إفتتاحية (٥ منها في الـ «نيويورك تايمز، ٣ في نيشن، و٣ في نيوريببلك)، كانت اثنتان فقط في الـ نيويورك تايمز، تنطويان على انتقاد للبلدان العربية. ولم تتعرض إسرائيل لأي انتقاد.

جدول رقم (٤ ـ ٥)
النسبة المئوية للمواد من جميع التقارير الصحافية حول الشرق الأوسط في مجلات امريكية معينة(*)
(تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)، (أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٦٧)، و(تشرين الأول/اكتوبر ـ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣)

المجلة	مؤيدة لزعيم عربي			مؤيدة للعرب			مؤيدة لاسرائيل			مؤيدة للغرب			ضد زعيم عربي			ضد العرب		
	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣
نيويورك تايمز	صفر	صفر	٤	١	صفر	١١	٨	٣١	١٦	٦	١٢	٢	١٢	٣١	صفر	١	١٢	١٦
يو اس نيوز اند وورلد ريبورت	٢	٢	٧	٣	صفر	٣	١٦	٤٠	١٦	١٨	صفر	٣	٤٤	٣٠	صفر	٨	٢٦	١٦
نيشن	صفر	صفر	صفر	٦	صفر	صفر	٢٢	صفر	٥٧	١٨	صفر	صفر	٦	٦٠	صفر	٣	٢٠	١٤
نيو ريبيلك	صفر	صفر	صفر	٦	صفر	صفر	١٥	٣٣	١٣	٢	صفر	صفر	١١	٣٣	صفر	١٥	١٧	٥٠
نيوزويك	صفر	صفر	صفر	١	٤	صفر	٨	٣٧	١٥	١٤	صفر	صفر	٢٠	٤٤	صفر	٣	٧	١٥
تايم	١	صفر	٩	صفر	صفر	٢	١	٥٠	١٧	١٠	١٠	صفر	٩	١٠	صفر	٥	٥٠	١٣
النسبة المئوية المتوسطة	٠,٥	٠,٨	٤,٥	١,٨	١,٧	٣,٩	٩,٥	٣٥,٩	١٧,٣	١٠,٨	٣,٤	١,١	١٨	٣٣	صفر	٤	١٩	١٦

المجلة	ضد اسرائيل			ضد البلدان الغربية			ضد الاتحاد السوفياتي			متوازن			محايد			مجموع عدد المواد		
	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣
نيويورك تايمز	صفر	صفر	صفر	صفر		٤	+	صفر	٤	٥٧	٢٣	٢٩	٢٣	٨	٣٦	١٨٧	٢٦	٤٥
يو اس نيوز اند وورلد ريبورت	٣	٢	صفر	٦	٢	صفر	+	٩	١٣	١٧	٢	٢٣	٢٨	١٩	٣٢	١٠٠	٤٣	٣١
نيشن	صفر	صفر	صفر	٣٣	صفر	صفر	+	٤٠	صفر	١٩	صفر	٢٩	٢٦	٢٠	١٤	٣١	٥	٧
نيو ريبيلك	صفر	صفر	صفر	٤	٣٣	صفر	+	١٧	٥٠	٢٦	صفر	١٣	٢٦	صفر	٢٥	٤١	٦	٨
نيوزويك	صفر	١٥	٢	٢	٤	صفر	+	١٥	٢	٣١	صفر	٤٢	٤٢	١١	٣٧	١٠٣	٢٧	٤١
تايم	١	صفر	صفر	٥	١٠	صفر	+	١٠	صفر	٤٦	صفر	٢٣	٢٤	صفر	٤٥	٩٥	١٠	٤٧
النسبة المئوية المتوسطة	٠,٧	٤	٠,٦	٤,٥	٥	١	+	١٠	٦	٣٩	٦	٢٨,٥	٢٧,٥	١٢	٣٦,٣			

(*) ما عدا العمود الى اقصى اليسار والصف الأسفل، فإن جميع الارقام تشير الى النسبة المئوية (في عدد المواد) من التغطية الصحافية لكل فئة. واذا ما جمعت أفقياً، فإن المجموع يزيد على ١٠٠ بالمئة لأن المادة نفسها يمكن أن تكون مؤيدة لفريق وضد فريق آخر.

(+) لم يوضع فيها تقرير.

الأقل، يقارب مقدار النشر الناقد لهم ـ وهذا تحسن كبير. كذلك، وإذ يستمر اعتبار الانتقاد لاسرائيل من المحرمات، فالواضح من جداولنا أن هناك، باستثناء ما نشرته مجلة نيشن، هبوطاً مهماً في الموقف المؤيد لإسرائيل حصل في عام ١٩٧٣ عما كان عليه في عام ١٩٦٧. ومن الجليّ أن التآكل في التحيّز لإسرائيل لم يثمر كسباً لمصلحة العرب. بل تحولت وسائل الاعلام، كما يليق ذلك بها، الى وضع أكثر حياداً وتوازناً من قضايا الشرق الأوسط. وهذا لا يعني أن الحالة مثالية، لكن بداية حدثت في محاولة تقديم العرب ككائنات إنسانية ـ وليس كمجرد أعداء لإسرائيل ولا كمثيرين للمتاعب للولايات المتحدة وللغرب على العموم.

أوهام متبقية

لا يزال أمام الصحافة الكثير قبل أن تؤدي واجبها على الوجه الصحيح. ففي حين اعترفت، مثلاً، وسائل الاعلام عامة «بتبدد الأوهام» حول الشرق الأوسط لا تزال الأسئلة المهمة التالية دون توجيه، ناهيك عن بحثها بعمق. من تولى هذه الأوهام وكيف؟ ماذا كانت النتائج السياسية لمثل تلك الافتراضات الخاطئة؟ ما هي الأوهام الأخرى التي هي بحاجة الى تبديد قبل أن يكشف عنها نزاع كبير؟ هل هناك أوهام جديدة تتطور وتروج؟ ما الذي يمكن عمله لإيقاف الإيهام، ثم البدء بكتابة صحفية دقيقة عن الشرق الأوسط؟ ألا ينبغي على المعارضة السياسية محاسبة الحكومة عن فشلها الذريع في تقديرها لحالة خطيرة في منطقة استراتيجية؟

إن سؤالاً واحداً على الأقل (وهو السؤال الأول) لم يوجه لأن جوابه معروف ومحرج جداً. إن وسائل الاعلام ذاتها. كما رأينا، كانت، سواءً بدراية منها أم من دون دراية، هي الوسيط الرئيسي لبث الأوهام حول الشرق الأوسط. لقد بددت حرب عام ١٩٧٣ بعض هذه الأوهام بشكل كان على وسائل الاعلام معه أن تنوه عنه. ولكن ماذا بشأن الأوهام الأخرى؟ لقد آن الأوان بالتأكيد لإعلام الجمهور الأمريكي بالطبيعة الحقيقية للمشكلة في الشرق الأوسط. من هم الفلسطينيون؟ كيف صار أغلبهم «لاجئين»؟ ما الذي سيجري لهم؟ هل أن حلاً ما للمشكلة في الشرق الأوسط، حلاً لا يكون مقبولاً منهم، هو حل معقول أو حتى مرغوب فيه؟ هذه اسئلة لا تزال تنتظر أن توفّى حقها في الصحافة الأمريكية. كذلك، وعلى الرغم من وجود دليل معاكس، لا يزال الرأي الرائج في الولايات المتحدة أن «اللاجئين العرب» إنما تركوا ديارهم في فلسطين بإرادتهم و/ أو بتحريض من الزعماء العرب في الأقطار المجاورة. ولا يزال الاعتقاد العام سائداً كذلك بأن العرب عازمون على تحطيم إسرائيل وتدمير الاسرائيليين. والتفسير الذي يقدم عادة ـ وهو أنكى من الزعم ذاته ـ هو أن العرب يكرهون الاسرائيليين وأنهم على العموم ضد اليهود. وحيث لا يذكر أن الاسرائيليين يكرهون العرب فالاستنتاج الضمني أن الكراهية من جانب واحد وأنها غير عقلانية. على أنه تفسر أحياناً هذه الكراهية العربية المزعومة بدعوى الغيرة التي يولدها المستوى الأوطأ لمعيشة العرب، كما تفسر بالافتراض (الوهم) القائل إن فلسطين كانت أساساً صحراء أو أرض قاحلة الى أن جاء الاسرائيليون فجعلوها تورق على أيديهم.

والقول بأن العرب لا قضية مهمة لهم (هذا إن كانت لديهم قضية على الإطلاق) في نزاعهم مع إسرائيل هو قول يتغلغل انتشاره ويقدم بأشكال مختلفة. مثلاً، عبّرت حكومات عديدة خلال حرب عام ١٩٧٣ أو بعدها عن عدم رضاها عن الأعمال الاسرائيلية إما بإصدارها تصريحات انتقادية علنية أو عن طريق سحبها لممثليها الدبلوماسيين من تل أبيب.

وكان التفسير الذي تقدمه الصحافة الأمريكية يعكس باستمرار تقريباً الزعم الاسرائيلي بأن مثل هذا التغيير في السياسة يعود الى «الابتزاز» من جانب الأقطار العربية. و«التسبيب» هنا هو أنه إذا تصرفت أي حكومة لصالح الاسرائيليين، فإنها إنما تقوم بذلك لأن تصرفها هو التصرف اللائق والصحيح ؛ولكن، وبما أن العرب ليست لديهم قضية، أو يفترض أنهم على خطأ، فإن أي عمل لصالحهم من أطراف ثالثة لا بد من أن يكون نتيجة لضغط «غير أخلاقي»، إن لم يكن غير شرعي. ويفترض أن الحقوق المشروعة للعرب والمصالح القومية لحكومات الأطراف الثالثة ليست موجودة أو غير مهمة.

وحتى لو كانت بعض الأوهام قد تبددت فإن الإسرائيليين ينشرون بنشاط أوهاماً جديدة تهدف الى تعزيز صورتهم الذاتية والى الحط من عدوهم. مثلاً، جرى الافتراض بأن النكسات الأولى التي تلقتها القوات الاسرائيلية تعود الى الغدر العربي (الهجوم المفاجىء) و/ أو الى الاستخبارات الأمريكية الخاطئة و/ أو الى قرار إسرائيل بألا تضرب أولاً. إن هذه الحجة، التي تنطوي ضمناً على أن النجاحات العربية الأولى كانت غير نموذجية ولا يمكن تكرارها، إنما صممت على ما هو واضح لإحياء أو تثبيت الخرافة القائلة بأن إسرائيل لا تقهر.

أما عن موضوع النفط فقد عرضت المقاطعة على أنها من أشكال الابتزاز ـ وأن على حكومة الولايات المتحدة، كما قيل، ألا تستسلم لها ولا تعدل بأي شكل من الأشكال سياستها في الشرق الأوسط[١٩]. اضافة الى ذلك، فإن فكرة المقاطعة لم تأت من العرب بل من الاتحاد السوفياتي ـ لذا ينبغي على الولايات المتحدة أن تتدخل لتحرم السوفيات من نصر يحرزونه في المنطقة. وهنا أيضاً افترض أن العرب لا سبب لديهم للغضب من الولايات المتحدة، وأنهم إنما ينفذون اللعبة السوفياتية. إن ملاحظات ستانلي كارنوو Stanley Karnow تصور هذا الرأي، إذ كتب يقول: «كان الهدف السوفياتي باختصار هو جعل الاتحاد العربي يتجه ضد الولايات المتحدة على أمل الحد من استيرادات النفط الأمريكية»[٢٠].

ثالثاً: الولايات المتحدة والشرق الأوسط ـ هل من علاقة جديدة؟

بما أننا لمسنا تغييراً في نشر أنباء الشرق الأوسط في الصحف الأمريكية الأسبوعية خلال حرب عام ١٩٧٣ فقد بقي علينا أن نسأل ما هي العوامل التي أحدثت التغيير وهل هي عوامل عابرة أم جوهرية؟[٢١] ولا شك أن الأداء العربي المتحسن في حرب تشرين

---

(١٩) انظر: *Time* (19 November 1973), pp. 88-95.

والافتتاحية في: *New York Times* (28 October 1973).

(٢٠) Stanley Karnow, «Russian Roulette,» *New Republic* October 1973), p. 13.

(٢١) بحث الاسباب المحتملة للتغير في المواقف الأمريكية ظهر في مجلة:

Time (29 October 1973), pp. 52 and 54, and *Newsweek* (12 November 1973), p. 54.

الأول/أكتوبر اضطر الولايات المتحدة، والغرب عامة، والاسرائيليين الى حدٍ ما، إلى القيام «بإعادة تقدير أليمة» للحالة ولافتراضاتهم الأساسية (أوهامهم) بشأنها. بعبارة أخرى، لقد أوقظوا بفظاظة من سباتهم الطويل. لقد بحثنا هذا الجانب سلفاً. ولكن اضافة الى الحرب ذاتها ينبغي تفحص مواقف العرب والاسرائيليين والأمريكيين بحثاً عن دلالات محتملة.

في أعقاب حرب عام ١٩٦٧ وافقت بلدان عربية معينة (مصر والأردن خصوصاً) على قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢) الصادر في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٦٧، وبذلك قبلت علناً لأول مرة بإمكانية التعايش السلمي مع إسرائيل. كان هذا يمثل حقاً نقلة جوهرية في الموقف وتنازلاً مهماً لاسرائيل. واتخذت أغلب الأقطار العربية، لا كلها، موقف الانتظار حتى ينجلي الوضع لكي تتحقق فترى هل ستنسحب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في عام ١٩٦٧ لقاء اعتراف عربي بها. وقد أزعجت «السلبية» الاسرائيلية تجاه هذه القضية الكثيرين، بمن فيهم زعماء أقطار عديدة. وإذ استمرت إسرائيل في توطيد سيطرتها على الأراضي المحتلة ـ ببناء طرق جديدة ومستوطنات جديدة وباقتراح السماح للأفراد الاسرائيليين بشراء الأراضي هناك ـ فإن زعمها بأن «كل شيء قابل للتفاوض عليه» أخذ يبدو زعماً أجوف، عديم المحتوى. لهذا صوتت أغلبية ساحقة من الأقطار على إدانة إسرائيل في ٢٢ آذار/ مارس عام ١٩٧٢ (في لجنة حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة)، وفي تموز/ يوليو عام ١٩٧٣ (في مجلس الأمن الدولي). وفشل قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢)، ومشروع روجرز وزير الخارجية الأمريكية، وبعثة غونار يارنغ، فشلت كلها لأن إسرائيل فضلت الأرض على الانسحاب والاعتراف والسلام. فلما نشبت الحرب وطال أمدها أشار عدد من الصحفيين الغربيين الى عناد إسرائيل السابق باعتباره أحد الأسباب. وفي هذا الوقت قطع عدد من الأقطار الأفريقية علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل.

وتزامن مع هذه التطورات ما ظهر على الرأي العام الأمريكي، بعد التجربة الأليمة في فييتنام، من تشرد تجاه أي تورط عسكري أمريكي جديد في الخارج. ومع أن الأمريكيين يتعاطفون عموماً مع الإسرائيليين فقد بدأوا يتهيبون من جرهم الى «حرب برية أخرى» في آسيا. فضلاً عن ذلك لم يكن ثمة شك بأن اسرائيل تستطيع الدفاع عن نفسها بصورة وافية جداً، وأنه لا خوف من تدمير إسرائيل أو من «إلقاء الإسرائيليين في البحر».

ثمة عاملان آخران ساعدا فيما يبدو على إحداث التغيير الملحوظ في الجداول. الأول هو الوفاق ـ أي سياسة التوفيق مع الاتحاد السوفياتي لغرض تمكين القوتين العظميين من التعاون في أمور مختلفة اقتصادية وسياسية وحتى في مسائل الاسلحة الاستراتيجية. كانت تلك هي الاستجابة الايجابية للخوف من وقوع مواجهة نووية بين القوتين حول إحدى مناطق «المشاكل» مثل الشرق الأوسط. بالتالي أخذ عدد من الأمريكيين يتبنى الرأي القائل بعدم فتح المجال لما بين العرب واسرائيل من خلافات أو مشاجرات، أو حتى مواجهات عنيفة،

من أن تتفاقم الى حرب نووية، وهكذا أخذوا بتأييد تسوية سلمية، تسوية تضم الفلسطينيين وتحتم تنازلات كانت إسرائيل مترددة، إن لم نقل غير مستعدة، لقبولها. ومن هنا الانزعاج من الأعمال الإسرائيلية ونقدها. وساعدت سياسة الوفاق كذلك على تفسير حقيقة معينة هي أن الحماس والتأييد لإسرائيل في عام ١٩٧٣ جاءا بالدرجة الأولى (بل بدرجة مطلقة تقريباً) من الجالية اليهودية الأمريكية ـ على نقيض ما جرى وبصورة بارزة في الوضع عام ١٩٦٧ حين جاء التأييد السياسي والاقتصادي والعاطفي والرمزي من جميع قطاعات المجتمع الأمريكي تقريباً[٢٢]. والعامل الثاني الذي لعب دوراً ما، وإن كان دوراً غير مؤكد، في تغيير مواقف الجمهور هو النفط. على أن هذا العامل كان أكثر تأثيراً في تغيير السياسات الحكومية في كل من الولايات المتحدة والغرب عموماً.

إن محور بحثنا هذا هو أن الأقطار الغربية، وبخاصة الولايات المتحدة، بقبولها وجهة النظر الصهيونية ـ الاسرائيلية عن العرب والاسرائيليين وعن طبيعة المشكلة في الشرق الأوسط، وجدت نفسها وهي ترسم سياسات قائمة على افتراضات خاطئة (أوهام). وبسبب عدم تفهمها للوضع فإنها فشلت في وضع سياسات كان يمكنها أن تمنع وقوع الجولة الرابعة من القتال العربي ـ الإسرائيلي. لقد أعلن خلال حرب تشرين الأول/ اكتوبر عن أن عدداً من الافتراضات المقبولة سابقاً قد «تبددت». على أنه ولسوء الحظ ليس من المؤكد إزالة تلك «الأوهام المتبددة» كلياً من عقول صانعي السياسة والصحفيين في الغرب، أو بالأحرى من عقولهم الباطنة. فضلاً عن ذلك، ومع أنه قد اتضح خطأ افتراضات متعددة، لم تجر بعد محاولة شاملة لتحديد الافتراضات الغربية الأخرى عن الشرق الأوسط التي قد تكون مغلوطة. لقد تضافرت عوامل مختلفة على جعل المواقف الأمريكية نحو شعوب الشرق الأوسط، والنشر الصحفي الأمريكي عن هذه المنطقة ذاتها، أقل تحزّباً (بمعنى أقل تأييداً لاسرائيل). وستستمر بعض هذه العوامل في التأثير بصانعي السياسة لاتباع توجّه «متوازن» بدرجة أكبر نحو الخلافات العربية ـ الإسرائيلية. بيد أن صانعي السياسة إنما يعملون ضمن أطر معينة، بما في ذلك الرأي العام؛ والرأي العام عن الشرق الأوسط مستمر في كونه يتشكل الى حد كبير بواسطة الدعوة للآراء المؤيدة لإسرائيل. لذا فإن محاولة إبتغاء عرض أكثر توازناً للحقائق عن الشرق الأوسط ينبغي أن تطبق على جميع وسائل الاتصالات: الصحافة، الراديو، التلفزيون، الأفلام السينمائية، الكتب المدرسية، الروايات الرائجة، وما الى ذلك.

---

(٢٢) انظر: *Time*, Ibid., pp. 52 and 54-56.

الفصل الخامس

القوالب الذهنية الجاهزة كأسلحة في النزاع العربي - الإسرائيلي وأثرها في الأوساط الغربية

تنتظم هذه الدراسة براهين مستحصلة من مصادر شتى (استطلاعات الرأي العام، الصحافة، الكتب المدرسية، مواقف المعلمين. . . الخ) لتبيان الكيفية التي استخدمت بها القوالب الذهنية الجاهزة لترويج آراء الصهاينة والاسرائيليين في الأوساط الغربية، وكذلك لبيان مدى المضاء الذي بلغته مثل تلك «الأسلحة».

تقوم الأمم المتنازعة، بصورة عامة، باستبطان قالب ذهني معين عن العدو يتكون كلياً من سجايا شريرة أو محتقرة، ولكنها من جهة أخرى تستبطن عن نفسها وعن حلفائها قالباً ذهنياً يحوي أحسن الصفات الانسانية. ويحاول كل طرف من الأطراف، في معركته لكسب قلوب وعقول الرأي العام العالمي، أن ينقل قوالبه الذهنية عن الطرف الآخر الى أطراف ثالثة، مما قد يؤدي إلى التأثير في سياسات هذه الأطراف. مثلاً، إن من المشكوك فيه ما إذا كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ستتبع سياستها المناصرة لاسرائيل في السنين الماضية، في وجه تهديد جسيم للمصالح الأمريكية من اقتصادية وغيرها في الوطن العربي، لو لم يكن على زعمائها أن يحسبوا حساباً للّوبي الصهيوني القوي، وهو قادر على اخضاع الحكومة لضغط شعبي كبير لكي تنتهج ذلك الخط السياسي.

يحاول هذا الفصل أن يدقق في صور نزاع الشرق الأوسط التي يجري ايصالها الى الشعب الأمريكي، ويهدف الى إبراز القوالب الذهنية التي رسخت في عقول الناس إبان هذه المعركة لكسب الرأي العام. إن من بين حقول الاتصال الأساسية التي سيتناولها التدقيق بعض الجرائد والمجلات الكبيرة النفوذ، والكتب المدرسية الخاصة بالمنطقة والمقررة عموماً للاستعمال في المدارس الثانوية الأمريكية. سيكون ممكناً عن طريق هذه المصادر أن نفهم كلاًّ من عناصر وآثار القوالب الذهنية التي تستخدمها الأطراف الرئيسية في النزاع العربي - الاسرائيلي لغرض ترويج قضيتها و/أو الحط من قضية العدو وإضعافها.

وتوحي الدلائل بأن الاسرائيليين قد نجحوا، على العموم، نجاحاً هائلاً في تحديد المشكلة على هوى شروطهم وفي جعل ذلك التحديد مقبولاً لدى الأمريكيين. مثلاً، عند البحث عن خلفية النزاع العربي ـ الاسرائيلي ينظر الى اليهود في اسرائيل على أنهم ضحايا الاضطهاد، ولكنْ ينظر الى مشكلة الفلسطينيين العرب على أنها من ضحايا الظروف ليس إلا، وبشكل يفتقر الى ما يضفى عادةً على ضحايا النارية من اليهود من شدةٍ في الشقاء ومن تشخيصٍ لمصدر القهر معاً.

أولاً: خلفية القوالب الذهنية عن العرب واليهود

ثمة عوامل عديدة تتعلق بالخلفية ولا تتصل مباشرة بصلب النزاع العربي ـ الاسرائيلي من شأنها أن تسهّل توطيد صورة محبذة لاسرائيل وأخرى غير محبذة للعرب. لقد تكونت الصورة الغربية عن العربي لا عن طريق الاطلاع المألوف، بل على فترة طويلة ظهر فيها العرب بأشكال شتى كمتعصبين غير مسيحيين يقاتلون الصليبيين؛ كأبطال للحكايات الرومانسية الخيالية كالذين في ألف ليلة وليلة أو في كتابات لورنس العرب؛ كمنبع لعناوين رئيسية عنيفة في الجرائد المعاصرة؛ ثم في السبعينات كسبب لحظر النفط المباغت على الولايات المتحدة وهو، بالنسبة لأغلبية الأمريكيين التي لا تولي إلّا قليلاً من الاهتمام بالشرق الأوسط، حظرٌ اعتباطي.

وازاء الصور التي تلقطها أذهان الأمريكيين عن العرب من هذا الخليط العشوائي من المصادر شن الصهاينة كذلك حملة بين اليهود الآخرين لتغيير القوالب الذهنية اللاسامية الخبيثة العالقة في الأذهان عن اليهود والتي كانت سائدة حتى وقت قريب، فقد وُجِّه ضغط نحو اليهود النشيطين سياسياً على الأخص ليصبحوا لا ـ لاساميين محترفين. وتمثل جانب من هذه الحالة بمحاولة صهيونية لحبك القضية الفلسطينية بهوية ووجود الشعب اليهودي بأجمعه؛ وكانت النتيجة، كما عبر عنها ديفيد رايزمن، وهو يهودي ليبرالي أزعجته المحاولة، «أن بذلت جهود كثيرة لفرض الاجماع بين اليهود»[1] عن القضية الفلسطينية وذلك بمباهاة (أي مشاكلة) الوضع المناهض لاسرائيل بالوضع المناهض لليهود واعتباره واحداً. إن الليبراليين المناهضين للعنصرية في الغرب قد قبلوا هذا الرأي تقليدياً فهم لا يحجمون فحسب عن مهاجمة الصهيونية بل وينشطون في الدعوة لحسابها.

وهكذا أضحى عدد من الأوهام التي تنشر لتوسيع نطاق التأييد لإسرائيل جزءاً من الزخم العام في الجهود المبذولة لتغيير صورة اليهود. وتتضمن بعض العقائد الغربية السائدة:

١ ـ أن الاسرائيليين، بالضد من الرأي اللاسامي التقليدي عن اليهود كشعب غير

(١) David Riesman, *Individualism Reconcidered* (Glencoe, Ill.: Free Press, 1954), p. 139.

مقاتل، هم مستضعفو الشرق الأوسط، القادرون على النصر في وجه معوقات هائلة وذلك بذكائهم وشجاعتهم ومثابرتهم[٢].

٢ ـ جرى التأكيد على أن الاستيطان اليهودي في فلسطين لم يوقع بالفلسطينيين ضرراً مستديماً؛ بالعكس فالفلسطينيون العرب لم يخرجوا من ديارهم في عام ١٩٤٨ وإنما دعاهم اليهود للبقاء، وإنهم لم يغادروا إلاّ بإرادتهم الحرة وبناءً على نصيحة إخوانهم العرب[٣].

٣ ـ إن الاستيطان اليهودي جعل الصحراء تزهر، في حين ترك العرب أرض فلسطين بلا عناية من جراء كسلهم[٤].

---

(٢) للحصول على تقديرات تقريبية عن القوات الفعلية في حرب عام ١٩٤٨، أنظر:

John Bagot Glubb, *A Soldier with the Arabs* (London: Hodder and Stoughton, 1957), pp. 94 and 95.

وكانت فرنسا وانكلترا قد قاتلتا في عام ١٩٥٦ الى جانب اسرائيل. ان تعبئة كاملة، حتى لو قامت بها إسرائيل وحدها كانت ستجعلها متقدمة بالقوة البشرية عددياً على الجيش المصري بنسبة ٣ الى ١ تقريباً. انظر:

Kennett Love, *Suez, the Twice-Fought War: A History* (New York: McGraw-Hill, 1969), p. 491.

وفي عام ١٩٦٧ كان عدد المقاتلين متساوياً تقريباً بالنسبة للطرفين. انظر:

Peter Young, *The Israeli Campaign, 1967* (London: Kimber, 1967), p. 56; *New York Times* (28 May 1967), p. 1E, and *Time* (9 June 1967), p. 58.

قال يَنْغ وهو يكتب عن حرب عام ١٩٦٧ ما يلي: «يبدو محتملاً أن القادة العسكريين الاسرائيليين قد نجحوا، بتركيز فرقهم، في إقامة تفوق محلي في القتال الفعلي». انظر: Young, Ibid., p. 109.

(٣) لم تعد الخرافة القائلة بأن الفلسطينيين العرب كانوا قد غادروا وطنهم بإرادتهم الحرة وبتحريض من الزعماء العرب، تنطلي على أحد. يقدم Erskine B. Childers تحليلاً ممتازاً لما جرى في عام ١٩٤٨ في مقاله:

Erskine B. Childers, «The Wordless Wish: From Citizens to Refugees,» in: Ibrahim Abu-Lughod, ed., *The Transformation of Palestine: Essays on the Origin and Development of the Arab-Israeli Conflict* (Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1971), pp. 165-202.

ويقر الآن بعض المراقبين الاسرائيليين أو المؤيدين للصهاينة بطرد حوالى النصف من أولئك الذين أمسوا «لاجئين عرباً». ويقدم Nadav Safran، وهو يأتي على عرض للأحداث التي جرت حتى نهاية أيار/ مايو والتي تساند قضية اسرائيل، تقريراً مباشراً عما جرى بعد حزيران/يونيو عام ١٩٤٨، وكيف ان الفلسطينيين العرب «قد طردوا من جميع الأراضي الجديدة تقريباً التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية». انظر:

Nadav Safran, *From War to War, the Arab-Israeli Confrontation, 1948-67: A Study of the Conflict from the Perspective of Coercion in the Context of Inter-Arab and Big Power Relation* (New York: Pegasus, 1969), p. 34.

(٤) إن هذا من أكثر الموضوعات انتشاراً في الدعاية الاسرائيلية. والواقع أن مشاريع الإرواء لصحراء النقب، والتي هي نقطة التركيز الرئيسية في هذه الدعاية، كان ينظر اليها منذ عام ١٩٥٥ على أنها «مسألة إقتصادية خرقاء»، ولا يجري الاستمرار فيها إلا «لأسباب عسكرية وسياسية».

Alex Rubner, *The Economy of Israel* (London: Frank Cass, 1960), pp. 114 and 115.

ويقتبس هذا الكاتب في كتابه من خبير أمريكي قوله إن سحب المياه مسافة طويلة من نهر الأردن الى النقب كان غلطة اقتصادية خطيرة، لأن هذا ترك «مساحة كبيرة مماثلة أخرى بلا إرواء، فهي أراضٍ بالجودة نفسها وأقرب الى مصدر الماء». وخرافة أخرى هي أن الفلسطينيين العرب قد تركوا الأرض بواراً حين كانوا هم سكان البلاد. والواقع أن نفيهم من أرضهم التي كانوا يعتنون بها كل العناية حتى عام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ أدى الى وقوع شحة زراعية شديدة بسبب عدم =

٤ ـ إن الصهيونية هي فلسفة ليبرالية أساساً وتستحق التأييد من محبي الحرية في أرجاء العالم(٥).

٥ ـ يفصح العرب عن المشاعر المعادية للسامية ذاتها الموجودة في الغرب، والنزاع إنما ينطلق من هذه الكراهية(٦). من جهة أخرى يحمل الاسرائيليون نيات حسنة

= كفاية الزراعة اليهودية لتلبية مطالب البلاد. كان بن غوريون حتى عام ١٩٥٣ يستشهد باختفاء المنتوج الزراعي العربي كسبب من أسباب صعوبات اسرائيل الاقتصادية. *Keesing's Contemporary Archives* (1953), p. 12666.

إن الفلسطينيين العرب يفتقرون، بالطبع، الى الفائدة العظيمة التي يتمتع بها الاسرائيليون مما يرسله اليهم اليهود من الخارج من أموال كثيرة لأغراض التنمية.

(٥) يتغاضى هذا الرأي كلياً عن نفي الصهيونية لأغلبية الفلسطينيين العرب وعن التفرقة الجارية ضد الباقين منهم. انظر:

Uri Davis, «The Palestine into Israel,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 3, no. 1 (Autumn 1973), pp. 88-105, and Sabri Jiryis, *The Arabs in Israel, 1948-1966,* translated by Meric Dobson (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1968).

والرقابة على الأنباء لأسباب «أمنية» مستمرة التطبيق في إسرائيل على النقيض من الآراء التي تصورها واحة للحرية. وقد شكت «جمعية الصحافة الأجنبية» في إسرائيل عام ١٩٦٩ من أن «تفاصيل القصص الإخبارية ذات الصلة بمواضيعها تحجب في بعض المناسبات لأسباب يظهر أنها تخص صورة البلاد أو سمعتها». انظر:

International Herald Tribune (Paris), 12 /12 /1969, p. 4.

وقد دأبت السلطات الاسرائيلية منذ عام ١٩٦٧ على اللجوء الى وضع الاسرائيليين من منتقدي سياسات حكومتهم على القائمة السوداء إذا كانوا خارج البلاد، وذلك برفض تجديد جوازات سفرهم لإجبارهم على العودة. انظر:

Times (London), 11/3/1970, p. 10.

بقدر تعلق الأمر بخطر وجود روح عسكرية في إسرائيل، انظر على سبيل المثال:

Jean Lartéguy, *The Walls of Israel,* with a foreword by Moshe Dayan (New York: Evans and Co., 1969); Yael Dayan, *Envy the Frightened* (London: Widenfeld and Nicholson, 1961); Uri Avnery, *Israel without Zionists: A Plea for Peace in the Middle East* (New York: Macmillan, 1968), and Paul Drake, «Victories Israel Cannot Afford,» *The Telegram* (Toronto, Canada) (22 March 1969), p. 7.

(٦) يسود هذا الخيال الغربي رغم أن بعض المصادر الاسرائيلية تبيّن بوضوح أن النزاع الفلسطيني لا يمكن النظر اليه، مهما شطت المخيلة، على أنه يصدر عن كراهية العرب الدفينة لليهود. وكما يشير يوري أفنيري، الناشر والسياسي الاسرائيلي، فإنه «لم يوجد أبداً شيء كاللاحسية الأوروبية في الوطن العربي قبل الأحداث [وهي الصهيونية وتأسيس إسرائيل] والتي خلقت الحلقة المفرغة». Avnery, Ibid., p. 212.

وسيكون القول بعدم وجود شعور ضد اليهود مطلقاً في الوطن العربي اليوم قولاً غير صادق وغير واقعي معاً إذا اخذت بعين الاعتبار خطورة النزاع وحجمه وعاطفيته، ولكن لا يوجد دليل على أن هذا الشعور قد امتد الى الأعماق، وهو بالتأكيد شعور غير موجود على المستوى العام المعروف في الغرب، حتى بعد الأذى الكثير الواقع على أيدي الإسرائيليين.

وفي استطلاع للرأي أجراه هذا المؤلف عام ١٩٦٨ عن الطلبة والمهنيين العرب في الولايات المتحدة كجزء من دراسة أوسع عن النخبة العربية، جرى توجيه السؤال الآتي: «هل تعتقد أن على العرب أن يميزوا، أم لا، بين اليهود والصهاينة حين يتدبرون من هم أعداؤهم؟» وقد رأى ٩ بالمائة فقط عدم التمييز، في حين رأى ٧٥ بالمائة أنهم يميلون الى الأخذ بوجود فارق بين الاثنين، ودفع ١٥ بالمائة بأن حكمهم يستند الى ظروف كل قضية على حدة. والواضح لدى=

أساساً نحو العرب[٧].

لقد أخذ العالم ينظر، عن طريق المصداقية التي تولى الى هذه الموضوعات المختلفة، الى مشكلة الشرق الأوسط كنزاع، العربُ فيه أساساً هم المعتدون المتعصبون دينياً، في حين أن الاسرائيليين هم عدول، مسالمون ومنتجون (وهم كذلك قد نجحوا في حروبهم نجاحاً يكفي لإكمال الصورة بالضرب على وتر الميول «الداروينية الاجتماعية» في الغرب التي تتجه نحو الاعجاب بالطرف الفائز)[٨].

يعود فشل العرب في إيصال قضيتهم الى أسباب متنوعة، يكمن بعضها في افتقارهم للحذق المهذب في طرق العمل المطلوبة، على أن ضمن ذلك توجد فجوة في فهم العرب لكيفية عمل الغرب. إن العداء الغربي للعرب، والنشر القاصر في الصحافة العربية، إضافةً إلى رأي العرب بالسياسة وبالعملية السياسية (وبخاصة كما هي متأثرة بالنظريات الماركسية) قد أعطت للمثقفين العرب صورة غير صحيحة عن السياسة الغربية وعن الدور الغربي في المنازعات الفلسطينية ـ الاسرائيلية والعربية ـ الاسرائيلية. مثلاً، ينظر عدد من أفراد

= أوساط الانتلجنسيا العربية ـ وذلك في مجالات الفكر التي تؤثر هذه الفئة بها ـ أن الأغلبية الساحقة لا تدين اليهود ولا اليهودية، وإن كانت تدين أعمال الحركة الصهيونية ودولة اسرائيل ضد العرب. بل، وعلى الرغم من بعض الآثار الناجمة عن الشعور المعادي لليهود والتي لم تظهر إلا منذ عام ١٩٦٧، فإن الكتابات العربية عن فلسطين والقضايا العربية الاسرائيلية عامة تميز بدقة بين اليهود والصهاينة في تشخيص العدو.

(٧) بشأن مواقف الجمهور الاسرائيلي، انظر استطلاعات الرأي في: *Time* (12 April 1971).

وكتب I.F. Stone عن «التحدي العنصري في اسرائيل» يقول: «إن الموقف اليهودي المعتاد نحو العرب هو موقف الاستعلاء المهين. كان سائقنا الى الشمال (في إسرائيل) يهودياً فرّ من تقدم الجيوش النازية في المجر لكن ذلك لم يخلصه من العادات العنصرية. ولما اقترحت عليه إركاب صبي معنا كان في الطريق رفض قائلاً إن الصبي عربي. فلما سألته وما الفرق؟ أجاب إن العرب رائحتهم كريهة. قلت هذا يقوله اللاساميون عنا نحن اليهود في العالم لكنّ قولي لم يترك أثراً عليه. ومن المؤلم أن أقول إن موقفه نموذجي. إن إسرائيل بلاد لا تستخدم كافة قواها العاملة فقط بل لديها نقص فيها. وفي تل أبيب يقوم ألوف العرب بالأعمال الوضيعة. ومن الصعب عليهم أن يجدوا سكناً محترماً لهم، تماماً كالزنوج في أمريكا وللأسباب ذاتها؛ ويتصنع بعضهم الظهور بمظهر اليهود لتحاشي التحيّز. زرت في حيفا المدرسة الثانوية الوحيدة التي يحضرها اليهود والعرب معاً، ولكن ظهر أن الصفوف حتى في تلك المدرسة هي صفوف منفصلة. لقد قامت دولة إسرائيل بالكثير من أجل العرب مادياً، ولكن الحس بالمهانة يفوق جميع ما جرى من تحسينات. إن المشهد ليملأ المرء بالقنوط. فلئن أثبت اليهود، بعد كل الذي عانوا من شقاء، أنهم، وقد صاروا أكثرية، ليسوا أفضل من غيرهم من الناس، فأي أمل هناك لعالم كعالمنا تتمزقه القبلية والبغضاء؟». انظر:

I.F. Stone, *In a Time of Torment* (New York: Random House, 1967), p. 438.

(٨) قدم هذه الحجة أنطوان زحلان في:

Antoine B. Zahlan, «Support for Israel: A Legacy,» *Middle East Newsletter,* vol. 3, no. 1 (January-February 1969), pp. 11-15.

الانتلجنسيا العرب الى السلطة على أنها ملك موقوف على أناس في الحكومة، أو على الأقل على مجموعة صغيرة، على نخبة، تحكم البلاد. عندئذٍ يفترض في النخبة في عدد من الأقطار العربية أن تكون مناصرة للصهيونية أوتوماتيكياً، وذلك في الغالب كنتيجة حتمية وميكانيكية لمطامحها «الامبريالية». بيد أن عمل الديمقراطية الغربية يكون أقل إدراكاً له بكثير في مفاهيم التعميمات الكاسحة حول الامبريالية والرأسمالية والطبقة الحاكمة منه في مفاهيم التعددية (حيث لا وجود لطبقة حكم تملي على الجميع، بل عدد وافر من الفئات النخبوية يتنافس على النفوذ). وبقدر تعلق الأمر بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي كانت الحصيلة النهائية تفوقاً ساحقاً لوجهة النظر الصهيونية ـ الاسرائيلية كنتيجة لمجموعات الضغط المناصرة لاسرائيل. مع ذلك، وفي ضمن مفهوم التعددية الغربية، سيكون العرب أفضل حالاً إذا سعوا الى ايجاد مجموعات فعالة للوقوف بوجه اللّوبيات العديدة المناصرة للصهيونية في الغرب، أو على الأقل لتعديل مواقفها، بدلاً من محض الإدانة، وعلى طريقة الايمان بالقضاء والقدر، للتأييد الغربي لاسرائيل ونعته بالتأييد «الامبريالي».

ثانياً: بيانات عن المواقف الغربية

١ ـ الجمهور الأمريكي

يتبينّ موقف الجمهور الأمريكي من النزاع في الجدول رقم (٥ ـ ١)، والذي يظهر ارتفاعاً هائلاً في التعاطف مع اسرائيل منذ أن اتخذ النزاع شكلاً أشد عنفاً في عام ١٩٤٧. ويعود هذا التطور بلا شك، الى حد غير قليل، الى ظهور اسرائيل كدولة مع ما يرافق ذلك من أساطير، والى التوترات بين الولايات المتحدة والأنظمة العربية الثورية. ثمة نتائج مشابهة يمكن العثور عليها في أقطار غربية أخرى. ويبينّ الجدول رقم (٥ ـ ١) بعض الانخفاض في التعاطف المؤيد لاسرائيل منذ حرب عام ١٩٦٧، أما المقدار الجوهري المتبقي من هذا التعاطف فقد انعكس في الميل الأكبر لدى الأمريكيين لوضع اللوم على العرب بشأن الأعمال العدائية في منطقة الشرق الأوسط، كما يوضح الجدول رقم (٥ ـ ٢).

من الواضح أن الجمهور الأمريكي أكثر استعداداً لإدانة العرب عن القتال لاسترداد أراضٍ سيطرت عليها اسرائيل بنيات توسعية معلنة، منها لإدانة التوسع الاقليمي الاسرائيلي. إن هذا الوضع يعكس جزئياً عدم كفاية شبكة المعلومات العربية، ولكنه الى حد كبير نتيجة الحملة العالمية الحسنة التنسيق التي تشنها الحركة الصهيونية للحصول على التأييد لاسرائيل. تتراوح هذه النشاطات بين محاولات للتأثير على الجمهور من خلال الرعاية المتواصلة، واستخدام وسائل ضغط مختلفة ضد الأفراد ووسائل الاعلام التي تحاول أن تحيد

جدول رقم (٥ ـ ١)
تعاطف الأمريكيين نحو العرب والاسرائيليين
للفترة، ١٩٤٧ ـ ١٩٧٣ (نسب مئوية)

وكالة استطلاع الرأي	التاريخ	اليهود، اسرائيل	العرب	مع الطرفين، ليس مع أحدهما	دون رأي
غالوب	١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧	٢٤	١٢	٣٨	٢٦
نورك NORC	شباط/فبراير ١٩٤٨	٣٥	١٦	٤٩(*)	—
SRC-C	تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٤	٢٥	٧	٢٨	٤٠
هاريس	١٠ حزيران/يونيو ١٩٦٧	٤١	١	٤٠	١٨
غالوب	حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ (رأي ذوي الاطلاع)	٥٦	٤	٢٥	١٥
غالوب	كانون الثاني/يناير ١٩٦٩ (رأي ذوي الاطلاع)	٤٩	٥	٤٦(*)	—
غالوب	٦ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣	٤٧	٦	٢٢	٢٥

(*) مع الطرفين وليس مع أحدهما ودون رأي.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (–) الى ان المعلومات غير متوافرة.

المصادر:

Hazel Erskine, «The Polls: Western Partisanship in the Middle East,» *Public opinion Quarterly,* vol. 33, no. 4 (Winter 1969-1970), pp. 627-640, and George H. Gallup, *The Gallup Poll: Public Opinion, 1935-1971* (Chicago, Ill.: Publishers-Hall Syndicate, 1973), p. 1.

عن الخط الذي في صالح الصهيونية. وليس الغرض اجتثاث أي تصريح زائف بشأن اليهود واسرائيل فحسب بل الغرض، كما أشار عدد من المراقبين، هو إعاقة نشر و/أو توزيع المواد الناقدة لاسرائيل بصرف النظر عما إذا كان لها أساس واقعي أم لا[٩]. والذي جرى كان

(٩) Alfred M. Lilienthal, *What Price Israel* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1969), pp. 121-147. =

جدول رقم (٥ - ٢)
مواقف الامريكيين حول إلقاء اللوم
على العرب والاسرائيليين
للفترة، ١٩٤٦ - ١٩٧٣ (نسب مئوية)

وكالة استطلاع الرأي	التاريخ	اليهود، اسرائيل	العرب	مع الطرفين، ليس مع احدهما	دون رأي
غالوب	كانون الثاني/يناير ١٩٤٦	١٢	١٠	(البريطانيون ٣٣ غيرهم ١)	٥٣(*)
نورك	تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٣	٩	١١	١٣	٦٧
نورك	تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥	٥	١٥	١٨	٦٢
نورك	تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦	١٩	٩٩	١٤	٣٨
نورك	نيسان/ابريل ١٩٥٧	١٢	٤٠	١٨	٣٠
هاريس	حزيران/يونيو ١٩٦٧	- أراد العرب أن يبدأوا حرباً مع اسرائيل منذ أمدٍ طويل: ٦٣ بالمائة اتفق مع هذا القول؛ ٥ بالمائة لم يتفق معه؛ ٣٢ بالمائة غير متأكد. - أرادت اسرائيل أن تبدأ حرباً مع العرب منذ أمدٍ طويل: ١٦ بالمائة اتفق مع هذا القول؛ ٤٥ بالمائة لم يتفق معه؛ ٣٩ بالمائة غير متأكد.			
هاريس	تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣	إن إدعاء العرب بأن (عملهم له ما يبرره في خوضهم هذه الحرب لمحاولة استرداد الأراضي التي احتلتها اسرائيل منذ ١٩٦٧) هو إدعاء رفضه ٤٩ بالمائة مقابل ٢٤ بالمائة.			

(*) بعض الأشخاص قدم أكثر من جواب واحد.

المصادر: Erskine, Ibid., pp. 627-640, and *The Harris Survey* (8 November 1973), p. 2 (mimeographed).

عملية إشراك جماعي فعالة جداً تستخدم جميع وسائل الاتصالات (الصحافة، الأفلام،

= وفيه يقدم سرداً لبعض هذه الضغوط. انظر أيضاً: *Israel and Palestine* (26 January 1974), p. 3.

الراديو، التلفزيون، الصحف، المجلات، الكتب، الدوريات)، والمدارس والجامعات، وجماعات القرناء Peer groups (أي من شاكلة واحدة) والكنائس، وأماكن العمل، لنقل ما تصوره الصهيونية عن النزاع.

٢ـ الصحافة الأمريكية

في دراساتي للتغطية الصحفية الأمريكية لأنباء الشرق الأوسط خلال حربي عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧، يظهر كذلك بوضوح التحيّز المناصر لاسرائيل، كما يبيّن الجدول رقم (٥ - ٣). على أن من الواضح أيضاً في التغطية الصحفية لحرب تشرين الأول/أكتوبر حدوث انعطاف جزئي عن القوالب المألوفة إذ برز العرب وهم أقل جنوحاً الى تمزيق اسرائيل أو سعياً لتدميرها. إضافة الى ذلك أظهرت الصحافة إدراكاً أكبر لوجهة النظر العربية وذلك بذكرها، بصورة متكررة نسبياً، رغبة العرب في السلام والأمن وبتبريرها بشكل عام لأعمالهم. كما حظيت نجاحاتهم العسكرية بالتبيان والمديح الوافيين.

٣ ـ الكتب المدرسية والنزاع

في دراسة شاركت بها شخصياً للكتب المدرسية عن تاريخ العالم المستعملة في المدارس الثانوية في الولايات المتحدة الأمريكية[١٠]، عكست النتائج بوضوح الصورة ذاتها التي اتضحت في التقارير الصحفية. ففي حين تجري، على العموم، محاولة لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة المنتشرة عن الاسلام، فإن عرض علاقة العرب بإسرائيل والغرب في الأزمنة الحديثة يقتضي الكثير من التوضيح المرغوب فيه. هناك كذلك بلبلة كبيرة بشأن الدين والعرق أو القومية. لذا فغالباً ما يشار الى العرب على أنهم يكتبون اللغة ذاتها ويدينون بالدين ذاته ـ الاسلام. يضاف الى ذلك، فإن اليهود والاسرائيليين ينظر اليها وكأنهم شعب واحد بذاته، وهذه فكرة يعززها الزعم المتكرر بأن يهود اليوم ينحدرون من «سلالة» اليهود في زمن التوراة، وأن «عودتهم» الى فلسطين وتأسيس «الدولة اليهودية» فيها هو أمر «طبيعي». أما مناقشة المنازعات الفلسطينية والعربية ـ الاسرائيلية فهي بجانب اسرائيل وضد العرب بصورة غالبة. توضح المقتبسات التالية النقطة التي نحن بصددها وهي مقتبسات تكاد تكون نموذجية:

«بالرغم من هذه الدايسبورا، أو «الشتات»، يتعلق اليهود بدينهم وأعرافهم ويحلمون بعودتهم ذات يوم

---

(١٠) وهي جزء من دراسة قامت بها لجنة من جمعية دراسات الشرق الأوسط للنظر في التحيز المحتمل وجوده في تناول الشرق الأوسط.

جدول رقم (٥ ـ ٣)
ما ينسب من نعوت الى اليهود والاسرائيليين في الصحافة الأمريكية
(تموز/يوليو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦)؛ (أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ١٩٦٧)، و(تشرين الأول/اكتوبر ـ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣)(*)

المجلة	سوء معاملة اليهود السابقة			رغبة اسرائيل في الامن والسلام			انجازات اسرائيل			اسرائيل قوية لكنها دولة مستضعفة صغيرة(**)			العرب عازمون على تدمير اسرائيل			العرب «يسيئون معاملة» اسرائيل			تسويغ أعمال اسرائيل		
	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣	١٩٥٦	١٩٦٧	١٩٧٣
نيويورك تايمز	٣	صفر	١	٣٢	٢٤	١١	١٥	٣٠	١٥	٣	١١	٣	٢٤	١٨	٣	١٣٧	٤٧	١٥	٣٦	٥٨	١٣
يو اس نيوز اند وورلد ريبورت	١	١	٣	٢١	٦	٢٠	٢٤	٤	٦	١٩	٣٤	٣	٥٠	٢٦	١٢	٦٤	٢٩	١٥	٦٠	١٩	١٧
نيشن	١٢	صفر	١	١٥	٣	١٢	٩	صفر	٤	٤	١	٤	٨	٧	٢	٢٥	٩	٥	٢٣	٥	١٠
نيو ريبيلك	صفر	صفر	صفر	١٣	صفر	٤	١	١	١	٤	١	١	٢٤	٢	٣	٤٩	٤	٤	١٨	٣	٥
نيوزويك	١٥	٤	٤	٣	٨	٧	١	٢	٢٧	صفر	صفر	٣	٢	٥	٣	١١	٢٢	٢٠	٤	٧	٣٩
تايم	٣	١٢	١٤	١١	٢٠	١٧	٩	١١	٣٧	صفر	٣	٧	٩	٣٠	١٧	١٠	٤٧	٤١	١٨	٣٠	٣٦
المجموع	٣٤	١٧	٢٣	٩٥	٦١	٧١	٥٩	٤٨	٩٠	٣٠	٥٠	٢١	١١٧	٨٨	٤٠	٢٩٥	١٥٨	١٠٠	١٥٩	١٢٢	١٢٠

(*) تشير الأرقام الى عدد المرات التي جيء فيها على ذكر النعت.

(**) سميت هذه الفئة باسم «بين جيران معادين» في دراسة ١٩٥٦.

المصدر: احتسبت من دارساتي للتغطية الصحفية الامريكية لأبناء الشرق الأوسط خلال حروب ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣.

الى «أرض الميعاد». لم يتحقق هذا الحلم حتى القرن العشرين، حين أتيح لهم إعادة تأسيس دولة يهودية في فلسطين، والتي هي الآن أمة اسرائيل»[11].

«إن اسرائيل أمة قديمة تسعى لكي تكون أمة حديثة»[12].

«[في ١٩٦٧] انضمت مصر والأردن وسورية والعراق والكويت والسودان وتونس ومراكش ولبنان والسعودية والجزائر واليمن الى النزاع ضد اسرائيل وقد آلت تلك الدول على نفسها أن تحطم هذه الأمة البالغة من العمر تسع عشرة سنة. وتحدثت محطات الاذاعة العربية عن «حرب مقدسة» فواجه شعب اسرائيل البالغ تعداده ٢,٧ مليون نسمة أكثر من مئة مليون من العرب المعادين وهم يحيطون بهم»[13].

وأخيراً ندرج فيما يلي تفسيراً للغيظ العربي ضد اسرائيل، وهو تفسير يتجاهل تجاهلاً كلياً الفلسطينيين العرب وفقدانهم لوطنهم:

«هذه الكراهية للغرب تساعد على تفسير مشاعر العرب القوية ضد دولة اسرائيل... هكذا تمثل الانجازات الاجتماعية والاقتصادية [التي تقوم بها اسرائيل] تحدياً متواصلاً - ومزعجاً - للعالم العربي المحيط بها»[14].

ثالثاً: القوالب الذهنية: نموذج من مواقف المعلمين

تتألف الانطباعات في عقول الناس عن شعوب وأقطار أخرى بصورة أساسية نتيجة لملاحظة شخصية أو خبرة ذاتية و/ أو عن طريق تقارير مكتوبة أو مسموعة - مرئية. وبما أن الغالبية العظمى من الغربيين لم تسنح لهم قط فرصة زيارة الشرق الأوسط فإن معرفتهم عن الأحداث الحاصلة فيه تتأتى بالدرجة الأولى من تقارير الصحف والراديو والتلفزيون والسينما. فما هي، إذاً، الصور التي ألفها مثل هؤلاء الناس في أذهانهم عن شعوب وأقطار الشرق الأوسط؟

يسجل الجدول رقم (٥ - ٤) أجوبة معلمي تاريخ العالم في المدارس الثانوية في ولاية كنساس في الولايات المتحدة الأمريكية على السؤال الآتي: «ما هي الصفات التي تقرنها بكل من الجماعات التالية: العرب،. اليهود، الخ..؟»[15].

---

(١١) T. Walter Wallbank and Arnold Schrier, *Living World History* (Chicago, Ill.: Scott Foresman, 1969), p. 54.

(١٢) Ralph S. Yohe [et al.], *Exploring Regions of the Eastern Hemisphere* (Chicago, Ill.: Follet Educational Corporation, 1969), p. 406.

(١٣) Daniel Roselle, *A World History: A Cultural Approach* (Boston: Ginn, 1969), p. 717.

(١٤) Wallbank and Schrier, *Living World History*, p. 704.

(١٥) أرسل الاستجواب الى ٤٢٥ مدرسة في كنساس. وقد أجاب عليه ما يزيد قليلاً عن ٤٠ بالمائة من الذين جرى الاتصال بهم.

جدول رقم (٥ ـ ٤)
مواقف معلمي المدارس الثانوية في كنساس
نحو العرب والاسرائيليين (نسب مئوية)

المجموعة	الشعب أو البلد	الدين	الصفة القومية	النزعة العسكرية	الاحوال في البلاد	حكومية ـ دولية	إضطهاد ضحايا الظروف	المجموع
العرب	٢٩	١٣	٢٧	١١	١٩	١	—	١٠٠
المصريون	٣٠	١	٣٦	٥٠	١١	١٧	—	١٠٠
الفلسطينيون	٣	١١	٢٥	٨	٢١	—	٣١	١٠٠
المسلمون	٨	٥٨	٢١	٤	٨	—	—	١٠٠
اليهود	١٠	٢٠	٤٦	١	—	—	٢٣	١٠٠
الاسرائيليون	٨	١٣	٥١	١١	١١	٦	—	١٠٠

ملاحظة عامة: تشير العلامة (-) الى ان المعلومات غير متوافرة.

ثمة ملاحظات عديدة حول النتائج يجدر بيانها. فمن الجدير بالملاحظة أولاً أن ٤٠ بالمائة من المجيبين رفضوا الجواب على السؤال أعلاه، وخصّص بعضهم القول أنهم ليسوا من المتعصبين أو أنهم لا يرغبون في البحث بمثل هذه القوالب المحددة. والواقع أن هذا الموقف يدعو للثناء وينبغي تشجيعه. على أن التردد، لسوء الحظ، في التعبير عن النفس كتابة بشأن القوالب لا يعني آلياً أن مثل هذه القوالب غير موجودة في الذهن كأساس للتفكير والعمل حول موضوع من المواضيع.

الملاحظة الثانية تتعلق باليهود والفلسطينيين كشعب عانى الشّقاء. ومع أن عدداً متساوياً من المجيبين ذكر هذه «الصفة»[١٦] فإن الإشارة الى اليهود كانت مقرونة، بدون استثناء تقريباً، «بالاضطهاد» في حين أن الاشارة الى الفلسطينيين أتت بصيغة «ضحايا الظروف» دون تغيير. ومن نافلة القول أن يستدر شعب مضطهد، في عصر اللبرالية والتسامح، تعاطفاً وإسناداً أكثر مما يستدره شعب هو مجرد «ضحية الظروف.» فدفعة الإضطهاد إتهامية، تنطوي على الذنب وتحوي مسؤولية ما عن إحقاق العدالة بالنسبة للمشاهد، في حين أن «فعل الطبيعة» الذي توحي به عبارة «ضحية الظروف» يعفي المشاهد على وجه التخصيص من أية مسؤولية أو مشاركة خطيرتين.

(١٦) مع أن عدداً متساوياً من المجيبين ذكر الصفتين، فإن النسب مختلفة وذلك لأن مجموع المجيبين بالنسبة للجامعتين ليس متساوياً.

أخيراً تُبصّرنا الإشارات الواردة في الأجوبة بموضوع تعاطف المجيبين وهل هو موجود أم لا نحو الشعوب المذكورة في الاستطلاع. وكما ذكرنا سلفاً ينعت اليهود غالباً بالمضطهدين. ولعل ما هو أهم من ذلك أنهم ينظر إليهم كأناس أكفاء، مخلصين، دؤوبين، مثقفين، منطقيين وشجعاناً ولم يرد إلا القليل جداً من ذكر للصفات السلبية. وهكذا، فقد استعمل أقل من ٧ بالمائة من المجيبين عبارات مثل «بخيل»، «عقد الاضطهاد»، «عشائري». بل إن أقل من ٤ بالمائة فقط نوّهوا بشيء سلبي بشأن الاسرائيليين. وفي حين نظر البعض أيضاً الى اليهود كمضطهدين فإنه لم ينظر أحد الى الاسرائيليين كذلك، ووصفهم ١١ بالمائة بأنهم عسكريو النزعة، مقاتلون جيدون، محاربون، الخ. ومن جهة أخرى كان المجيبون أكثر انتقاداً بكثير للفلسطينيين والمصريين والعرب والمسلمين عامة. إن القوالب الموجودة في الأذهان، حتى في أذهان قطاع مثقف من السكان الأمريكيين، تشابه على العموم، وتعكس فيما يبدو، صورة القوالب الموجودة في الكتب المدرسية لتدريس تاريخ العالم في الثانويات والموجودة في الصحافة الأمريكية عامة.

رابعاً: آثار التحيّز

من الواضح أن الكتابة الصحفية المتحيزة عن الشرق الأوسط هي كتابة مضرة لأنها وبالدرجة الأولى تشوه الصورة الحقيقية لما هي عليه شعوب المنطقة وأقطارها. إن الآراء الخاطئة تنتشر حتماً ما لم تصحح، ويكون انتشارها واسعاً بحيث تأخذ حتى الأوساط المثقفة جداً في المجتمع بحمل افتراضات خاطئة عن المنطقة. مثلاً، يحاول روبرت آردري، في كتاب حديث له، أن يستعمل الشرق الأوسط لتطبيق النظرية القائلة بأن «الانسان هو حيوان إقليمي»، فهو بهذه الصفة سيدافع عن إقليمي بالطاقة المضافة التي تولدها الملكية للمالك. ويقتبس آردري باستحسان قول ديفيد لاك: «إن النصر لا ينعقد للأقوياء، بل للصالحين ـ والصالحون بالطبع هم أصحاب الملكية،» ثم يوسّع هذا القول ليشمل البشر[١٧]. وحتى لو قبل المرء حجة آردري هذه فإن النتيجة التي توصل اليها بأن الاسرائيليين كسبوا الحرب في عام ١٩٤٨ لأنهم كانوا يدافعون عن «ملكيتهم» هي نتيجة زائفة بصورة جلية[١٨]. فحين اقترحت الجمعية العامة للأمم المتحدة تقسيم فلسطين في عام ١٩٤٧ كان اليهود يملكون أقل من ٧ بالمائة من الأرض. لقد كان عرب فلسطين في واقع الأمر هم أصحاب أغلبية الملكيات، وكان ينبغي على السيد آردري أن يقوم بمزيد من البحث عن مقاومة الفلسطينيين ضد عوائق شديدة (أعني كلاً من حكومة الانتداب البريطاني والجالية اليهودية) قبل أن يتوصل الى نتيجة متسرعة. والحق أن رفض الفلسطينيين العرب بإصرار

---

(١٧) Robert Ardrey, *The Territorial Imperative* (London: Collins, 1969), p. 121.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٩ ـ ٣٤٤.

تصفية قضيتهم ينبغي، على أقل تقدير، أن يكون الدليل الذي يبغيه لتوثيق قضيته.

والأمر البالغ الخطورة أن الموقف المتحزّب لوسائل الاعلام والانتلجنسيا الغربية نحو النزاع يؤثر في تناول الحكومات الغربية للمشكلة. مثلاً، كان هناك عدم استعداد للنظر جدياً في تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن حقوق الفلسطينيين في العودة، مع أن جميع الأقطار الغربية تؤيد هذه القرارات من ناحية المبدأ. إن حرية الحكومات الغربية في المناورة بهذا الشأن يحدها ما يمكن أن يحدثه عمل بعيد المدى من النوع الذي تعارضه قطاعات مهمة من الرأي العام.

وعلى الرغم من هذا فسيكون من الخطأ الاستنتاج بأن الوضع لا يمكن معالجته. إن جزءاً من المسؤولية يعود الى أداء العرب السيء بالمقارنة مع عمل الصهاينة والاسرائيليين في عرضهم لصورة أنفسهم وصورة أندادهم على الشعوب والحكومات في الغرب. فهؤلاء قد استغلوا بصورة فعالة، كما أشير آنفاً، جميع المصادر المتاحة لهم لنقل الصورة الصهيونية عن النزاع. ويشير التحسن الملحوظ في الكتاب الصحفية عن حرب تشرين الأول/ اكتوبر الى وجود إمكانية واضحة في الحصول على تغطية أكثر توازناً في الغرب، ولكن هذا يعتمد على استعداد العرب هم أيضاً ليقدروا ويتبعوا الطرق الموجودة في مجتمع تعددي غربي والمفتوحة لجماعات مختلفة لعرض قضيتها.

الفصل السّادِس

الصُوَر الأمريكيّة عن الشرق الأوسَط تأثير المَدارس الثانويّة

في هذه الدراسة عن دور المدارس الثانوية في تشكيل آراء الأمريكيين عن الشرق الأوسط وعن شعوبه سنحاول كذلك أن نقارن ونغاير بين آراء رجال التعليم الأمريكيين وتلاميذهم في شأن العرب، وفي شأن أقطار وشعوب عربية معينة (مثل مصر، الفلسطينيين. . . الخ.)، وفي شأن اسرائيل واليهود، وكذلك الأتراك والايرانيين والمسلمين عموماً. ويجب أن نتذكر أن الأمريكيين غالباً ما يخلطون بين مجموعة وأخرى من مجموعات الشرق الأوسط (مثلاً، الأتراك والعرب). لهذا فمن المفيد الحصول على معلومات عن كيفية نظر الأمريكيين الى الأقطار والشعوب المختلفة في الشرق الأوسط. ولكن يجب أن نتذكر أن الآراء ليست دائمة وأنها تتأثر بقوة بالسياسة الحكومية وبالتغطية الإعلامية، إضافة إلى تأثرها بالعلاقات بين شعوب تلك الحكومات والولايات المتحدة. فالآراء الأمريكية، بهذا الصدد، عن شاه ايران في وقت إجراء هذه الدراسة في عام ١٩٧٤ تختلف بالتأكيد عن الانطباعات الأمريكية عن آية الله روح الله الخميني في أواسط الثمانينات. مع ذلك، وعلى الرغم من التغطية الاعلامية الواسعة، وكثير منها غير دقيق ومثير للخواطر (كما أشار أدوارد سعيد في كتابه **تغطية الاسلام**) فإن رأي الجمهور الأمريكي عن شعوب الشرق الأوسط، سواءً أكانوا عرباً أم ايرانيين أم فلسطينيين أم مصريين يظل في الأساس رأياً يأخذ بالقوالب الذهنية الثابتة، رأياً سطحياً لا يدعو الى الاعجاب. ويقدم هذا الفصل تفاصيل ودراسة مقارنة.

إن هذا التقرير عن وضع دراسات الشرق الأوسط في المدارس الثانوية الأمريكية هو أيضاً محاولة معرفة العامل الذي يؤثر أكثر من غيره في كمية ونوعية تدريس الشرق الأوسط في تلك المدارس. فضلاً عن ذلك، وبما أن المعلمين يلعبون دوراً مهماً في هذه العملية التربوية، فستقوَّم كذلك مواقفهم نحو شعوب الشرق الأوسط وتحدد مقومات تلك المواقف.

في أواخر الستينات أعدّ بضعة أعضاء من جمعية دراسات الشرق الأوسط عرضاً خاطفاً

للكتب المدرسية في الثانويات الأمريكية، ولم يترك العرض شكاً بأن الشرق الأوسط ومشاكله وشعوبه غالباً ما تعالج بصورة غير وافية وتعرض بشكل سقيم. وقد وجدت أخطاء في الوقائع في مواضع كثيرة، كما كان من السهل تشخيص تحيّز أكيد ضد المنطقة و/أو بعض شعوبها. عند ذلك ألّفت الجمعية المذكورة لجنة باسم «لجنة النظر في المعلومات التي تصور الشرق الأوسط في كتب المدارس الثانوية» وذلك لكي تدرس بشكل نظامي جداً احتمال التشويه من جهة الوقائع أو المواقف في المادة التدريسية عن الشرق الأوسط في شتى الكتب المقررة عن تاريخ العالم والاجتماعيات والمستعملة في الولايات المتحدة وكندا. وفي الوقت نفسه توليت أنا بصفتي الخاصة، مع كوني عضواً في هذه اللجنة، تنظيم استقراء لمعلمي تاريخ العالم في ثانويات ولاية كنساس لتقرير وضع الدراسات الشرق الأوسطية على ذلك المستوى ولتقدير مواقف المعلمين نحو شعوب المنطقة[1]. ثم قررت «اللجنة» القيام بالاستقراء ذاته في ولايات متعددة للحصول على بيانات أوسع شمولاً لتطبيقها على الولايات المتحدة ككل. لذا، فإن هذا الفصل يلخص النتائج الحاصلة من دراسة معلمي تاريخ العالم في المدارس الثانوية في ولايات كاليفورنيا وكولورادو وإنديانا وكنساس ونيويورك وبنسلفانيا.

أولاً: منهج البحث

بعد الاستحصال على نسخ من دليل المدارس الثانوية في الولايات المتحدة المذكورة كان لا بد من اتخاذ قرار عما إذا كانت العينة ستشمل كل المدارس، وذلك بالاستناد الى عددها في كل ولاية[2]. ونظراً لقلة العدد نسبياً في بعض الولايات فقد تقرر استقراء جميع المدارس في ولايات إنديانا (٤٤٩ مدرسة) ونيويورك (٦٥٦) وكولورادو (٢٤٧) وكنساس (٤٢٠). أما كاليفورنيا (١٠٨٤) وبنسلفانيا (٨٤٨) فكانت عينتها بنسبة ٥٠ بالمائة عشوائية.

وفي الدراسة الأولى، وكانت بمثابة نموذج يحتذى، والتي أجريت في كنساس في عام ١٩٧٢ وجد أن اسم المحقق له بعض التأثير على الإجابة على أسئلة معينة[3]. لقد أرسل نصف استمارات الاستطلاع في استقراء ولاية كنساس باسم الباحث ميخائيل سليمان، والنصف الآخر باسم زميل له هو دافيد و. برادي David W. Brady. وبما أن النزاع العربي ـ الاسرائيلي يشكل جزءاً مهماً مما يقرأه ويناقشه الأمريكيون، بمن فيهم معلمو المدارس

---

(١) عن النتائج، انظر:

Michael W. Suleiman, «Middle East in American High School Curricula: A Kansas Case Study,» *Middle East Studies Association Bulletin,* vol. 8, no. 2 (May 1974), pp. 8-19.

(٢) تضم أكثر الأدلة المدارس الابتدائية والمتوسطة والتكميلية والمهنية. أخذت العينات من المدارس الثانوية العادية أو العليا فقط.

(٣) Suleiman, Ibid., pp. 12 and 13.

الثانوية، عن مواضيع الشرق الأوسط فقد جرى اختيار ثلاثة أسماء للاستعمال في استقراء عام ١٩٧٤، أحدها نبرته عربية/اسلامية (محمد سليمان) والآخر نبرته يهودية (ليون كوهين) والثالث نبرته محايدة (كين برادي). وبعد اختيار العينة لكل ولاية قسمت مرة أخرى الى ثلاث مجموعات متساوية، وجرى الاختيار عشوائياً أيضاً، والغرض من هذا التقسيم هو أن تتقرر أي مدارس ترسل إليها استمارات الاستطلاع وهي موقعة باسم برادي، أوكوهين، أو سليمان. كذلك أعطي لجميع «المحققين» لقب «أستاذ» لتجنب أي هوى يؤثر في نسبة الترجيع على أساس الرتبة. وفيما عدا التوقيع فإن جميع الاستمارات كانت متماثلة تماماً. على أن الرسالة المرفقة بالاستمارة والمرسلة الى كل ولاية طبعت على قرطاسية القسم الخاص بالمشارك من أعضاء «اللجنة» الذي يدرس بانتظام في تلك الولاية. وكان من المعتقد أن هذا الاجراء سيعطي أعلى نسبة من الترجيع، والتي كانت كما يلي: بنسلفانيا ٣٣ بالمائة؛ إنديانا ٣٢ بالمائة؛ كنساس ٢٩ بالمائة؛ نيويورك[٤] ٢٧ بالمائة؛ كولورادو ٢٥ بالمائة، وكاليفورنيا ٢١ بالمائة. وبلغ مجموع ما أعيد من استمارات مملوءة ٧٧٢ (من أصل ٢٧٨٨) وهي نسبة قدرها ٢٨ بالمائة[٥] وهذه نسبة مقبولة إذا أخذنا في الاعتبار نفور الجمهور حديثاً من الاستطلاعات[٦].

العيّنة

إن معلمي مادة تاريخ العالم هم على العموم من الشباب، فأكثر من نصفهم (٥٥ بالمائة) هم دون الخامسة والثلاثين من العمر. وثلثهم (٣٣ بالمائة) من الأنغلو ـ أمريكيين،

---

(٤) أرسلت الى نيويورك خمسون استمارة تحت اسم Marvin Fricklas وهو معلم ثانوية في لونغ آيلاند ومراقب في «اللجنة». وحيث استحصل بهذه الطريقة على سبع عشرة إجابة فقط فقد تقرر إدخالها في عينة نيويورك. وحتى على فرض أن سكان لونغ آيلاند يكوّنون جماعة متميزة فقد كانت عينتهم أصغر من أن يمكن من تقويم صفاتهم بصورة وافية. أما الأعضاء الآخرون في «اللجنة» منهم:

Farhat Ziadeh, (Chairman), Ayad Al-Qazzaz, William J. Griswold, John Joseph, Lorne Kenny, Don Peretz, and Glenn Perry.

(٥) أرسلت استمارات الاستطلاع بالبريد في آذار/ مارس ١٩٧٤، وأعقبت بعد ذلك بشهر رسالة تذكير.

(٦) يقول «Irving Crespi» نائب الرئيس في Gallup Poll, Inc. «لا شك أن نسبة إتمام ملء الاستطلاعات هي أقل مما كانت عليه قبل عشر أو خمس عشرة سنة». والواقع أنها أقل بنسبة ٢٥ بالمائة كما تقول «الجمعية الاحصائية الأمريكية». ظهر الاقتباس أعلاه والمعلومات الخاصة بسبب هبوط نسب الإتمام في:

Melvin Maddocks, «Does Gallup Speak Only to Roper?» *Christian Science Monitor* (15 April 1974), p. 1F.

وفي حين لاحظ بعض الباحثين وجود فوارق بين المجيبين وغير المجيبين على استمارات الاستطلاع المرسلة بالبريد، تستنتج دراسة حديثة أنه «لا توجد فوارق مهمة». انظر:

Edward C. McDonagh and A. Leon Rosenblum, «A Comparison of Mailed Questionnaires and Subsequent Structured Interviews,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 29, no. 1 (Spring 1965), pp. 131-136.

شكل رقم (٦ ـ ١)
عدد الفصول الدراسية الجامعية عن الشرق الأوسط
التي اجتازها المعلمون
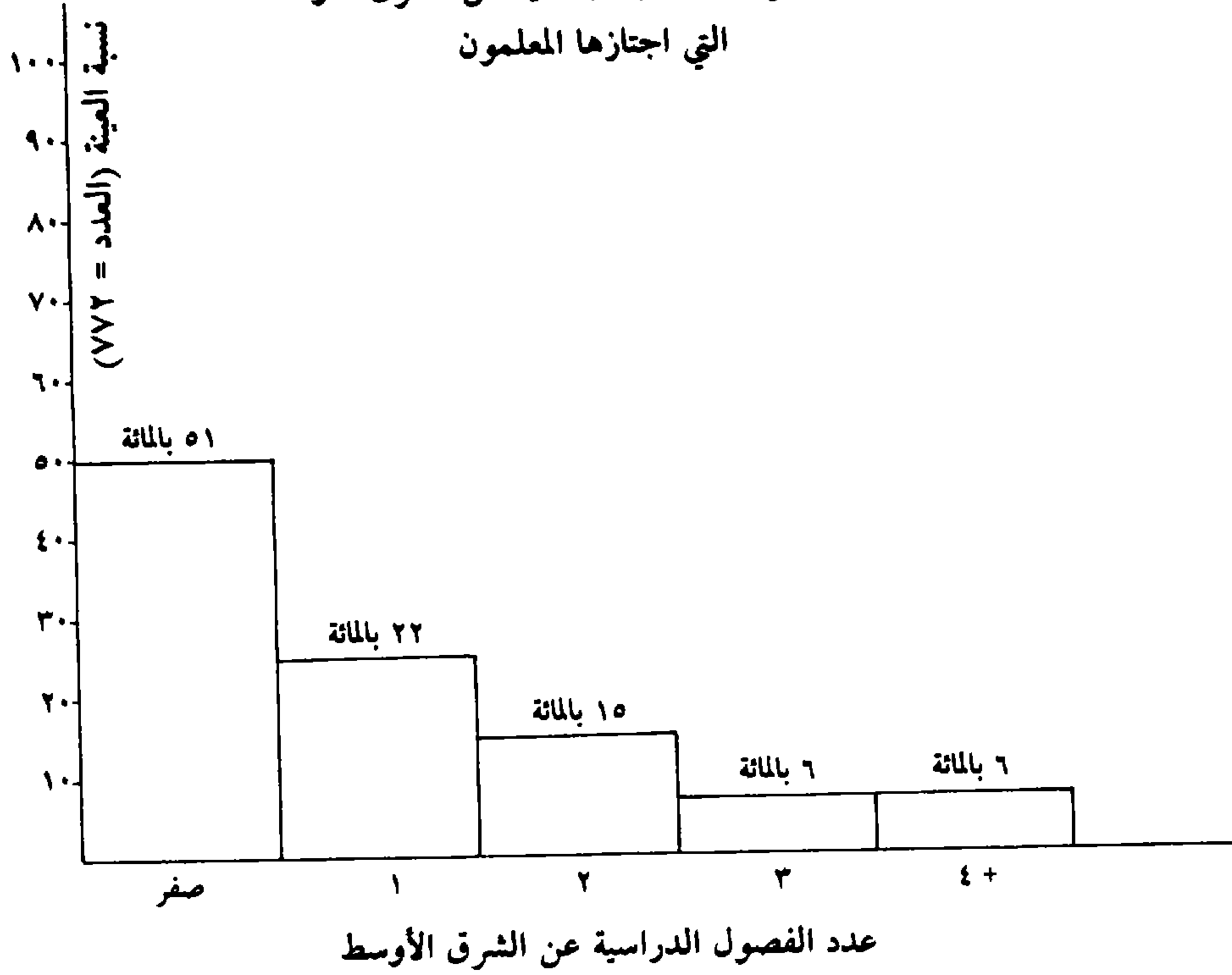
و١٩ بالمائة هم من خلفية ألمانية(٧). بيد أن الربع بأكمله من المجيبين حددوا إنتماء لمجموعات عرقية مختلفة. وعبر ٥٧ بالمائة من العينة عن ميول بروتستانتيه، وكان ٢٨ بالمائة منها من الكاثوليك(٨)، وهاتان النسبتان تقاربان على العموم النسبة الى مجموع السكان. وأغلبية العينة (٥٦ بالمائة) تسكن في مواطن عدد سكانها عشرة آلاف أو أقل، بينما يقطن ١١ بالمائة فقط في مدن كبيرة سكانها مائة وخمسون ألفاً أو أكثر. إنهم من خيرة المتعلمين، إذ أن ٩٥ بالمائة منهم كانوا درسوا للحصول على ما هو أعلى من درجة البكالوريوس. ويحمل ٦١ بالمائة شهادة الماجستير أو أرفع منها. واختصاصهم الرئيسي هو التاريخ (٤٥ بالمائة) والعلوم الاجتماعية (٣٩ بالمائة)(٩).

---

(٧) الذين يؤلفون أكثر من ١ بالمائة من العينة هم: الايرلنديون (٩ بالمائة)، الأمريكان ـ الإيطاليون (٦ بالمائة)، الأمريكان ـ البولونيون (٤ بالمائة)، الأمريكان ـ الاسكندنافيون (٣ بالمائة).

(٨) ومن بين الآخرين عبّر حوالى ٨ بالمائة عن مواقف إلحادية، أو لا دينية، أو لا أدرية وعبّر ٣ بالمائة آخرون عن انتماء يهودي.

(٩) حوالى ٣ بالمائة متخصصون بالتربية البدنية و ٣ بالمائة آخرون كانوا قد ركزوا في دراستهم على مزيج من التربية البدنية والعلوم الاجتماعية.

تخصص الكتب المقررة لتدريس تاريخ العالم، والتي يستعملها هؤلاء المعلمون، حوالى ٨ الى ١٠ بالمائة من مواضيعها لتاريخ وحضارة وسياسة الشرق الأوسط. ومع أن هذه المنطقة ذات أهمية استراتيجية وكانت مسرحاً للصراع الدولي في العقود العديدة الماضية فإن أغلبية المعلمين في العينة لم يحضروا قط فصلاً دراسياً جامعياً واحداً يتناول المنطقة المذكورة كما يتضح من الجدول رقم (٦ - ١)[١٠]. وإن ١٢ بالمائة فقط حضروا ثلاثة فصول دراسية أو أكثر عن الشرق الأوسط. يبيّن الشكل رقم (٦ - ٢) مادة الفصول الدراسية التي حضرها المعلمون والتي ركزت على الشرق الأوسط.

جدول رقم (٦ - ١)
عدد الأسابيع التي يخصصها معلمو المدارس الثانوية الامريكية لمناطق العالم المختلفة(*)
(نسب مئوية)

المنطقة	لا يوجد أو أقل من واحد	١	٢	٣	٤	٥	٦	٦(**)
الشرق الأوسط	١٢	١٠	١٧	١٦	١٢	٧	٩	١٢
أوروبا	١٨	١	٢	٣	٤	٢	٦	٦١
جنوب شرق آسيا	٢٧	١٥	١٩	١٠	٨	٣	٧	٦
افريقيا شبه الصحراوية	٢٨	١٥	١٥	٨	٦	٥	٦	١٣
شبه القارة الهندية	٢٨	١٥	١٧	١٠	٨	٤	٦	٨
أمريكا اللاتينية	٣٨	١٤	١٦	٩	٥	٣	٤	٥

(*) سئل المعلمون أن يذكروا عدد الاسابيع التي يخصصونها لكل منطقة من مناطق العالم الواردة في القائمة.
(**) عند الجمع أفقياً لا تبلغ المجاميع ١٠٠ بالمائة لأن فئة «مناطق أخرى» قد أغفلت.

ورغم مستوى المعلمين المنخفض عموماً في دراستهم المدرسية للمنطقة ذكر ٦٢ بالمائة من العينة أنهم «مؤهلون بصورة كافية أو مستعدون لتدريس الجزء الخاص بالشرق الأوسط».

يستعمل معلمو تاريخ العالم أنواعاً شتى من الكتب المدرسية المقررة. وقد عبّر حوالى ٥٥ بالمائة من العينة عن قناعتهم بكتبهم. أما الآخرون فتتعلق شكواهم الأساسية

(١٠) من المحتمل أن بعض المجيبين فهموا السؤال على أنه يتعلق بالفصول الدراسية التي تتناول الشرق الأوسط حتى ولو كان ذلك بشكل جزئي. فإذا كان الأمر كذلك فإن عدد المعلمين الذين حضروا فصولاً دراسية تتناول المنطقة بالتخصيص قد يكون أقل مما أظهره الاستقراء. قد يكون هناك ايضاً ميل لدى المجيبين ألا يقروا بعدم كفاية إعدادهم الدراسي. أخيراً، ففي المدارس التي فيها أكثر من معلم واحد لتدريس تاريخ العالم، ربما كان هناك ميل عند المدير لإحالة استمارة الاستطلاع الى المعلم (أو المعلمين) الأكثر تأهيلاً.

شكل رقم (٦ - ٢)
محتوى الفصول الدراسية عن الشرق الأوسط التي اجتازها المعلمون
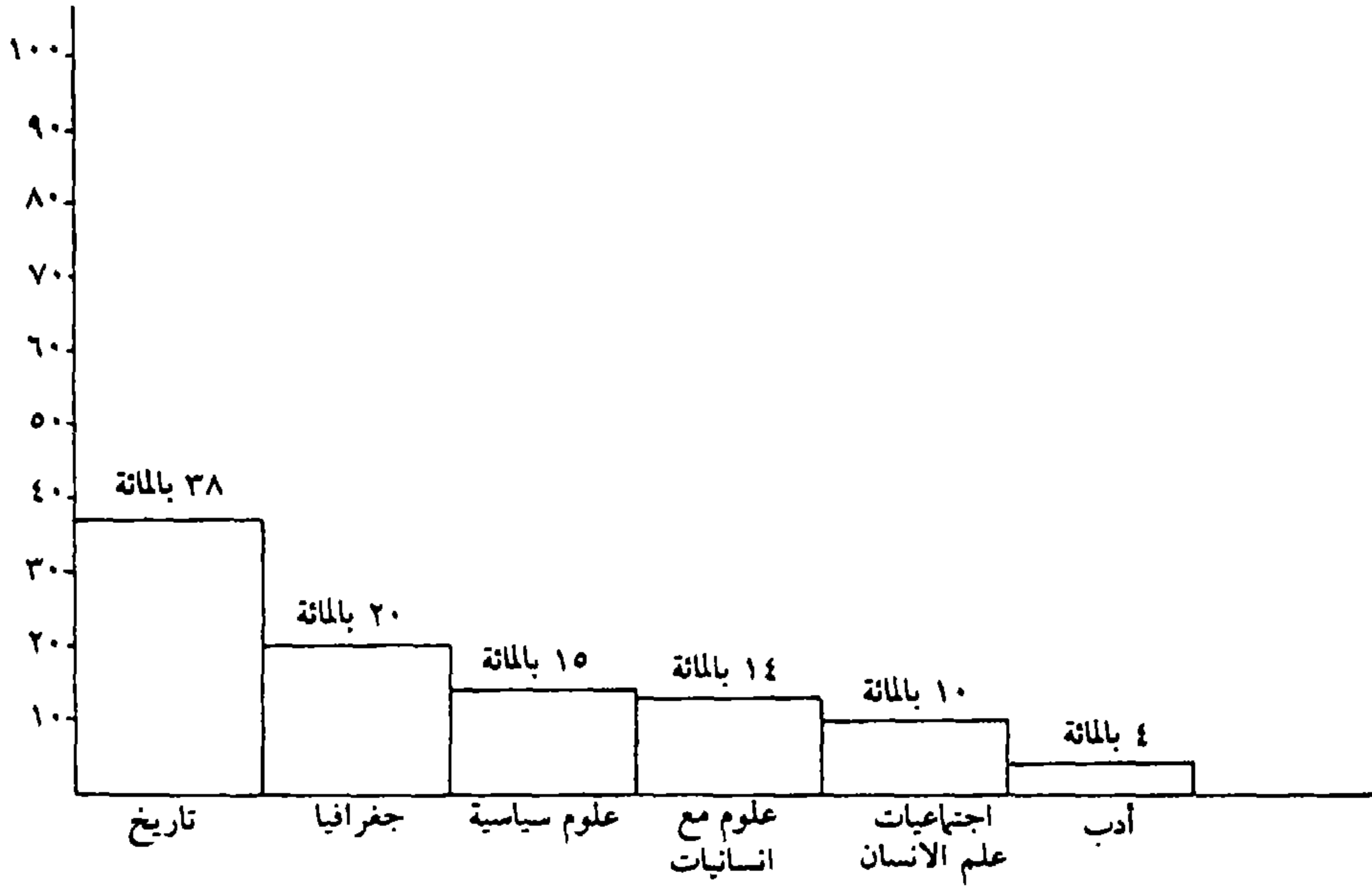
بالتغطية القاصرة لمواضيع معينة مثل الشرق الأوسط (٢٤ بالمائة)، أو أن رأي الكتاب قد تجاوزه الزمن (١٦ بالمائة)، أو أنه صعب جداً (١٥ بالمائة)، مبسط جداً (٩ بالمائة)، أو غير صالح للفصل (٤ بالمائة). ومع أن أقلية ضئيلة جداً (١ بالمائة) أمكنها أن تشير الى تحيّز بذاته في الكتب التي تستعملها فإن ٣٨ بالمائة ذكرت أن تلك الكتب ذاتها تعزز «القوالب» الجاهزة التي في أذهان تلاميذهم عن الشرق الأوسط وشعوبه.

وعندما كان السؤال الموجه يتعلق بصورة محددة بما إذا كان الكتاب يوفر تغطية وافية لمنطقة الشرق الأوسط فقد أجاب ٤٩ بالمائة فقط من النموذج بالإيجاب. وينبغي أن نتذكر أن الفصل الدراسي الذي يستعمل فيه الكتاب يحمل عنوان تاريخ العالم، والذي يؤلّف قسم الشرق الأوسط جزءاً واحداً منه فقط. والواقع أن أكثر المواد المخصصة للشرق الأوسط تتناول الحضارات القديمة. فليس من المستغرب، إذن، أن نجد ثلاثة أرباع المجيبين يرفدون الكتاب المستعمل بمواد أخرى عن الشرق الأوسط بشكل كتب أو مجلات أو رقائق تصويرية، أو بدعوة متكلمين. . . الخ. وفي الاستمارة سؤالان حول التغطية في الكتب المقررة والتأكيد الذي يوليه المدرس لفترات محددة من تاريخ الشرق الأوسط وسياسته ومدنيته. يبيّن الشكل رقم (٦ - ٣) أن الكتب المقررة توفر فيما يبدو المقدار الصحيح تماماً لتغطية الاسلام بقدر تعلق الأمر بالمدرسين. بيد أنهم يخصصون، رغم أن مؤلفي الكتب المدرسية يميلون إلى التأكيد على التاريخ القديم وعلى حضارة شعوب الشرق الأوسط، مزيداً من وقت الحصة

الدراسية للفترة الحديثة، وبخاصة للسنين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فضلاً عن ذلك، وكما يبيّن الجدول رقم (٦ ـ ١)، يولي معلمو المدارس الثانوية الأمريكية اهتماماً أكبر بمنطقة الشرق الأوسط أكثر من أي منطقة أخرى في العالم ما عدا أوروبا.

شكل رقم (٦ ـ ٣)
ما يشدد عليه المعلمون ومؤلفو الكتب المدرسية
في شأن الفترات الزمنية الخاصة بالشرق الأوسط
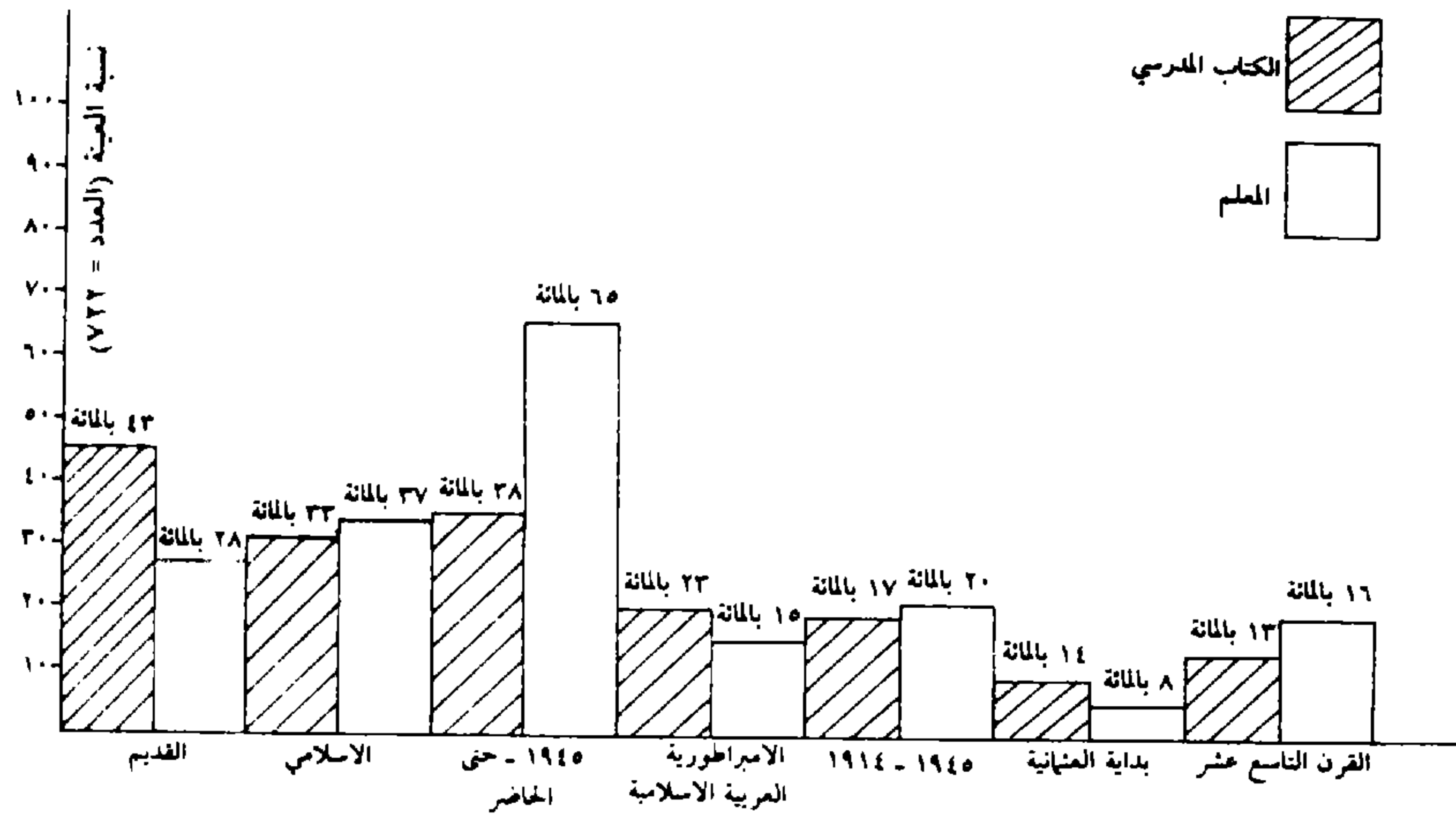
التشديد على الفترات الزمنية الخاصة بالشرق الأوسط

أظهر المعلمون معرفة غير متساوية بمنطقة الشرق الأوسط وشعوبه. فالأقطار التي هم على إلمام كبير بها هي اسرائيل (٤٤ بالمائة) ومصر (٣٥ بالمائة)[11]. أما الأقطار التي ذكروا أنهم أقل إلماماً بها، ويعني ذلك الأقطار التي يلمون بها نوعاً ما ولكنها تثير لديهم اهتماماً بمعرفة أوسع، فهي العراق (٢٠ بالمائة)، ايران (١٥ بالمائة)، سورية (١١ بالمائة)، والسعودية (١٠ بالمائة).

وتنعكس معرفتهم القاصرة بالمنطقة وشعوبها في ما ذكره ٨٥ بالمائة من المجيبين أنهم لا يعلمون بوجود أي أقوال محرفة عن الوقائع أو الآراء في شأن الشرق الأوسط في كتبهم المقررة للتدريس[12]. وظن حوالى ٤ بالمائة أن كتبهم هذه تفصح عن تحيّز لمصلحة اسرائيل، وشكا

---

(١١) تليهما تركيا (٦ بالمائة) وإيران (٤ بالمائة) والسعودية (٣ بالمائة).

(١٢) على نقيض هذا أفاد تقرير «اللجنة» الآنفة الذكر التي ألفتها «جمعية دراسات الشرق الأوسط» بما يلي: «من بين ٤٦ كتاباً عن تاريخ العالم، أو تاريخ الشرق الأوسط، أو الدراسات الاجتماعية عموماً والتي استعرضها أعضاء اللجنة اتضح أن ٢٩ منها غير مقبولة كلياً لأنها إما متحيزة، أو مليئة بالأخطاء، أو مغرضة نحو جانب واحد، أو رديئة عموماً. أما الـ ١٧ كتاباً الباقية فتتراوح بين كونها ممتازة، أو جيدة، أو مقبولة نوعاً ما رغم وجود أخطاء طفيفة أو حتى =

٣ بالمائة من التعميم المفرط. يبين الجدول رقم (٦ـ ٢) نتائج الجواب عن السؤال الخاص بالكيفية التي ينظر بها المعلمون الى بحث كتبهم لشعوب الشرق الأوسط على اختلافها. وتعزز هذه النتائج بوضوح النتائج آنفة الذكر، باستثناء ما يتعلق بالآراء حول بحث الكتب لليهود والاسرائيليين. وهنا أكد المعلمون أن تقديم المادة على وجه العموم هو لمصلحة اسرائيل ولمصلحة اليهود بحوالى ٢٠ بالمائة من المرات، هذا مع عدم علم المعلمين بوجود أقوال محرفة محددة.

جدول رقم (٦ ـ ٢)
الطريقة التي تعالج بها الكتب المدرسية
شعوب الشرق الأوسط بنظر معلمي المدارس
الثانوية الأمريكية(*) (نسب مئوية)

المجموعة	مع	ضد	محايد/متوازن	غير منظور فيها
المصريون	٩	٥	٧٧	٦(**)
المسلمون	٦	٥	٨٣	٤
الفلسطينيون	٤	٤	٥٦	٣٣
العرب	٣	٥	٨٣	٦
الاسرائيليون	٢٠	١	٦٦	١٠
اليهود	١٩	١	٧١	٦
الايرانيون	٥	٣	٦٨	٢٢
الأتراك	٥	٧	٧٧	٨

(*) سئل المعلمون عن كيفية معالجة كتبهم للمواضيع أعلاه: مع، ضد، حيادي/متوازن، أو غير منظور فيه.
(**) إذا جمعت أفقياً، فإن المجموع لا يساوي ١٠٠ بالمائة، لأن فئة «الأخرى» قد أهملت.

سئل المعلمون أن يذكروا (١) ما الذي يخطر ببال معظم تلامذتكم، و(٢) ما الذي يخطر ببالكم شخصياً، عند التفكير بشعوب الشرق الأوسط على اختلافها؟ رفض ٢٢ بالمائة من المجيبين، أي ٢٩ بالمائة من العينة، إبداء رأي عن أي من السؤالين. وادعى عدد منهم أنهم لا يستطيعون الإجابة عن التلاميذ وأنهم لا يعرفون آراءهم. وأكد آخرون أن تلاميذ الثانوية ينظرون الى شعوب الشرق الأوسط على أنهم «بعيدون في الغالب، ولعلهم من شعوب (كتب الحكايات)، وغير موجودين تقريباً.» ورأى آخرون أن التلاميذ «يتبعون القوالب الجاهزة في تكوين الصورة السلبية في أذهانهم، هذا إن كانوا قد سمعوا بتلك

= تشويهات بسيطة حول القضية العربية ـ الاسرائيلية». انظر:
Farhat J. Ziadeh, «Report of the Middle East Image in Secondary Schools Committee,» *Middle East Studies Association Bulletin*, vol. 7, no. 1 (February 1973), p. 52.

الشعوب على الاطلاق.». بيد أنه يمكن إرجاع عدم تمكن المعلمين في الأساس من إبداء آرائهم الشخصية الى ترددهم في الخوض بمسألة اتباع القوالب الجاهزة اتباعاً. وكما قال أحد المجيبين: «إن السؤال يستدعي اتباع القوالب الجاهزة؛ سأبدو سخيفاً وأشعر بالسخف في إعطائي جواباً عليه». وقال آخر على هذا المنوال: «إني أنظر اليهم كبشر، لكل منهم ثقافته، ورأيه عن العالم، مشاكله وأهوائه».

يبيّن الجدولان رقم (٦ ـ ٣) ورقم (٦ ـ ٤) النتائج الخاصة بالذين أبدوا رأياً بالفعل. وواضح أن المعلمين لا يختلفون عن تلامذتهم، هذا إن اختلفوا، في هذه النقطة إلا اختلافاً قليلاً. ولا تظهر بعض الفوارق الملحوظة بين الاثنين إلاّ في شأن ثلاثة شعوب. وهكذا فالمعلمون يميلون الى التفكير بالفلسطينيين بدرجة أقل بصفتهم عسكريي النزعة، وبدرجة أكبر بصفتهم قاسوا ما قاسوه «كضحايا للظروف». والفارق الآخر هو ميل المعلمين الأكبر الى التفكير باليهود والاسرائيليين في إطار سمات «السجية القومية».

ظهرت سمة غريبة واحدة تتعلق بالمعلمين والتلاميذ معاً، وتنعكس في الأنماط الآتية: إن المصريين والايرانيين والأتراك، والعرب أيضاً الى حدٍ ما، إنما تجري مماهاتهم بأشخاص معينين، أو بجماعات بذاتها، أو بأقطارهم، أو صفاتهم الجسدية، أو منتوجاتهم أو براعاتهم

جدول رقم (٦ ـ ٣)

آراء التلاميذ عن شعوب الشرق الأوسط
كما ذكرها معلمو المدارس الثانوية الأمريكية(*)
(نسب مئوية)

المجموعة	الشعب أو البلد	الدين	الصفة القومية	النزعة العسكرية	الأحوال في البلاد	حكومية ـ دولية	اضطهاد ضحايا الظروف
المصريون	٧٠	صفر	٥	١	٢	١٦	ـ(**)
المسلمون	١٧	٦٣	٤	١	٣	٢	ـ
الفلسطينيون	١٣	٥	٥	١٩	٦	٢٣	٢٠
العرب	٤٤	٧	٦	٣	١٥	١٨	ـ
الإسرائيليون	١٦	١٠	٨	٣	٧	٤٣	٣
اليهود	١٧	٢٣	٧	١	٤	٢١	١٨
الإيرانيون	٧٥	١	٢	١	٧	٥	ـ
الأتراك	٦٤	٣	٧	٩	٥	٤	ـ

(*) س: ماذا تعتقد أن أغلب تلاميذك يظنون حين يفكرون بإحدى المجموعات أعلاه؟ الأتراك ـ العرب. . .الخ.

(**) إذا جمعت أفقياً، فإن المجموع لا يساوي ١٠٠ بالمائة، لأن فئة «الأخرى» قد أهملت.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (ـ) إلى أن المعلومات غير متوافرة.

جدول رقم (٦ ـ ٤)
صفات شعوب الشرق الأوسط كما وصفها معلمو المدارس الثانوية الأمريكية(*)
(نسب مئوية)

المجموعة	الشعب أو البلد	الدين	الصفة القومية	النزعة العسكرية	الأحوال في البلاد	حكومية ـ دولية	اضطهاد ضحايا الظروف
المصريون	٥٠	١	٩	١	١٣	٢٢	ـ(**)
المسلمون	١٥	٦٦	٧	١	٣	٢	ـ
الفلسطينيون	١٠	٢	٥	٩	٧	١٤	٤٥
العرب	٣٤	٧	١١	١	١٧	٢٢	ـ
الإسرائيليون	١٧	٥	٢٢	٢	١١	٣٣	٣
اليهود	١٩	٢٤	١٥	١	٣	١٢	٢٠
الإيرانيون	٦١	١	٣	صفر	١٨	١٠	ـ
الأتراك	٥٨	١	٩	٤	١١	١١	ـ

(*) س: ماذا تعتقد أن أغلب تلاميذك يظنون حين يفكرون بإحدى المجموعات أعلاه؟ الأتراك ـ العرب... الخ.

(**) إذا جمعت أفقياً فإن المجموع لا يساوي ١٠٠ بالمائة لأن فئة «الأخرى» قد أهملت.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (ـ) الى أن المعومات غير متوافرة.

جدول رقم (٦ ـ ٥)
مواقف التلاميذ نحو شعوب الشرق الأوسط كما ذكرها معلمو المدارس الثانوية الأمريكية(*)
(نسب مئوية)

المجموعة	ايجابي	متعاطف	محايد	غير متعاطف	سلبي
المصريون	٢	صفر	٨٥	٣	٨(**)
المسلمون	١	صفر	٨٣	صفر	٨
الفلسطينيون	صفر	١٩	٥٢	١	٢٤
العرب	صفر	صفر	٧٩	٣	١٥
الاسرائيليون	١٤	١٢	٧٠	صفر	١
اليهود	٨	٢٣	٦٠	صفر	٥
الإيرانيون	٢	١	٨٧	١	٥
الأتراك	٢	صفر	٨٠	١	١٣

(*) س: ماذا تعتقد أن أغلب تلاميذك يظنون حين يفكرون بإحدى المجموعات أعلاه؟ الأتراك ـ العرب... الخ.

(**) إذا جمعت أفقياً فإن المجموع لا يساوي ١٠٠ بالمائة لأن فئة «الأخرى» قد أهملت.

الثقافية، أو تاريخهم. وثمة أغلبية غير قليلة تنظر إلى المسلمين في إطار ديني، في حين أن اليهود لا يحصرون حصراً في خانة واحدة أو حتى في بضع خانات. ونظر أقل من ربع المجيبين الى اليهود في إطار ديني.

حين توضع الملاحظات الآنفة الذكر في فئات حسبما إذا كانت ايجابية أو سلبية أو محايدة، كما في الجدولين (٦ ـ ٥) و(٦ ـ ٦) فمن الواضح أنه يمكن إجمال مواقف التلاميذ

جدول رقم (٦ ـ ٦)
مواقف معلمي المدارس الثانوية الأمريكية
تجاه شعوب الشرق الأوسط(*)
(نسب مئوية)

المجموعة	ايجابي	متعاطف	محايد	غير متعاطف	سلبي
المصريون	١٠	٢	٧٣	صفر	١٢(**)
المسلمون	٧	١	٨٢	صفر	٦
الفلسطينيون	صفر	٤٢	٤١	١	١١
العرب	٦	٢	٧١	١	١٧
الاسرائيليون	٢٥	٨	٥٧	صفر	٦
اليهود	١٦	٢٢	٥٤	صفر	٤
الإيرانيون	١٢	٢	٧٦	صفر	٥
الأتراك	١٢	٢	٧٥	صفر	٧

(*) س: ماذا تعتقد أن أغلب تلاميذك يظنون حين يفكرون بإحدى المجموعات أعلاه؟ الأتراك ـ العرب... الخ.

(**) إذا جمعت أفقياً فإن المجموع لا يساوي ١٠٠ بالمائة لأن فئة «الأخرى» قد أهملت.

على أنها أكثر حياداً[١٣]. بعبارة أخرى، إن المعلمين ظنوا أنهم أكثر تشبثاً بآرائهم، بمعنى أنهم أكثر استعداداً لاتخاذ موقفٍ ما من تلامذتهم. بيد أن الفارق على العموم فارق ضئيل.

(١٣) من الامثلة على الأقوال الايجابية: مصممون، جماعة دينية ذات مرونة كبيرة، أذكياء وأشداء، رجال طيبون، أبطال، وعصريون. وتتضمن الملاحظات الودية المتعاطفة: يكافحون للعثور على حل، يحتاجون الى العون والتعليم، مئات السنين وهم أكباش فداء، و«التعاطف». وتتمثل الأقوال المحايدة بـ «السكان الأوائل لفلسطين»، «التاريخ»، «الثقافة الأوروبية»، و«قدماء». ومن الأمثلة على الملاحظات غير المتعاطفة: «حجر الرحى الحديث معلقاً برقبة السياسة الخارجية الأمريكية»، و«الشعور بالتغرّض». وتتضمن الأقوال السلبية: محدثو متاعب، أشرار، غير متعقلين، و«سخفاء».

ثانياً: الصـور الفكريـة عن شعـوب الشرق الأوسط في أذهان معلمي وتلاميذ المدارس الثانوية الأمريكية

تضمن الجدولان (٦ ـ ٣) و (٦ ـ ٤) ما أفاد به المجيبون، ولكننا سنتبع الآن طريقة مغايرة بمحاولة تقديم صورة مركبة مع أمثلة عن كل جماعة أو شعب في الشرق الأوسط ورد ذكره في استمارة الاستطلاع. سيوفر هذا مزيداً من التفصيل وربما يشير الى بعض الفوارق الاضافية في تشخيصات ومواقف كل من التلاميذ والمعلمين نحو أبناء الشرق الأوسط. على أن من المهم أن نتذكر أن الاستقراء جرى في عام ١٩٧٤، أي قبل سقوط شاه ايران وقبل تقارب السادات مع الولايات المتحدة الأمريكية.

١ ـ المصريون

أشهر ما تعرف به مصر والمصريون حضارة الفراعنة القديمة. وقد أشار أكثر من ثلث المجيبين الى إعجابهم بتلك الحضارة وصروحها الممتازة القائمة حتى اليوم. وذكر بعضهم «مساهمة المصريين في الحضارة» أو أنهم «أذكياء منذ القدم.» وقرن أحد المعلمين المصريين «بميلاد الحضارة الغربية، والخلود،» وكتب آخر: «ماضٍ عظيم على الرغم من اليزابيت تايلور».

وترمز الاهرامات، بالنسبة الى التلاميذ على الأخص، الى مصر والمصريين ـ حتى كأن مصريي اليوم غير موجودين أو يحجبهم ماضيهم كلياً. بل إن بعض المجيبين زعم أن المصريين «لم يفعلوا شيئاً منذ الإهرامات،» أو أنهم «خلفٌ تافه باهت لميراث عظيم». وتكلم آخرون عن «تنقيب المصريين عن أمجاد ماضية،» أو ذكروا أنهم يحاولون أن يثبتوا اليوم أنهم في حالهم الحسن كالاهرامات».

ولم يشر سوى قليل من المجيبين نسبياً (حوالى ١٠ بالمائة) الى النزاع العربي ـ الاسرائيلي باعتباره أهم نقطة ذات صلة بالمصريين. بيد أن هناك شعوراً له علاقة ما بهذه القضية وهو شعور مناهض للمصريين أساسه موقف مصر من النزاع العربي ـ الاسرائيلي والأداء العسكري المصري الأردأ نسبياً في المواجهات المختلفة مع الاسرائيليين. ومن هنا جاءت ملاحظات كهذه: اعتدائيون، غير منظمين، يخلقون المتاعب للولايات المتحدة، يخسرون الحروب، بلا زعامة ويسهل تضليلهم، يخدعون أنفسهم، غير قادرين على إسناد تفاخرهم، جنود سيئون، أتفه من أن يستطيعوا قيادة دبابة، الخ.

قرن حوالى ربع المجيبين المصريين بالمرحلة التاريخية الأحدث زمناً. لذا وردت إشارات متكررة الى مصر وقناة السويس وسد أسوان. كما ورد ذكر الرئيسين الراحلين جمال عبد الناصر وأنور السادات. وأشار عدد من المجيبين الى المصريين باعتبارهم «زعامة القومية

العربية،» ولعلهم بـذلك يفكـرون بالـرئيس عبد النـاصر. وأخيراً، هنـاك بعض التعليقات تلمح للتأخر والفقر والتخلف والتقليدية وزيادة السكان.

وأفصحت أقلية كثيرة العدد نوعاً ما من عيّنـة المجيبين (١٠ ـ ١٥ بـالمائـة) عن مواقف لمصلحة مصر. لذا كان وصفهم للمصريين كأناس ذوي عواطف حارة، مضيافين، ودودين، واسعي الحيلة، كدودين، عصريين، «شعب جميل» و«شعب عظيم، ماض عظيم».

والخلاصة، نـظر المعلمون الى المصريـين بالـدرجة الأولى في إطـار منجزاتهم القـديمة، فالموقف في هذه الحالـة إيجابي. أمـا المرحلة الأحـدث زمناً فقـد أفرزت ردود فعـل محايـدة أو سلبية. قال أحد المعلمين إن تلامذته ينظرون الى المصريين بصفتهم «أعزاء، أذكياء، مولعين بالحروب وفقراء».

٢ ـ المسلمون

شُخِّص المسلمـون من لدن المعلمـين والتلاميـذ، على السـواء، كشعب يعتنق الـدين الاسـلامي. وكان التعبـير عن هذه الصلة بـالاشارة الى الاسـلام والنبي محمـد (ص) ومكـة والجوامع والمنائر والى ركن أو أكثر من أركان الاسلام الخمسة. كما جاء ذكر الصلاة والقـرآن والله مراراً. وحتى حين أراد المجيب أن يعـبر عن إشارة قـوية لمصلحـة المسلمين أو ضـدهـم فإنه أشار الى جانب مـا من الدين. لـذا فإن المـلاحظات المنـاهضة لـلاسلام، أو غـير الملمة بالموضـوع، أو السلبية، تضمنت: «عقيـدة دينية تخنق الابـداع»، حرب دينيـة، متعصبون، قدريون، بطيئون في قبول التغيير، يحملون عقائد ليس هذا زمانها، شعب مـولع بـالحروب، «الاسـلام له تـأثير تعـويقي»، متدينـون جـداً لكنهم مضلّلون، مخلصـون لكنهم مستغَلون، و«دين زائف». وزعم البعض ان المسلمـين هم جماعـة دينية في «حـرب مع اليهـود» أو أنهم عازمون على «تحطيم الديانة اليهودية». وعنصر «الغرابة»، وخصوصاً لدى التلاميذ، هـو من مصادر الخوف والعداء فيما يبدو. لذا، فالمسلمون بـالنسبة لبعض التـلاميذ هم أتبـاع «ديانـة غريبة، ديانة عجيبـة الأطوار، سحـرية»، وهم «شعب ذو دين مضحـك»، «دين سخيف»، «كفـار». فضلاً عن ذلـك فإن المسلمـين «يرتـدون ألبسة غـريبة الأشكـال ويمارسـون تعـدد الزوجات».

كان المعلمون أكثر ميلاً لصالح المسلمين مما كان عليه التـلاميذ بنـظر معلميهم. ونبيّن الآن بعض المـلاحظات الايجـابيـة أو الحسنـة وأنـواعهـا. فقـد وردت إشـارات متكـررة الى إخلاص ونزاهة أتباع الدين الاسلامي. كـذلك وصف المسلمـون بأنهم «ذوو كـبرياء وعنـاد وتصميم»، وأنهم «منظمون، أصحاب تراث غني، مبتكرون»، «شعب جيد، دين حسن،» «مكـرّسون، ذواقـون للجـمال ومخلصـون»، «أذكيـاء ومتعقلون، عصريـون»، «مخلصـون في معتقدهم»، «ينادون بالمساواة العنصريـة،» مسامحـون وتقاة. وذكـر بعض المعلمين أيضـاً أن للمسلمين عقائد دينية «لا تفرق بين أحد» وهي «أخلاقية بأرفـع الدرجـات،» وأن دينهم هو

«من أعظم الأديان السماوية في العالم». وكان انطباع عدد من المجيبين حسناً بسبب التقاليد الغنية والحضارة العظيمة للامبراطورية الاسلامية، فأفردوا على وجه التحديد المساهمات الاسلامية في العلوم والفنون وفي العمارة خصوصاً.

وقرن التلاميذ فيما يبدو، وبدرجة أكبر نسبياً مما فعل المعلمون، المسلمين بالصليبيين، وبالنزاع المسيحي ـ الاسلامي في القرون الوسطى وأشاروا الى المسلمين بصفتهم بربر وبرابرة وجماعة «أثارت الرعب في أوروبا الشرقية ذات يوم». فضلاً عن هذا يميل التلاميذ للخلط بين المسلمين وبين حركتي المسلمين السود والقوة السوداء في الولايات المتحدة. («يا له من أمر غريب أن ينقلب هؤلاء السود الى مسلمين»)، وذكر بعضهم محمد علي كلاي بالذات باعتباره يمثل فكرتهم عمن يكون المسلم.

ومن المثير للاهتمام أنه حين يشار الى مسلم بعينه من الشرق الأوسط ويكون المجيب قد عرف عنه شيئاً فإن الذي يذكر في كل مرة تقريباً هو شاه إيران مثلاً وليس الملك فيصل ملك السعودية الراحل. هذا على الرغم من ان بعض المجيبين يعتقدون أن «العرب» و«المسلمين» هم سواء. وباختصار، كان الدين الاسلامي وما يتعلق به هو أبرز صورة في ذهن المجيبين على أسئلة الاستقراء. ومع أن أكثريتهم استعملوا لغة محايدة فقط للاشارة الى الجماعة أو معتقداتها، ولكن بعضهم أفصح عن نفور من هذا الدين «الغريب»، في حين أبان آخرون عن إعجاب عظيم بالاسلام والمسلمين عموماً.

٣ ـ الفلسطينيون

اتجه المعلمون الى النظر الى الفلسطينيين كلاجئين في حين نظر إليهم التلاميذ كرجال عصابات. وعلى العموم بدا المعلمون أكثر فهماً بكثير لمحنة الفلسطينيين وكانوا أكثر تعاطفاً مع قضيتهم مما ظنوه بمشاعر تلاميذهم. وفي الوقت الذي أشار عدد من المجيبين، إن لم نقل أكثرهم، الى الفلسطينيين كمجرد «لاجئين» أو ضحايا الظروف فإن بعضهم جدّد اللوم عن تشردهم وشقائهم. فيما يلي أمثلة تعبر عن الاجابات التي لم تعين من الملوم عن الجريمة الموصوفة: ضحايا نزاع الشرق الأوسط، أكباش فداء ممزقون ومضطهدون، مشردون ومنبوذون، الأقارب الفقراء [في عائلة المجتمع الدولي]، المشتتون، جماعة سلبت ديارها بالخديعة، وقعوا فريسة لخضم الأحداث، شعب مطرود، شعب منسي... الخ. وتجنب قليل من المجيبين «تسمية الظنين»، وليس هذا فحسب بل كانوا فيما يبدو منزعجين لأن الفلسطينيين لم يواجهوا الحقائق، مثلاً «ضحايا تعساء للتاريخ رفضوا أن يكونوا واقعيين». بيد أن عدداً آخر أظهر اهتماماً ووضع اللوم تحديداً على قطر أو مجموعة من الناس عن محنة الفلسطينيين، كما تبيّن الأمثلة التالية: ضحايا الدولة اليهودية، ضحايا الامبريالية، ضحايا التعنت العربي ـ الاسرائيلي، ضحايا الأمم المتحدة، «ضحايا حل مفروض فرضاً لمشكلة أوروبية».

ونُظر الى الفلسطينيين، على اعتبارهم وحدات قتالية أو كتائب لحروب العصابات، بعبارات مثل: عنف، إرهابيون، مختطفون للطائرات، حرب، نزعة عسكرية، منظمة فتح، أيلول الأسود، فلسطين، جيش التحرير، الثورية، مغاوير. ووصفهم آخرون بأنهم: «جماعات إرهابية غير عقلانية»، «جماعات إرهابية في الوطن اليهودي تعارض الإسرائيليين»، أو أن لهم صلة «بفظائع العصابات الراديكالية الخاصة بالألعاب الأولمبية وخطف الطائرات والأشخاص». إن هذه الصورة عن الفلسطينيين «كلاجئين وإرهابيين» ولّدت تعاطفاً وتفهماً لدى بعض المجيبين، واشمئزازاً لدى البعض الآخر. وهذا البعض الآخر، الأقل عدداً نسبياً، يظهر معاداته وكراهيته للفلسطينيين في ملاحظات مثل: جبناء، ثوار يساريون وقطاع طرق شيوعيون، متطرفون، مثيرو اضطرابات، يسببون المتاعب للولايات المتحدة، أشرار جداً، متعصبون، «غير متعقلين، عنيفون، مضلّلون،» قساة، حمقى، مجانين، مغتابون، «مجموعة مصطنعة تستبقى لأغراض دعائية،» أو محض «مجموعة عديمة الجدوى من الناس». بيد أن نسبة أكبر من المجيبين وبخاصة بين المعلمين الذين يعبرون عن أنفسهم هم (لا عن آراء التلاميذ) شعرت بتعاطف أكبر نحو الفلسطينيين وعبّرت عن الحاجة لحل مشكلتهم. مثلاً، أشار هؤلاء الى الفلسطينيين باعتبارهم «مرفوضين، غير محبوبين، لا يهتم بهم أحد،» أسيء فهمهم جداً، و«يتجاهلهم الجميع». وأشاروا الى «الموت، اليأس، الاستغلال،» عدم توافر العدالة، المأساة «شيء من الإشفاق على مشاكلهم،» كما اعتقدوا ان الفلسطينيين «يريدون حياة بسيطة،» و«يستحقون معاملة أفضل». وذكر مجيب آخر أن الفلسطينيين هم «اشخاص مهجّرون عن وطنهم؛ وغضبهم له ما يبرره، ويجب أن تحل مشكلتهم قبل أن يحل السلام في الشرق الأوسط».

وكان من المثير للاهتمام أن قليلاً من المجيبين نسبياً أشاروا الى تاريخ فلسطين القديم أو التوراة أو الأرض المقدسة. على أن الأهم من هذا أن قليلاً جداً من المجيبين ذكروا صلب المشكلة، أي النزاع الفلسطيني - (الصهيوني - الإسرائيلي) بعبارات مباشرة ومحددة. إن أبرز سمات الفلسطينيين، إذن، بالنسبة لهؤلاء المعلمين وتلامذتهم هي سمة اللاجئين أو الشعب المشرد الذي يستخدم وسائل عنيفة انتقاماً أو لاسترداد وطنه.

٤ - العرب

بما أن هذا الاستقراء قد أجري بخاصةً بعد بضعة أشهر من حرب تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٧٣ بين العرب وإسرائيل وفي وقت فرضت فيه الأقطار العربية المنتجة للنفط حصاراً على مبيعات النفط للولايات المتحدة وغيرها من الأقطار التي اعتبرت مساندة لإسرائيل، فإن كلمة «العرب» كانت تقترن كل الاقتران بالنفط في أذهان العديدين (٢٥ - ٣٠ بالمائة) من المجيبين. وقد ذكر أغلبهم مجرد كلمة «النفط» للتعبير عن مشاعرهم. غير أن آخرين أشاروا على وجه التحديد الى «مقاطعة نفطية»، «حصار»، «نزاع نفطي»، «ابتزاز»،

أو الى «شحة الغاز». ووصف بعضهم العرب بـ «سراق سعر النفط»، «مكتنزي النفط» أو «أشرار قطعوا عنا نفطنا».

والظاهر أن النفط والصحراء يقترنان اقتراناً وثيقاً في عقول الناس، على الأقل بقدر ما يتعلق الأمر بالعرب. لذا فقد رأى عدد من المجيبين في العرب شعباً صحراوياً، أو رعاة للإبل، أو قوماً رحّل، أو بدويين، أو كما قال أحد المعلمين «جماعات متشردة تائهة في الصحراء.» يتضمن هذا التصور كذلك صوراً عن قوافل الجمال وهوادج الجمال وشيوخ العشائر والحريم والخيل. إن هذه بالنسبة الى البعض حياة رومانسية، وعلى حد تعبير أحدهم فإن العرب «بدويون وأنا معجب بهم»، وهم بالنسبة الى الآخرين «أناس رحّل لم يساهموا إلا بالقليل منذ ألفي سنة».

وإذ تحتوي الصورة الآنفة بعض المواقف السلبية، فقد ذكر عدد من المجيبين (١٠ - ١٥ بالمائة) مشاعر مضادة للعرب على وجه التحديد ونسبوا إليهم صفات «رديئة». وهكذا فثمة إشارات للعرب كإرهابيين، أنانيين، انتقاميين، مولعين بالحروب، أشرار، مثيرين للمتاعب من درجة دنيا، وقحين، يخدعون أنفسهم، قبليين، متعصبين، محبين لذواتهم، غير عقلانيين ومغتابين. كذلك نظر بعض المجيبين الى العرب في إطار «النزوات الجنسية والتفسخ»، «الفقر الظاهر للعيان والمهين»، أو بصفتهم «مجانين مع قليل من المنطق فقط». والتلاميذ على الأخص، حسبما يقوله المعلمون، يكنون مشاعر قوية معادية للعرب كما عبروا عنها في الإجابات التالية: «أثرياء نفط»، «تجار حروب يتكالبون على السلطة»، «مستغلون للنفط وبدائيون»، جبناء، دونيون، محتالون، قذرون، أغبياء، أو برابرة غير متمدنين. والعرب بالنسبة الى بعض التلاميذ «رحّل مغفلون يحملون الخيام على ظهورهم»، في حين نظر اليهم آخرون وكأنهم في زعمهم «دبيب يقتل اليهود ويمنع النفط.»

وثمة نتيجة واحدة مثيرة للدهشة نجد فيها أن المعلمين لم يقرنوا النزاع العربي - الاسرائيلي بالعرب إلا في مرات قليلة (٥ ـ ٧ بالمائة)، مع أن هذا النزاع ترك أثره في مشاعر المجيبين عند إشاراتهم لقضايا أخرى (مثل النفط، الشعور المعادي للعرب، الخ.) بيد أنه حين أبديت مثل هذه الملاحظات المحددة قُدِّم العرب أساساً كتبع للإسرائيليين لا بموجب حقهم الخاص. مثلاً: «ضد اليهود»، «تهديد لإسرائيل»، «كراهية اليهود»، «معارضون لليهود،» الخ. ووصفهم أحد المجيبين بـ «المعتدين في الشرق الأوسط»، كما طالب آخر أن «يترك العرب الاسرائيليين وشأنهم، وأن يتوقفوا عن مقاتلتهم». وبدا أن أحد المعلمين كان «مبلبلاً» اختلطت عليه الأمور فسأل ببساطة: «هل وعد الله الأرض المقدسة لليهود أم للعرب؟».

كذلك جرت مماهاة العرب، من بعض المجيبين على الأقل، بالمصريين أو السعوديين أو العراقيين، أو «المقيمين في الأقطار العربية،» أو شعب الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. فضلاً عن ذلك فإن بعض المعلمين والتلاميذ لم يستطيعوا التمييز بين العرب والمسلمين.

كذلك، ففي حين أشار بعض المعلمين الى تفرّق العرب فقد أشار البعض الأخر الى عامل التوحيد في القومية العربية.

وبينما عبّرت أقلية غير صغيرة عن عاطفة معادية للعرب، فإن البعض (من المعلمين بالدرجة الأولى) أبدى، مع ذلك، مواقف قوية إيجابية أو محبذة نحو العرب و/أو أكد نقاط قوة العرب من دون نقاط ضعفهم. وهكذا وصفوا العرب كودودين وذوي عواطف حارة، «نبلاء، ذوي كبرياء، مضيافين» و«مضيفين أرقّاء». هؤلاء الناس الذين «دفعوا الى الخلف وسحقوا أمداً طويلاً»، قد «أسيء فهمهم» في الغرب وهم يعانون من «القوالب الذهنية» التي تنشرها «صحافة سيئة». وذكر مجيبون آخرون «مساهمات العرب في الحضارة، بخاصة في الفلسفة والآداب والرياضيات والعلوم». فضلاً عن ذلك فإنهم «مؤسسو دين من أعظم الأديان السماوية في العالم». لقد أعطى العرب «كثيراً جداً لثقافة الغرب وإغنائه»، وهم «شعب متدين عزيز النفس يشعر بأنه ظُلم». إنهم الآن ينهمكون في عملية التحديث بنشاط و«ينتقلون من المشيخات الى الحكومات الثورية». وأخيراً، نُظر إلى العرب باعتبارهم «أمة ناهضة، تكافح لاسترداد هويتها».

وباختصار، إذن، فقد قُرن العرب بالنفط والصحراء ونُظر إليهم في الغالب نظرة سلبية، وخصوصاً من قبل التلاميذ. كما نظر اليهم كمسلمين يقيمون أساساً في الشرق الأوسط وهم «أعداء لإسرائيل». وأكد بعض المعلمين صفات العرب الطيبة. وفيما عدا النزاع العربي ـ الاسرائيلي تجمل الاجابات التالية رد الفعل المختلط: «بغداد، محمد، الاسلام، النفط، سكان البدو، أشخاص ودودون».

٥ ـ الاسرائيليون

لا شك أن ما يبرز في أذهان المجيبين (وخصوصاً التلاميذ) كلما ذكر الاسرائيليون هو النزاع العربي ـ الاسرائيلي أو جانب من جوانبه مثل أحد حروب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣. وفي الكلمات الحادة التي كتبها أحد المعلمين يذكّره الاسرائيليون بحالةٍ كحالة «برميل من بارود». والصلة الذهنية التي تلي ذلك في كثرة تكرارها إنما تساوي الاسرائيليين باليهود أو الصهاينة أو شعب اسرائيل.

ومن الصور التي تحملها الأذهان بصورة واسعة صورة الاسرائيليين باعتبارهم كدودين في العمل وتقدميين. يتمثل عمق هذه الصورة بالعبارات المستعملة لوصف الاسرائيليين: متقدمون تقدماً كبيراً، وحسنوا التنظيم، مثاليون، نشطون (ديناميون)، واسعوا الحيلة، وأذكياء. وذكر آخرون مجرد عواطفهم «المؤيدة» أو المحبذة، من دون إشارة صريحة مثل «احترام، احترام، احترام». والصفة الأخرى التي قرنها المجيبون بالاسرائيليين هي التصميم لكسب وطن، القتال من أجل البقاء، أو «ضد معوقات عظيمة». وقد قالها أحد المعلمين

على هذا النحو: «شعب تكررت مواجهته للموت كثيراً حتى صارت الشجاعة لديه طريقة حياة». وذكر آخر: «ألقاهم ناصر في البحر. مصممون». ووُصف «القتال» ذاته بعبارات في مصلحتهم عموماً مثل «جنود جيدون، مقاتلون أشاوس، جيش قوي، استراتيجيون عسكريون لامعون، الخ». بيد أن البعض رأى أن الاسرائيليين أخذوا يصبحون عسكريي النزعة، فاتحين، أو دولة عسكرية. وبما أن الاستقراء أجري بعيد حرب تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣، اكتفى بعض المجيبين بذكر أسماء الزعماء الاسرائيليين ومنهم غولدا مئير وموشي دايان في المقام الأول.

عبّر المعلمون بالذات عن انتقادهم للإسرائيليين بعبارات محددة جداً. فقد وصف بعض المجيبين الزعماء الاسرائيليين كمعتدين، لا يشعرون بالمسؤولية، متغطرسين، يظنون أنهم أقوم خلقاً من الآخرين، مزهوّين بأنفسهم، أو «عنصريين واعتدائيين جداً». ونعتهم آخرون «بالصهاينة التوسعيين»، «المتطفلين على العالم العربي»، «أشراراً يحملون القنابل»، «دولة استعمارية معتدية في القرن العشرين»، «دولة قومية تحتل أراضي غيرها» و«امبرياليين، جشعين يتكالبون على الاستيلاء على الأراضي العربية». ووصفهم أحد المعلمين بـ «الطفيليين على الولايات المتحدة» ودعاهم آخر «حجر الرحى المعلق برقبة السياسة الخارجية الأمريكية».

وباختصار، ليس هناك غير قليل من الفارق بين آراء المعلمين وآراء تلامذتهم في مواقفهم نحو الاسرائيليين. فقد ذكر المجيبون النزاع العربي ـ الاسرائيلي واليهود، والقتال الممتاز، فضلاً عن الروحية القتالية للاسرائيليين. بيد أن شيئاً من الانتقاد تركز على ما لوحظ من عنجهية اسرائيلية وتوسع إمبريالي. ولعل خير خلاصة هي التي وردت في ملاحظة على لسان أحد المجيبين: «عصريون، غربيون، فخورون، لا يطاقون».

٦ ـ اليهود

قرن التلاميذ والمعلمون، على السواء، اليهود بالشقاء والتفرقة والاضطهاد، وبالنازيين وتجربة الحرب العالمية الثانية. كذلك نظروا إلى اليهود كمستضعفين في الشرق الأوسط. وبما أن اليهود كانوا «مدعاة كراهية» و«أكباش فداء مدة قرون»، «يكافحون من أجل البقاء»، فقد أفصح المجيبون عن تعاطفهم معهم، وقال البعض إنهم في «حاجة الى تفهم» أو إنهم «يجب أن يتركوا وشأنهم».

وقرن المجيبون اليهودَ بالدين والتوحيد وموسى والوصايا العشر، بعدد المرات تقريباً التي قرنوهم فيها بالاضطهاد. ويقرب من هذا ما ورد من ملاحظات لبعض المجيبين تذكر صراحةً وجود وشيجة أو مماهاة شديدة مع اليهود على أسس دينية. من الأمثلة على ذلك: «شعب متدين يعود الى زمن المسيح»، «يحققون نبوءة العهد القديم»، «شعب الله المختار»،

وقال أحدهم: «أنا مسيحي، لذا فإني قريب منهم في المعتقد الديني».

اتجه عدد من المجيبين (حوالى ١٥ بالمائة) إلى أن يقرنوا اليهود بإسرائيل أو الصهيونية أو بجانب من جوانبها. فاليهود بنظر أحد المعلمين شعب «يهتم بمشروع (اسرائيل)». وأشار آخرون الى فلسطين، أو القدس، أو وعد بلفور، أو «تأسيس الدولة اليهودية». ويتصل بهذا، ولو بدرجة أقل، ما ورد من إشارات الى النزاع العربي ـ الاسرائيلي أو أحد وجوهه.

ثمة أقلية كبيرة العدد بين التلاميذ والمعلمين معاً ذكرت على وجه التخصيص بعض السجايا الايجابية فنسبتها الى اليهود مثلاً: «أقوياء، مثقفون، يحبون التعلم، مجدّون، متشبثون، بُناة، نشيطون، أكفاء، شجعان،»... الخ.

والفارق الملموس الوحيد بين مواقف المعلمين والتلاميذ يتعلق بقالب ذهني واحد، مألوف، عن اليهود. لذا أُبلغ عن التلاميذ أنهم يفكرون باليهود في اطار المال والأعمال. مثل هؤلاء التلاميذ نظروا الى اليهود كأثرياء، مستغلين، أوباش، متهالكين على المال، بخلاء، جشعين.

وباختصار، يمكن القول إن كلمة «اليهود» أوحت للمجيبين بعدد من الصور في أذهانهم كانت متعاطفة أو ايجابية الى حدٍ كبير. إن تنوع هذه الصور عن اليهود يناقض بشدة الاقتران الطاغي الذي ظهر عند ربط «المسلمين» بالدين الاسلامي. فقد نُظر إلى اليهود بصفتهم عانوا الاضطهاد، وعلى أنهم ينتمون الى دين وثيق الصلة بالمسيحية، وكجماعة توجه وجهها نحو اسرائيل أو لها علاقة بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي. كذلك جاء ذكر خواص ايجابية محددة. ولعل الملاحظات التالية التي ذكرها إثنان من المجيبين تحمل أغلب ما ورد آنفاً: «مضطهدون، ومجدّون، شعب متدين، ولعل لديه استعداداً للمشاجرة».

٧ ـ الايرانيون (الفرس)

إن أقل ما يعرفه التلاميذ والمعلمون معاً عن شعوب الشرق الأوسط هو ما يعرفونه عن الايرانيين. والملاحظة التي قالت إنهم «مجرد جماعة أخرى من الأجانب»، وقد جاءت من التلاميذ، تنطبق على المعلمين أيضاً ولو بدرجة أقل. أما الأكثر إلماماً بالايرانيين منها فقد نظروا إليهم أساساً في إطار التاريخ القديم والحضارة الخالدة. كانت الإشارات عديدة الى فارس القديمة وداريوس والحروب الفارسية والاسكندر الأكبر والزردشتية، و«التراث الثقافي العظيم». ويلي ذلك في تعدد الإشارات للنفط والثروة التي نتجت منه.

ويبدو أن الشاه هو الذي يرمز الى إيران في الولايات المتحدة وبخاصة بالنسبة الى الطلاب. ومع أن المعلمين ذكروه كذلك مراراً لكنهم مالوا أكثر الى ذكر السجاد الإيراني وحياكة السجاد والصناعة اليدوية. كذلك نظرت كلتا الفئتين، وخصوصاً المعلمين، الى

إيران بصورة عامة كقطر مؤيد للغرب، وصديق للولايات المتحدة. وذكر آخرون من كلا المجموعتين أن الإيرانيين هم مجرد شعب يعيش في إيران، وأنها قطر في منطقة الخليج. وعبّر قليلون عن مشاعرهم الودية أو المحبذة للإيرانيين.

بيد أن هناك بعض الفوارق بين آراء المعلمين وبين ما يعتقدون أنها آراء تلامذتهم عن الإيرانيين. لذا لم يقع أي من المعلمين تقريباً بأي خطأ في الوقائع في إشاراتهم الى إيران. على أنهم يزعمون (وبحق) أن التلاميذ يميلون الى الخلط بين الإيرانيين والعرب و/أو بين إيران والعراق. وأظهر المعلمون كذلك حذقاً أكبر حين ذكروا ليس فقط تخلف البلاد (وهو ما يدور في أذهان التلاميذ كثيراً) بل أيضاً التحسينات والتنمية الاقتصادية التي يقوم النظام بدفعها الى الأمام. ولعل الأهم والأكثر صلة بالموضوع هو إشارة عدد من المعلمين الى «الاستقرار السياسي في القطر».

وباختصار، فإن الصورة التي برزت هي أن الإيرانيين ليسوا معروفين جداً. والظاهر فيما يبدو أن المعلمين أكثر إلماماً بالتراث الفارسي القديم منهم بإيران اليوم. فإيران المعاصرة إنما هي معروفة جيداً بنفطها وبالشاه.

٨ ـ الأتراك

إن ذكر الأتراك يثير في أذهان معلمي المدارس الثانوية الأمريكية وتلامذتهم أفكاراً عن الامبراطورية العثمانية ومجدها وقسوتها وتهديدها لأوروبا المسيحية وبعض سلاطينها الذين حكموا الامبراطورية. والظاهر أن هذه الفترة من التاريخ التركي تبرز كذلك صورة الاتراك المقاتلين، المعتدين. والأتراك، بالنسبة الى التلاميذ على الأخص، هم قوم شداد ذوو تصميم، مقاتلون أشاوس، فاتحون، قراصنة، فرسان متوحشون، متعطشون للدماء، همجيون وبرابرة. أما أوصاف المعلمين لهم فمشابهة لهذه وإن كانت أكثر إيجابية بعض الشيء، مثلاً، تأكيدهم على فكرة أن الأتراك مقاتلون جيدون أو محاربون عظام. وذكر كل من المجموعتين مراراً المخدرات والعقاقير المهدئة وزهور الخشخاش (نباتات الأفيون). وكما قال أحد المعلمين فإن الأتراك «ساسة ماهرون في الحصول على نقود الأفيون من الولايات المتحدة».

ومن المستغرب أن يشير عدد غير قليل نسبياً (حوالى ٥ بالمائة) من المجيبين إلى الأتراك بصفتهم مجرد «شعب تركيا» أو «يعيشون في الشرق الأوسط» أو «أناس في الشرق الأوسط» أو يقرنون تركيا باسطنبول ـ القسطنطينية لا غير. وأشار قلائل الى «تخلف» أو فقر البلاد أو إلى أن الأتراك مسلمون. وذكر بعض المعلمين والتلاميذ أن الأتراك عرب متأوربون، أو، كما قال أحد المعلمين «جماعة عربية محايدة».

وغالباً ما يقرن التلاميذ فيما يبدو، على خلاف معلميهم، ذكر الأتراك بالصليبيين، أو يظنونهم «شعباً آخر»، «مكاناً على الخارطة» أو كشعب يرتدي حللاً مضحكة، خصوصاً العمائم والطرابيش.

ويشخص المعلمون (ولكن ليس تلامذتهم فيما يبدو) الأتراك بوضوح على أنهم حلفاء لأمريكا في منظمة المعاهدة المركزية (سنتو) وفي منظمة حلف شمال الأطلسي (ناتو). ويثمنونهم كأصدقاء للغرب وأعداء للاتحاد السوفياتي. يضاف الى ذلك أن هناك إدراكاً أكيداً لأهمية تركيا الاستراتيجية للدفاع الغربي. وأخيراً، غالباً ما أشار المعلمون الى الاصلاح والتحديث وانتهاج المدنية الغربية في تركيا، على خلاف التلاميذ الذين رأوا فيما زعموا تخلفاً فيها.

وباختصار، لا يفكر عيّنة المجيبين كثيراً في إطار تركيا الحديثة بل في إطار الامبراطورية العثمانية والتناحر الاسلامي ـ المسيحي في العصور الوسطى وبسالة الأتراك العسكرية وقضية المخدرات (زراعة الخشخاش) وتخلف البلاد الاقتصادي. وتمثل تركيا، بالنسبة الى المعلمين، موقعاً استراتيجياً وعضوية في التحالفات العسكرية الغربية.

ثالثاً: نتائج وتوصيات البحوث الجارية عن الشرق الأوسط: التفاعل بين المحقق والمستجيب

١ ـ في البحوث الاستقرائية الجارية عن الشرق الأوسط، حتى ما يجري منها عن طريق استمارات الاستطلاع المرسلة بالبريد، يؤثر اسم المحقق، الاسم الذي يشخص دينه وقوميته وخلفيته العرقية، في الأجوبة التي يقدمها المجيبون حتى وهم يسجلون الوقائع.

٢ ـ من المحتمل أن تؤدي استمارة الاستطلاع عن الشرق الأوسط الموقعة من شخص نبرة اسمه عربية/ إسلامية أو نبرة اسمه يهودية/ إسرائيلية، إلى إحدى النتائج التالية:
أ ـ تحقيق نسبة إجابة منخفضة (مثلاً، بالنسبة لسليمان في نيويورك وكوهين في كولورادو).
ب ـ تحفيز المجيبين على الإجابة بطريقة تنقل الى المحقق ما يظنون أنه يريد سماعه (مثلاً، إعطاء جواب أكثر إيجابية لسليمان عن آراء التلميذ المتصورة عن العرب والأتراك؛ الزعم بأن المعلم يؤكد على الاسلام في الصف؛ تقديم جواب أكثر إيجابية لكوهين في شأن الإسرائيليين واليهود، الخ.).

ج ـ بلبلة المجيبين وجعلهم يجيبون عشوائياً.

د ـ تنبيه المجيبين الى «الصفة الأجنبية» للمحقق وجعلهم يحترسون من أجل ضرورة

حماية اسم أمريكا الطيب. (مثلاً كان عدد مجيبي كوهين أو سليمان الذين قالوا إن كتبهم تعزز القوالب الذهنية عن شعوب الشرق الأوسط أقل بدرجة كبيرة وذات مغزى من عدد مجيبي برادي).

هـ ـ ثمة اهتمام أكبر لدى أغلب المجيبين، بكوهين (اليهود، الإسرائيليون) ورغبة أكبر في الإجابة بطريقة مقبولة ومفرحة له (ولأولئك) مما هو الحال مع سليمان (العرب ـ الأتراك ـ المسلمون).

٣ ـ يحتمل أن تتجنب المعلمات جرح مشاعر المحققين أكثر بكثير من المعلمين (مثلاً، بينما تؤكد المعلمات لكوهين الصورة السلبية في أذهان التلاميذ عن العرب نجد أنهن يقللن من تأكيد هذه الصورة عند إجابتهن لسليمان).

٤ ـ أظهر المعلمون من أصول عرقية متنوعة، خلافاً لغيرهم من المعلمين من أصول أنغلوسكسونية وجرمانية، أظهروا افتقاراً للانسجام أو الالتزام أو الاعتقاد في آرائهم حول بعض قضايا الشرق الأوسط. وبالتالي كانوا أكثر تأثراً باسم المحقق (مثلاً، أجاب الأمريكيون من أصول عرقية متنوعة بعبارات ايجابية عن الفلسطينيين بنسبة ٣٥ بالمائة فقط الى برادي و٤٨ بالمائة الى كوهين و٧٦ بالمائة الى سليمان).

٥ ـ كان المعلمون من أتباع الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانية أكثر احتمالاً من غيرهم في إظهار الانسجام أو الالتزام أو الاعتقاد في آرائهم حول بعض قضايا الشرق الأوسط، فكانوا بالتالي أقل تأثراً باسم المحقق (مثلاً، المجيبون البروتستانيون والكاثوليك أجابوا جميع المحققين بإجابات متشابهة نوعاً ما حول الفلسطينيين؛ لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لغيرهم الذين «فصّلوا» إجاباتهم على «مقاس المحقق» لادخال السرور في قلبه).

رابعاً: المعلمون والكتب المقررة وتغطية الشرق الأوسط في فصول تدريس تاريخ العالم في المدارس الثانوية الأمريكية

١ ـ إن في أذهان معلمي الثانويات قوالب جاهزة محددة وتحيزات أكيدة عن شعوب الشرق الأوسط. ولعلهم لا يختلفون في هذا عن غيرهم من المتعلمين الأمريكيين. بيد أنهم لا يدركون أساساً أنهم متحيزون أو ما هي هذه التحيزات.

٢ ـ يُظهر المعلمون والتلاميذ موقفاً محايداً على العموم حيال شعوب الشرق الأوسط.

٣ ـ فيما عدا «اسم المحقق» فإن أهم عامل اجتماعي ـ اقتصادي في تفسير موقف المجيبين حيال شعوب الشرق الأوسط هو عدد الفصول الدراسية الجامعية «الكورسات» التي اجتازها المعلمون.

٤ ـ تخصص الكتب المدرسية المقررة لتدريس تاريخ العالم ٨ ـ ١٠ بالمائة عادةً من تغطيتها

لتاريخ وحضارة وسياسة الشرق الأوسط. وفي الغالب تتناول أكثر المواد الحضارات القديمة. بيد أن اهتمام المعلم وتغطيته للمادة في الصف يتجهان الى التركيز على المرحلة الحديثة من القرن العشرين.

٥ ـ مع أن تغطية شعوب وأقطار الشرق الأوسط في كتب تاريخ العالم المدرسية هي على العموم تغطية غير وافية ومتحيزة، فإن أغلب معلمي المدارس الثانوية (٨٥ بالمائة) لا يدركون هذا التحيّز.

٦ ـ إن المعلمين الشباب (٢٥ سنة أو أقل) و/ أو المعلمين من أصول أنغلوسكسونية يقرون بأن كتبهم المدرسية تعزز القوالب الذهنية في شأن الشرق الأوسط أكثر مما يقر بذلك المعلمون الأكبر سناً (٢٦ سنة فأكثر) أو المعلمون من أصول جرمانية.

٧ ـ إن أغلبية معلمي الثانويات لتدريس تاريخ العالم (٥١ بالمائة) لم يحضروا قط أي فصل دراسي جامعي يتناول الشرق الأوسط.

٨ ـ إن أغلبية المعلمين (٥٢ بالمائة) الذين يدّعون أنهم مؤهلون بصورة وافية لتدريس القسم الخاص بالشرق الأوسط في فصل تدريس تاريخ العالم لم يحضروا قط فصلاً دراسياً واحداً جامعيّ المستوى عن المنطقة.

٩ ـ بدأ المعلمون الذين اجتازوا أربعة أو أكثر من الفصول الدراسية الجامعية عن الشرق الأوسط باتخاذ مواقف أكثر إيجابيةً حيال الأتراك وبتشخيص تحيّز التلاميذ ضد العرب.

٩ ـ إن القطرين اللذين يلم بهما الأمريكيون أوسع الإلمام من بين أقطار الشرق الأوسط هما إسرائيل ومصر.

تـوصيــات

(١) على الأساتذة والمؤلفين الأمريكيين عن الشرق الأوسط أن ينبهوا التلاميذ والقراء الى التحيزات المسبقة الوجود في أذهانهم حول شعوب الشرق الأوسط، وخصوصاً منها الشعب العربي. وبما أن التلاميذ والقراء لا يعرفون بتحيزاتهم ذاتها فلن يكون للمادة التي يقرأونها أو يسمعونها التأثير المقصود ما لم يشر الى تلك التحيزات.

(٢) ينبغي طلب وتوفير الأموال لإسناد الفعاليات الآتية والمصممة لتحسين كفاءة مدرسي الثانويات الأمريكية لموضوع الشرق الأوسط ككل، بما فيه الوطن العربي. وبما أن المدارس الثانوية تعامل الشرق الأوسط كوحدة واحدة فلا بد أن تكون المادة عن العرب والوطن العربي جزءاً من الفصل الدراسي عن الشرق الأوسط وذلك لتشجيع استخدام المعلمين لها وتسهيل ذلك عليهم.

(أ) الاشتراك في الندوات (الصفوف التدريسية) التي تعقدها مؤتمرات معلمي المدارس

الثانوية للاجتماعات وذلك لغرض تقديم معلومات صحيحة عن الشرق الأوسط، خصوصاً عن الوطن العربي.

(ب) إقامة مجموعات عمل أو حلقات دراسية عن «الشرق الأوسط في المدارس الثانوية».

(ج) يجب القيام بدراسة شاملة للمواد المقررة لتدريس الاجتماعيات في المدارس الابتدائية والثانوية للكشف عن المعلومات الخاطئة والتحيز والتشويه في شأن شعوب وثقافات الشرق الأوسط. وينبغي عندئذ نشر النتائج وتوزيعها على رجال التعليم ومؤلفي الكتب المدرسية وناشريها.

(د)تحضير ونشر «دليل المعلمين» عن الشرق الأوسط للمدارس الابتدائية والثانوية.

(هـ) تهيئة سلسلة من الأشرطة والرقائق المعدة جيداً للاستعمال في الصفوف، يكون موضوعها الفن والعمارة والثقافة العربية/ الاسلامية، ويمكن أن تستأجرها المدارس الثانوية لقاء رسم بسيط.

(و) إقامة معاهد صيفية عن الشرق الأوسط ككل أو عن الوطن العربي لمعلمي الثانويات.

(ز) يجب تشجيع وإسناد الدراسات عن وسائل الاتصالات الأخرى (الأدب الرائج شعبياً، المجلات، الصحف، الراديو، التلفزيون والسينما).

الفصل السابع

تأييد الجمهور الأمريكي لأقطار الشرق الأوسط: ١٩٣٩ - ١٩٨٥

إن الغرض من هذه الدراسة هو تقديم بيانات عن المواقف الأمريكية، كما تعكسها استطلاعات الرأي، عن شتى المواضيع المتعلقة بالشرق الأوسط وشعوب تلك المنطقة. وتمتد الفترة الزمنية للدراسة من أواخر الثلاثينات الى أواسط الثمانينات. ومن المأمول أن يوفر هذا إطاراً زمنياً كافياً (٤٦ عاماً) لغرض التحليل اللائق والاستنتاج الصحيح[١]. سيمكننا هذا العرض كذلك من المقارنة والمغايرة بين شتى وكالات استطلاع الرأي وذلك في إطار صياغة الاسئلة ومحتواها. ولا ندّعي هنا أن الرأي العام يقرر أو يؤثر كثيراً في سياسة الحكومة أو في الشؤون الخارجية. والواقع أن البينة المتيسرة تشير فيما يبدو الى نتيجة معاكسة، الا وهي أن «الرأي يتبع السياسة» و/ أو أن الحكومة التي في السلطة غالباً ما تحاول التلاعب بالرأي العام[٢]. مع ذلك فالمواقف لا تتغيّر بسهولة أو بسرعة. فضلاً عن ذلك فإن وجود آراء متشددة وواسعة الانتشار في أية قضية، كالقضية الفلسطينية والنزاعات العربية ـ الاسرائيلية من شأنه أن يضع حدوداً لا يتجاوزها واضعو السياسة إلا بالمجازفة بإثارة استياء شعبي أو

---

(١) للاطلاع على دراسات أخرى حول الرأي العام الأمريكي عن الشرق الأوسط، أنظر:

Hazel Erskine, «The Polls: Western Partisanship in the Middle East,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 33, no. 4 (Winter 1969-1970), pp. 627-640; Seymour Martin Lipset, «Carter vs Iarael: What the Polls Reveal,» *Commentary*, vol. 64, no. 5 (November 1977), pp. 21-29; Seymour Martin Lipset, «The Polls on the Middle East,» *Middle East Review*, vol. 11, no.1 (Fall 1978), pp. 5-12; Andrew Kohut, «American Opinion on Shifting Sands,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 1, no. 2 (May-June 1978), pp. 15-18; Seymour Martin Lipset, «Further Commentary on American Attitudes,» Ibid., pp. 16-17, and Michael W. Suleiman, «National Stereotypes As Weapons in the Arab-Israeli Conflict,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 3, no. 3 (Spring 1974), pp. 109-121.

(٢) للاطلاع على مناقشة لنموذج «الموافقة ـ بعد ـ وقوع الواقعة»، أنظر:

Robert Weissberg, *Public Opinion and Popular Government* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1976), pp. 24-25.

انتخابي[3]. لذا فإن دراسة اتجاهات الرأي العام في شأن الشرق الأوسط أمر وارد وجدير بالاضطلاع.

أولاً: المواقف الامريكية حيال العرب واليهود/ الاسرائيليين

إنه لمن المحزن أن نقول، تعليقاً على عموم الوضع في الشرق الأوسط وعلى المواقف الأمريكية حيال المتقاتلين الرئيسيين فيه، أن بعض المشاعر والمواقف الأمريكية العنصرية أو اللا ـ سامية لا تزال منتشرة الى حد غير قليل، مع فارق واحد أساسي: ففي حين كانت اللا ـ سامية الموجودة في الثلاثينات والأربعينات موجهة ضد اليهود، أصبحت اليوم موجهة ضد العرب بالدرجة الأولى. هذه هي النتيجة المذهلة، وإن كانت جلية، التي تترتب من البيانات المتوافرة عن الرأي العام، والمفصلة أدناه.

في عام ١٩٣٨ اعتقد ٥٨ بالمائة من الجمهور الأمريكي أن «اضطهاد اليهود في أوروبا» كان يعود كلياً (١٠ بالمائة) أو جزئياً (٤٨ بالمائة) الى خطأ اليهود أنفسهم[4]. إن النتائج التالية المستحصلة من استقراء جرى في عام ١٩٣٩ تبدو اليوم غريبة ومفزعة[5].

ما هو البيان الذي يمثل رأيك العام عن القضية اليهودية أقرب تمثيل من بين البيانات التالية؟

ـ لليهود في الولايات المتحدة المركز ذاته كأي شعب آخر وينبغي أن يعاملوا في الأمور كافة كالأمريكيين الآخرين تماماً	٣٨,٩ بالمائة
ـ يتميز اليهود من بعض النواحي عن الأمريكيين الآخرين، لكنهم يصيرون مواطنين محترمين ونافعين ما داموا لا يحاولون الاختلاط اجتماعياً في الوسط الذي لا يريدهم	١٠,٨ بالمائة
ـ لليهود طرق مختلفة في العمل، لذلك ينبغي اتخاذ بعض الاجراءات لمنع اليهود من الحصول على سلطة أكثر مما يجب في عالم الأعمال	٣١,٨ بالمائة
ـ يجب أن نجعل سياستنا تهدف الى تهجير اليهود من هذه البلاد الى وطن ما جديد بأسرع ما يمكن دون مجانبة للانسانية	١٠,١ بالمائة

(٣) William Baur Quandt, «Domestic Influences on United States Foreign Policy in the Middle East: The View from Washington,» in: Willard A. Beling, ed., *The Middle East: Quest for an American Policy* (Albany, N.Y.: State University of New York Press, 1973), pp. 263-285, and Robert H. Trice, «Foreign Policy Interest Groups, Mass Public Opinion and the Arab-Israeli Dispute,» *Political Science Quarterly*, vol. 92 (Fall 1977), pp. 443-463.

(٤) Hadley Cantril, ed., *Public Opinion, 1935-1946* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1951), p. 381.

أنظر أيضاً الأسئلة عن انتزاع هتلر لسلطة اليهود في ألمانيا في: المصدر نفسه، ص ٣٨٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨٣.

- لا أعرف ____________ ٦,٥ بالمائة
- رفضوا الإجابة ____________ ٣,٠ بالمائة
١٠١,١ بالمائة(*)

بحثت أسئلة عدة عن مواقف خاصة «بقوة» اليهود في دنيا الأعمال وفي الحكومة. وعلى العموم رأى حوالى ثلث المجيبين أن لليهود قوة سياسية أكثر مما يجب بكثير، في حين اعتقد ٥٠ ـ ٦٠ بالمائة أن لليهود «نفوذاً أكبر مما ينبغي بكثير في دنيا الأعمال.»[٦] كذلك، فالمنفيون اليهود من أوروبا التي يحتلها النازيون كانوا يبتغون ملجأ آمناً لهم، بما في ذلك في الولايات المتحدة. مع هذا فحين سئل الأمريكيون في عام ١٩٤٢: «هل ينبغي علينا أن نسمح لعدد أكبر من المنفيين اليهود من ألمانيا أن يأتوا الى الولايات المتحدة للعيش؟» قال ٧٧ بالمائة كلا. وفي عام ١٩٤٦ لم يوافق عددٌ، بالنسبة ذاتها تقريباً (٧٢ بالمائة) على مشروع الرئيس ترومان وهو الطلب من الكونغرس السماح لمزيد من اليهود وغيرهم من اللاجئين الأوروبيين بدخول الولايات المتحدة أكثر مما كان مسموحاً به في ظل القانون السائد[٧].

مثل هذه الأحاسيس غير موجودة عموماً لدى الأمريكيين اليوم. والواقع أن الصورة الأمريكية عن اليهود والاسرائيليين هي اليوم إيجابية تماماً[٨]. مثلاً، وجدت دراسة لمعلمي الاجتماعيات في الثانويات في جنوب كاليفورنيا أن المعلمين ينظرون عموماً الى اليهود والإسرائيليين على أنهم مقاتلون جيدون، شجعان، مجدّون، ويتجهون بأفكارهم للإعمار والتطوير[٩]. وقد جرى الحصول على نتائج مشابهة من استقراء أوسع غطى خمس ولايات أمريكية بما فيها كاليفورنيا[١٠].

وإذا تغيرت الصور الأمريكية عن اليهود والاسرائيليين الى الأحسن، فإن صورة العرب لدى الأمريكيين اعتورها التغيير الى الأسوأ. إن أفضل ما يمثل الصور الأمريكية

(*) بلغت النسبة أكثر من ١٠٠ بالمائة إذ أعطى بعض المجيبين أكثر من جواب واحد.

(٦) المصدر نفسه، و *Public Opinion Quarterly*, vol. 2 (Winter 1947-1948), pp. 655 and 656.

(٧) Cantril, ed., Ibid., pp. 385 and 387.

(٨) بينما يبيّن هاريس أن الأمريكيين هم على العموم أكثر تأييداً بكثير لاسرائيل واليهود مما يعتقده يهود أمريكا، فإنه يفيد: «إذا جمعنا كل القوالب الذهنية المعادية يقدر أن ٣١ بالمائة من الجمهور غير اليهودي في الولايات المتحدة يحمل مواقف عن اليهود يمكن وصفها بمعاداة السامية». أنظر: Lillian Craig Harris, «Oil or Israel?» *New York Times Magazine* (6 April 1975), pp. 21-22, and (27 April 1975), pp. 34-35.

(٩) Yaqub Abdalla Abu-Helu, «Images of the Arabs and of Their Conflict with Israel Held by American Public Secondary School Social Studies Teachers,» (Ph.D.Dissertation, Stanford University, Calif., 1978).

(١٠) Michael W. Suleiman, *American Images of Middle East Peoples: Impact of the High School* (New York: Middle East Studies Association of North America, 1977).

السائدة عن العرب والاسرائيليين معاً قد تم الحصول عليه من دراسة أجريت عام ١٩٧٥ جواباً عن السؤال الآتي: «هل تنطبق الكلمات التالية انطباقاً أكثر على العرب أو انطباقاً أكثر على الاسرائيليين؟»[١١] إن نظرة واحدة الى الأجوبة أدناه تبين بوضوح التباين الموجود.

المجموعة	أكثر على الاسرائيليين بالمائة	أكثر على العرب بالمائة	على الاثنين بالتساوي بالمائة	لا على أحدهما بالمائة	لا أعرف بالمائة
مسالمون	٤١	٧	٩	٢٥	١٩
أمناء (صادقون)	٣٩	٦	١٣	١٨	٢٥
أذكياء	٣٩	٨	٢٦	٥	٢١
«كالامريكيين»	٥٠	٥	٨	١٧	٢١
ودودون	٤٦	٦	١٥	١١	٢٣
متخلفون	٦	٤٧	٧	١٥	٢٥
غير متطورين	٩	٤٧	١٠	١٠	٢٥
مساكين	٢١	٣٤	٩	١٥	٢٢
جشعون	٩	٤١	٢٠	٧	٢٣
متكبرون	١١	٣٧	١٩	٧	٢٦
معتدلون	٣١	٨	١٠	٢١	٣٠
يتطورون	٣٣	٢٠	٢١	٣	٢٤
برابرة	٤	٣٨	٨	٢٣	٢٨

وقد يضاف الى هذا أن اليهود الأمريكيين، إضافة الى تأييدهم القوي لإسرائيل وربما نتيجة له، هم بالتأكيد أشد عداءً في مواقفهم نحو العرب. وهكذا فالأمريكيون اليهود أسندوا، في أجوبتهم على قائمة الكلمات أعلاه، الصفات الحسنة لليهود والسيئة للعرب في كل مرة وذلك بمقدار ضعف ما يحتمل أن تسندها إليها جماعات دينية أخرى.

هذا وقد جرى استقراء للرأي الامريكي عام ١٩٨٠ فأظهر أن نسبة كبيرة من المجيبين تشعر أنه من الممكن وصف العرب بأنهم برابرة، قساة، (٤٤ بالمائة)، «غدارون، ماكرون» (٤٩ بالمائة)، «يسيئون معاملة النساء» (٥١ بالمائة) «مولعون بالحروب، متعطشون للدماء» (٥٠ بالمائة). فضلاً عن ذلك، نظرت نسبة كبيرة الى «أغلبية» العرب أو الى «جميعهم» على أنهم «ضد المسيحيين» (٤٠ بالمائة)، «معادون للسامية» (٤٠ بالمائة) «ويريدون تدمير اسرائيل والقاء الإسرائيليين في البحر» (٤٤ بالمائة)[١٢]. وأظهر الاستقراء ذاته أن الأمريكيين يحملون من

---

(١١) *The Cambridge Report*, vol. 4 (Summer 1975), p. 180.

(١٢) Shelley Slade, «The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes,» *Middle East Journal*, vol. 35, no. 2 (Spring 1981), p. 147.

الآراء السلبية عن «العرب» كفئة عامة أكثر مما يحملونه عن أقطار أو شعوب عربية معينة[١٣].

وكما أشرنا سابقاً ثمة نقاش هل أن الصور والمواقف العامة «تسبب» أو «تقرر» سياسة ما، أم أن تقرير السياسة يأتي أولاً وهذا بدوره يلون مواقف وصور الناس عن أمة أخرى؟ على أن البرهان يشير الى أنه إذا كانت لحكومة ما علاقات ودية، مع بلاد أخرى فإن مواقف الناس حيال تلك البلاد تغدو ودية، وصورتهم عنها إيجابية[١٤].

والظاهر أن الجمهور الأمريكي يدرك ما للتعاون مع كل من إسرائيل والأقطار العربية من أهمية للمصالح الأمريكية. وحين وجه سؤال عن هذا الموضوع في الخمسينات جاءت نسب متشابهة (٥٠ ـ ٧٠ بالمائة) من الشعب الأمريكي وهي ترى أن «من المهم جداً» أو «من المهم نوعاً ما» للولايات المتحدة أن تتعاون تعاوناً وثيقاً مع إسرائيل والأقطار العربية[١٥]. وفي ١٩٨٥ رأى عدد مساوٍ تقريباً من الأمريكيين أن «من المهم جداً» أو «من المهم نوعاً ما» للولايات المتحدة أن تحتفظ بعلاقات ودية مع الأقطار العربية (٨٦ بالمائة) وإسرائيل (٨٧ بالمائة)[١٦].

إن المواقف نحو إسرائيل و«العرب» كانت قد تأثرت، على ما هو واضح، بالتصورات الأمريكية عن التعاون، أو الصداقة، أو العداء من كل من الطرفين المذكورين حيال الولايات المتحدة. كما تأثرت بكون أحدهما قد هدّد المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط أم لا؟ يبين الجدول رقم (٧ ـ ١) المواقف الأمريكية نحو مصر واسرائيل منذ ١٩٥٦، وهو يظهر استقطاباً في المواقف الأمريكية يحدث في الستينات. لذا، فإن عدد الذين أشاروا الى افتقارهم الى معرفة الوضع أو رفضوا الإجابة هبط بنسبة ١٠ بالمائة تقريباً في الاستقراءات التي جرت بين ١٩٥٦ و١٩٦٦.

---

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(١٤) وكما قال بوخانين وكانتريل: «يبدو أن الفرد يقرر أولاً هل أن أمةً ما تهدده أو تطمئنه، ثم يضع وصفاً لشعب تلك الأمة، فيصبغهم بصفات جميلة جداً أو بصفات بشعة جداً لكي تلائم أغراضه». أنظر:
William Buchanan and Hadley Cantril, *How Nations See Each Other: A Study in Public Opinion* (Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1953), p. 93.

(١٥) أنظر استقراءات NORC للأعوام ١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٥، ١٩٥٦. وفي كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٧٤ اعتقد ٦٨ بالمائة من الجمهور الأمريكي و٧٦ بالمائة من الزعماء الذين جرت معهم مقابلات أن من «المهم جداً» وجود علاقات طيبة مع «الأقطار العربية». جاء الوطن العربي بهذا الخصوص بعد أوروبا الغربية (٧٥ بالمائة من الجمهور، ٩٧ بالمائة من الزعماء)؛ والاتحاد السوفياتي (٧١ بالمائة، ٨٦ بالمائة على التوالي)؛ واليابان (٧٠ بالمائة، ٩٢ بالمائة على التوالي)؛ كما جاء قبل آسيا (٦٣ بالمائة، ٦٠ بالمائة على التوالي)؛ أمريكا اللاتينية (٦٢ بالمائة، ٦٣ بالمائة على التوالي)، افريقيا (٥٦ بالمائة، ٤٤ بالمائة على التوالي). أنظر:
John Rielly, ed., *American Public Opinion and US Foreign Policy, 1975* (Chicago, Ill.: Chicago Council on Foreign Relations, 1975).

(١٦) «Nation-Wide Survey of U.S. Attitudes on the Middle East,» *Arab Studies Quarterly*, vol. 8, no. 1 (Winter 1986), p. 64.

جدول رقم (٧ ـ ١)
المواقف الأمريكية حيال اسرائيل ومصر(*)
(نسب مئوية)

السنة	مؤيد		غير مؤيد		لا يعرف/ لا جواب	
	اسرائيل	مصر	اسرائيل	مصر	اسرائيل	مصر
١٩٥٦	٥١	٢٦	٢٤	٤٤	٢٦	٣١
١٩٦٦	٦٣	٤٦	٢٠	٣٦	١٧	١٨
١٩٦٧	٧٤	٣٩	١٩	٥٣	٧	٩
١٩٧٣	—	٣٧	—	٥١	—	١٣
١٩٧٤	٦٦	٤٨	٢٥	٤٣	٩	٩
١٩٧٥	٦٠	٤٤	٢٩	٤٥	١١	١١
١٩٧٦	٦٦	٤٩	٢٥	٤٠	١٠	١١
١٩٧٧	٦٢	٥١	٢٥	٣٦	١٣	١٣
١٩٧٨	٦٠	٤٥	٢٨	٤١	١٣	١٤
شباط/فبراير ١٩٧٩	٦٨	٦٣	٢٤	٢٨	٨	٩
ايلول/سبتمبر ١٩٧٩	٦٨	٦٧	٢٢	٢٢	١٠	١١
كانون الثاني/يناير ١٩٨٠	٧٤	٧١	٢١	٢٣	٥	٦
كانون الثاني/يناير ١٩٨١	٧٥	٧١	١٩	٢٣	٦	٦
آب/اغسطس ١٩٨٢	٥٥	٥٥	٣٧	٣٦	٨	٩

(*) هذه النتائج جاءت من أجوبة على السؤال الاستيضاحي التالي حول اسرائيل ومصر: «ستلاحظون أن المربعات على هذه البطاقة تبدأ من أعلى موضع وله (+ ٥) للقطر الذي تحبه جداً إلى أدنى موضع وله (− ٥) للقطر الذي تكرهه جداً. فأين تضع القطرين التاليين على السلم صعوداً أو نزولاً؟» في هذا الجدول جمعت الاجابات المؤيدة في نسبة واحدة والاجابات غير المؤيدة في نسبة واحدة. المجاميع أحياناً أكثر من ١٠٠ بالمائة بسبب التقريب.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (−) إلى أن المعلومات غير متوافرة.

تشير هذه البيانات كذلك الى أن رأي الجمهور هو لمصلحة اسرائيل على العموم. بيد أن هذا الرأي المحبذ يخضع لبعض التغييرات، صعوداً ونزولاً، بتجاوب يكاد يكون مباشراً مع وضع العلاقات الأمريكية ـ الإسرائيلية السائدة. تكون الآراء الأمريكية محبذة جداً

لإسرائيل حين يكون التعاون معها ممتازاً، ولكن يظهر شيء من النفور الواضح كلما انتقدت الولايات المتحدة علناً أعمال إسرائيل. والمثل الجلي على ذلك هو الانخفاض الذي حدث في الرأي المحبذ بمقدار عشرون نقطة (من ٧٥ الى ٥٥) وذلك على أثر الغزو الاسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢ وما نشر عن القصف العشوائي والقتل الوحشي اللذين قامت بهما القوات الاسرائيلية.

وقد تذبذبت كذلك المواقف الأمريكية المحبذة تجاه مصر، ولكن أكثر بكثير من تذبذبها بالنسبة الى إسرائيل. ومع أن الصداقة والتعاون مع الولايات المتحدة هما عاملان يؤثران في الآراء الأمريكية نحو كل من الدولتين فثمة عامل آخر مهم أيضاً قد يفسر الرأي الأمريكي المحبذ لإسرائيل في صورة أكثر اطراداً. ذلك هو العامل الثقافي/ الديني، أو ما يشير إليه الأمريكيون في غالب المرات بأنه التراث اليهودي ـ المسيحي. بعبارة أخرى، هناك تفهم أمريكي أكبر وخلفية ثقافية مشتركة أوسع مع اليهودية (وبالتبعية مع إسرائيل) مما هو الحال مع الاسلام (وبالتبعية مع أي قطر أو شعب عربي). هذا العامل جعل من الأسهل كذلك على الصهاينة أن يجندوا المؤيدين في الولايات المتحدة، بحيث يقدر أن حوالى ربع الجمهور الأمريكي يناصر إسرائيل بقوة، ويكوّن هذا «مجموعة الفيتو» الوحيدة بين الناخبين الأمريكيين[١٧].

من الواضح أن الزيادة في مستوى التوجهات الأمريكية المحبذة نحو مصر هي نتيجة للتغيير المتصور في مواقف الحكومة المصرية نحو الولايات المتحدة وفي دور مصر في الشرق الأوسط. ومع أن الرئيس أنور السادات تسلم السلطة في ١٩٧٠ فقد أمضى بضع سنين ليجعل قاعدة سلطته مستقرة داخلياً وليقنع صانعي السياسة الأمريكيين باهتمامه في «حل» مشكلة الشرق الأوسط وفق أسس مقبولة من الولايات المتحدة. ثم تضافرت بعد حرب عام ١٩٧٣ عوامل متعددة لتسهيل إحداث التغيير في السياسة الأمريكية. ومن هذه العوامل امتلاك العرب لنسبة كبيرة من تموينات النفط المتيسرة وقدرتهم على السيطرة على بيع أو عدم بيع ذلك النفط الى أقطار ينظر اليها كمعادية لقضيتهم؛ الخوف من عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط الذي قد ينطوي على تهديدات للأنظمة العربية المحافظة أو المعتدلة الصديقة للولايات المتحدة؛ الخوف من أن يؤدي نزاع إقليمي الى مواجهة نووية مع الاتحاد السوفياتي؛ القلق في شأن عدم الاتفاق مع حلفاء أمريكا الأوروبيين وقيام نزاع محتمل معهم حول تأييد إسرائيل؛ والقلق حول ارتفاع كلفة الطاقة واستيرادات النفط واختلال الميزان التجاري المصاحب له، مع أثره الضار على قيمة الدولار. لهذا جرى الترحيب بحرارة

---

(١٧) Lipset, «Carter vs. Israel: What the Polls Reveal,» pp. 21-29.
أثار Lipset بعض الشك في الوثوق بحجج «مجموعة الفيتو». أنظر أيضاً:
Lipset, «The Polls of the Middle East,» p. 30.

بـ «تعقل» السادات وبدأ الدفع نحو حل النزاع المصري ـ الاسرائيلي. ولما أدركت الـولايات المتحـدة أن من غير الممكن التـوصل الى اتفـاق معقول يتنـاول هذا الجـانب الوحيـد وحده، أخـذت تسعى الى وضع «إطـار» عام للسـلام في الشرق الأوسط، إطار يتضمن عـلى الأقـل تحركاً ما في شأن القضية الرئيسية، ألا وهي فلسطين والفلسطينيون. ولما أخذ الاسرائيليـون يقاومون الاقتراحات المقـدمة عـلى هذا الأسـاس حدث عـدد من «المواجهـات» الأمريكيـة ـ الإسرائيلية أو التهديد بها. وهدد المسؤولون الاسرائيليون في مناسبـات عدة «بـإطلاق اللوبي اليهودي من عنانه»، وتراجع المسؤولون الأمريكيون على العموم عن هذه المواجهات وحاولوا أن يـطرقوا سبـلاً أخرى أكـثر قبولاً من قبـل الاسرائيليين. وبـانتخاب رونـالد ريغـان رئيساً للولايات المتحدة تحسنت العـلاقات الأمـريكية ـ الإسرائيليـة تحسناً كبيـراً وصارت إسرائيـل تُعـرض مراراً وتكـراراً «كنفع استـراتيجي»، ثم «كحليف اسـتراتيجي» للولايـات المتحـدة. ونتيجة لذلـك غدت مـواقف الجمهور مجنـدة لإسرائيل بـدرجة أكـبر، وظلت كذلـك الى أن أدخـل الغزو الإسرائيـلي للبنان في عـام ١٩٨٢ بعض الاحتكاكـات الموقتـة عـلى العـلاقـات الأمريكية ـ الإسرائيلية. بيد أنه بحلول عام ١٩٨٦ كـانت الرابـطة الأمريكيـة ـ الإسرائيلية بدرجة من القوة بحيث «بدأ الاسرائيليون يتساءلون تُرى هل هناك شيء يدعى التقرب جداً من الولايات المتحدة»[١٨].

١ ـ التعـاطـف

يقدم الجدول رقم (٧ ـ ٢) نتائج الاستقـراءات التي طلب فيها الى الشعب الأمـريكي أن يبـين تعاطفـه نحو طـرفي النزاع في الشرق الأوسط. لقـد صيغ السؤال في الغـالب عـلى الوجه الآتي: «هل أن تعاطفك، في وضع الشرق الأوسط، بدرجة أكـبر مع اسرائيـل أم بدرجـة أكبر مـع الأمم العربية؟» ومثل هذا السؤال يحد من خيارات المجيبين ويميل الى تضخيم الأرقام التي تبين «التعاطف» في حين قد لا تكون مثل هذه المشـاعر مـوجودة حقيقـةً. لذا، فحـين يتاح خيـار ثالث صراحةً في تتمـة للسؤال كما يـلي: «أم أنك ليس لـديك أي شعـور قوي نحـو أي من الـطرفين؟» ينخفض التـأييد لكـل من الطرفـين، كما هـو واضح من النتـائـج التي وردت في استطلاع للرأي لوكالة «هاريس» جرى في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣[١٩].

ما الذي تقوله لنا نتائـج الجدول رقم (٧ ـ ٢)؟ أولاً، من الـواضح أن التعـاطف مع

---

(١٨) Mary Curtius, «Israelis to US: Push Hard for Peace, Too,» *Christian Science Monitor* (6 May 1986), pp. 1 and 48.

(١٩) كانت صيغة السؤال كالآتي: «في الحرب الأخيرة بين اسرائيل والبلدان العربية هل تشعر أنك أكـثر تعاطفاً نحو الاسرائيليين أم نحو العرب أم أنك ليس لديك أي شعور قوي نحو أي من الطرفين؟» أنظر:

The Harris Survey Yearbook of Public Opinion, 1973 (New York: Louis Harris and Associates, 1976), p. 242.

جدول رقم (٧ ـ ٢)

تعاطف الأمريكيين تجاه العرب والاسرائيليين

(نسب مئوية)

وكالة استطلاع الرأي	التاريخ	اليهود، اسرائيل	العرب، البلدان العربية، مصر	كلاهما، لا أحد	لا رأي
غالوب	١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧	٢٤	١٢	٣٨	٢٦
نورك	شباط/فبراير ١٩٤٨	٣٥	١٦	٤٩	
SRC - C	تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٤	٢٥	٧	٢٨	٤٠
هاريس	١٠ حزيران/يونيو ١٩٦٧	٤١	١	٤٠	١٨
غالوب	١٢ حزيران/يونيو ١٩٦٧	٥٥	٤	٢٥	١٦
غالوب	ذروة حرب ١٩٦٧	٥٦	٤	٢٥	١٥
غالوب	كانون الثاني/يناير ١٩٦٩	٤٩	٥	٤٦	
غالوب	كانون الثاني/يناير ١٩٦٩ (للبيض فقط)	٥٠	٥	٢٨	١٧
غالوب	٦ شباط/فبراير ١٩٦٩	٥٠	٥	٢٨	١٧
غالوب	٢٧ شباط/فبراير ـ ٢ آذار/مارس ١٩٧٠	٤٤	٣	٣٢	٢١
هاريس	آب/اغسطس ١٩٧٠	٤٧	٦	٢٥	٢٢
هاريس	تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٠	٤٧	٦	٢٦	٢١
هاريس	حزيران/يونيو ١٩٧١	٤٦	٧	٢٤	٢٣
هاريس	تموز/يوليو ١٩٧١	٤٤	٧	٢٢	٢٧
غالوب	٦ ـ ٨ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣	٤٧	٦	٢٢	٢٥
غالوب	١٩ ـ ٢٢ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣	٤٨	٦	٢١	٢٥
هاريس	تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣	٣٩	٤	١٦	٤١
غالوب	٧ ـ ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٣	٥٠	٧	٢٥	١٨
هاريس	كانون الثاني/يناير ١٩٧٥	٥٢	٧	٣١	
هاريس (قادة)	كانون الثاني/يناير ١٩٧٥	٥٦	٥	٢٩	

يتبع

تابع جدول رقم (٧ - ٢)

وكالة استطلاع الرأي	التاريخ	اليهود، اسرائيل	العرب، البلدان العربية، مصر	كلاهما، لا أحد	لا رأي
غالوب	١٠ - ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٧٥	٤٤	٨	٢٢	٢٦
غالوب	٤ - ٧ نيسان/ابريل ١٩٧٥	٣٧	٨	٢٤	٣١
غالوب	حزيران/يونيو ١٩٧٧	٤٤	٨	٢٨	٢٠
غالوب	تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٧	٤٦	١١	٢١	٢٢
غالوب	٩ - ١٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٧	٣٧	٨	٢٥	٣٠
غالوب	كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٧	٤٤	١٠	٢٧	١٩
غالوب	كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٧	٤٦	١١	٢١	٢٢
غالوب	شباط/فبراير ١٩٧٨	٣٣	١٤	٢٨	٢٥
غالوب	٣ - ٦ آذار/مارس ١٩٧٨	٣٨	١١	٣٣	١٨
غالوب	٢٨ نيسان/ابريل - ١ أيار/مايو ١٩٧٨	٤٤	١٠	٣٣	١٣
غالوب	آب/اغسطس ١٩٧٨	٤٤	١٠	٣٣	١٣
غالوب	بداية أيلول/سبتمبر ١٩٧٨	٤١	١٢	٢٩	١٨
غالوب	نهاية أيلول/سبتمبر ١٩٧٨	٤٢	١٢	٢٩	١٧
غالوب	١٠ - ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٨	٣٩	١٣	٣٠	١٨
غالوب	٥ - ٨ كانون الثاني/يناير ١٩٧٩	٤٠	١٤	٣١	١٥
غالوب	١٦ - ١٨ آذار/مارس ١٩٧٩	٣٤	١١	٣١	١٤
هاريس	تموز/يوليو ١٩٨٠	٥٢	١٢	٢٦	١٠
غالوب	٣١ تموز/يوليو - ٣ آب/اغسطس ١٩٨١	٤٤	١١	٣٤	١١
غالوب	كانون الثاني/يناير ١٩٨٢	٤٩	١٤	٢٣	١٤
غالوب	نيسان/ابريل - أيار/مايو ١٩٨٢	٥١	١٢	٢٦	١١
غالوب	حزيران/يونيو ١٩٨٢	٥٢	١٠	٢٩	٩
غالوب	٢٣ - ٢٦ تموز/يوليو ١٩٨٢	٤١	١٢	٣١	١٦
هاريس	٢٣ - ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥	٦٤	١٤	١٣	٩

اليهود ودولة إسرائيل هو عموماً عالياً إلى حد غير قليل طيلة الفترة البالغة ٣٢ سنة. وفي الوقت عينه يوجد تعاطف مع العرب والدول العربية لدى قلة من سكان الولايات المتحدة الراشدين. والواقع أن أكبر عدد من «أصوات» التعاطف (وهو ١٦ بالمائة) إنما سجل خلال أيام الكفاح في فلسطين قبيل تأسيس دولة اسرائيل.

والملاحظة الثالثة المستندة الى البيانات هي أن نسبة كبيرة من الأمريكيين (تناهز ٥٠ بالمائة وغالباً ما تتجاوز ذلك) إما لا تعرف كثيراً عن الوضع، وإما لا تهتم قيد أنملة بأي من الطرفين، وإما تتعاطف معهما بالتساوي. والواقع، وحتى وقوع حرب عام ١٩٦٧، لم يظهر ٤٩ بالمائة على الأقل من الأمريكيين، بل أكثرية منهم في أغلب الأحيان، تعاطفاً متحزباً. وينكشف هذا التراجع في التعاطف، أو منعه عن الطرفين، عند وجود حالة استعصاء في المفاوضات بينهما و/أو عند فشل الجهود المبذولة لتحقيق تسوية ما تكون الولايات المتحدة مشتركة فيها اشتراكاً فعالاً.

يبيّن الجدول رقم (٧ ـ ٢) كذلك أن التعاطف الأمريكي مع اسرائيل يكون في أعلى درجاته خلال فترات الحرب، وخصوصاً إذا كان ينظر الى الحكومة الأمريكية كمساندة للأعمال الاسرائيلية صراحةً أو ضمناً. كان ذلك على هذا النحو خلال حرب حزيران/يونيو عام ١٩٦٧ و«حرب الاستنزاف» في عام ١٩٦٩ وحرب عام ١٩٧٣. وكان ذلك مرة أخرى خلال الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان وبعده (استطلاع غالوب، نيسان/ابريل ـ أيار/مايو عام ١٩٧٨)، وخلال الغزو الاسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢. ونلاحظ أخيراً أن التعاطف مع العرب، بعد تأسيس دولة اسرائيل (باسناد حاسم من أمريكا)، انخفض واستمر يتراوح بين ٦ و٧ بالمائة حتى الفترة التي أعقبت حرب عام ١٩٧٣. ومنذ عام ١٩٧٧ تقدم التقارب المصري ـ الأمريكي بصورة تكاد تكون حثيثة فجاء معها ارتفاع طفيف في عدد الأمريكيين المتعاطفين مع «الأمم العربية». ولا شك أن الزيارة الدرامية التي قام بها الرئيس أنور السادات الى القدس في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٧٧ والمفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية ـ الأمريكية التي أعقبتها عن الشرق الأوسط أقنعت الجمهور أن السادات ومصر «يريدان سلاماً في الشرق الأوسط»[٢٠]. إن «تعقل السادات» (بمعنى استعداده لقبول مقترحات أمريكية)

---

(٢٠) في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧ (بعد يومين من زيارة السادات للقدس) رأى ٧٦ بالمائة من الجمهور الأمريكي أن مصر «تريد حقاً سلاماً عادلاً» (٥٨ بالمائة) أو «تريد، على تردد، سلاماً عادلاً» (١٨ بالمائة) في الشرق الأوسط. قال ٧ بالمائة فقط إن مصر «لا تريد سلاماً في واقع الأمر» وكان ١٧ بالمائة غير متأكدين. كان هذا يمثل زيادة قدرها حوالى ٢٩ نقطة عن أرقام تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٧. أنظر:

«Opinion Roundup,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 1, no. 1 (March-April 1978), p. 31.

كذلك أظهر استطلاع للرأي أجراه غالوب في ١ ـ ٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٨ ان السادات يأتي في المرتبة الرابعة بعد كارتر والبابا جون بول الثاني وبيلي غراهام، كما يأتي بيغن في قائمة الرجال موضع «الاعجاب الأول». أنظر:

World Opinion Update, vol. 3, issue 2 (March 1979), p. 52.

و«العناد الاسرائيلي» (بمعنى مقاومة مقترحات أمريكية)، كما ظهرا ونُشر عنهما في مناسبات متعددة بين عام ١٩٧٥ وعام ١٩٨٠، قد ساهما بالتأكيد في هبوط التعاطف الأمريكي مع اسرائيل وما صحب ذلك من ارتفاع معتدل في التعاطف مع «العرب».

يتأثر التعاطف الأمريكي مع الطرفين بعوامل متعددة بطبيعة الحال. لقد أشرنا سلفاً إلى الحرب في الشرق الأوسط واحتمالات التسوية السلمية وموقف الحكومة الأمريكية. ويمكن أن نذكر الآن عاملين آخرين. الأول هو أزمة الطاقة، أي الاعتماد الأمريكي على النفط في الوطن العربي، وهو ما سنبحثه فيما بعد بتفصيل أكثر، والعامل الآخر هو القدرة على التلاعب بتعاطف الجمهور بواسطة استخدام وسائل الاتصالات المختلفة. وليس هذا مكان تفصيل الكيفية التي صورت بها وسائل الاعلام أحداث وشعوب الشرق الأوسط[٢١]. ومع أن من غير السهل عادة، إثبات صلة بين ما يقرأه الشعب الأمريكي وما يسمعه أو يراه على شاشة التلفزيون، أو في دور السينما، وبين تعاطفه مع العرب والاسرائيليين، فقد لوحظت علاقة مؤكدة في حالتين مهمتين على الأقل. ففي دراسة عن «رد الفعل لدى الجمهور تجاه محاكمة آيخمان»، وجد أن أكثر من ٣٠ بالمائة من الجمهور الأمريكي أفاد أنه أصبح، نتيجة للتعرض للدعاية التي صاحبت محاكمة آيخمان وإجراءاتها، أكثر تعاطفاً مع اسرائيل واليهود[٢٢]. كذلك، ففي استقراء أجراه «المعهد الأمريكي للرأي العام» (غالوب) خلال ٢٨ نيسان/أبريل - ١ أيار/مايو عام ١٩٧٨، سئل المجيبون بشكل محدد هل أنهم رأوا كل الحلقات الأربع، أو قسماً منها، من المسلسل المعنون «محرقة الموت» على شبكة N.B.C الأمريكية للتلفزيون، وهو المسلسل الذي عرض محنة اليهود في أوروبا تحت احتلال النازيين خلال الحرب العالمية الثانية. فجاء في تقرير غالوب:

«يحس الأمريكيون المطلعون على الحالة في الشرق الأوسط، والذين شاهدوا مسلسل «محرقة الموت»، بتعاطف بجانب اسرائيل بدرجة أكبر مما يحس به الذين لم يشاهدوه. وعلى وجه التخصيص فإن من بين الذين شاهدوا حلقة واحدة على الأقل وقف ٥٠ بالمائة بجانب اسرائيل و٩ بالمائة بجانب الأمم العربية. أما بين الذين لم يشاهدوا شيئاً من المسلسل فإن الأرقام المقارنة هي ٣٩ بالمائة و١١ بالمائة على التوالي»[٢٣].

---

(٢١) للاطلاع على بيليوغرافيا موجزة عن دراسات وسائل الاتصالات الأمريكية والشرق الأوسط، أنظر:

Suleiman, *American Images of Middle East Peoples: Impact of the High School,* Footnotes 1-3, p. 68, and Janice Monti Belkaoui, «Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966-74,» *Journalism Quarterly,* vol. 55, no. 4 (Winter 1978), pp. 732-738 and 799.

تثبت بلكعوي أيضاً وجود علاقة ما بين محتوى الصحافة عن الشرق الأوسط وبين الرأي العام عن الموضوع.

(٢٢) أفاد ٦١ بالمائة بعدم حدوث تغيير، بينما أصبح ٦ - ٨ بالمائة أكثر تعاطفاً نحو ألمانيا والألمان. أنظر:

Irving Crespi, «Public Reaction to the Eichmann Trial,» *Public Opinion Quarterly,* vol. 28, no. 1 (Spring 1964), pp. 91-103.

(٢٣) *The Gallup Opinion Index* (September 1978), p. 1.

٢ ـ اللــوم

مما يعقد موضوع البحث في توجيه اللوم أن وكالات استطلاع الرأي أخذت منذ عام ١٩٥٧ تستخدم صيغ متغايرة للسؤال وهي صيغ لا تسهل المقارنة بينها. لذا فإننا سنستعرض المسألة من زوايا مختلفة. إن الجدول رقم (٧ ـ ٣) يضع سؤالاً يطالب بتوجيه اللوم الى طرفٍ أو آخر من الطرفين الرئيسيين في النزاع العربي ـ الاسرائيلي. ويبيّن الجدول المذكور أن الأمريكيين يميلون الى لوم العرب مرات أكثر من لوم اسرائيل على استمرار النزاع، وهذا يشبه الاجابات التي وردت عن مسألة «التعاطف». بيد أنه لا يشبهها في أن فارق النقاط ليس كبيراً. فضلاً عن ذلك فالأغلبية في أكثر المرات لا تستطيع توجيه اللوم بوضوح إلى أي من الطرفين.

جدول رقم (٧ ـ ٣)

مواقف الأمريكيين بخصوص وضع اللوم على العرب والاسرائيليين(*)

(نسب مئوية)

وكالة استطلاع الرأي	التاريخ	اليهود، الاسرائيليون	المصريون، العرب	كلاهما، لا أحد	لا يعلم، لا رأي
غالوب	كانون الثاني/يناير ١٩٤٦	١٢	١٠	بريطانيون ٣٣ آخرون ١	٥٣
نورك	٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٣	١٥	٢٠	٢٤	٤١
نورك	٢٩ أيلول/سبتمبر ١٩٥٣	٦	١٢	١٤	٦٨
نورك	٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥	٥	١٥	١٨	٦٢
نورك	٢٠ نيسان/ابريل ١٩٥٦	٧	١٨	١٨	٥٧
نورك	١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦	١٩	٢٩	١٤	٣٨
نورك	٢٦ نيسان/ابريل ١٩٥٧	١٢	٤٠	١٨	٣٠

سؤال تقليدي: «هل سمعت أو قرأت عن الصراع الاخير بين اسرائيل والبلدان العربية؟ اذا كان الجواب «نعم»، فأي الطرفين يقع عليه اللوم في هذا الصراع. اسرائيل أم العرب؟».

(*) المجموع اكثر من ١٠٠ بالمائة وذلك بسبب تعدد ردود الفعل.

ثمة طريقة أخرى لتحديد الجهة التي يقع عليها اللوم وهي أن يقول السؤال هل أن قطراً معيناً كان معذوراً في عمله بطريقة معينة. وفي الإجابة عن مثل هذه الأسئلة شعر مثلاً ٥٣ بالمائة من الأمريكيين الذين سئلوا أن مصر لم تكن معذورة في الاستيلاء على شركة قناة

السويس، في حين شعر ٤٠ بالمائة منهم أن اسرائيل لم تكن معذورة في «إرسال قوات مسلحة الى الأراضي المصرية»[٢٤]. ولما سئلوا هل يوافقون أم لا يوافقون على «عمل اسرائيل في مصر» أجاب ٤٧ بالمائة أنهم لا يوافقون[٢٥].

وحين يصاغ السؤال بعبارات «من هو على حق» أو «من في جانبه الحق أكثر من غيره» فإن النتائج تحابي الاسرائيليين بالتأكيد: ٤٦ بالمائة في عام ١٩٦٧ و٣٩ بالمائة في عام ١٩٧٣، مقابل ٤ بالمائة و٦ بالمائة على التوالي الى جانب العرب[٢٦]. ومن الواضح، عند وضع السؤال بإطار أخلاقي، أن يكون المجيبون أقل احتمالاً في الحكم على حالة بعينها (حرب عام ١٩٦٧ أو حرب عام ١٩٧٣) على أساس جوهرها وأكثر ميلاً للاختيار بين «الحق»، و«الباطل»، «الخير» و«الشر». ويقع وضع مشابه حين يطلب السؤال ذكر المشاعر بشأن أعمال قد «يبتغي» الطرفان المتحاربان من ورائها الاشتباك. كانت الحالة هكذا مثلاً في ٦ أيار/مايو عام ١٩٥٧ حين سأل «غالوب»: «إذا وقعت المشاكل فعلاً، فأي طرف - إسرائيل أم مصر - تظن أنه سيكون أكثر احتمالاً لبدء الاشتباك؟» وكان الجواب أن الطرف هو مصر بنسبة ٣٣ بالمائة واسرائيل بنسبة ٢٦ بالمائة وأفاد ٤١ بالمائة بعدم معرفتهم.

وأخيراً، فمن المثير للاهتمام، وذلك عندما يكون السؤال مفتوحاً مثل «من تلوم عن هذا أو بماذا؟» أن نلاحظ أن كثيراً من اللوم يوجه الى أطراف أخرى، ولا تتجه إلاّ نسبة صغيرة من الجمهور بأصبع الاتهام نحو الاسرائيليين أو نحو العرب[٢٧].

لن نحاول هنا تقديم تحليل تفصيلي لمشكلة الطاقة التي تواجه الولايات المتحدة. بل ستركز مناقشتنا على الأزمة كما تؤثر على المواقف نحو الشرق الأوسط وشعوبه. بدأ المسؤولون الأمريكيون، اضافة الى الجمهور، منذ نيسان/ابريل عام ١٩٧٣ يفصحون عن اعترافهم بوجود «شح» في الطاقة أو «ضجة» تدور حولها[٢٨]. على أنه لم ينظر عدد من الأمريكيين الى «أزمة الطاقة/شح الوقود» باعتبارها «أهم مشكلة تواجه هذه البلاد اليوم» إلاّ

---

(٢٤) شعر ١٧ بالمائة أن مصر كانت معذورة في حين ان ٣٠ بالمائة لم يعرف جواباً. وفي استطلاع الرأي لـ NORC في ١٣ أيلول/سبتمبر ١٩٥٦ شعر ٢٨ بالمائة أن اسرائيل كانت معذورة في حين أن ٣٤ بالمائة لم يعرف جواباً (الاستطلاع المذكور الجاري في ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦).

(٢٥) قال ١٠ بالمائة أنهم يوافقون وأجاب ٤٣ بالمائة أنهم لا يعرفون. (استطلاع الرأي الذي أجراه غالوب في ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦).

(٢٦) استطلاع «هاريس» للرأي في ١٠ حزيران/يونيو ١٩٦٧ وتشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣. إن ٤٢ بالمائة و٤٣ بالمائة على التوالي لم يعرفوا جواباً في حين أن ٨ بالمائة و٢١ بالمائة قالوا «كلا الطرفين» أو «لا احد منهما».

(٢٧) عن اجابات متنوعة مشابهة عن السؤال «من أو ما هو المسؤول عن أزمة الطاقة؟» أنظر:
The Gallup Opinion Index, report no. 119 (May 1975), p. 9, and report no. 104 (February 1974), p. 4.

(٢٨) *The Harris Survey Yearbook of Public Opinion, 1973*, p. 233.

بعد الحصار النفطي العربي في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣. ولكن، في حين نعت ٤٦ بالمائة أزمة الطاقة بأنها أهم مشكلة في كانون الثاني/يناير عام ١٩٧٤ لم يصفها بذلك في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٨ إلاّ ٣ بالمائة فقط[٢٩]. كذلك ففي حين استمر ٤٠ بالمائة من السكان الراشدين في اعتبار «حال الطاقة في الولايات المتحدة» على أنها «خطيرة جداً،» فإن نسبة أقل من ذلك بكثير تقدر كيف أنها خطيرة جداً من أية ناحية. وهكذا ففي أيار/مايو عام ١٩٧٧ أعتقد ٣٣ بالمائة من الجمهور بأننا «ننتج من النفط في هذه البلاد ما يكفي لحاجاتنا الحاضرة الى الطاقة،» وقال ١٥ بالمائة أنهم لا يعرفون[٣٠]. أضف الى ذلك أن ٩ بالمائة فقط من جميع الراشدين لديهم صورة صحيحة عن مقدار النفط (٤٢ بالمائة) المستورد من الخارج[٣١].

وفي استقراء لمواقف الجمهور أجري في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٧٣، فور الإعلان عن الحصار النفطي العربي تقريباً، مال الأمريكيون الى إلقاء مسؤولية أزمة الطاقة على عاتق شركات النفط (٢٥ بالمائة)، أو الحكومة الفدرالية (٢٣ بالمائة) أو إدارة نيكسون (١٩ بالمائة) أو المستهلكين في الولايات المتحدة (١٦ بالمائة)[٣٢]. وبينما وضع ٧ بالمائة المسؤولية على عاتق «الأمم العربية» لم يضعها أحد على عاتق إسرائيل ـ البؤرة الرئيسية للأهتمام العربي والعامل المحرك وراء الحصار. والظاهر أن الطاقة، بالنسبة لأغلبية الأمريكيين، لم تكن مشكلتهم رقم ١، وعلى أي حال فاللوم فيها يقع على عاتق شركات النفط و«الحكومة». هذا وإن الرسالة التي أراد العرب تبليغها الى الأمريكيين عن طريق الحصار النفطي لم تصل وصولاً وافياً، إن كانت وصلت أصلاً، الى الجمهور العام على الأقل[٣٣].

٣ ـ فلسطين

إن أول وأبرز استنتاج يستنتجه الباحث في هذا الموضوع هو مركزية القضية اليهودية وإسرائيل لدى شتى الوكالات العاملة في تخمين اتجاهات الرأي العام. وفي الوقت ذاته هناك فيما يبدو ما يشبه الجهل التام بمصير عرب فلسطين أو الاهمال المتعمد له. وحين يفتش المرء فهارس تقارير الرأي العام عن كلمة «فلسطين» أو «العرب في فلسطين» مثلاً، فإنه يحال الى

---

(٢٩) انظر: *The Gallup Opinion Index*, report no. 105 (March 1974), p. 10, and report no. 160 (November 1978), p. 18.

(٣٠) Ibid., report no. 143 (June 1977), p. 18.

(٣١) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٣٢) Ibid., report no. 104 (February 1974), p. 5.

(٣٣) للاطلاع على تقدير ونقد للجهد العربي الاعلامي العام في الولايات المتحدة، أنظر:
Abdulrahman Abdulla Zamil, «The Effectiveness and Credibility of Arab Propaganda in the United States,» (Ph. D. Dissertation, University of Southern California, 1973).

«اليهود: استيطان» أو الى «إسرائيل»[٣٤]. وليس هذا لمجرد أن فلسطين لم تعد موجودة كقطر في عام ١٩٤٨. والأمثلة التالية تصور تصويراً وافياً اهتمام الأمريكيين التام باليهود واسرائيل وما يصاحب ذلك من انعدام الاهتمام بالفلسطينيين العرب انعداماً تاماً. ففي كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٤٤ سألت نورك (NORC) السؤال الآتي: «هل تعتقد بوجوب إعطاء اليهود فرصة خاصة للاستيطان في فلسطين بعد الحرب، أم تعتقد بوجوب إعطاء جميع الناس الفرصة ذاتها للاستيطان هناك؟»[٣٥] يجب أن نلاحظ أن «اليهود» يجري بحثهم هنا قياساً الى آخرين (من الأوروبيين فيما يفترض) ممن قد يعطون فرصة خاصة للاستيطان في فلسطين ـ مع تجاهل كون فلسطين مسكونة أصلاً وتجاهل وجود سكانها الفلسطينيين العرب. وحتى عند ذكر الفلسطينيين فإن حاجاتهم ورغباتهم لا تبيّن بصورة موضوعية بل قياساً فقط الى خصومهم كما في سؤال «نورك» التالي الموجه عام ١٩٤٤: «يوجد أكثر من مليون عربي وأكثر من نصف مليون يهودي في فلسطين. هل تعتقد أن على البريطانيين، الذين يسيطرون على فلسطين، أن يقوموا بما يطالب به بعض اليهود فيؤسسوا دولة يهودية هناك، أم أن عليهم أن يقوموا بما يطالب به بعض العرب فلا يؤسسوا دولة يهودية؟»[٣٦].

ومركزية المشكلة اليهودية واضحة كذلك في سؤال «نورك» عام ١٩٤٨ حول رفع الحظر الأمريكي على بيع اليهود والعرب أسلحة. فقد وُجّه سؤال لاحق الى أولئك الذين رأوا رفع الحظر (١٠ بالمائة) يقول: «هل نبيع للطرفين أم لليهود فقط؟»[٣٧] كذلك، فقبل بضعة أشهر، وجواباً عن السؤال: «هل يمكنك ان تخبرني مَنْ من الناس يقاسي المتاعب في فلسطين حديثاً؟» ذكر اليهود (أو الصهاينة) ضعف عدد الأمريكيين تقريباً الذين ذكروا العرب (أو المحمديين)[٣٨].

اضافة الى ذلك سأل «غالوب» الأمريكيين في عام ١٩٦٨: «ما الذي تعتبره السبب الرئيسي للمشاكل بين الاسرائيليين والعرب؟» وكانت الإجابات كما في الجدولين (٧ ـ ٣) و(٧ ـ ٤)[٣٩].

وهكذا استمر اعتبار الفلسطينيين، بقدر تعلق الأمر بالأمريكيين، «شيئاً غير موجود». ويتضح الجهل بالفلسطينيين العرب وبقضيتهم من نتائج السؤال الموجه في استقراء «غالوب»

---

(٣٤) انظر: Cantril, ed., *Public Opinion, 1935-1946*, pp. xvi and xiii, and George H. Gallup, *The Gallup Poll: Public Opinion, 1935-1971* (New York: Random House, 1972), vol. 3, p. 2365.

(٣٥) Cantril, ed., Ibid., p. 385.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣٨٥.

(٣٧) «The Quarter's Polls,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 12 (Fall 1948), p. 551.

(٣٨) «NORC Poll of October 1, 1947,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 11 (Winter 1947-1948), p. 654.

ذُكر اليهود أو الصهاينة بنسبة ٧٥ بالمائة (دون ٢١ سنة من العمر) و٨٢ بالمائة (٢١ سنة فأكثر)؛ وذُكر العرب أو المحمديون بنسبة ٤٠ بالمائة و٤٥ بالمائة على التوالي.

(٣٩) انظر: «Gallup poll of 26 June- 1 July 1968,» in: Gallup, *The Gallup Poll: Public Opinion, 1935-1971*, p. 2149.

الجاري سنة ١٩٤٦ : «بناءً على ما قرأته أو سمعته، لماذا لا يدع البريطانيون مزيداً من اليهود يدخلون فلسطين؟»[٤٠] ـ وهو سؤال يشير أيضاً الى مركزية المشكلة اليهودية.

أ ـ البريطانيون يريدون الاحتفاظ بسيطرتهم	٥ بالمائة
ب ـ يخافون من إثارة العرب	١٥ بالمائة
ج ـ لمهادنة العرب وحماية مصالحهم في الهند ومصر والجزيرة العربية	٤ بالمائة
د ـ لا مكان في فلسطين	٥ بالمائة
هـ ـ مغرضون ضد اليهود، يخافون ان يصبحوا قوة رئيسية	١٠ بالمائة
و ـ [اليهود] يثيرون كثيراً من المشاكل في فلسطين	٤ بالمائة
ز ـ يخافون أن يحصل العرب على مساعدة من روسيا	١ بالمائة
ح ـ أجوبة متنوعة	١ بالمائة
ط ـ لا جواب	٥٥ بالمائة
	١٠٠ بالمائة

إنه لمن الملفت للنظر حقاً ألا يسجل الفلسطينيون العرب الذين سكنوا البلاد قروناً، والذين كانوا يشكلون أكثر من ٩٠ بالمائة من السكان في عام ١٩١٧، والذين ما زالوا يشكلون ثلثي السكان وقت إجراء هذا الاستقراء، والذين كانوا يبتغون الاستقلال عن بريطانيا، ألا يسجلوا أي أثر على الإطلاق في ضمير الأمريكيين إلا ما ورد في إجابات الـ ٥ بالمائة الذين قالوا «لا مكان للفلسطينيين.» والظاهر أن ما «سمعه أو قرأه» الأمريكيون يغفل تماماً تقريباً أهمية الفلسطينيين العرب.

ليس من المستغرب إذاً، عند سؤال الأمريكيين عن «السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين» أن يكون الجواب الساحق (٧٦ بالمائة) إيجابياً[٤١]. وقد كان الأمر كذلك سواء أكان السؤال مصاغاً بعبارات عامة أم كان يخصص دخول مائة ألف يهودي كما أوصى التقرير الأنغلو ـ أمريكي[٤٢].

وفي حين كان التأييد لدخول اليهود الى فلسطين والاستيطان اليهودي فيها قوياً بين الأمريكيين، فإن فكرة تقسيم فلسطين الى دولتين، دولة عربية وأخرى يهودية، لم تلق موافقة ساحقة. لذا ففي شباط/ فبراير عام ١٩٤٨ وافق ٣٨ بالمائة فقط على التقسيم بينما لم يوافق ١٩ بالمائة عليه وكان الباقون إما غير ملمين بالموضوع (٢٨ بالمائة) أو لا يستطيعون اتخاذ رأي

(٤٠) Cantril, ed., *Public Opinion, 1935-1946*, p. 387.

(٤١) «Gallup Poll of 5 December 1945,» in: Ibid., p. 386.

(٤٢) «Gallup Poll of 15 May 1946,» in: Ibid., p. 386.

(١٥ بالمائة)[٤٣]. كذلك، حبذ ٤٤ بالمائة من محرري الصحف التي تمثل جميع أنحاء البلاد إقامة ديمقراطية طائفية للجميع واختار ٣٠ بالمائة منهم التقسيم[٤٤]. إضافة الى ذلك أخذ تأييد التقسيم يتناقص عندما تحول الوضع في فلسطين الى العنف. وعلى أي حال، فعندما عرضت خيارات أخرى على من وجه إليهم سؤال مثل: «جرّب حلولاً أخرى»، كما جرى في حزيران/يونيو عام ١٩٤٨، حبذ ٢٦ بالمائة فقط التقسيم[٤٥].

وما أن تأسست دولة أسرائيل حتى جرت محاولة أكيدة من جانبها ومن جانب أصدقائها فضلاً عن بعض الأنظمة العربية للتخلي عن تسميات معينة مثل فلسطين والفلسطينيين. وعوضاً عن ذلك أصبحت عبارات مثل قطاع غزة والضفة الغربية و«اللاجئين العرب» هي البدائل لأغراض مختلفة. واتخذت القضية الفلسطينية اسم النزاع العربي - الاسرائيلي خصوصاً بعد أن انضم «العرب» الى الحرب ضد اسرائيل في ١٥ أيار/ مايو عام ١٩٤٨.

في عام ١٩٦٤، وليس قبل ذلك حسب علمي، وجه سؤال حول معاملة «اللاجئين العرب» في إسرائيل. ومما يبعث على الدهشة أن أقل من ٩ بالمائة رأوا أنهم يعاملون معاملة حسنة جداً (١,٦ بالمائة) أو حسنة نوعاً ما (٧,٢ بالمائة). ورأى ١٥ بالمائة أن «اللاجئين العرب» يعاملون معاملة سيئة نوعاً ما (١١,٩ بالمائة) أو سيئة جداً (٣ بالمائة). أما الباقون فلم يجيبوا أو أنهم لم يقرأوا عن الحالة[٤٦].

على أنه جرى مراراً، بعد حرب عام ١٩٦٧، توجيه سؤال في استطلاعات الرأي عما ينبغي عمله بالأراضي الشاسعة التي فتحها الاسرائيليون. لم يكن هناك في البداية ذكر للفلسطينيين أو لدولة فلسطينية. وكان السؤال يصاغ عادة بمثل هذه العبارات: «ما الذي تظن وجوب القيام به - هل يطلب من إسرائيل أن تعيد كل هذه الأرض المفتوحة، أم أن تحتفظ بها جميعاً، أم تحتفظ بقسم منها؟» إنه حتى بعد أقل من شهر واحد على حرب عام ١٩٦٧ حبّذ ٢٤ بالمائة من الأمريكيين أن تحتفظ إسرائيل ببعض الأراضي، ولم يقل إلا ١٥ بالمائة فقط أن على اسرائيل أن تعيد جميع الأراضي المحتلة[٤٧]. وأظهر استقراءان أجراهما

---

(٤٣) «NORC Poll of 1 July 1948,» and «The Quarter's Polls,» p. 550.

(٤٤) «NORC Poll of November 1947,» and «The Quarter's Polls,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 12 (Spring 1948), p. 160.

(٤٥) Fortune Poll of June 1948, «The Quarter's Polls,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 12 (Fall 1948), p. 550.

٣١ بالمائة أرادوا «أن يجربوا حلولاً أخرى»، ٣١ بالمائة «لم يفكروا بالأمر» و١٢ بالمائة «لم يكن لديهم رأي».

(٤٦) SRC California (November 1964).

(٤٧) «Gallup Poll of 9 July 1967,». ١٢ بالمائة اجابوا «لا نعرف».

«هاريس» في عام ١٩٧٠ وعام ١٩٤٧ تردداً لدى الجمهور الأمريكي بأن تعيد إسرائيل الأراضي المفتوحة في عام ١٩٦٧[٤٨]. بيد أنه، عند طرح خيارات مختلفة، كما في الاستقراءات الثلاثة التي أجراها «غالوب» في عام ١٩٧٧، حبّذ ٤٣ ـ ٥٠ بالمائة إعادة كل أو جزء من الأراضي المحتلة، ولم يبد ٣٠ ـ ٣٣ بالمائة رأياً[٤٩].

وفي أعقاب زيارة السادات الدرامية للقدس في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧٧ تزايدت التكهنات في شأن تسوية سلمية وفي شأن مصير الفلسطينيين. يبين الجدول رقم (٧ ـ ٤) نتائج ثلاثة استقراءات استنبطت استجابة الجمهور الأمريكي للمشاريع المقترحة

جدول رقم (٧ ـ ٤)

مشاريع لحل فلسطيني (نسب مئوية)

المشاريع	١٩٧٧	آذار/مارس ١٩٧٩	تموز/يوليو ١٩٨٢
اقامة دولة فلسطينية مستقلة منفصلة	٣٦	٤١(*)	٤٦
الفلسطينيون يستمرون في العيش كما هم الآن	٢٩	٢٥	٢٣
لا يعلم، آراء أخرى	٣٥	٢٨	٣١
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

(*) استناداً الى المطلعين على الوضع في الشرق الأوسط.

المصدر: *The Gallup Opinion Index* (May 1979), p. 19, and (August 1982), p. 8.

عداوة قديمة	٢٢ بالمائة	أسباب سياسية	٣ بالمائة
حقوق اقليمية	١٦ بالمائة	أجوبة متنوعة	١٠ بالمائة
يدعي العرب أن اليهود أخذوا أرضهم	٥ بالمائة	لا رأي	٤١ بالمائة
الشيوعية	٤ بالمائة	المجموع	١٠٥ بالمائة(*)
أسباب اقتصادية	٤ بالمائة		

(*) أعطى البعض أكثر من جواب واحد.

---

(٤٨) اقتصر السؤال الموجه على ما إذا كان المجيبون يميلون الى الموافقة أم عدم الموافقة مع الرأي القائل «أن على اسرائيل أن تعيد الأراضي التي كسبتها من حرب ١٩٦٧» (عام ١٩٧٠) أو القائل «أن على الولايات المتحدة ألّا تضغط على اسرائيل لإعادة جميع الأراضي العربية التي حصلت عليها في حرب الشرق الأوسط سنة ١٩٦٧» (عام ١٩٧٤). لم يوافق ٤٣ بالمائة على الرأي الأول ووافق ٥٦ بالمائة على الرأي الثاني. أنظر أيضاً: Harris, «Oil or Israel.».

(٤٩) *The Gallup Opinion Index*, report no. 153 (April 1978), p. 12.

عن «حل» فلسطيني. وبحلول عام ١٩٨٢ حبّذ نصف المجيبين تقريباً (٤٦ بالمائة) إقامة دولة فلسطينية مستقلة. وفي استطلاع للرأي جرى عام ١٩٨٥ عبّر ٥٥ بالمائة من الجمهور الأمريكي عن اعتقاده أن «السلام في الشرق الأوسط لن يحل إلا حين يكون للشعب الفلسطيني دولة خاصة به في الضفة الغربية»[٥٠].

صيغة السؤال

أظهرت الاستقراءات المبحوثة حتى الآن، كما أشرنا سلفاً، تحيّزاً أكيداً ضد الفلسطينيين العرب وتأييداً لليهود أو للإسرائيليين. نود الآن أن نوثق هذا القول بشكل أكمل ونلاحظ ابتداءً أن جميع وكالات استطلاعات الرأي تقريباً تسأل أسئلة متصلة باليهود وإسرائيل أكثر بكثير من الاسئلة المتصلة بالفلسطينيين العرب. لذا تتجه الاسئلة المتعددة نحو مشاكل الاضطهاد اليهودي وإعادة الإسكان والهجرة الى فلسطين والدخول الى الولايات المتحدة وإنشاء دولة يهودية وحاجات إسرائيل الأمنية، والمساعدات الأمريكية (كم وأي نوع)... الخ. وعلى نقيض هذا، نادراً ما تبحث مسائل الفلسطينيين العرب أو تستقصي مشاكلهم.

والشكل الآخر للتحيز ينطوي على صيغة السؤال[٥١]. فمستطلع الرأي قد يعمل على

---

(٥٠) «Nation-Wide Survey of U.S. Attitudes on the Middle East,» p. 64.

(٥١) جرى باختصار بحث مسألة صيغة السؤال وكيف تنحو الإجابات عن قضايا الشرق الأوسط الى التنوع حسب شكل السؤال في كتاب المؤلفين:

Seymour Martin Lipset and William Schneider, «Polls for the White House and the Rest of US,» *Encounter,* vol. 39, no. 5 (November 1977), pp. 24-34, and George F. Bishop [et al.], «Effects of Question Wording and Format on Political Attitude Consistency,» *Public Opinion Quarterly,* vol. 42, no. 1 (Spring 1978), pp. 81-92.

أما تأثير مستطلع الرأي على المجيبين، وخصوصاً عند توجيه أسئلة حساسة، فإنه أمر موثق توثيقاً جيداً. للاطلاع على مصادر تلخص نتائج الدراسات التي تبين تحيز مستطلع الرأي، أنظر:

Hadley Cantril, *Gauging Public Opinion* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1944); Herbert H. Hyman [et al.], *Interviewing in Social Research* (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1975); Seymour Sudman and Norman M. Bradburn, *Response Effects in Surveys* (Chicago, Ill.: Aldine Publishing Company, 1974), and Eugene J. Webb [et al.], *Unobtrusive Measures* (Chicago, Ill.: Rand McNally and Company, 1971).

وللاطلاع على دراسات تبيّن تأثير المستطلع عند توجيه أسئلة عنصرية، أنظر:

K.R. Athey [et al.], «Two Experiment Showing the Effect of the Interviewer's Racial Background on Responses to Questionnaires Concerning Racial Issues,» *Journal of Applied Psychology,* vol. 44, no. 4 (August 1960), pp. 244-246; E.C. Bryant, I. Gardner (Jr.) and M. Goldman, «Responses on Racial Attitudes As Affected by Interviewers of Different Ethnic Groups,» *Journal of Social Psychology,* vol. 70, Ist half (October 1966), pp. 95-100, and Howard Schuman and Jean M. Converse, «The Effects of Black and White Interviewers on Black Responses in 1968,» *Public Opinion Quarterly,* vol. 25, no. 1 (Spring 1961), pp. 39-56.

وأظهرت الدراسات أن الخلفية الاجتماعية للمستطلع من شأنها أن تفسد النتائج، أنظر: =

توجيه المجيبين وجهة معينة بتقديم معلومات لمصلحة أحد الطرفين. وهكذا جرى توجيه السؤال الآتي للجمهور في عام ١٩٤٦ : «كما تتذكرون، يوصي تقرير اللجنة الأنغلو ـ امريكية بإدخال مئة ألف لاجىء يهودي آخر الى فلسطين على الرغم من احتجاجات العرب هناك. وكان الرئيس ترومان قال إنه ينبغي العمل بهذه التوصية. والآن تقول انكلترا إن على الولايات المتحدة أن تساعدها في المحافظة على النظام في فلسطين إذا نشبت الاضطرابات بين اليهود والعرب. هل ترى أن علينا أن نساعد في المحافظة على النظام هناك، أم علينا أن نتحاشى ذلك؟»[٥٢]. ونأخذ مثالاً آخر من «هاريس ومشاركيه»: «(كما تعلمون) احتلت إسرائيل القدس بأجمعها، ولكنها فتحت المدينة لجميع الناس الذين يريدون القيام بزيارة فيها، ويشمل ذلك جميع المعابد الدينية. هل ترى وجوب السماح لاسرائيل بالاحتفاظ بالقدس، أم ترى أن تكون المدينة مدينة دولية؟»[٥٣].

ثمة تكتيك تحيّزي آخر وهو حشد جميع الحجج ضد أحد الطرفين التماساً في الغالب لتعاطف مع الطرف الأثير في الوقت ذاته. يضرب لنا استقراء لـ «هاريس» مثلاً جيداً إذ سئل المجيبون هل يوافقون أم لا يوافقون على ما يلي: «إذا بدا وكأن اسرائيل ستسقط بيد الروس والعرب، فسيكون على الولايات المتحدة أن تفعل كل شيء لإنقاذ إسرائيل، بما في ذلك دخول الحرب»[٥٤]. وإليكم سؤالاً آخر مشابهاً في استقراء لـ «هاريس» يقول: «يريد الروس أن تدين الأمم المتحدة إسرائيل باعتبارها معتدية في حرب الشرق الأوسط وتلزمها بأن تدفع للأمم العربية تعويضات عن أضرار الحرب. هل توافق أم لا توافق على قيام الأمم المتحدة بعمل كهذا؟»[٥٥].

هناك كذلك وسيلة تحيزية أخرى وهي استعمال صيغة مختلفة لأسئلة يقصد منها أن تكون متشابهة أو يزعم أنها كذلك. مثلاً، في عام ١٩٦٧ تجنب «هاريس ومشاركوه» سؤال الجمهور «من الذي تشعر أنه بدأ الحرب الأخيرة في الشرق الأوسط، العرب أم الاسرائيليون؟» مع هذا

Daniel Katz, «Do Interviewers Bias Poll Results?» *Public Opinion Quarterly*, vol. 6, no. 2 (Summer 1942), pp. 248-268; David Riesman, «Orbits of Tolerance, Interviewers, and Elites,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 20, no. 1 (Spring 1956), pp. 49-73, and G.E. Lenski and J.C. Leggett, «Caste, Class, and Deference in the Research Interview,» *American Journal of Sociology*, vol. 65, no.5 (March 1960), pp. 463-467.

وجرى إثبات التأثير لديانة المستطلع في:

Duane Robinson and Sylvia Rohde, «Two Experiments with an Anti-Semitism Poll,» *Journal of Abnormal and Social Psychology*, vol. 41, no. 2 (April 1946), pp. 136-144.

وجرى بحث فساد البيانات كنتيجة لاسم المستطلع عند إجرائه استقراءات عن الشرق الأوسط، وذلك من قبل:

Suleiman, *American Images of Middle East Peoples: Impact of the High School*, pp. 32-42.

(٥٢) «NORC Poll of May 1946,» and Cantril, ed., *Public Opinion, 1935-1946*, p. 386.

(٥٣) وجه هذا السؤال في تموز/يوليو ١٩٦٧ ثم في أيلول/سبتمبر مرة أخرى. وبينما اختار ٧٠ بالمائة من الجمهور الأمريكي أن تكون القدس «مدينة دولية» في تموز/يوليو، فإن ٣٣ بالمائة فقط حملوا هذا الرأي في أيلول/سبتمبر. وارتفع عدد الذين اختاروا سيطرة اسرائيلية من ١٠ بالمائة إلى ٤٥ بالمائة خلال شهرين. أما «غير المتأكدين» فكانوا ٢٠ بالمائة و٢٤ بالمائة على التوالي في العيّنتين.

(٥٤) *The Harris Survey Yearbook of Public Opinion, 1970*, p. 100.

(٥٥) «Harris Poll of 10 July 1967,».

كانت هذه هي بالضبط الصيغة المستعملة في تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٧٣. بيد أن «هاريس» سأل الشعب الأمريكي في عام ١٩٦٧ «هل تميلون الى الاتفاق أو عدم الاتفاق بأن العرب ارادوا بدء الحرب؛ بأن إسرائيل أرادت بدء الحرب». وهكذا فبدلاً من الحصول على نتائج تظهر إسرائيل بادئة للحرب، تعكس البيانات موقف الجمهور الأمريكي نحو الطرفين، وهو أصلاً شديد العداء للعرب وشديد المناصرة لإسرائيل.

استمرت وكالة «هاريس» في استخدامها تكتيكات يحتمل أن تؤثر في نتائج استطلاعاتها للرأي العام عن الشرق الأوسط. مثلاً، سألت في تموز/يوليو عام ١٩٨٢، في ذروة الغزو الاسرائيلي: «كما تعلمون، قامت اسرائيل بإدخال قواتها في لبنان وذلك في محاولة منها لإزالة منظمة التحرير الفلسطينية والقواعد العسكرية السورية هناك والتي استخدمت لقصف شمال اسرائيل. فلنقدم لكم بعض البيانات حول دخول اسرائيل الى لبنان. أعلمونا إن كنتم توافقون أو لاتوافقون على كل منها: كانت زعامة منظمة التحرير الفلسطينية مخطئة في تعمّدها وضع أقوى قوة عسكرية لها وسط مدينة بيروت المزدحمة بالسكان، وبذلك جعلت من المحتم قتل الأبرياء حين تهاجم اسرائيل مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية»[٥٦]. من الواضح أن «هاريس» في هذا البيان، كما في غيره، يبتغي أن يجعل الجمهور يلوم المنظمة ويبرىء اسرائيل ويبرر قتلها للمدنيين الأبرياء. وفعل هذا التكتيك فعله إذ وافق ٦٣ بالمائة من المجيبين ولم يوافق ٢٤ بالمائة منهم في حين كان ١٣ بالمائة غير متأكدين.

الإجراء الآخر الذي قد يؤثر بالمجيبين هو مكان السؤال أو التسلسل الذي تظهر فيه الأسئلة. وهكذا ففي استقراء لـ «هاريس» أجري في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣ سئل الأمريكيون هل يتفقون أم لا يتفقون مع بيانات متعددة تظهر تعاطفاً مع اسرائيل أو تربط «العرب» بالسوفيات، فضلاً عما يلي: «إذا خضعنا للقيود العربية على النفط الآن فسرعان ما سنجد العرب وهم يملون علينا كثيراً من السياسة الخارجية الأمريكية، وهذا خطأ». بعد ذلك عرض على المجيبين البيان الآتي: «إننا في حاجة الى النفط العربي لسد النقص في مخزوننا من البنزين هنا في الوطن، لذا فمن الأفضل لنا إيجاد وسائل لمسايرة العرب حتى ولو أن هذا يعني تأييد اسرائيل بدرجة أقل»[٥٧]. ومن المتصور على الأقل أن البيانات السابقة قد تقلل من التأييد لهذا القول الأخير.

ثانياً: السياسة الممكنة للولايات المتحدة

إضافة الى المواقف الأمريكية حيال شعوب وأقطار الشرق الأوسط تتوافر بعض

---

(٥٦) *The Harris Survey*, no. 57 (19 July 1982), p. 3.

(٥٧) *The Harris Survey Yearbook of Public Opinion, 1973*, p. 249.

وقد جرى رفض البيان بنسبة ٥٠ بالمائة (وأيده ٢٦ بالمائة)، وفي صيف ١٩٧٤، رفض البيان ٦١ بالمائة، ووافق عليه ٢٣ بالمائة. في حين كانت النسبتان في كانون الثاني/يناير ١٩٧٥، ٦٨ بالمائة و٢٠ بالمائة، أنظر:

Harris, «Oil or Israel?» p. 34.

البيانات في شأن ردود فعل الجمهور والسياسات والأفعال الممكنة لحكومة الولايات المتحدة في هذه المنطقة.

ففي الأربعينات والخمسينات مثلاً سألت وكالات استطلاع الرأي الأمريكية هل يوافق المجيبون على فكرة إرسال قوات من الأمم المتحدة و/أو قوات أمريكية الى الشرق الأوسط للمساعدة في حفظ السلام. وعلى العموم فضل الأمريكيون أولاً وقبل كل شيء الابتعاد عن النزاع وعدم ارسال أية قوات الى المنطقة. لذا، وفي استقراء أجري سنة ١٩٤٦ وافق ٧ بالمائة فقط من الذين سمعوا بالنزاع في فلسطين على ارسال جنود أمريكيين لحفظ السلام هناك، في حين لم يوافق ٤٨ بالمائة منهم[٥٨]. وحتى عند إعادة صياغة السؤال بحيث أخبر المجيبون بأن اللجنة الأنغلو ـ أمريكية عن فلسطين قررت دخول مئة ألف لاجىء آخر الى فلسطين، وأن الرئيس ترومان قال إن هذه التوصية ينبغي تنفيذها، كان رد الفعل ساحقاً (٦١ بالمائة) إلى جانب «الابتعاد عن المسألة»، في حين أيّد ٢٨ بالمائة فقط اشتراك أمريكا «للمساعدة في حفظ النظام»[٥٩]. ولم يظهر الأمريكيون تأييداً كبيراً نسبياً للاشتراك المباشر في حالةٍ ما افتراضية إلاّ في أعقاب غزو السويس في ١٩٥٦ حين تخوفوا من تغلغل سوفياتي في الشرق الأوسط. لذا أشار ٥٠ بالمائة من المجيبين في شباط/فبراير عام ١٩٥٧ بالموافقة «إذا كان للولايات المتحدة أن تعد بإرسال قواتنا المسلحة إذا هاجمت القوات السوفياتية هذه الأقطار (في الشرق الأوسط)[٦٠]. وفيما عدا ذلك كانت معارضة التورط العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط قوية ومتواصلة. ولم يحظ حتى تمركز مائتي أمريكي من مهندسي الرادار الفنيين أو «المراقبين» في مراكز المراقبة الألكترونية في سيناء في عام ١٩٧٥ بموافقة ساحقة. إذ وافق على ذلك ٤٣ بالمائة فقط بينما لم يوافق ٤١ بالمائة ولم يكن لدى ١٦ بالمائة رأي في الأمر.

كان الأمريكيون في الأغلب يترددون في التورط عسكرياً في الشرق الأوسط «حتى في حالة مهاجمة قوات يدعمها الشيوعيون لأمةٍ ما.» يظهر الجدول رقم (٧ ـ ٥) الاستجابات السلبية على العموم لأي شكل من أشكال التورط العسكري، حتى دفاعاً عن اسرائيل «حليفة» أمريكا مضرب الأمثال في الشرق الأوسط.

إن الفوارق في أرقام وكالتي استطلاع الرأي والملحوظة في الجدول المذكور تعكس الاختلافات في صيغة الأسئلة. فلويس هاريس ومشاركوه يربطون عموماً «العرب» بـ «السوفيات» في محاولات «للاستيلاء على اسرائيل،» ثم يسألون هل ترسل الولايات المتحدة قواتها «للحيلولة دون الاستيلاء على اسرائيل.» بيد أنه وحتى في هذه الظروف كانت

---

(٥٨) «Gallup Poll of 1 January 1946.» and Cantril, ed., *Public Opinion, 1935-1946*, p. 386.

(٥٩) «NORC Poll of May 1946,» p. 386.

(٦٠) لم يوافق ٣٤ بالمائة، ولم يكن لـ ١٦ بالمائة أي رأي. انظر: «Gallup Poll of 4 February 1957,».

جدول رقم (٧ - ٥)

هل يجب على الولايات المتحدة أن ترسل قواتها للدفاع عن اسرائيل إذا هوجمت؟

(نسب مئوية)

وكالة استطلاع الرأي	التاريخ	مؤيد	معارض	غير متأكد، لا رأي
هاريس	١٠ حزيران/يونيو ١٩٦٧	٢٤	٥٦	٢٠
هاريس	٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٦٧	٢٢	٢٩	١٩
غالوب	٢٤ تموز/يوليو ١٩٦٨	٩	٧٧	١٤
هاريس	آب/اغسطس ١٩٧٠	٣٨	٣٨	٢٤
هاريس	تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٠	٣٤	٥١	١٥
هاريس	كانون الثاني/يناير ١٩٧١	٣٩	٤٤	١٧
هاريس	تموز/يوليو ١٩٧١	٢٥	٥٢	٢٣
غالوب	كانون الثاني/يناير - نيسان/ابريل ١٩٧١	١١	٤٤	٤٥
هاريس	شباط/فبراير ١٩٧٣	٣١	٥٢	١٧
هاريس	كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٤	٢٧	٥٠	٢٣
هاريس	كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٤ (قادة)	٤١	٤٤	١٥
غالوب	١٨ - ٢٠ نيسان/ابريل ١٩٧٥	١٢	٤٢	٤٦

نسبة ٣٩ بالمائة هي أعلى نسبة لتحبيذ مثل هذا التورط في استطلاعات الرأي غير المقتصرة على «القادة» [أو: الزعماء، كما أشير سابقاً][٦١].

وبينما كانت الأسئلة في شأن الدفاع الممكن عن إسرائيل توجه مراراً، كان من النادر

---

(٦١) «Gallup Poll of 12-15 September 1975,» and *The Gallup Opinion Index,* report no. 124 (October 1975), p. 5.

لنا أن نضيف أن كلمة «القادة» هنا تعني «أفراد يمثلون أمريكيين، على خير ما يمكن التأكد من هذا التمثيل، وهم في مواقع قيادية ذات نفوذ ومعرفة كبيرين في العلاقات الخارجية». كان هؤلاء «القادة» أكثر ميلاً إلى تأييد اسرائيل وأكثر استعداداً لرؤية الولايات المتحدة وهي ترسل قوات للدفاع عن اسرائيل، إذا هوجمت، كما يشير الجدولان (٧ - ٢) و (٧ - ٥). انظر أيضاً:

Rielly, ed., *American Public Opinion and US Foreign Policy, 1975.*

توجيه سؤال في شأن دفاع ممكن عن «العرب» أو عن قطر عربي معين. لذا ابان استطلاع للرأي أجراه غالوب في عام ١٩٦٨ أن ٢ بالمائة فقط حبذوا إرسال قوات أمريكية «لمساعدة العرب... إذا كان لحرب واسعة النطاق أن تندلع هناك». كذلك، حبّذ ٧ بالمائة من الجمهور الأمريكي في عام ١٩٧٥ إرسال قوات إلى السعودية «في حال مهاجمتها من قوات يساندها الشيوعيون»[٦٢]. يجب أن نتذكر أن هذا الاستقراء أجري في أعقاب المقاطعة النفطية العربية التي بدأت توقظ الأمريكيين لكي يدركوا أن السعودية ذات أهمية كبيرة للولايات المتحدة في حقل الطاقة[٦٣]. كانت هذه القضية من الأهمية بحيث سأل استطلاع للرأي في عام ١٩٧٩ الجمهور الأمريكي إذا كان «يحبّذ استخدام الأسلحة النووية ضد السوفيات... إذا تهددت السعودية بخطر استيلاء سوفياتي». عارضت الأغلبية (٦٥ بالمائة) هذا الخيار وذكر عدد أقل من هذا بقليل (٥٧ بالمائة) أنهم لا يعتقدون أن الولايات المتحدة ستستخدم الأسلحة النووية في حال وقوع ذلك[٦٤].

كانت الولايات المتحدة فرضت، إبّان حرب ١٩٤٨ بين اسرائيل والعرب، حظراً على بيع الأسلحة للطرفين. وفي تموز/يوليو من تلك السنة سئل الأمريكيون هل ينبغي رفع هذا الحظر؟ لم يحبذ تغيير هذه السياسة سوى ١٠ بالمائة بينما أراد ٨٢ بالمائة للحظر أن يستمر وكان ٨ بالمائة غير قادرين على اتخاذ رأي[٦٥]. وعلى أي حال انضمت الولايات المتحدة في ١٩٥٠ الى بريطانيا وفرنسا في وضع ما ارتقى الى فرض حصار على المنطقة في شأن السلاح. فأعلنت الدول الثلاث في بيانها الثلاثي الشهير معارضتها لاستخدام القوة بين دول الشرق

---

(٦٢) «Gallup Poll of 18-21 April 1975,» and *The Gallup Opinion Index*, report no. 121 (July 1975), p. 26.

حبّذ ٢٧ بالمائة إرسال مؤونات، وفضّل ٥٤ بالمائة «عدم التورط» ولم يبد ١٢ بالمائة رأياً.

(٦٣) ولنا أن نضيف أن ١٠ بالمائة من الجمهور أيّد في كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٤ تدخلاً عسكرياً إذ فرضت الأقطار العربية مقاطعة نفطية أخرى على الولايات المتحدة. أنظر:

The Gallup Opinion Index, report no.116 (February 1975), p. 5.

ووُجد في التاريخ ذاته أن نسبة ٢١ بالمائة تحبذ (٥٦ بالمائة تعارض، ٢٣ بالمائة غير متأكدة) مشاركة عسكرية أمريكية ضمنها استخدام القوات الأمريكية، «إذا قطع العرب النفط عن أوروبا الغربية». أما في حال فرض حصار نفطي على اليابان فإن ١٤ بالمائة من الأمريكيين يحبذون مشاركة عسكرية أمريكية، و٦٣ بالمائة يعارضون ذلك و٢٣ بالمائة غير متأكدين. أنظر:

Rielly, ed., *American Public Opinion and US Foreign Policy, 1975*, p. 18.

ووجد الاستقراء ذاته أن ٦ بالمائة فقط من الجمهور (٤ بالمائة من القادة) يحبذون سياسة «غزو الأقطار المنتجة للنفط» إذا ووجهت الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان بحصار نفطي عربي آخر. وحبذت الأغلبية الساحقة اقتسام النفط مع أوروبا الغربية واليابان أو مواجهة الموقف على انفراد. أنظر: المصدر نفسه، ص ٢٥، و

Harris, «Oil or Israel?» p. 34.

(٦٤) «ABC News,» *Harris Survey*, vol. 1, no. 51 (27 April 1979), p. 3.

(٦٥) «NORC Poll of 1 July 1948,» and «The Quarter's Polls,» p. 551.

جدول رقم (٧ - ٦)

مبيعات وتجهيزات الاسلحة من الولايات المتحدة الى اسرائيل والبلدان العربية

(نسب مئوية)

وكالة استطلاع الرأي	التاريخ	اسرائيل			العرب		
		مؤيد	معارض	لا يعلم، لا جواب	مؤيد	معارض	لا يعلم، لا جواب
نورك(*)	٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥	٢٥	٥٠	٢٦	–	–	–
نورك	٢٠ نيسان/ابريل ١٩٥٦	١٩	٦٣	١٨	–	–	–
هاريس	حزيران/يونيو ١٩٦٧	٣٥	٣٩	٢٦	–	–	–
غالوب	تموز/يوليو ١٩٦٨	٢٤	٥٩	١٧	٣	٧٩	١٨
هاريس	تموز/يوليو ١٩٧١	٣٦ «مقاتلة نفاثة» ٣٩ صاروخاً مضاداً للطائرات	٤٢ ٤٠	٢٢ ٢١	– –	– –	– –
هاريس	تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣	٤٦	٣٤	٢٠	–	–	–
غالوب،	٢٠ - ٣٠ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٧٣	٣٧	٤٩	١٤	٢	٨٥	١٣
غالوب	٣ - ٦ آذار/مارس ١٩٧٨	٢٨	٥٤	١٨	١٥	٦٨	١٧
هاريس	٢٨ تشرين الأول/اكتوبر - ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨١	–	–	–	٤٢	٤٨	١٠

(*) يتجاوز المجموع ١٠٠ بالمائة بسبب تقريب الأرقام.

ملاحظة عامة: تشير العلامة (–) الى أن المعلومات غير متوافرة.

الأوسط وعزمها عدم تزويد اسرائيل والأقطار العربية إلاّ بما تحتاجه من أسلحة لأغراض «الدفاع الشرعي عن النفس»[٦٦]. على أنه ما أن نجحت مصر في عقد صفقة سلاح كبيرة مع الاتحاد السوفياتي في أيلول/سبتمبر عام ١٩٥٥، حتى بدأت وكالات استطلاع الرأي الأمريكية تسأل الجمهور هل ينبغي على الولايات المتحدة أن تزود اسرائيل بالسلاح، وفي عام ١٩٦٨ أضيف سؤال مشابه عن العرب.

---

(٦٦) Fred John Khouri, *The Arab-Israeli Dilemma*, 3rd. ed. (Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press, 1985), pp. 295 and 296.

يبيّن الجدول رقم (٧ ـ ٦) بوضوح وجود شعور أمريكي قوي يعطف على تزويد اسرائيل بالأسلحة دون العرب. على أنه ينبغي أن نلاحظ أنه ما أن بدأت مصر تقترب من وجهة النظر الأمريكية عن قضايا الشرق الأوسط حتى قفزت أرقام تأييد بيع السلاح «للعرب» من ٢ ـ ٣ بالمائة في السابق الى ١٦ بالمائة. وقد أدرك كل من الرئيسين جيمي كارتر ورونالد ريغان أن محاولة إقناع الكونغرس بيع الأسلحة الى «العرب»، أي الى الأقطار العربية الصديقة للولايات المتحدة وهي السعودية ومصر والأردن، هي مهمة عسيرة، والرئيسان ليسا واثقين من تذليلها. في مثل هذا الصراع يكون على الرئيس الأمريكي أن يعمل جاهداً لاقناع الجمهور لكي يضغط على الكونغرس ليصوت لمصلحة البيع المطلوب. وعلى النقيض من هذا نجد أن قائمة الطلبيات التي تقدمها اسرائيل تتقلص أبداً، ناهيك عن معارضتها أي تحرك أمريكي في هذا الاتجاه. مع هذا فما أن تزايدت هجمات اسرائيل على شتى الأقطار العربية، مسببة كثيراً من التدمير وإزهاق أرواح الآلاف (من المدنيين الابرياء في الغالب، كما في غزو لبنان في عام ١٩٨٢) حتى بدأت وسائل الاعلام الأمريكية والجمهور بمناقشة مسألة استخدام اسرائيل الأسلحة التي تزودها بها أمريكا. لذا ففي استقراء أجراه «غالوب» في ٢٣ ـ ٢٦ تموز/يوليو عام ١٩٨٢ وافق ٦٤ بالمائة من الأمريكيين على أن «تستخدم جميع الأسلحة المرسلة من الولايات المتحدة الى اسرائيل لأغراض دفاعية فقط»[٦٧]. كذلك رأت الأغلبية (٥٢ بالمائة) «أن اسرائيل كانت مخطئة في ذهابها الى الحرب وقتلها آلافاً من المدنيين اللبنانيين»[٦٨].

إن الاستقراءات المبحوثة آنفاً سألت على وجه التخصيص عن تزويد الأسلحة لاسرائيل أو للعرب. أما حين يصاغ السؤال في شكل يتيح خياراً بين إرسال القوات أو تزويد الأسلحة فإن التفضيل الأكيد هو للخيار الثاني. لذا اختار ٤٢ بالمائة في عام ١٩٧٥ تزويد الأسلحة (مقابل ١٢ بالمائة حبذوا إرسال القوات) لمساعدة اسرائيل في حال مهاجمتها من قوات يساندها الشيوعيون. كذلك أظهر الاستقراء نفسه أن ٢٧ بالمائة يحبذون تزويد السعودية بالأسلحة، في حين حبّذ ٧ بالمائة فقط إرسال القوات[٦٩].

ولعلنا نجد مقياساً أفضل للمواقف الأمريكية في الاستقراءات التي توجه أسئلة مفتوحة مثل «ماذا تظن أن على الولايات المتحدة أن تفعله في هذه الحالة؟» أو «في حالة وقوع حرب؟». ويقدم الجدول رقم (٧ ـ ٧) مثل هذه البيانات للفترة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٥. ويتضح منها أن الجمهور الأمريكي يفضل للولايات المتحدة «أن تتجنب النزاع». ويتضح كذلك أنه

---

(٦٧) ذكر ٢٦ بالمائة أن اسرائيل يجب أن تكون قادرة على استعمال الأسلحة في أي وقت تشعر أنه ضروري؛ ولم يبد ١٠ بالمائة رأياً. انظر: *The Gallup Opinion Index*, report no. 203 (August 1982), p. 3.

(٦٨) *The Harris Survey*, no. 57 (19 July 1982), p. 3.

(٦٩) *The Gallup Opinion Index*, report no. 121 (July 1975), pp. 17 and 26.

بينما بقي خيار «التأييد للأقطار العربية» غير موجود تقريباً كخيار مقترح، فقد انخفضت نسبة الـذين يؤيدون مساعـدة إسرائيـل بـطرق عسكـريـة أو غـيرهـا انخفـاضـاً كبيـراً نسبيـاً في السعبينـات. أما الـزيادة الـرئيسية فكـانت في الموافقـة على أن تلعب الـولايات المتحـدة دور الوسيط وأن تساعد في التفاوض لتحقيق تسوية سلمية.

جدول رقم (٧ - ٧)
سياسات بديلة للولايات المتحدة نحو النزاع العربي - الاسرائيلي
(نسب مئوية)

	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	شباط/ فبراير ١٩٧٥	نيسان/ ابريل ١٩٧٥
تجنب النزاع	٤١	٦١	٥٢	٥٨	٥٥	٤١
تأييد اسرائيل (مساعدة عسكرية)	(*)	(*)	(*)	(*)	٩	٥
تأييد اسرائيل (مساعدة غير عسكرية)	١٦	١٠	١٣	١٣	٧	(*)
تأييد اسرائيل (ارسال قوات)	٥	(*)	١	١	٢	(*)
التفاوض/العمل كوسيط	١٤	٨	١١	١٠	٧	٢٤
العمل عن طريق الأمم المتحدة/ عقد مؤتمر جنيف	١١	٣	٢	٢	(*)	١
تأييد البلدان العربية	(*)	(*)	١	١	(*)	(*)
اجابات أخرى، لا رأي	١٣	٢٠	٢٠	١٥	٢٩	٣١
المجموع	١٠٠	١٠٢(**)	١٠٠	١٠٠	١٠٩(**)	١٠٢(**)

(*) أقل من $\frac{1}{2}$ بالمائة.
(**) يتجاوز المجموع ١٠٠ بالمائة بسبب اجابات متعددة.

ومع أن التفضيل الأكيد بالنسبة الى عديد من الأمريكيين هو تقليـل التورط الأمـريكي في أي نزاع في الشرق الأوسط فمن الخطأ الاستنتاج أن هذا يعكس شعوراً انعزالياً كلياً. إن الموقف السائد يحبذ الابتعاد عن النزاع حين يكون ذلك خياراً قابلاً للتـطبيق، أي حين يمكن مع ذلك حماية المصـالح الأمـريكية إبّـان اتباع هـذا الخيار والعمـل فيما عـدا ذلك مـع أقطار أخرى أو بواسطة الأمم المتحدة كلما كـان ذلك ممكنـاً. فالأمـريكيون لن يـوافقوا عـلى تورط عسكري في الخارج إلّا كآخر سهم في الجعبة. لذا، فمنـذ عام ١٩٤٦ وجـد الأمريكيـون في

الأمم المتحدة واسطة عليها «أن تعالج مشكلة جعل اليهود يستوطنون في فلسطين»[٧٠] وفي عام ١٩٤٦ فضّل ٦٥ بالمائة أن يروا جيشاً من المتطوعين تابعاً للأمم المتحدة، وليس قوات أمريكية (٣ بالمائة) لحفظ السلام في فلسطين إذا سحبت انكلترا قواتها[٧١]. واستمر هذا التأييد من أجل العمل بواسطة الأمم المتحدة، استمر قوياً عبر السنين، وبأغلبيات كبيرة. ففي عام ١٩٤٨ حبّذ ٦٢ بالمائة من الأمريكيين أن تقوم الدول الكبرى بالعمل على تنفيذ توصيات الأمم المتحدة[٧٢]، وفي عام ١٩٥٦ وافق ٧٠ بالمائة على إنشاء قوة مراقبة تابعة للأمم المتحدة لكي تعمل بين مصر واسرائيل[٧٣]، وفي عام ١٩٦٧ رأى ٥٨ بالمائة أن «مجلس الأمن» التابع للأمم المتحدة «هو المكان الصحيح الذي يمكن فيه إعداد شروط السلام في الشرق الأوسط»[٧٤].

وفي استقراء لهاريس في أعقاب الغزو الإسرائيلي للبنان في صيف عام ١٩٨٢ سئل الأمريكيون هل يحبذون تمركز قوات أمريكية، كجزء من قوة دولية لحفظ السلام، في جنوب لبنان. فعارضت الأغلبية (٥٤ بالمائة) الاقتراح[٧٥]. وحتى بعد إرسال القوات الأمريكية الى بيروت كجزء من الكتيبة الدولية عارض الأمريكيون إرسال مشاة البحرية الى هناك (٤٨ بالمائة مقابل ٤٧ بالمائة)، ولم يحبذوا زيادة عددهم (٥٥ بالمائة مقابل ٣٩ بالمائة) ورأوا أن «من المستحيل ومن الحماقة» إبقاءهم هناك[٧٦].

كذلك أيّد الأمريكيون تأييداً كبيراً فكرة التعاون مع دول كبرى أخرى، صديقة كانت أم لا، لبذل محاولات لحل مشاكل معلقة. لذا فمنذ عام ١٩٥٥ حبّذ ٤٩ بالمائة من الذين سئلوا، اقتراحاً بأن تنضم الولايات المتحدة الى أقطار أخرى لمنع أي محاولة تريد أن تغيّر بالقوة الحدود المتفق عليها بين اسرائيل والاقطار العربية[٧٧]. فضلاً عن ذلك حبذ الأمريكيون بصورة متواصلة وبنسبة كبيرة فكرة التعاون السوفياتي - الأمريكي لتحقيق تسوية سلمية في الشرق الأوسط. والواقع أن ما لا يقل عن ٨٢ بالمائة حبذوا الفكرة في خمسة استقراءات أجراها هاريس ومشاركوه بين ١٩٦٩ و١٩٧٣[٧٨]. كذلك حبذ ٦٦ بالمائة من الجمهور

---

(٧٠) رأى ٧٢ بالمائة في هذا فكرة حسنة، واعتقد ١٩ بالمائة أنها فكرة سيئة، ولم يبد ٩ بالمائة رأياً. أنظر:
«Gallup Poll of 19 June 1946,» and «The Quarter's Polls,» p. 418.

(٧١) «Gallup Poll of 19 November 1947,» and «The Quarter's Polls,» p. 161.

(٧٢) لم يوافق ١٦ بالمائة ولم يبد ٢٢ بالمائة رأياً. انظر: «The Quarter's Polls,» p. 550.

(٧٣) لم يوافق ١٠ بالمائة ولم يبد ٢٠ بالمائة رأياً. أنظر: «Gallup Poll of 26 November 1956,».

(٧٤) «Harris Poll of 10 July 1967,».

(٧٥) حبذه ٤١ بالمائة ولم يكن ٥ بالمائة متأكدين. *The Harris Survey*, no. 55 (12 July 1982), p. 3.

(٧٦) *The Harris Survey*, no. 76 (22 September 1983), pp. 2-3.

(٧٧) عارضه ٣٦ بالمائة ولم يبد ١٥ بالمائة رأياً. أنظر: «NORC Poll of 29 September 1955,».

(٧٨) على أنه كانت هناك معارضة في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣ (٦٢ بالمائة) لاحتلال قوات أمريكية وسوفياتية مناطق متنازع عليها بين مصر واسرائيل. أنظر:
The Harris Survey Yearbook of Public Opinion, 1973, p. 250.

الأمريكي في عام ١٩٨٥ فكرة اشتراك الولايات المتحدة في مؤتمر دولي يضم الاتحاد السوفياتي وإسرائيل وسوريا والأردن ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينية «لمحاولة حل النزاع العربي - الاسرائيلي»[٧٩].

من هذا يبدو أن التفضيل لدى الجمهور الأمريكي يتراوح بين الاستجابة المقبولة جداً والاستجابة غير المقبولة جداً «لمشاكل» الشرق الأوسط على النحو التالي: الابتعاد عن النزاع؛ العمل من خلال الأمم المتحدة و/ أو مع دول كبرى أخرى لنزع فتيل المشكلة؛ تقديم المساعدة الاقتصادية؛ تقديم التجهيزات العسكرية؛ وإرسال القوات، وهذا فقط كآخر سهم في الجعبة، وذلك كجزء من قوة تابعة للأمم المتحدة فيما يُرجى ويفضل. ينطبق هذا على كل من البلاد العربية وإسرائيل حتى وإن كانت هذه الأخيرة تتلقى تأييداً أكبر من الجمهور لمساعدة عسكرية كانت أم على شكل قوات.

بدأت السلطات الأمريكية في العقد الأخير أو نحوه تبتغي علناً الاقتراب من أقطار معينة في الشرق الأوسط باعتبارها أقطاراً صديقة أو «نافعة استراتيجياً» أو «حليفة». وبالتالي ظهرت في وسائل الاعلام الأمريكية اشارات متكررة الى أقطار صديقة، أو «حلفاء استراتيجيين» وكذلك الى جماعات وأقطار غير صديقة أو «معادية». وأخذت وكالات استطلاع الرأي توجه الأسئلة من هذه المسائل. مثلاً نُظر الى اسرائيل ومصر في أواسط الثمانينات على أنهما عموماً من أقرب الحلفاء (إسرائيل ٣٣ بالمائة؛ مصر ٢١ بالمائة) أو من الأصدقاء (اسرائيل ٤١ بالمائة، مصر ٥٦ بالمائة)[٨٠]. تليهما بالتسلسل السعودية والأردن. أما الأقطار والجماعات العربية التي ينظر اليها الجمهور الأمريكي على أنها غير صديقة فهي منظمة التحرير الفلسطينية وليبيا وسوريا ولبنان.

ثالثاً: خلاصة واستنتاجات

الاستنتاج الأول والأهم الذي نستنتجه من هذا العرض هو الافتقار الى التحسس من جانب الجمهور الأمريكي (وكذلك وكالات استطلاع الرأي) للشؤون العربية، وخصوصاً منها الفلسطينية. إن عدم التحسس هذا هو دلالة على التحيز، ويتاخم العنصرية. لعل

---

(٧٩) «Nation-Wide Survey of U.S. Attitudes on the Middle East,» p. 65.

(٨٠) أجري الاستقراء في أيار/مايو ١٩٨٣. أنظر:

Harris Survey, no. 76 (22 September 1983), p. 3, and no. 115 (27 December 1984), pp. 2-3.

من الجدير بالملاحظة هنا وجود طريقة إضافية للتلاعب بالبيانات لكي تلائم أغراضاً معينة. وهكذا تجاهل هاريس ذكر البيانات عن مصر في تقرير ٢٢ أيلول/سبتمبر ١٩٨٣ حين كانت المواقف نحو مصر شبيهة تقريباً في تأييدها للمواقف نحو اسرائيل. كذلك ففي تقرير ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤ لم تكن النتائج المقدمة عن تواريخ مشابهة بل كانت عن أيار/مايو ١٩٨٣ (مصر) وتشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤ (اسرائيل).

مستطلعي الرأي، إن لم نقل عموم الأمريكيين، متحيزون ولكنهم لا يدركون تحيزهم[٨١]. قد يفسر هذا ما يرد في اسئلة وكالات استطلاع الرأي من إساءة الى الفلسطينيين. وهكذا يجري تجاهل الفلسطينيين كشعب تجاهلاً يكاد يكون تاماً في الأسئلة الموجهة للجمهور الأمريكي، كما أن الأسئلة تصاغ أحياناً في طريقة محابية لإسرائيل. وحين يشار في أسئلة الاستقراءات الى الفلسطينيين فإن حاجاتهم ورغباتهم لا تحظى إلا بقليل من التعاطف أو التأييد. وقد تغيّر هذا الوضع قليلاً بعد عام ١٩٧٣ حين أخذت «فلسطين» و«الفلسطينيون» بالبروز كقضايا تستحق الدرس في صورة مشروعة.

وإذا كان العرب والوطن العربي والفلسطينيون هم، في الأهمية، على هامش الضمير الأمريكي فإن العكس هو الصحيح بالنسبة الى اليهود وإسرائيل. فالمركزية المتصورة عن مسألة اليهود وإسرائيل لم تتغير منذ الثلاثينات. كانت المسألة في البداية هي مسألة اليهود الاوروبيين ومعاملتهم وهل يستحقونها أم أنهم سببوها لأنفسهم. ثم تحولت بؤرة الاهتمام الى إعادة الاستيطان، الى وطن يهودي، ودولة يهودية في فلسطين. فلما تحقق وجود دولة إسرائيل أصبح الاهتمام الرئيسي هو أمن الدولة وشعبها، وكيف يمكن للولايات المتحدة المساعدة في ذلك. وتضمنت الأشكال المختلفة للمساعدة المقترحة معونة مادية واقتصادية وتجهيزات عسكرية ثقيلة، وإلتزاماً بإرسال قوات، دفاعاً عن الدولة اليهودية. وبعد عام ١٩٦٧ غالباً ما كانت قضية الأراضي المحتلة تدرج أو تحال الى مكان ثان وراء الاهتمام بأمن إسرائيل. ولم يبدأ، إلا بعد عام ١٩٧٣ كما ذكرنا آنفاً، بحث ما يتعلق بكيان لفلسطين يتألف من مشكل ما قائم على قطاع غزة والضفة الغربية كلاً أو جزءاً، عبّر عن تأييده له حوالى نصف الجمهور الأمريكي. غير أن المسائل المتعلقة بأمن إسرائيل استمرت تحتل المركز الأول.

بيد أنه وعلى الرغم من مركزية المسألة اليهودية فإن المواقف الأمريكية نحو اليهود وإسرائيل لم تكن دائماً لمصلحتهم. والواقع أن استطلاعات الرأي بينت، لا سيما في

(٨١) نضرب بلويس هاريس مثلاً على ما يكتبه مستطلع للرأي العام على المستوى القومي وهو يكشف عن عاطفة مناصرة لاسرائيل تختلط بملاحظات مناهضة للعرب وللفلسطينيين. فهو بعد أن يطمئن الحالية اليهودية الأمريكية الى تأييد الأمريكيين (سواءً الجمهور أو القادة) يروم التقليل من شأن التأييد الأمريكي لياسر عرفات كزعيم للفلسطينيين (٣٥ بالمائة) وذلك بالحط من قدره وتشويهه من خلال تصويره «معتدياً»، مظهراً الازدراء لجميع الزعماء العرب كما في ملاحظاته الآتية: «يظن الناس أنه ينبغي أن يكون لعرفات مقعد في مؤتمر جنيف لأسباب مثيرة للاهتمام وتعكس روحية تهكمية ساخرة بسياسة العالم. وهي روحية واسعة الانتشار بحيث أصبح من الصعب أن نجد أغلبيات بين الأمريكيين على استعداد لادانة المعتدين. إن رئيس منظمة التحرير لا ينظر إليه إلاّ على أنه يقل بدرجة واحدة عن عددٍ من الشخصيات الأخرى التي قد تشترك في مائدة جنيف رسمياً. أضف الى ذلك أن الأمريكيين قد تعودوا رؤية وزير خارجيتهم كيسنجر يعقد مفاوضات ودية مع زعماء معادين في السابق من كل الأنواع: برجنيف، ماو، الفيتناميين الشماليين وحكام عرب من كل لون. فلم لا يجلس عرفات الى مائدة جنيف حتى ولو كانت الأعمال الارهابية التي تقوم بها منظمة التحرير الفلسطينية أعمالاً خسيسة؟». أنظر: Harris, «Oil or Israel,» pp. 22 and 34.

الثلاثينات والأربعينات، أن قسماً كبيراً من الجمهور الأمريكي يحمل ما يرقى الى آراء لا سامية (أي معادية لليهود)، وكان تأييد الاستيطان اليهودي في فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها، بالنسبة الى هؤلاء الناس على الأقل، لا يرجع الى الكرم بقدر ما يرجع الى الجهل بالفلسطينيين العرب والى تجاهلهم. وقد أظهروا كذلك عدم رغبتهم في توطين هؤلاء المهاجرين اليهود في الولايات المتحدة. لقد أخذت المواقف الأمريكية نحو اليهود وإسرائيل بالتحسن بعد أن بدأ ينظر اليها كحليف أمريكي وكوسيط لممارسة نفوذ الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. على أنه عند وقوع خلاف بين إسرائيل والولايات المتحدة تظهر على المواقف الأمريكية علامات تشير الى أنها أمست أقل تأييداً. لهذا فمن الممكن أن تغدو المواقف الأمريكية نحو إسرائيل أقل إيجابية إذا توترت أو تدهورت العلاقات الإسرائيلية ـ الأمريكية.

وبينما تتأثر المواقف الأمريكية نحو إسرائيل بالعلاقات الأمريكية ـ الإسرائيلية فإن إسرائيل ومؤيديها، وخصوصاً الصهاينة في الولايات المتحدة، لديهم بعض القدرة على التلاعب بالرأي الأمريكي. مثلاً، كان لكل من محاكمة آيخمان وعرض مسلسل «محرقة الموت» تلفزيونياً أثر في توليد تعاطف وتأييد إضافيين لإسرائيل. ويمكن الافتراض أن التذكير مستقبلاً باضطهاد اليهود في ألمانيا النازية سيؤدي الى زيادة التعاطف مع إسرائيل والقضية الصهيونية.

وإذا كان الشعور المناهض لليهود واضحاً لدى بعض الأمريكيين في الثلاثينات والاربعينات فإن المشاعر المعادية للعرب تصبح واضحة تماماً في السبعينات والثمانينات. لذا ففي عام ١٩٨٠ نظر حوالى ٥٠ بالمائة من الجمهور الأمريكي الى العرب على انهم متخلفون، جشعون، متغطرسون، غدّارون، مولعون بالحرب، بل وحتى «بربريون».

يتعاطف الأمريكيون، على العموم، مع الاسرائيليين أكثر مما يتعاطفون مع العرب في النزاعات التي تحدث في المنطقة ويميلون الى إلقاء أكثر اللوم لإثارة المشاكل فيها على عاتق العرب. على أن «تعقل» الرئيس المصري الراحل أنور السادات أكسبه في بعض الأحيان مرتبة أفضل «كرجل سلام» من رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق مناحيم بيغن. مع ذلك، فإن هذا لم يترجم بسهولة أو بسرعة الى موقف إيجابي نحو مصر والمصريين، ناهيك عن «العرب» و«الأمم العربية». ومن جهة أخرى فإن التعاطف مع إسرائيل لا يترجم آلياً الى التزام أمريكي بتورط فعلي. وعلى العموم فالأمريكيون يترددون جداً في الموافقة على إرسال القوات الأمريكية الى الشرق الأوسط. والتفضيل المؤكد لديهم هو الابتعاد عن النزاع إلا إذا مسّ المصالح الأمريكية الجوهرية.

نخلص من كل ذلك الى الاستنتاج أن الرأي العام فيما يتعلق بالشرق الأوسط يتغيّر ببطء. وهو يتأثر بالعلاقات الأمريكية مع الأنظمة الحاكمة في المنطقة وبالكيفية التي تنظر بها الحكومة الأمريكية الى الوضع.

الفصل الثامن

الرأي العام العالمي والقضية الفلسطينية

سيستكشف هذا الفصل المواقف العامة في شأن فلسطين والشعب الفلسطيني في شتى أرجاء العالم. إن هذا التقرير، إضافة الى ما يقدمه من معلومات نافعة عن أهم قضية تواجه الوطن العربي، يغاير المواقف والآراء الأمريكية ويقارنها بمواقف وآراء الشعوب الأخرى في العالم.

تنعكس المواقف العامة عادة في شتى وسائل الاتصالات (المطبوعة والألكترونية) كما تنعكس في استطلاعات الرأي العام. غير أن معظم الأقطار لا تستخدم وكالات لاستطلاع الرأي، وحتى الأقطار القليلة نسبياً التي تستخدمها فإنها نادراً ما توجه أسئلة عن القضية الفلسطينية. لذا فسنركز على الوسائل المطبوعة للحصول على المعلومات، باستثناء الدول الغربية ولا سيما الولايات المتحدة. وقد يثار كذلك سؤال عما إذا كانت المواقف العامة تختلف جذرياً عن السياسات الرسمية. ومن الواضح أن هناك قدراً كبيراً من التطابق بين الأثنين. ويصدق هذا حتى في الديمقراطيات السياسية. والواقع أن البحث العلمي قد أظهر أن الرأي في الولايات المتحدة غالباً ما يتبع السياسة، بمعنى أن وسائل الإعلام إنما تبدأ بمناقشة سياسة معينة أو الدعوة اليها بعد أن يكون المسؤولون العموميون قد أيدوها[1]. وعلى أي حال، تتشابه السياسات الرسمية والمواقف العامة في عدد من الأقطار.

ومن الواضح أنه لن يكون ممكناً في ورقة بحث مختصرة كهذه إعطاء تفاصيل كاملة عن المواقف العامة حيال الفلسطينيين في كل قطر من أقطار العالم. لذا فسأتناول عدداً من

---

(١) انظر: Shanto Iyengar and Michael W. Suleiman, «Trends in Public Support for Egypt and Israel, 1956-1978,» *American Politics Quarterly*, vol. 8, no. 1 (January 1980), pp. 34-60, and Robert Weissberg, *Public Opinion and Popular Government* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1976).

الأقطار كمجموعة، مشيراً الى الاختلافات كلما وجدت. سأبدأ بالوطن العربي ثم أواصل كما يلي: إسرائيل، أقطار حركة عدم الانحياز، آسيا، أفريقيا، أمريكا اللاتينية، أوروبا الشرقية، أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية. ثم أقدم في النهاية موجزاً مختصراً وخاتمة.

سأقدم في كل قسم سرداً تاريخياً مختصراً عن تطور الرأي العام في القطر أو المنطقة موضوع البحث قبل إعطاء عرض أكثر تفصيلاً عن التغييرات والمواقف الحديثة. وقد برزت أثناء قيامي بالبحث نقاط عدة قد يكون من المفيد تلخيصها هنا.

١ ـ هناك اليوم تفهّم لفلسطين وللفلسطينيين أفضل بكثير مما كان عليه حتى قبل عشر أو خمس عشرة سنة. والأسباب الرئيسية للتفهم المتحسن وما تلاه من تعاطف متزايد وتأييد للفلسطينيين هي (أ) ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير، (ب) السياسات التوسعية والعدوانية للسلطات الاسرائيلية، لا سيما تحت حكم مناحيم بيغن، و(ج) ولدرجة أقل الوضع الدولي الخطير في منطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية.

٢ ـ كانت الشعوب العربية والاسلامية، باستثناء الفلسطينيين أنفسهم، أول من أدرك الظلم الذي وقع بالفلسطينيين. وتليهم شعوب حركة عدم الانحياز، فأقطار آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية. أما التعاطف والتأييد للفلسطينيين في أوروبا وأمريكا الشمالية فهما على العموم حديثا المنشأ.

٣ ـ ونجد في كل حالة، باستثناء الشعوب العربية والاسلامية، أن التأييد للفلسطينيين كان ضعيفاً في الأربعينات ثم تطور واشتد فيما بعد.

٤ ـ واليوم تقف إسرائيل وحيدة في حقيقة الأمر ضد «إجماع عملي عالمي» عن الفلسطينيين، ويتضمن ذلك تأييد حقهم في دولة لهم في ظل ممثلتهم، أي منظمة التحرير الفلسطينية.

أولاً: العرب والفلسطينيون

كان الوطن العربي بشعوبه كافة أقوى المؤيدين للفلسطينيين في مناطق العالم أجمع، وأكثرهم استمراراً في ذلك ولأطول فترة من الزمن. على أن هذا لا يعني وجود اتجاه موحد لحل القضية الفلسطينية، كما لا يعني أن الرأي العام الحقيقي وجد مجالاً كافياً ومفتوحاً للتعبير في الوطن العربي. إن الجماهير العربية تتعاطف، كما هو جليّ جداً للمقيمين في المنطقة فضلاً عن المراقبين الخارجيين النابهين، تعاطفاً سليقياً مع أبناء جلدتها من العرب الفلسطينيين وتقف الى جانبهم. والتعاطف والتأييد، بالنسبة الى كثير من العرب، لا يستندان فقط الى العدالة والأخلاقية الواضحتين في وضع الفلسطينيين العرب بل يستندان كذلك الى الرابطة المزدوجة التي تشترك بها مع أغلبية الفلسطينيين، ألا وهي رابطة العروبة

والاسلام. ولسوء الحظ لم تجر استطلاعات للرأي العام حول الموضوع، لذا فإن هذه الدراسة تعتمد أساساً على رأي الصحف كما تعكسه الافتتاحيات، وذلك في المشرق العربي ومصر[٢]. وفي الغالب لا يعكس رأي الافتتاحيات آراء الجمهور العام بل آراء الحكومة القائمة أو آراء القائمين على أمر الصحيفة المعنية: لذا فمن المهم ملاحظة ذلك كلما حدث وأينما وجد. ومعلوم أن الصحافة في الوطن العربي كانت حرة نسبياً في التعبير عن آرائها عن فلسطين منذ ظهور دولة إسرائيل حتى حوالى عام ١٩٥٨. وبعد عام ١٩٥٨ كان للصحافة مهام عدة، ولكن لم يكن في مقدمتها دائماً مهمة التعبير عن الاحساس العام الحقيقي. بيد أن جماعية الآراء التي أبديت في شتى الأقطار العربية تقدم لنا فكرة طيبة عن الرأي العمومي.

كان الرأي العربي قبل عام ١٩٤٧ مجمعاً على تأكيد الطابع العربي لفلسطين وعلى معارضة غرس فكرة الوطن القومي اليهودي فيها. وكان ذلك بديهياً، كما كان الوضع جلياً في عدالته واتفاقه مع قواعد الأخلاق بحيث كانت صدمة عظيمة لأكثرية العرب أن يقترح أحد، بل الأمم المتحدة كمنظمة، تقسيم فلسطين وإعطاء الدولة الصهيونية المقترحة ٥٥ بالمائة من أراضيها. وكانت الصدمة الأخرى أن تكون الدول الغربية، وخصوصاً الولايات المتحدة، هي التي مكنت من إصدار قرار التقسيم. عندئذ تحولت الثقة والصداقة نحو الغرب، ضمن ما تحول، إلى حبوط وريبة. ثم قورن ظهور دولة إسرائيل بممالك الصليبيين في عصر أسبق بكثير. وكان ثمة تخوف من أن إسرائيل ستكون دولة استعمارية وتوسعية تهدد الكثير من رقعة الوطن العربي.

أما بعد عام ١٩٤٨، حين جزئت فلسطين وأسست دولة إسرائيل فقد تبددت وحدة الرأي في افتتاحيات الصحف، باستثناء الاعتقاد بأن فلسطين هي دولة عربية حقاً وعدالةً وتاريخاً ولذلك يجب استعادتها. بيد أن كثيراً من الانتقاد كيل الى هذا النظام العربي أو ذاك لعدم القيام بما يكفي نيابةً عن فلسطين، أو اتهم بالخيانة عمداً لمصلحة العدو. وقد قيل لو عمل جميع العرب بقوة وبوحدة حقيقية لما كانوا خسروا. وبما أن إسرائيل ربحت الحرب فقد جرى التفاوض على اتفاقيات هدنة مختلفة وقبلت ولو بتردد. بيد أن الأمم المتحدة أصدرت قرارات عن القضية الفلسطينية، قرارات شملت إعادة الفلسطينيين الى ديارهم وتأسيس دولة عربية فلسطينية.

ندب العرب بالطبع خسارة جزء من فلسطين، كما ندبوا فيما بعد احتلال الباقي من فلسطين مع أراضٍ عربية كثيرة. وبدأوا كذلك يقلقون في شأن العقيدة التوسعية الصهيونية

---

(٢) أقدم امتناني للأستاذ وليام حداد لمشاطرته إياي نتائج دراسته الممتازة غير المنشورة عن الصحافة العربية (١٩٤٥ ـ ١٩٧٨) والتي تعتمد عليها أكثر المواد الواردة في هذا القسم.

واستيلاء إسرائيل على مزيد من الأراضي العربية. نظر كتاب الافتتاحيات إلى اسرائيل باعتبارها أداة غربية تهدف الى انقسام الوطن العربي والابقاء عليه ضعيفاً ومتخلفاً. وبالتالي أنحوا باللائمة على الغرب. (وعلى الولايات المتحدة خصوصاً) لايجادها المأساة الفلسطينية وديمومتها. وقد تحول الرأي المؤيد للغرب بقوة قبل كارثة فلسطين تحولاً تدريجياً الى وقفة مناهضة له، ولو مع أمل قوي بأن الغرب سرعان ما سيرى نور الحقيقة فيرفع المظالم التي وقعت بحق القضية الفلسطينية[3].

ومنذ أواخر الخمسينات أخذت الآراء العربية بالتشدد والتنوع معاً. وآل بها الأمر الى تمثيل رأي الحكومات القائمة بالدرجة الأولى. ولكن، مع وجود التفرق الكثير في الوطن العربي وجد كذلك تنوع في الأوضاع. ثم أضيف الى مثل تلك الآراء جميعها الصوت المهم للشعب الفلسطيني بعد أن كبت أو أسكت منذ عام ١٩٤٨. وهكذا فمع ظهور حركة تحرير فلسطين (فتح) وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، لا سيما بعد عام ١٩٦٩، بدأ الفلسطينيون مرة أخرى يمثلون قضيتهم بانفسهم ويبعثون رجالاً منهم لتمثيلهم في المنابر الدولية[4].

ومع ظهور واشتداد المقاومة الفلسطينية أخذت الاستجابة العربية بالتنوع. كانت الحركة ذات شعبية كبيرة جداً في أوساط الجماهير العربية ولذا لم يكن من الممكن مهاجمتها من دون أن تلم بالمنتقدين ومؤيديهم مضاعفات خطيرة. مع هذا، فبينما كان التأييد للفلسطينيين وقضيتهم شيئاً ثابتاً في السياسة العربية كان بوسع الحكومات العربية أن توجه (وقد وجهت في الغالب) تأييدها المادي والمعنوي لفصائل فلسطينية معينة. كذلك فليس من غير المعتاد بالنسبة الى حكومة عربية يعنيها أن تؤيد (أو توجه توجيهاً مؤثراً تأييد الجمهور) لفئة فلسطينية معينة في وقت معين ثم تتحول الى فئة أخرى (أكثر راديكالية أو أكثر اعتدالاً) في وقت آخر.

ونجد في الصحف اللبنانية (وهي غالباً ما تعبر عن آراء شتى عربية وغير عربية تتفق مع سياسة أصحابها أو مموليها) جميع ألوان الرأي من التأييد التام للفلسطينيين ولمنظمة التحرير الى رفض هذه المنظمة، ولا سيما من قبل بعض العناصر اليمينية المتطرفة المؤيدة لإسرائيل. وهذه العناصر، التي دربتها ومولتها وسلحتها إسرائيل، هي التي أدخلتها السلطات العسكرية الإسرائيلية الى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٨٢، فحدثت المذبحة التي شملت حوالى ألفين من المدنيين والنساء والأطفال

---

(٣) للإطلاع على تقويم للتغطية الصحافية العربية لحرب ١٩٧٣ والتورط الأمريكي، أنظر:

William A. Rugh, *Arab Perceptions of American Foreign Policy during the October War* (Washington, D.C.: Middle East Institute, 1976).

(٤) انظر على سبيل المثال:

Salah Khalaf (Abu Iyad) and Eric Rouleau, *My Home, My Land* (New York: Times Books, 1981).

العزل لمدة ثلاثة أو أربعة أيام وأذهلت العالم. كانت الجماهير العربية، حتى حين وقفت الحكومات العربية متفرجة والاسرائيليون ومؤيدوهم يعيثون فساداً في لبنان وبين ظهراني الفلسطينيين فيه، على أشد ما يكون التعاطف والتوق للمساعدة. وحيثما كان التطوع ممكناً تدفق عشرات الألوف من العرب يعرضون الذهاب الى لبنان للمساعدة في القتال، كذلك دانت وسائل الاعلام في أنحاء الوطن العربي إسرائيل إدانة شديدة وتعاطفت مع الفلسطينيين(٥). حتى الصحافة المصرية كانت انتقادية لإسرائيل والولايات المتحدة معاً ومؤيدة كل التأييد للفلسطينيين وحقهم بدولة خاصة بهم(٦). ليس من شك، إذاً، أن الرأي العام في الوطن العربي يتعاطف الى أقصى حد مع، ويؤيد كل التأييد، الفلسطينيين ومنظمة التحرير ورغبتها بدولة خاصة بهم، حتى حين تحاول الحكومات كبته أو تغييره.

أما بالنسبة الى الفلسطينيين فإن رغبتهم في وطن لهم هي رغبة واضحة وقوية، وكان تصميمهم على الكفاح بكل الوسائل المتيسرة من أجل هذا الهدف الأعلى تصميماً جلياً طيلة الأمد الأكبر من هذا القرن. ومع أن «الحلم»، كما سماه ياسر عرفات، هو إقامة دولة ديمقراطية علمانية في كل فلسطين فالظاهر أن الفلسطينيين هم على استعداد فيما يبدو لحل وسط وقبول تسوية تمكنهم من إقامة دولة فلسطينية بقيادة منظمة التحرير. وقد جرى الإفصاح عن هذا الشعور في استطلاعين للرأي أجريا في الوقت ذاته في نيسان/ ابريل عام ١٩٨٢، إذ أبدى الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة تفضيلهم الواضح لدولة خاصة بهم بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية(٧).

ثانياً: الإسرائيليون والفلسطينيون

غشّى الصهاينة أبصارهم عن وجود الفلسطينيين حتى من قبل تأسيس إسرائيل. لذا كان شعار الصهاينة القائل «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» تحريفاً، متعمداً في غالب الأحيان، للوضع الحقيقي للفلسطينيين. أما إذا حدث وذكّر أحدهم الصهاينة صدفة بوجود الفلسطينيين الحقيقي جداً فجوابهم أن هؤلاء ما هم إلا بدو رحّل. بعبارة أخرى، إن الفلسطينيين يمكن الاستغناء عنهم أو التخلص منهم، هذا إن وجدوا على الإطلاق(٨).

---

(٥) Hani A. Faris and Isam al-Naqib, «Arab Attitudes to the Israeli Invasion of Lebanon and the Future of Lebanese-Arab Relations,» paper presented at: The Association of Arab-American University Graduates Convention, Montreal, Canada, 22-24 October 1982.

(٦) «Al-Ahram Blames US,» *African Research Bulletin*, vol. 19, no. 6 (15 July 1982), p. 6506.

(٧) أجرى الاستطلاع الأول عبد الستار قاسم ونشرته باختصار «جوردان تايمز» في أيار/مايو ١٩٨٢. وأجرت الثاني وكالة استطلاع الرأي الاسرائيلية (PORI) لمجلة تايم الأمريكية ونشرته في عدد ٢٤ أيار/مايو ١٩٨٢، ص ٥٥. في الجواب عن السؤال الآتي: «هل تؤيد إقامة دولة فلسطينية مستقلة؟» قال نعم ٩٨,٢ بالمائة.

(٨) للإطلاع على مواقف الصهاينة من الفلسطينيين، انظر: =

وما أن تزايد عدد المستوطنين اليهود في فلسطين حتى أصبح واضحاً لبعضهم أن الفلسطينيين العرب موجودون كل الوجود ولا يمكن إزالتهم. بيد أن هذا كان رأي أقلية أيد دعاتها تأسيس دولة ثنائية القومية في فلسطين. أما بعد تجزئة فلسطين وإقامة دولة إسرائيل فقد بذل الصهاينة والاسرائيليون أقصى الجهد لإزالة البقية الباقية من الهوية الفلسطينية أو طمسها على الأقل. وهكذا ظهرت الاشارات الى «اللاجئين العرب»، أو «الارهابيين العرب» فيما بعد. لقد تم في داخل إسرائيل إزالة مئات القرى الفلسطينية كلياً، وجرى تبديل أسماء عدد آخر منها. وبعد حرب عام ١٩٦٧ أمسى قمع الهوية الفلسطينية هدفاً رئيسياً من أهداف السلطات الاسرائيلية، وخصوصاً بعد مجيء مناحيم بيغن الى الحكم في عام ١٩٧٧[(٩)].

وأمسى الفلسطينيون بالنسبة الى أكثرية الاسرائيليين أناساً «غير مرئيين»[(١٠)]، ولكن عند رؤيتهم رؤية فعلية فهم قوم أحط مرتبة لا يرغب أحد بالاختلاط بهم. ففي استطلاع للرأي مثلاً أجراه لويس هاريس بالاشتراك مع مجلة تايم في عام ١٩٧١ اتضح أن «٢٣ بالمائة من الاسرائيليين قالوا إنهم ينزعجون إذا جلس عربي الى جانبهم في مطعم، و٢٦ بالمائة إذا كان عليهم العمل معه عن قرب، و٤٩ بالمائة إذا انتقلت عائلة عربية للسكن في جوارهم، و٥٤ بالمائة إذا كان لأبنائهم معلم عربي، و٧٤ بالمائة إذا أصبح أولادهم أصدقاء مقربين للعرب، و٨٤ بالمائة إذا كان لصديق أو قريب أن يتزوج من عربية»[(١١)]. واتضح من الاستطلاع ذاته أن الاسرائيليين يعتقدون أن العرب أكسل منهم (٥٣ بالمائة) وأقسى (٧٥ بالمائة) وأجبن (٨٠ بالمائة) وأخون (٦٦ بالمائة) وأغبى (٧٤ بالمائة) وأحط (٦٧ بالمائة)[(١٢)]. وهكذا فإن نفي الزعماء الاسرائيليين المستمر لوجود الفلسطينيين كشعب يتوافق آنياً مع ما يلحقه بهم الأفراد الإسرائيليون من صفات سلبية. لذا نجد الرئيس السابق جيمي كارتر، وهو حجة ما بعدها حجة في الموضوع، يكتب عن رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق مناحيم بيغن قائلاً: «إنه يميل الى معاملة الفلسطينيين باحتقار، ويزدريهم وكأنهم أدنى درجة من البشر، ويعقلن موقفه الاحتقاري نحوهم بتصنيفه جميع الفلسطينيين كإرهابيين»[(١٣)].

Simha Flapan, *Zionism and the Palestinians* (London: Croom Helm; New York: Barnes and Noble, = 1979).

(٩) انظر: Muhammed Hallaj, «Palestine: The Suppression of an Idea,» *The Link*, vol. 15, no. 1 (January-March 1982), pp. 1-13.

(١٠) Janice Terry, «Zionist Attitudes toward Arabs,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 5, no. 1 (Autumn 1976), pp. 67-78.

(١١) *Time* (12 April 1971), p. 32.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٣١.

(١٣) وجاء على لسان بيغن أنه قال عن الفلسطينيين انهم «حيوانات ذوات رجلين»، انظر:

Time (11 October 1982), p. 62, and Yeshayahu Leibowitz, «We Have Already Done What Hitler Did in His First Six Years,» *Davar* (15 June 1982), as reprinted in: *Israeli Mirror* (London).

إن هذا الموقف الذي يكاد يصنف بالفصامية (بمعنى نفي وجود الفلسطينيين وفي الوقت عينه نعتهم بصفات وضيعة) ينعكس كذلك في المحاولات لايجاد تسوية للقضية الفلسطينية. لذا فحين سئل الاسرائيليون في عام ١٩٨٠ هل من الممكن التوصل الى تسوية سلمية مع العرب من دون حل للمشكلة الفلسطينية أجاب ٨٥ بالمائة منهم: كلا. مع هذا فحين سئلوا في الاستطلاع ذاته: «هل توافق أم لا توافق على تأسيس دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة كشرط لعقد معاهدة صلح نهائية وكاملة؟» أجاب ١٩ بالمائة منهم فقط بنعم وقال ٤ بالمائة إن هذا «يتوقف على أمور أخرى» في حين أجاب ٦٨ بالمائة بلا[١٤]. وبقيت هذه المواقف على حالها كذلك عام ١٩٨٢ بالنسب ذاتها تقريباً. إضافة الى ذلك فحين عرض على الاسرائيليين جدول خيارات في شأن الضفة الغربية وقطاع غزة اختار ٨ بالمائة فقط «دولة فلسطينية مستقلة» كحل مفضل[١٥].

أما مسألة منظمة التحرير الفلسطينية فقد رفض الاسرائيليون باطراد قبول المنظمة ممثلاً للفلسطينيين[١٦]. مثلاً، لم يقبل إلا ١٥ بالمائة فقط من الجمهور الاسرائيلي النظر في اعتراف إسرائيل بمنظمة التحرير، وهذا فقط في ظل ظروف معينة[١٧]. بيد أن هذه النسبة تجاوزت الضعف في آب/ أغسطس عام ١٩٨٢. ففي جواب على السؤال الآتي: «هل ترى أن علينا إجراء مفاوضات سلام مع زعامة منظمة التحرير الفلسطينية؟» قال ١٧,٩ بالمائة نعم وقال ١٩,٨ بالمائة نعم، في ظروف معينة[١٨].

إن من المعقول الافتراض أن الاستعداد المتزايد للاعتراف بمنظمة التحرير وإجراء مفاوضات معها هما الى حد كبير من نتائج الحرب التي أشعلها الغزو الإسرائيلي، وكذلك من نتائج مذبحة الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا. فقد قامت تظاهرات كبيرة في إسرائيل ضد حكومة بيغن[١٩]. كما شعر اليهود في خارج اسرائيل بأثر ما جرى، فأخذ عدد منهم يعيد

---

(١٤) *Indian Institute of Public Opinion*, vol. 25, no. 10 (July 1980), p. 24, reporting a Poll conducted by PORI (1-8 June 1980); Russell A. Stone, *Social Change in Israel: Attitudes and Events, 1967-79* (New York: Praeger, 1982), pp. 42 and 43, and Sammy Smooha and Don Peretz, «The Arabs in Israel.» *Journal of Conflict Resolution*, vol. 26, no. 3 (September 1982), pp. 451-484, especially p. 459.

(١٥) *Jerusalem Post* (31 August 1982), pp. 1 and 2, and Elizabeth H. and Philip K. Hastings, eds., *Index to International Public Opinion, 1983-1984* (Westport, Conn.: Greenwood Press, 1985), p. 198.

(١٦) Bernard Reich. «Israel's Foreign Policy and the 1977 Parliamentary Elections,» in: Howard R. Penmman, ed., *Israel and the Polls* (Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1979), p. 274.

(١٧) Smooha and Peretz, «The Arabs in Israel.» p. 459.

(١٨) *Jerusalem Post* (31 August 1982), pp. 1 and 2.

(١٩) Michael Yudelman, «400.000 Rally to Denounce Government,» *Jerusalem Post* (26 September 1982), reprinted in: *The Beirut Massacre* (New York: Clarement Research and Publications, 1982), p. 104.

النظر في الالتزام، أو حتى في التعلق، بدولة إسرائيلية لا تمثل القيم اليهودية[٢٠]. ودعا يهود آخرون غير إسرائيليين، وبينهم صهاينة بارزون جداً السلطات الإسرائيلية الى إيقاف المذبحة ورفع الحصار عن بيروت وذلك «لتسهيل المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، الأمر الذي يمكن أن يؤدي الى تسوية». ودعا البيان ذاته والموقع من بيار منديس - فرانس وناحوم غولدمان وفيليب كلوتزنيك الى «التعايش المتبادل بين إسرائيل والفلسطينيين على أساس حق تقرير المصير»[٢١]. ولسوء الحظ لم تستجب حكومة بيغن لهذه الدعوة، رغم أن ممثل منظمة التحرير في لندن، عصام السرطاوي (الذي اغتيل في وقت لاحق) نعتها بأنها «إسهام كبير للتوصل الى سلام عادل ومشرف في الشرق الأوسط»[٢٢]. وعلى الرغم من ذلك فقد صار واضحاً أن عدداً من اليهود غير الاسرائيليين وبعض المثقفين الاسرائيليين البارزين أخذ يستاء كل الاستياء من العناد الاسرائيلي في شأن القضية الفلسطينية[٢٣].

ثالثاً: أقطار عدم الانحياز والفلسطينيون

قبل الحديث عن المواقف العامة حيال القضية الفلسطينية في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية يجدر أن نعرض لآراء وسياسات الأقطار الأعضاء في حركة عدم الانحياز، إذ إن أغلب هذه الأقطار تابعة للقارات الثلاث المذكورة.

ومنذ أن انعقد المؤتمر الأفرو - آسيوي في باندونغ عام ١٩٥٥ أصبح تأييد الفلسطينيين واضحاً وكان له أن يتزايد سريعاً. وفي عام ١٩٦١ أعاد المؤتمر الأول لحركة عدم الانحياز في بلغراد تأكيد بيان باندونغ وقدم المشاركون في المؤتمر تأييدهم «لإعادة جميع الحقوق كاملة للشعب العربي في فلسطين بموجب ميثاق هيئة الأمم وقراراتها»[٢٤]. استمرت هذه الجماعة بالعمل داخل الأمم المتحدة وخارجها لتأكيد الاهتمام بالفلسطينيين ونجحت في عام ١٩٦٩ في أن تجعلها تعتبر الفلسطينيين شعباً وليس مجرد لاجئين. وما فتىء التقدم في هذا الاتجاه يسير في شكل مؤكد

---

(٢٠) Nat Hentoff, «The Silence of American Jews,» *The Village Voice* (29 June 1982).

وحول هذه المواضيع المطبوعة في الصحافة الجارية، انظر:

The Israeli Invasion of Lebanon (New York: Claremont Research and Publications, 1982).

(٢١) Pamela Ann Smith, «The European Reaction to Israel's Invasion,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 11, no. 4 (Summer 1982), and vol. 12, no. 1 (Fall 1982), p. 43.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) انظر على الأخص مقال Jacobo Timmerman والمنشور في قسمين في:

The New Yorker (18 October 1982), pp. 59-124; (25 October 1982), pp. 55-104, and «The 5 Dec. 1982 Interview on CBS's «60 Minutes» Program,».

(٢٤) A.W. Singham and Shirley Hune, «The Nonaligned Movement and the Internationalization of the Palestine Question,» in: Ibrahim Abu-Lughod, ed., *Palestinian Rights: Affirmation and Denial* (Wilmette, Ill.: Medina Press, 1982), pp. 161-181.

الى أن دعت أقطار عدم الانحياز الى إعادة الفلسطينيين الى ديارهم والى حق تقرير المصير وحق تأسيس دولة مستقلة ذات سيادة في فلسطين[٢٥].

لكن حركة عدم الانحياز لم تظهر الى الوجود إلا في أواخر الخمسينات. أما قبل ذلك فقد كان عدد من الأقطار، التي قدر لها أن تصبح أعضاء في المجموعة، لا يزال تحت الحكم الاستعماري أو أنه قد بدأ وجوده حديثاً ككيان سياسي مستقل. وفيما عدا الدول الاسلامية أو الأقطار ذات الأعداد الكبيرة من السكان المسلمين، كانت تصورات عامة الناس عن فلسطين وأهلها تكاد تكون منعدمة. أما بالنسبة الى الزعامة السياسية الطالعة والنخبة المثقفة فقد كانت آراؤها عن فلسطين قد كيفتها أساساً الدول الاستعمارية المسيطرة على بلادها. مثل هذه الآراء لم تكن على العموم في مصلحة الفلسطينيين العرب بل كانت متعاطفة مع الحركة الصهيونية، وهي آراء تبدلت الآن جذرياً بل صارت في الوقت الحاضر معاكسة للآراء السابقة. ولعل سري لانكا مثال نموذجي من المفيد ذكره.

لم تحقق سري لانكا (سيلان آنئذٍ) استقلالها حتى عام ١٩٤٨، ثم أصبحت عضواً في الأمم المتحدة في عام ١٩٥٥. وقد حكمتها نخبة غربية الذهنية، ولم تكن فلسطين قضية بارزة بالنسبة اليها. بل إن الوفد السيلاني في المؤتمر الآسيوي المنعقد في كولومبو عام ١٩٥٤ اختار لنفسه عن بينة مركز المراقب في شأن قضية فلسطين ليتحاشى بالذات اتخاذ موقف واضح. ولم يحدث إلا في عام ١٩٧٠، ونتيجة لسياسات محلية في الانتخابات العامة أن وعد السري لانكيون بتعليق العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل ثم نفذ هذا الوعد[٢٦]. على أنه وخلال بضع سنين «كاد تأييد القضية الفلسطينية يكون عاملاً مقرّراً بالبداهة في السياسة الخارجية»[٢٧]. والآن تعترف سري لانكا بنضال الفلسطينيين بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية كما تعترف بحقهم في تقرير مصيرهم وبدولة خاصة بهم.

يمثل التغيير في سياسة سري لانكا عن القضية الفلسطينية، برأيي، تغييراً جرى في أغلب أرجاء العالم الثالث وفي أوروبا وأمريكا الشمالية الى حد ما. إنه أولاً تغيير لم يحدث نتيجة لضغط الجمهور على صانعي السياسة. بل إن الرأي العام اتبع على العموم السياسة الموضوعة عن القضية الفلسطينية وعن غيرها من قضايا السياسة الخارجية خصوصاً[٢٨].

كانت هذه الحالة الغربية حصيلة عملية ثقافية احتضنت النخبة الاجتماعية -

---

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(٢٦) Mervyn de Silva, «Old Images, New Perceptions: Opinion Trends in Sri Lanka,» paper presented at: The UN Seminar on the Question of Palestine, 3, Colombo, Sri Lanka, 10-14 August 1981, p. 119 of Proceedings.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

الاقتصادية ـ السياسية التي كان لديها، سواءً ورثت السلطة عن السادة المستعمرين أم أخذتها منهم أخذاً، نوع من الوضع الذهني يشابه ما كان لدى الحكام السابقين، وخصوصاً بصدد القضية الفلسطينية. وقد عملت الصلة الدينية بـ التوراة والآراء السلفية لعدد من معلمي المدارس التبشيرية على تهيئة استعداد مسبق عند المعلمين وتلاميذهم لتكوين آراء محبذة لإنشاء دولة يهودية ولعودة اليهود الى فلسطين قبل العودة الثانية للمسيح. ومن جهة أخرى كان أغلب مثقفي العالم الثالث متأثرين بكتابات المثقفين والعلماء اليهود المنتشرين في أرجاء المعمورة. ويصدق هذا على الأخص على الفكر العلماني، لا سيما في أوساط اليسار السياسي. مع هذا فبتشكيل دولة إسرائيل لم يبد أن تياري الفكر هذين كانا متناقضين. إن التعاطف مع اليهود المضطهدين، وخصوصاً بعد فظائع «محرقة الموت»، مضافاً اليه الاعجاب بالمثقفين اليهود قد أثمر كثيراً في تأييد إسرائيل، من دون إدراك للضرر العظيم والظلم الصارخ اللذين حاقا بالفلسطينيين العرب بصورة لا مناص منها. وقد أقتضى الأمر ظهور جيل جديد كامل من القوميين أقل تأثراً بالآراء الغربية عن فلسطين، جيل شهد الماكنة العسكرية الاسرائيلية الجبارة وهي تستخدم للقمع وتعظيم الذات، لكي يجري تغيير في التفكير في شأن فلسطين. ولقد كان التغيير تدريجياً، وما أن تولى الفلسطينيون الكفاح من أجل وطن لهم حتى أصبح التغيير مؤيداً كلياً للفلسطينيين في أغلب أنحاء العالم الثالث كما سنفصل ذلك فيما يلي[٢٩].

رابعاً: الرأي الآسيوي

بما أن آسيا قارة كبيرة فيها الكثير من الأقطار المستقلة فليس ممكناً استقراء آراء كل منها على انفراد. لذلك سأركز على أكبرها وهي جمهورية الصين الشعبية واليابان والهند، مع تعليق مختصر عن الأقطار الصغرى.

١ ـ الصين الشعبية والفلسطينيون

تُظهر مواقف الصين حيال الفلسطينيين وقضيتهم، كما تعكسها الصحف والتظاهرات الجماهيرية، تأييداً مطرداً وتعاطفاً عظيماً. بدأ هذا التأييد مبكراً وظل قوياً على العموم على الرغم من «البرود» في الالتزام خلال فترة صعبة من ١٩٧١ الى ١٩٧٤. ويتفق الخبراء أن المناسبة المهمة الأولى لإظهار التأييد الصيني للفلسطينيين قد حدثت في عام ١٩٥٥ أثناء إنعقاد مؤتمر باندونغ. في ذلك الاجتماع التقى رئيس الوزراء الصيني الراحل شو إن لاي

(٢٩) Benjamin Rivlin and Jacques Fomerand, «Changing Third World Perspectives and Policies towards Israel,» in: Michael Curtis and Susan Aurelia Gitelson, eds., *Israel in the Third World* (New Brunswick, N.J.: Transaction Books, 1976), pp. 325-360.

لأول مرة زعماء عرباً مختلفين ـ كانوا في ذلك الوقت يتحدثون نيابة عن الفلسطينيين. التقى شو كذلك الزعيم الفلسطيني الراحل أحمد الشقيري الذي نوّره فيما يبدو عن القضية الفلسطينية. وكانت النتيجة تأييداً صينياً لقرار صدر في شأن فلسطين ولكن باعتبارها فقط «قضية من قضايا حقوق الإنسان تحت ظل ميثاق الأمم المتحدة»[٣٠]. والواقع أن شو أبدى تأييده لمشروع قرار ينص على تعديل إقليمي واعتراف بحقوق اللاجئين العرب، ولكن التأييد لهاتين النقطتين لم يكن واسعاً.

وبعد مؤتمر باندونغ وحتى عام ١٩٦٣ شدّد الصينيون من قوة التزامهم نحو الفلسطينيين، لكنهم عملوا من خلال شتى الأنظمة العربية القائمة. وهكذا ففي عام ١٩٥٧ ندد المشاركون الصينيون في منظمة تضامن الشعوب الأفرو ـ آسيوية باسرائيل باعتبارها خطراً يهدد سلام الشرق الأوسط واقترحوا القيام بزيارات لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين لمعرفة المزيد عن محنتهم. أعقب ذلك تأييد ماليّ وجماهيري. وبحلول عام ١٩٦٤ كان بإمكان الصينيين أن يعلنوا عن تأييدهم «لكفاح الفلسطينيين العرب من أجل استرداد حقوقهم المشروعة ومن أجل عودتهم الى وطنهم»[٣١]. فضلاً عن ذلك فقد أنحت الصحافة باللائمة على إسرائيل لما يحدق بالفلسطينيين العرب من أخطار واتهمت الحكومة الاسرائيلية بالعمل نيابة عن الدول الغربية.

وبظهور حركة المقاومة الفلسطينية، بدءاً بحركة «فتح»، أصبحت الاتصالات بين الفلسطينيين والصينيين مباشرة وليس من خلال الوسطاء، وفي البداية عن طريق وكالات غير حكومية أو شبه حكومية. وبتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٦٤ ظهر التأييد الصيني سريعاً في الاستقبال الجماهيري الحاشد لوفد المنظمة برئاسة الشقيري عند زيارة بكين في آذار/ مارس عام ١٩٦٥. وفي ذلك الوقت أيضاً أصبحت الصين الدولة الأولى غير العربية التي تمنح منظمة التحرير الفلسطينية الامتيازات الدبلوماسية الكاملة. وفي الوقت نفسه استمرت الصين في رفضها الاعتراف بإسرائيل أو إقامة علاقات دبلوماسية معها. وأيدت الصحافة الصينية حق الفلسطينيين في الكفاح المسلح لاستعادة وطنهم[٣٢]. كذلك وقفت الصين الى جانب الفلسطينيين ودانت الرئيس التونسي بورقيبة لدعوته للتعايش السلمي والمفاوضات المباشرة مع إسرائيل. وأعلن الخامس عشر من آذار/ مارس يوماً لفلسطين قامت خلاله تظاهرات جماهيرية تأييداً لفلسطين وأهلها[٣٣].

---

(٣٠) Hashim S.H. Behbehani, *China's Foreign Policy in the Arab World, 1955-75* (London: Kegan Paul, 1981), p. 21.

(٣١) *The People's Daily* (NCNA), (7 June 1964), as quoted in: Behbehani, Ibid., p. 39.

(٣٢) Behbehani, Ibid., p. 48.

(٣٣) John K. Cooley, «China and the Palestinians,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 1, no. 2 (Winter 1972), pp. 19-34.

وفي خلال حرب ١٩٦٧ دانت الصحافة الصينية الغزو الاسرائيلي وأيدت القضية العربية عموماً وسارت تظاهرات ضخمة تضامناً مع العرب دامت ثلاثة أيام من ٧ الى ٩ حزيران/ يونيو. وفي عام ١٩٦٨، وإذ أخذت «فتح» وغيرها من منظمات المقاومة الفلسطينية تكسب مزيداً من الشعبية، أيدت الصحافة الصينية كفاح هذه المنظمات المسلح وبدأت تهاجم فكرة «الحل السياسي».

وخلال الحرب الأهلية في الأردن عام ١٩٧٠ أيدت الصحافة الصينية المقاومة الفلسطينية، وخصوصاً «فتح»، ودعت الى الوحدة بين الفصائل الفلسطينية(٣٤). وحين أعلنت الولايات المتحدة فيما بعد عما يسمى بمشروع وزير الخارجية الأمريكي الأسبق وليم روجرز هاجمته الصحافة الصينية لأنه يجعل حق إسرائيل في الوجود شرعياً على حساب الفلسطينيين(٣٥).

وفي أوائل السبعينات استمر الصينيون على تأييدهم المقاومة الفلسطينية، وبخاصة «فتح»، وكرروا إصرارهم السابق على نيل الفلسطينيين حقوقهم القومية قبل أن تكون التسوية السلمية ممكنة. واستمروا، حتى قبل دخول بكين مجلس الأمن الدولي بدلاً من تايبه، على رفض القرار (٢٤٢) وأيدوا المقاومة الفلسطينية في سعيها من أجل الحقوق القومية. مع هذا حدث هبوط في التأييد الجماهيري للمقاومة الفلسطينية بين ١٩٧١ و١٩٧٤.

بيد أنه، ومنذ عام ١٩٧٤، وبخاصة بعد اعتراف دول الجامعة العربية بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً وحيداً للشعب الفلسطيني ثم بعد أن منحت مركز المراقب في الأمم المتحدة، كان الموقف الصيني يتجه الى تأييد ما تؤيده عموماً منظمة التحرير وحركة المقاومة الفلسطينية بما في ذلك تأييد التحركات نحو تسوية سلمية تأخذ بالحل الوسط(٣٦).

من الإنصاف أن نستنتج، إذاً، أن الشعب الصيني (وكذلك حكومته) كان من أوائل الذين تعاطفوا مع محنة الفلسطينيين والذين أيدوا جهودهم لاسترداد حقوقهم القومية. وقد استمروا على تقديم التعاطف والتأييد، معبرين عنهما بالتقارير الصحافية والتظاهرات الشعبية، «وكذلك ما تبديه شتى المنظمات الخاصة وشبه العامة. لذا، فبعد انسحاب إسرائيل من سيناء في نيسان/ ابريل عام ١٩٨٢ علقت صحيفة الشعب الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الصيني تقول: «إن قضية الفلسطينيين هي محور قضية الشرق الأوسط، لم تحل بعد... إن وقف العدوان الاسرائيلي وتسوية قضية الفلسطينيين تسوية عادلة يظلان من الأهداف العاجلة لتحقيق السلام

---

(٣٤) Behbehani, *China's Foreign Policy in the Arab World, 1955-75*, p. 86.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٣٦) Lillian Craig Harris, «China's Relations with the PLO,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 7, no. 25 (Autumn 1977), pp. 124, 142 and 143.

في الشرق الأوسط». ومضت تنتقد الولايات المتحدة لعدم اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني». ودعت الى بذل الجهود «لنيل الشعب الفلسطيني حقه القومي في تقرير المصير»[٣٧].

٢ ـ الرأي الياباني في شأن فلسطين

كان إنتباه الناس في اليابان لفلسطين والفلسطينيين بطيئاً في تطوره ولم يتكامل إلا في أوائل السبعينات. والواقع أنه لم تكن هناك عوامل عاجلة تحفز اليابانيين على الاهتمام بفلسطين. وفيما عدا بضعة فصول متناثرة كتبها في أوائل هذا القرن يهوديّ ما من الصين أو مسلم من اليابان بعد العودة من أداء فريضة الحج مسجلاً تجاربه أثناء الرحلة، لم يظهر اليابانيون إلا القليل من الاهتمام بل والأقل من الالتزام نحو أرض فلسطين وشعبها حتى مرّ على ذلك زهاء نصف قرن. وكما جاء في دراسة أجراها صحافي ياباني فإنه «لم تذكر سوى خمسة أسطر في الجرائد اليابانية الكبرى عن موضوع القرار الشهير لتقسيم فلسطين في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧؛ كما أعطي مكان بارز في ١٩٤٨ للاعلان عن إنشاء دولة إسرائيل نقلاً عن تقارير وكالات الأنباء الأمريكية؛ ولم يذكر عن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ومعركة الكرامة إلا نبذاً قصيرة»[٣٨].

وشهدت حرب عام ١٩٧٣ والحصار النفطي زيادة كبيرة في الاهتمام الياباني بالشرق الأوسط عموماً وبالقضية الفلسطينية خصوصاً. ويمكن الاطلاع على نماذج من الرأي الياباني خلال فترة حرب عام ١٩٧٣ من دراسة عما نشرته صحيفة يومية كبرى تصدر بالانكليزية وهي آساهي إيفننغ نيوز[٣٩]، والدراسة وضعت فرضيات معينة وفئات محددة لغرض البحث المقارن ولكن النتائج ذات العلاقة بموضوعنا كانت كالآتي: إن النظرة الى الإسرائيليين هي أنهم توسعيون وإمبرياليون. وقالت إحدى الافتتاحيات: «يجب على إسرائيل ان تتوقف عن تخويف الجانب العربي بفكرة دولة عسكرية تتوسع كحجيرات السرطان»[٤٠]. ودين رفض إسرائيل الانسحاب من الأراضي المحتلة في حرب عام ١٩٦٧. ودعت الصحيفة كذلك الى وطن للفلسطينيين وتحدثت عموماً عن الحاجة الى الاهتمام بظلامات الفلسطينيين. وطالبت بالاعتراف بحقوقهم المشروعة. ونشرت آساهي عن أعمال العنف والارهاب التي يقوم بها الطرفان ولكن من دون

---

(٣٧) *NCNA* (26 April 1982), as reported in: *African Research Bulletin*, vol. 19, no. 4 (15 May 1982), p. 6436.

(٣٨) Masahiro Sasagawa, «Japan and the Palestinians,» p. 4, forthcoming in the: *Journal of Arab Affairs*.

وإني ممتن لتوفيق فرح، محرر المجلة المذكورة، لإتاحته لي قراءة المسودة قبل النشر.

(٣٩) Alan Jay Zaremba, «An Exploratory Analysis of National Perceptions of the Arab-Israeli Conflict As Represented through World Newspapers: An International Communication Study,» (Ph. D. Dissertation, State University of New York, 1977).

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

إدانة. بل ذكرت أحياناً «أن عدم تحقيق تسوية فلسطينية هو الذي يجعل الفلسطينيين يتحولون الى رجال العصابات»[41]. وكان واضحاً كذلك لدى محرري آساهي أن العرب قاموا بمحاولات عدة لتحقيق تسوية سياسية سلمية ولكن من دون جدوى، بسبب عناد إسرائيل ورفضها، تشجعها في ذلك، أو تؤيدها على الأقل، الولايات المتحدة. وباختصار، «أيدت آساهي باطراد شرعية الأرض العربية. وذكرت باطراد أيضاً أن احتلال إسرائيل للأراضي غير شرعي، ونادت وباطراد كذلك بحقوق الفلسطينيين»[42].

أصبحت سياسة الحكومة اليابانية والمواقف الشعبية معاً، منذ عام ١٩٧٣، أكثر إيجابية. ففي عام ١٩٧٥ دعي شفيق الحوت، وكان يومئذ يرأس مكتب منظمة التحرير في بيروت لزيارة اليابان. وأعقبتها دعوة في عام ١٩٧٦ لرئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية فاروق القدومي. ثم وجهت دعوة في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٠ لرئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة ياسر عرفات لزيارة اليابان. كانت كل هذه الدعوات شبه حكومية لأنها وجهت من العصبة البرلمانية اليابانية ـ الفلسطينية. وتقول الحكومة اليابانية أنها من الناحية الرسمية غير قادرة على توجيه مثل هذه الدعوات لأن منظمة التحرير الفلسطينية ليست حكومة على أرض معينة. مع ذلك، فقد عقد عرفات خلال زيارته عام ١٩٨١ محادثات مع رئيس الوزراء الأسبق سوزوكي وعدد آخر من الزعماء في القطاعين العام والخاص. وقد لقيت هذه الزيارة ترحاباً شعبياً حسناً على العموم، وكانت تغطية وسائل الاعلام لها واسعة وجيدة[43].

أما أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢ فقد أظهر الجمهور الياباني تعاطفاً شديداً مع ضحايا الفلسطينيين واللبنانيين وتأييداً قوياً لهم. مثلاً، نظم «مؤتمر المواطنين للبحث عن السلام في الشرق الأوسط» دورة تثقيفية «لغرض التفكير بما يجري في لبنان». وقد جمعت في «المؤتمر» وغيره مبالغ قدرها ٣٥ ألف دولار للمعونة الطبية لضحايا الحرب، منها عشرة آلاف دولار تبرعت بها أكبر نقابة للعمال في اليابان المسماة «سوهيو». كذلك فقد دان أعضاء «حلف الصداقة الياباني ـ الفلسطيني والبرلمان الياباني والجمعية اليابانية ـ العربية إدانة علنية الغزو الاسرائيلي. وقام ممثلون عن منظمات أخرى مثل «المؤتمر الياباني للكتاب الآسويين ـ الأفريقيين» و«مؤتمر الفنانين اليابانيين ـ الآسويين ـ الافريقيين ـ الأمريكيين

---

(٤١) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٢٣١.

(٤٣) Sasagawa, «Japan and the Palestinians,» p. 6.

وللإطلاع على العلاقات اليابانية مع الفلسطينيين ومنظمة التحرير خصوصاً، وعلى المواقف اليابانية حيالها، انظر:

Michael Yoshitsu, *Caught in the Middle East: Japan's Diplomacy in Transition* (Lexington, Mass.: D.C. Heath, 1984).

اللاتينيين» و«الجمعية الأدبية اليابانية الجديدة» بزيارة السفارة الاسرائيلية في طوكيو وقدموا لها رسائل احتجاج. كما سار الطلاب وممثلون عن خمس عشرة نقابة عمالية في تظاهرة ضد الغزو أمام السفارتين الاسرائيلية والأمريكية. وذهبوا بعد التظاهرة الى مكتب منظمة التحرير للتعبير عن تضامنهم مع الكفاح الفلسطيني وتأييدهم له[٤٤]. وقد عبّر أيضاً ضحايا القنابل الذرية في هيروشيما وناغاساكي عن تضامنهم مع الكفاح الفلسطيني. كما أمطر مكتب منظمة التحرير في طوكيو بالمكالمات التلفونية والرسائل من الأفراد تشجيعاً وتأييداً[٤٥].

٣ ـ شبه القارة الهندية

تأثر الرأي عن فلسطين في شبه القارة الهندية بعاملين مهمين. أولهما الشخصية الطاغية للمهاتما غاندي الذي عارض، قبل تأسيس إسرائيل بأمدٍ طويل، فكرة الدولة اليهودية، إذ كان يعتقد إنها فكرة غير منصفة لسكان فلسطين العرب. وقد عارض الصهيونية كذلك لدعوتها للفصل العنصري أو الديني على الأقل، ولا بد أن أفكاره كانت لها آثارها على أصحابه وعلى من خَلَفه في زعامة الحركة الوطنية الهندية، وعلى الأخص منهم جواهر لال نهرو. لذا ففي مؤتمر العلاقات الآسيوية المنعقد في نيو دلهي في ١٩٤٧ أفاد نهرو بأن سياسة الهند هي «أن فلسطين قطر عربي بالأساس ولا يمكن اتخاذ أي قرار بدون موافقة العرب»[٤٦].

والعامل المهم الآخر المؤثر بالرأي الهندي المطلع على القضية الفلسطينية هو وجود المواطنين المسلمين بأعداد كبيرة في المنطقة. وقد أظهر هؤلاء عن طريق «العصبة الاسلامية» التي تمثلهم اهتماماً كبيراً بمصير العرب في فلسطين. ومنذ ١٩٤٠ قال جناح في خطابه الرئاسي بمؤتمر لاهور الذي عقدته العصبة الاسلامية: «إننا نريد من الحكومة البريطانية، في الحقيقة والواقع، أن تلبي مطالب العرب في فلسطين»[٤٧].

وبعد تقسيم شبه القارة الهندية وتأسيس دولتين مستقلتين في أواخر الأربعينات مضت الهند سريعاً، بزعامة نهرو، نحو وضع يتميز بعدم الانحياز وأظهرت تعاطفاً واهتماماً كبيرين بمحنة اللاجئين الفلسطينيين. وفيما بعد، ومن خلال حركة عدم الانحياز التي ساعد نهرو نفسه على تأسيسها وتوجيهها أخذ الموقف الهندي يتجه الى إدراك مسألة استرداد الفلسطينيين لحقوقهم القومية وتأسيس دولتهم، والى دفع الأمور في هذا الاتجاه.

---

(٤٤) *Filastin Biladi,* vol. 31 (July 1982), pp.8, 9 and 30-32.
وأعبر هنا عن امتناني للأستاذ ياسوماسا كورودا لقراءته وترجمته من اليابانية محتويات فلسطين بلادي، الأعداد: (تموز/يوليو، آب/أغسطس، أيلول/سبتمبر ١٩٨٢)، والتي اعتمدت عليها في هذا القسم.

(٤٥) *Filastin Biladi,* vol. 32 (August-September 1982), pp. 18-25, 44 and 45.

(٤٦) Godfrey H. Jansen, *Afro-Asia and Non-Alignment* (London: Faber and Faber, 1966), p. 56.

(٤٧) de Silva, «Old Images, New Perceptions: Opinion Trends in Sri Lanka,» p. 118.

ولسوء الحظ ليس لدينا استطلاعات للرأي العام الهندي تظهر مواقفه حيال فلسطين مع أن «المعهد الهندي للرأي العام» يجري استطلاعات رأي بانتظام عن شتى المسائل. رغم هذا ظهر مقال افتتاحي في صحيفة المعهد المذكور في أواخر ١٩٧٧ يعطي فكرة عمومية عن الموضوع.

«كان الرأي الهندي بجانب العرب تقليدياً، وهو كذلك في الأوساط الرسمية أكثر منه في أوساط الجماهير، ولكنه مع ذلك ضد إسرائيل بشكل غالب... وإذ تحتاج إسرائيل الى ضمانات لأمنها واستمرار بقائها، فإنها لم تكتسب حقاً في الأراضي التي اكتسحتها في حرب ١٩٦٧ وهي لا تزال تتمسك بالدعوى الخادعة في شأن (أمنها). وهذا يشمل الأراضي التي بينها وبين حدود إسرائيل القديمة، والتي تعود كما يقضي الحق الى الفلسطينيين الذين يحتاجون الآن الى وجود منفصل وربما الى دولة خاصة بهم. ويمكن تكوين ذلك من قطاع غزة وكذلك من أراضي الضفة الغربية التي احتلتها إسرائيل. أما القدس العربية... فهي كذلك بمعنى من المعاني، أرض غير إسرائيلية»(٤٨).

وأخذت الصحافة الهندية، بعد الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف عام ١٩٨٢، تنتقد إسرائيل وتدين التدمير والقتل، لاسيما ما أصاب المدنيين. وفي الوقت ذاته دعت الصحافة منظمة التحرير الفلسطينية الى عدم الحديث عن العنف في المستقبل بل قبول فكرة دولة فلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة وذلك لكي يوجه العالم ضغطه على إسرائيل لتنسحب وتوافق على دولة فلسطينية بزعامة المنظمة المذكورة(٤٩).

٤ ـ آسيا المسلمة

ظهرت في شبه القارة الهندية بالنتيجة دولتان أخريان هما الباكستان وبنغلادش. وكلاهما دولة مسلمة في شكل غالب. إنهما تؤلفان، مع أفغانستان وأندونيسيا وماليزيا وتركيا وإيران الأعضاء الآسيويين غير العرب في منظمة المؤتمر الاسلامي(٥٠). وقد أظهر الرأي العام في هذه الأقطار من التعاطف مع الفلسطينيين وقضيتهم أكثر مما أظهره زعماؤهم، وخصوصاً في إيران قبل مجيء الخميني. وقد تطوع مواطنون من هذه الأقطار، في عددٍ من الحالات، للعمل مع الفلسطينيين مباشرة أو بالنيابة وللقتال معهم. وكما كتب أحد محرري الأعمدة في عددٍ حديث من مجلة هوليداي التي تصدر في بنغلادش، فإن «عدداً من الشباب من بنغلادش، قاتل من أجل منظمة التحرير الفلسطينية وقد استشهد بعضهم. لقد وقف شعب بنغلادش على الدوام مع شعب فلسطين»(٥١). لذا يمكن القول إن الجمهور في هذه الأقطار يتفق، كحد أدنى، مع ما

---

(٤٨) «Peace in West Asia,» *IIPO*, vol. 32, , no. 2 (November 1977), p. 1.

(٤٩) *Hindustan Times* (8 October 1982), p. 9.

(٥٠) علقت عضوية افغانستان في كانون الثاني/يناير ١٩٨٠.

(٥١) Mujibur Rahman, «The U.S. Design-II,» *Holiday* (24 October 1982), p. 6.

تتخذه منظمة المؤتمر الاسلامي من مواقف منذ تأسيسها في عام ١٩٧١ . وهي مواقف تدعو الى انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية والاعتراف بحقوق الفلسطينيين، بما في ذلك حقهم بدولة خاصة بهم بزعامة منظمة التحرير الفلسطينية.

إن إيران وتركيا هما القطران الاسلاميان الوحيدان اللذان كان لهما، في وقت ما، روابط قوية مع إسرائيل. لذا، فحين كان شاه إيران الراحل محمد رضا في السلطة كانت النخبة السياسية الإيرانية لا تبدي لقضية فلسطين غير معسول الكلام، في حين كانت في الواقع تعمل عملاً وثيقاً مع السلطات الاسرائيلية[٥٢]. وحتى حين دعا الشاه في عام ١٩٧٥ الى انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة واعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني فإن الوضع لم يتحسن كثيراً الى أن سقط الشاه في عام ١٩٧٩.

كانت علاقة تركيا بفلسطين قوية جداً حتى الحرب العالمية الأولى. والى ذلك الحين كانت تركيا مركز الخلافة الاسلامية فضلاً عن كونها السلطة الحاكمة في فلسطين. ولما حاول تيودور هرتزل اقناع السلطان عبد الحميد الثاني بالموافقة على خطة لوطن يهودي في فلسطين رفض عبد الحميد الخطة قائلاً: «إن القدس مقدسة كمكة»[٥٣]. وبهزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى أطيح بسلالة آل عثمان وجزئت الامبراطورية وأصبح كمال أتاتورك حاكماً للجمهورية التركية. فألغى الخلافة وأدخل إجراءات معينة للتقليل من تأثير الاسلام في الحياة التركية الاجتماعية والسياسية.

وعندما كانت تبحث القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة، بعد الحرب العالمية الثانية، كانت انكلترا والولايات المتحدة توجهان الآراء التركية حولها فيما يظهر، ولو أن الحكومة التركية صوتت ضد قرار التقسيم[٥٤]. وعلى أي حال، اعترفت تركيا باسرائيل عام ١٩٥٠، وبذا أصبحت الدولة الاسلامية الأولى التي تقوم بذلك، مما أدى الى توتر العلاقات العربية - التركية، بيد أنه عندما تولى الحزب الديمقراطي الحكم في تركيا في عام ١٩٥٠ جرى التخفيف من العلاقات القوية مع إسرائيل، استجابة على الأخص لضغط شعبي من الجماعات الاسلامية التقليدية المؤيدة للحزب. إلا أنه بعودة حزب الشعب الجمهوري الى الحكم في عام ١٩٦٠ تعززت العلاقات التركية - الإسرائيلية مرة أخرى.

كانت الآراء التركية عن فلسطين والفلسطينيين، منذ تأسيس إسرائيل تتأثر أساساً

---

(٥٢) Rivlin and Fomerand, «Changing Third World Perspectives and Policies towards Israel,» p. 333.

(٥٣) نجدة فتحي صفوة، «موقف تركيا من قضية فلسطين،» المستقبل العربي، السنة ٥، العدد ٤٥ (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢)، ص ٨٧.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٩١.

بقوى خارجية، وفي مقدمتها انكلترا والولايات المتحدة. أما داخلياً فقد أظهر العنصر الاسلامي تعاطفاً كبيراً مع الجانب الفلسطيني كلما أتيحت له الفرصة للتعبير عن نفسه. ومنذ عام ١٩٦٧ على الأخص والرأي التركي الغالب يؤيد انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة والاعتراف بحقوق الفلسطينيين المشروعة بما فيها حقهم بدولة خاصة بهم[٥٥].

٥ ـ الأقطار الآسيوية الأخرى

حدث تغيير في آراء الأقطار الأخرى في آسيا في شأن فلسطين وإسرائيل، لا سيما في السنين العشر الى الخمس عشرة الماضية. إن ما حدث في سري لانكا يصور هذا التغيير الواسع من نواحٍ عدة. فحين أضحت القضية الفلسطينية موضوعاً لنقاش دولي لم يظهر العديد من الأقطار وشعوبها إلا القليل من الإهتمام بالموضوع إما لأنه لم يكن مهماً لهم أو لأنهم كانوا تحت الحكم الاستعماري. أما فيما بعد فقد انعقدت روابط مع إسرائيل ولم ينقلب الرأي العالمي ضدها إلا بعد حرب عام ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل لمساحات شاسعة من الأراضي العربية. ثم ظهرت المقاومة الفلسطينية وتأسست منظمة التحرير فأثارتا الانتباه الى الفلسطينيين والى ضرورة الاهتمام بقضاياهم المشروعة[٥٦].

خامساً: افريقيا والقضية الفلسطينية

كانت افريقيا في أغلب مناطقها تقع تحت الحكم الاستعماري عندما جزئت فلسطين وأقيمت دولة إسرائيل. لذا فأياً كان الرأي الذي يُبدى آنئذ فإنه يعكس آراء السادة المستعمرين. وكما كتب نزونغولا ـ نتلاجا «فقد تمتعت إسرائيل، منذ تأسيسها في ١٩٤٨، بكثير من التأييد الأدبي في أفريقيا من جراء صورة البطل عنها في أذهان المستوطنين البيض وموظفي الادارة الاستعمارية، ومن جراء الدعاية الصهيونية في وسائل الاعلام الواسعة الانتشار التابعة للدول الاستعمارية»[٥٧].

والواقع أن بعض الآراء الأفريقية المستقلة لم تأخذ بالتبلور فيما يتعلق بإسرائيل وفعالياتها في منطقة الشرق الأوسط وفي افريقيا ذاتها إلا بعد عام ١٩٥٦ خلال حملة السويس التي قامت بها إسرائيل وانكلترا وفرنسا. ولم يحقق كثير من الأقطار الأفريقية استقلاله إلا في عام ١٩٦٠ حين أضحت تلك الأقطار شخوصاً كاملة الأهلية على المسرح الدولي. وفي هذه الأثناء، وكما هو الحال في أقطار العالم الثالث الأخرى، مال المثقفون الأفارقة وزعماؤهم

---

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٥٦) Abdul Malik Ali Ahmad Auda, «The Palestinian Question and Asian Public Opinion,» paper presented at: The UN Seminar on the Question of Palestine, 3, Colombo, Sri Lanka, 10-14 August 1981, pp. 108-115 of Proceedings.

(٥٧) Nzongola - Ntalaja, «Africa and the Question of Palestine,» in: Abu-Lughod, ed., *Palestinian Rights: Affirmation and Denial*, p. 203.

السياسيون الى اتخاذ مواقف حيادية أكثر مما هي مؤيدة للعرب في شأن فلسطين والقضايا العربية ـ الاسرائيلية.

على أنه في أواخر الستينات بدأت بعض الأقطار الافريقية تغيّر من آرائها لتبدي تعاطفاً أكبر وتأييداً أشد للفلسطينيين ـ وعكست وسائل إعلامهم أيضاً هذا التغيير في الوضع. وجاء التحول أولاً من أوساط المعارضة والجماعات الراديكالية في القارة، إذ أخذ مستوى معلوماتهم يرتفع في شأن الفلسطينيين وإسرائيل معاً. وبعد حرب عام ١٩٦٧ بدأ عدد متزايد من الأقطار الافريقية ينظر الى إسرائيل كدولة توسعية غير مستعدة لإعادة أراض احتلتها في حرب، بما في ذلك أرض افريقية وهي سيناء مصر. وأخذت منظمة الوحدة الافريقية تصدر قرارات (تنشرها صحف الدول الأعضاء وتعلق عليها) وكانت قرارات ناقدة لاسرائيل وبالتالي أكثر تأييداً للفلسطينيين وقضيتهم[٥٨].

ولا بد من التأكيد هنا أن التحول كان تدريجياً ومتحفظاً. بل كانت القارة الافريقية لعدد من السنين منقسمة الى فئات مختلفة في شأن القضايا الخاصة بفلسطين واسرائيل. ولكن تضافرت عوامل متعددة على إحداث تحول أكيد في الرأي الافريقي عن إسرائيل والفلسطينيين. فقد شن نظام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر حملة ثقافية كبرى في افريقيا تعززت فيما بعد بشتى المؤتمرات التي أدت بالنتيجة الى تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية في عام ١٩٦٣. فلما فشل الزعماء الأفارقة من أصدقاء إسرائيل في محاولاتهم لاقناعها بالانسحاب من الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ انكشفت نياتها الحقيقية. وبالنتيجة انقلب الأفارقة ضد إسرائيل، فكانوا ينتقدون سياستها التوسعية وإنكارها لحقوق الفلسطينيين[٥٩]. قطعت غينيا علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل في عام ١٩٦٦، وبحلول عام ١٩٧٤ كانت جميع الدول الافريقية قد أقدمت على هذه الخطوة باستثناء أربع دول هي ليسوتو وملاوي وسوازيلاند وموريشوس. وكان قطع تلك العلاقات بالنسبة الى أغلبية تلك الدول حدث بين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣. وكان واضحاً أن الأفارقة ينظرون الى إسرائيل كدولة توسعية والى الصهيونية كحركة عنصرية. لذا صوتوا في الأمم المتحدة بكثافة على القرار الذي يساوي بين الصهيونية والعنصرية[٦٠]. كذلك استنكروا الصلة الاسرائيلية ـ الجنوب أفريقية وخشوا

---

(٥٨) أنظر مثلاً ما نشرته: *West Africa* ومختصر المقالات التي نشرتها الصحف الافريقية كما ظهرت في: *African Research Bulletin*.

(٥٩) *West Africa* (15 October 1973), p. 1443.

(٦٠) صدر القرار المذكور من الجمعية العامة في ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٥، وصوتت إلى جانبه ثلاثون دولة افريقية مقابل أربع دول صوتت ضده وامتنعت اثنتا عشرة عن التصويت. انظر:
Nzangola - Ntalaja, «Africa and the Question of Palestine,» p. 208.

للإطلاع على قائمة بكيفية تصويت جميع أعضاء الأمم المتحدة على الموضوع، انظر:
National Observer (22 November 1975), p. 7.

منها. بل أصبح واضحاً لكثير من الأفارقة أن «إسرائيل ينطبق عليها النمط العام الذي يُقرن عموماً باستعمار المستوطنين. . . وأن (منطق التفرقة العنصرية) مشابه (لمنطق الصهيونية)»(٦١).

يمكن الكشف عما يشير الى التغيير في الآراء الافريقية حول إسرائيل والفلسطينيين بالاطلاع على تغطية حرب عام ١٩٧٣ في صحيفة غرافيك ديلي الصادرة في غانا. فقد وجد زارمبا من دراسته لتغطية تلك الحرب في ست صحف دولية أن صحيفة غرافيك ديلي من أكثر المؤيدين (إن لم تكن أكثرهم على الاطلاق) لمواقف العرب والفلسطينيين. والتحليل الذي أجراه زارمبا لافتتاحيات غرافيك ديلي كشف ما يلي:

«١ ـ الإسرائيليون هم المعتدون.
٢ ـ إسرائيل إمبريالية.
٣ ـ (أ) إن للعرب حقاً في الأراضي المحتلة.
(ب) للفلسطينيين حقوق اراضي، وهذا هو صلب النزاع.
٤ ـ استخدم الإسرائيليون تكتيكات إرهابية.
٥ ـ الشعوب العربية شعوب تريد السلام.
٦ ـ كانت إسرائيل متعنتة في شأن الجهود الخاصة بتحقيق السلام.
٧ ـ الصهيونية مساوية للعنصرية.
٨ ـ العرب معذورون في قتالهم للإسرائيليين.
٩ ـ إسرائيل هي الطرف المذنب في النزاع»(٦٢).

ليس من الغريب إذاً أن تبدأ الأقطار الافريقية باصدار قرارات من منظمة الوحدة الافريقية والأمم المتحدة تأييداً لحق الفلسطينيين بوطن لهم وبتمثيلهم في مفاوضات السلام عبر منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد لهم(٦٣). وهكذا فبعد الغزو الاسرائيلي للبنان في عام ١٩٧٨ أصدر المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الافريقية بالإجماع قراراً يدين «غطرسة وتعنت» إسرائيل ويدعو الى مزيد من التأييد لمنظمة التحرير(٦٤). وفي اجتماع منظمة الوحدة الافريقية المنعقد عام ١٩٧٩ أكد المندوبون على «حق الفلسطينيين في إنشاء دولة. . .» وحذروا من (الصلات الشريرة بين إسرائيل وجنوب أفريقيا). وأكدوا على أن منظمة التحرير الفلسطينية يجب أن تلعب دوراً فعالاً في تقرير مستقبل الشعب الفلسطيني(٦٥).

---

(٦١) Sulayman S. Nyang, «A Study of African Opinions and Attitudes toward the Palestine Question,» in: Abu-Lughod, ed., *Palestinian Rights: Affirmation and Denial*, p. 191.

(٦٢) Zaremba, «An Exploratory Analysis of National Perceptions of the Arab-Israeli Conflict As Represented through World Newspapers: An International Communication Study,» p. 198.

(٦٣) انظر نصوص القرارات في:
Colin Legum, ed., *African Contemporary Record* (New York: Africana), published annually.

(٦٤) *African Research Bulletin*, vol. 15, no. 7 (15 August 1978), pp. 4910 and 4911.

(٦٥) Ibid., vol. 16, no. 7 (15 August 1979), p. 5327.

لقد بقي التأييد الرسمي الافريقي للفلسطينيين ولمنظمة التحرير الفلسطينية قوياً جداً رغم إعادة زائير لعلاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل في أيار/ مايو عام ١٩٨٢. والرأي العام الافريقي هو كذلك مؤيد للفلسطينيين بقدر ما يمكن تقديره عن طريق الصحف الناطقة بالانكليزية. أما عن العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل، فإن بعض الأفارقة يتأثرون بموقف مصر والروابط مع الدولة الصهيونية. ويجادل آخرون باتباع اسلوب نفعي لاتخاذ موقف عقائدي. لذا ففي حين رفضت دولة بنين تجديد الصلات الإسرائيلية لأنها «تؤيد جميع حركات التحرر الوطنية وبينها منظمة التحرير الفلسطينية» فإن غانا اتخذت القرار ذاته ولكن على أساس مصلحة الدولة العليا. وهذه المصلحة تشمل، بالنسبة الى جميع الأقطار الافريقية، علاقات افريقية ـ عربية طيبة. لذا ففي حين قدمت صحيفة ستاندارد الصادرة في كينيا الحجج من أجل إعادة الصلات ووصفت إسرائيل بأنها «صديقة جيدة لأفريقيا ويعتمد عليها»، لم يتفق معظم الأفارقة مع هذا الرأي. فهؤلاء يعتزون كثيراً بالصلات الأفريقية ـ العربية على أساس «من العقل والمنطق»، وهذه هي القاعدة ذاتها التي تدعو إليها صحيفة ستاندارد. بل إن صحيفة ديلي نيشن، وهي أكبر الصحف التي تصدر في كينيا، مضت تقول: «إن قضية حقوق الفلسطينيين هي العقبة الكأداء اليوم في وجه إدارة العلاقات مع إسرائيل. ذلك أنه، ولحين اعتراف إسرائيل بحقوق الفلسطينيين، لن تعترف الأمم العربية ككل بإسرائيل على الرغم من اتفاقية السلام الاسرائيلية ـ المصرية. إن الاعتراف بهذه الحقيقة لا يترك أمام الأمم الافريقية خيارات عدة»[٦٦].

ولعل خير خلاصة للرأي الأفريقي هو ما قدمته صحيفة نيو نيجيريان التي حاجّت ضد تجديد الصلات مع إسرائيل قائلة إن نيجيريا تخسر أكثر مما تكسب من عمل كهذا وخصوصاً لأن «أحسن حلفائنا في الكفاح ضد العنصرية والاستعمار هي على ما يحتمل الجزائر، وتليها ليبيا بدرجة أقل». ثم مضت الصحيفة الى القول بأن القارة الأفريقية يمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات حيال فلسطين وإسرائيل:

«نجد في الفئة الأولى، الأنظمة اليسارية، (إثيوبيا، كونغو برازافيل، موزمبيق، زمبابوي، الخ.) التي لن تجدد صلاتها مع إسرائيل بالنظر الى روابطها القوية مع الامبريالية الأمريكية ومع استعمار جنوب افريقيا. ونجد في الفئة الثانية، الأقطار ذات الأعداد الكبيرة جداً من المسلمين، والتي تبغض الاتصال بإسرائيل على أساس التضامن الاسلامي. أما الفئة الثالثة، فهي الدول (المعرضة للحساسيات) والتي ستستأنف علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل من جراء التعاطف المحلي الكامن فيها نحو هذه الدولة و/أو من جراء خيبة أملها في سياسات بعض الدول العربية»[٦٧].

---

(٦٦) Ibid., vol. 19, no. 5 (15 June 1982), p. 6473.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ٦٤٧٢.

سادساً: أمريكا اللاتينية والفلسطينيون

لم يكن لدى الأمريكيين اللاتينيين حتى وقت متأخر من الاهتمام بالقضية الفلسطينية إلاّ الشيء القليل. ويعتقد على العموم أن السبب الرئيسي لهذا التجاهل والجهل هو الشعور بأن الشرق الأوسط من البعد في المسافة بحيث لا يكون له أثر على شعوب المنطقة. وجاءت أزمة الطاقة في السبعينات فأثرت فيهم بوضوح وأحدثت بالتأكيد حافزاً لتفكير جديد عن القضية الفلسطينية والفلسطينيين. بيد أن الذين كتبوا عن هذا الموضوع كانوا على بينة بأن ميزان الرأي يميل بصورة غالبة وحتى وقت متأخر إلى تأييد اسرائيل وغالباً ما كان غير ودّي نحو الفلسطينيين(٦٨). وفيما يلي عرض مختصر للموقف وتقويمه.

حين صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة مقترحاً تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية كانت الأغلبية الساحقة لأقطار أمريكا اللاتينية صوتت الى جانب التقسيم كما فعلت الولايات المتحدة. والظاهر أن الرأي العام في تلك الأقطار لم يكن موجوداً الى حدٍ كبير في ذلك الوقت. أما الذين أبدوا رأياً فقد كانوا من أنصار الصهاينة في الأغلب باستثناء البعض، في تشيلي مثلاً، وهم من أصل عربي فرأوا بجلاء ظلم ذلك الاقتراح(٦٩).

والغريب أن العاطفة المناصرة لإسرائيل استمرت في غلبتها كما أن الحكومات في أمريكا اللاتينية لم تواجه تحدياً من جماهيرها للمطالبة بأي تغيير أساسي في سياساتها عن فلسطين أو للمطالبة مثلاً بتغيير ما جرت عليه من جعل سفاراتها في القدس انتهاكاً لقرارات الأمم المتحدة حول الموضوع. والواقع أنه في أوائل الثمانينات حين قام إثنا عشر قطراً من أمريكا اللاتينية بنقل سفاراته من القدس إلى تل أبيب فإن ذلك كان حصيلة ضغط خارجي وليس نتيجة تذمر شعبي داخلي أو احتجاج جماهيري(٧٠). مع ذلك فثمة تغيير يجري وإن كان

---

(٦٨) Camilo O. Perez, «The Palestinian Question and the Latin American Public Opinion,» paper presented at: The UN Seminar on the Question of Palestine, 4, Havana, Cuba, 31 August-4 September 1981, pp. 210-213 of Proceedings.

حتى الفترة ١٩٥٠، انظر:

Edward B. Glick, *Latin America and the Palestine Problem* (New York: Theodore Herzl Foundation, 1958).

(٦٩) يقدّم Glick، في الفصل الثاني من كتابه، سرداً مفصلاً نوعاً ما عن «الجهود الصهيونية والاسرائيلية للتأثير على أمريكا اللاتينية»، ويشمل ما يلي: تأسيس «لجان نصرة فلسطين» في كل قطر فضلاً عن «لجنة فلسطين العالمية»، وعقد مؤتمر مسيحي دولي عن فلسطين وتنمية علاقات طيبة مع المثقفين والعاملين في الصحافة، بالاضافة الى الزعماء السياسيين.

(٧٠) «A New Jerusalem Built on Trade,» *Latin America Weekly Report*, vol. 80, no. 35 (5 September 1980), pp. 7 and 8.

بطيئاً، وينبغي الآن أن نعرض للمواقف العامة في أمريكا اللاتينية وكيف تتغيّر وما هي العوامل الرئيسية في ذلك؟

حتى السبعينات كان الجمهور الواعي في أمريكا اللاتينية يميل الى الاعتقاد بأن اسرائيل دولة ذات نظام ديمقراطي على النقيض جداً من الوطن العربي «غير الديمقراطي». وكانت فلسطين قد اختفت أصلاً كقطر فلا محل لها في تفكير الناس في أمريكا اللاتينية - باستثناء من هم من أصل عربي[٧١]. هذا إضافة الى أن بعض المثقفين الغربيي الهوى كتبوا بحماس عن إسرائيل باعتبارها رائدة الحضارة في جزء «غير متمدن» من العالم. وكما كتب خوان أبو غطاس: «قدم كل من بورغيز وفكتور راوول هيا دولاتور وكثير غيرهما معاذير حقيقية للصهيونية وصوروها رسولةً للحضارة في بلاد البرابرة، ومثالاً بارزاً جداً لتحقيق المثل العليا الديمقراطية»[٧٢].

وفي الستينات والسبعينات، وبظهور وتطور حركة المقاومة الفلسطينية، غالباً ما قدمت وسائل الاعلام في أمريكا اللاتينية قالباً عن الفلسطينيين باعتبارهم «وسائل للإرهاب المقيت الذي لايرتوي. والأنباء التي يتلقاها الفرد العادي هناك تصور الفلسطينيين دائماً على أنهم جشعون ومتعطشون للدماء»[٧٣]. مع ذلك، وابتداءً من أواسط السبعينات حدث ما يمكن تلمّسه من تحسن أكيد في تغطية وسائل الاعلام لأنباء فلسطين والفلسطينيين. وقد تضافرت عوامل شتى لإحداث هذا التغيير.

من أهم هذه العوامل الاتجاه نحو موقف أكثر استقلالاً من قبل أقطار عدة في أمريكا اللاتينية في تعاملهم الدولي. لذا كان من أوائل هذه الأقطار التي خرجت على سياسة الولايات المتحدة واتبعت مصلحتها الوطنية في شأن قضية فلسطين، كوبا والمكسيك ونيكاراغوا. كذلك فإن بيرو والبرازيل وتشيلي وفنزويلا وبناما تتحرك بسرعة في الاتجاه ذاته[٧٤]. والواقع أن غواتيمالا وهندوراس وبارغواي هي وحدها فقط التي احتفظت بموقف متصلب نوعاً ما ضد الفلسطينيين[٧٥]. وفيما عدا ذلك فإن أغلب أقطار أمريكا اللاتينية

---

(٧١) عن المهاجرين العرب الى أمريكا اللاتينية انظر: يعقوب العودات [البدوي الملثم]، الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية (بيروت دار الريحاني، ١٩٥٦). ويذكر العودات جهود التشيليين العرب لايقاف أعمال حكومتهم المؤيدة لاسرائيل عند حدها (ص ٥٥٨).

(٧٢) Juan Abugattas, «The Perception of the Palestinian Question in Latin America,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 11, no. 3 (Spring 1982), p. 121.

(٧٣) Domingo Alberto Rangel, «Zionist Control of Communications Media and of the Cultural System in Venezuela and the Struggle of the Palestinian People,» paper presented at: the UN Seminar on the Question of Palestine, 4, Havana, Cuba, 31 August- 4 September 1981, p. 171 of Proceedings.

(٧٤) «The PLO Finds Friends in Latin America,» *Latin America Weekly Report*, vol. 80, no. 7 (February 1980), pp. 9 and 10, and vol. 80, no. 33 (22 August 1980), pp. 2 and 3.

(٧٥) «PLO Makes Slow Progress,» *Latin America Weekly Report*, vol. 81, no. 31 (7 August 1981), p. 10.

اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية وسمحت لها بفتح مكاتب اعلامية لديها[٧٦]. وبما أن ثمة برهاناً يشير بوضوح الى أن الرأي يتبع السياسة عادة فإننا نجد هنا أيضاً بعض التحسن في المواقف العامة كنتيجة للتغيير في السياسة الحكومية.

ومن العوامل المهمة، النمو الواسع الانتشار في العالم لشعبية منظمة التحرير الفلسطينية والشرف الذي ناله ياسر عرفات منذ خطابه في الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٧٤. فضلاً عن أن أزمة الطاقة المستحكمة عززت الشعور بالاعتماد المتبادل بين أقطار وأمم العالم ـ وجعلت شعوب أمريكا اللاتينية تلجأ عملياً الى زيادة اهتمامها في مايجري في الشرق الأوسط وعلى الأخص في فلسطين/اسرائيل. وإذا استمرت العناصر الصهيونية والمؤيدة لها، كما تفيد الأدلة المتوافرة، بممارسة نفوذ جامح على وسائل الاعلام وبالتالي على الرأي العام فقد ظهر بعض الصدوع في المواضع الصلدة المناصرة لاسرائيل. صحيح أن وسائل الاعلام في إشاراتها الى الفلسطينيين تتحدث عن «الإرهابيين» و«قطاع الطرق المسلحين» كما أن «اغلب المناقشات التي تجري في أمريكا اللاتينية في شأن الارهاب تؤدي بالنتيجة الى بحث الطرق التي تتبعها المقاومة الفلسطينية»[٧٧]، ولكن، وكما يقول كاتب هذا المقتبس نفسه، هناك بعض التطور في تقديم الموضوع، وعلى الأخص مع ظهور وتطور صحف ووكالات أنباء جديدة وأكثر موضوعية. كذلك يتزايد عدد البرامج الاذاعية التي تتناول الوطن العربي وتقدم صورة أكثر إيجابية عن المنطقة[٧٨].

ومن المؤكد وجود حركة تتجه الى اتخاذ موقف أكثر تأييداً نحو فلسطين والفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية، وهي حركة يوثقها حتى الكتاب المعادون للفلسطينيين والذين هم على صلات ودية جداً مع اسرائيل. وهكذا ظهر في الصحيفة المسماة لاتين اميركان ويكلي ريبورت (١٩٨٠) *Latin American Weekly Report (1980)* العنوان الرئيسي التالي: «نجاحات منظمة التحرير الفلسطينية تزعج المجموعات اليهودية [أي الصهيونية]». لقد فزعت هذه الجماعات من «الزيادة الحادة في الادراك العرقي والثقافي بين الجالية العربية في المنطقة»[٧٩]، وهي تقدر عدد هذه الجالية العربية بما يتراوح بين تسعة الى خمسة عشر مليون عربي مقابل ستمئة الى سبعمئة ألف يهودي في أمريكا اللاتينية. هناك تقارير أخرى تستشهد بفعالية الأساقفة المؤيدين لفلسطين مثل المطران الارثوذكسي هيلاريون كبوجي، والأب ابراهيم إياد،

---

(٧٦) «PLO's Successes Upset Jewish Groups,» *Latin America Weekly Report,* vol. 80, no. 12 (21 March 1980), p. 3.

(٧٧) Abugattas, «The Perception of the Palestinian Question in Latin America,» p. 123.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٧٩) «PLO's Successes Upset Jewish Groups,» p. 3.

وظهـورهم أمام جماعات من النـاس في أمريكـا اللاتينيـة وإلقـاء كلمات عليهم[٨٠]. ويحـاول روبرت لامبرغ، رغم إشارته الى التقدم الذي بلغته منظمة التحرير والفلسطينيون في أمريكـا اللاتينية، تشويه سمعة المنظمة فيقرنها بالجماعات «الإرهابية» في المنطقـة. وهو يـزعم كذلـك «أن الأقليات العربية في دول أمريكا اللاتينية لم تلعب على العموم إلاّ دوراً ثانوياً» في خدمة حقوق ومصالح الفلسطينيين[٨١]. ومهما يكن فمن المتفق عليه عموماً الآن أن «منظمـة التحريـر الفلسـطينية، بالنسبة لكثير من الناس في أمريكا اللاتينية، هي حركة (وطنيـة) حقيقية وأنها إذا أخـذت ككل، لا بالمنظمة (الشيوعية) ولا بالمنظمة (الرجعية)، كما تصورها الدعاية الصهيونية في كثير من الأحيان»[٨٢].

سابعاً: الاتحاد السوفياتي والفلسطينيون

مع أن المفترض عموماً، لا سيما في الغرب، أن البيانات الرسمية والتقـارير الصحـافية في الأقـطار الشيوعيـة هي هي بالضبط وأن الصحـافة لا يسمـح لها أن تحيـد عن سياسـات الحكومة، لكن الأمر ليس دائماً كذلك. صحيح، بالطبع، أنه لا يحتمل أن تعـارض وسائـل الاعـلام السياسـة الرسميـة علناً في الاتحـاد السوفيـاتي والأقطار الاشـتراكية (أي الشيـوعية) عموماً. بيد أنها تعرض أحياناً سياسات أو تغيـيرات في المواضـع مما هـو محل درس من قبـل صـانعي السياسـة، أو على وشـك الإعلان. كـذلك فـإن الصحف المختلفة تقـدم تفسيرات للسياسة تختلف قليلاً لتعكس اهتمامات واحتياجات ناشريها. مثلاً، تعكس صحيفة البرافـدا آراء اللجنـة المركـزية للحـزب الشيوعي، وتعكس صحيفـة الأزفستيا آراء مجلس الـوزراء، الـخ. وعلى أيـة حال، سنبـدأ بعرض مختصر لسيـاسة الاتحـاد السوفيـاتي (وبالتبعيـة أوروبا الشرقيـة) تجاه فلسـطين ومنظمـة التحريـر الفلسطينيـة قبـل أن نبحث في الآراء العـامـة كـما تعكسها وسائل الاعلام.

في النقـاش الذي جـرى في الأمم المتحـدة عن قـرار تقسيم فلسـطين أبـدى المنـدوب السوفياتي أندريه غروميكو تفضيل بلاده لدولة ثنائية القومية لكنه صوت فيـما بعد الى جـانب التقسيم لأن حلاً قائـماً على مثـل تلك الدولـة يبدو غـير عملي كـما زعم. وبعد تـأسيس دولة اسرائيل عالج السـوفيات على العموم مشكلة فلسطين على أنها قضية لاجئين، ولم يبدأوا بأخذ حقوقهم الوطنية بالاعتبار إلاّ في الستينات. وفي نهاية زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لـموسكو في عام ١٩٥٨ أشار السوفيات الى «الحقوق المشروعة للفلسطينيين العرب،» وفي عام ١٩٦٤

---

(٨٠) «Latin American Maronites: Beirut Calls,» *Latin America Weekly Report*, vol. 81, no. 18 (8 May 1981), pp. 10 and 11.

(٨١) Robert F. Lamberg, «The PLO in Latin America,» *Swiss Review of World Affairs*, vol. 32, no. 3 (June 1982), pp. 11 and 12.

(٨٢) Abugattas, «The Perception of the Palestinian Question in Latin America,» p. 127.

اعترف خروشوف في زيارة للقاهرة بـ «حقوق الفلسطينيين العرب الثابتة والشرعية»[٨٣]. ولم يبد الاتحاد السوفياتي حراكاً كثيراً تجاه تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، على خلاف التأييد القوي الذي أبدته الصين الشعبية نحو هذا التطور. ومع أن ياسر عرفات زار الاتحاد السوفياتي مع عبدالناصر في تموز/يوليو عام ١٩٦٨ وأخذت «فتح» تتسلم بعد ذلك بعض المساعدة والتأييد من السوفيات فإنهم لم يعترفوا بحقوق الفلسطينيين القومية لأول مرة إلا في أواسط تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٧٣[٨٤]. وبعد ذلك بسنة كاملة تقريباً أيد بريجنيف حق الفلسطينيين في «وطن قومي» وفي «دولة فلسطينية». كذلك فإن الاعتراف السوفياتي بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني صدر حوالى التاريخ ذاته وكان قد بحثه أولاً إيغور بلياثيف في مقال ظهر في المجلة الأدبية في ١٢ كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٧٣[٨٥]. ثم أعلن الاتفاق في آب/اغسطس عام ١٩٧٤ على فتح مكتب لمنظمة التحرير في موسكو[٨٦] وأخيراً منح الاتحاد السوفياتي المنظمة في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٨١ اعترافاً دبلوماسياً كاملاً.

في دراسة أجرتها دينا سيكلر عن الصحافة السوفياتية ومواقفها من فلسطين والنزاعات العربية ـ الاسرائيلية خلال حرب عام ١٩٧٣، وجدت الكاتبة فوارق أكيدة في توجهات الجماعات ذات الصلة بكل صحيفة من الصحف موضوع الدراسة.

فصحيفة البرافدا، لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لم تكتب فقط عن «الحقوق المشروعة» بل كذلك عن الحقوق «القومية» للفلسطينيين، وأشارت الى حركة المقاومة الفلسطينية على أنها تمثل الشعب العربي في فلسطين. وهكذا أولت البرافدا الفلسطينيين دعماً أكبر من أي دعم أولته إياهم أي صحيفة سوفياتية أخرى. بيد أنها أفادت أيضاً أن تسويةً ما قد يترتب عليها بعض التغييرات في الحدود لتوفير «أمن» أكبر لاسرائيل. وبينما كانت الأزفستيا مؤيدة كذلك «للحقوق الشرعية» للفلسطينيين فإن تأييدها لم يكن كتأييد البرافدا[٨٧]. أما صحيفة كرازنايا زفزديا، لسان حال وزارة الدفاع، فلا ينصب اهتمامها في الكتابة عن الفلسطينيين كشعب بقدر ما ينصب على مساهمتهم في مجهود حرب

(٨٣) Galia Golan, *The Soviet Union and the PLO* (London: International Institute for Strategic Studies, 1976), p. 1.

(٨٤) Foyd Kohler, Leon Gouré and Mose L. Harvey, *The Soviet Union and the October 1973 Middle East War: The Implication for Detente* (Coral Gables, Fla.: University of Miami, Center for Advanced International Studies, 1974), p. 111.

(٨٥) Golan, *The Soviet Union and the PLO*, p. 23.

(٨٦) Galia Golan, *Yom Kippur and after: The Soviet Union and the Middle East Crisis* (Cambridge, N.Y.: Cambridge University Press, 1977), p. 237.

(٨٧) Dina Rome Spechler, *Domestic Influences on Soviet Foreign Policy* (Washington, D.C.: University Press of America, 1978), pp. 17-32.

عام ١٩٧٣. وأما صحيفة سوفيتسكايا روسيا التي تنطق باسم مجلس وزراء جمهورية روسيا فقد كتبت بتوسع عن الحركة الصهيونية وقوتها ونفوذها لاسيما في الولايات المتحدة وبحثت في السبل لمقاومة نفوذها فضلاً عن روحيتها التوسعية في الشرق الأوسط. والظاهر أن الصحيفة التي تقرّع العقيدة الصهيونية وتطبيقها في اسرائيل أشد التقريع هي كوزمولوسكايا برافدا، صحيفة الجهاز الحزبي الشيوعي. إنها تولي كذلك اهتماماً بالفلسطينيين أكثر من أي صحيفة كبيرة أخرى وتدعو الى وضع حقوقهم القومية موضع التطبيق. وأخيراً فإن صحيفة ترود لسان حال نقابة العمال هي على أقل ما يكون التزاماً برأي عن قضية فلسطين والفلسطينيين[٨٨]. يضاف الى ذلك أن دراسة زارمبا لصحف العالم تضمنت فيما تضمنته صحيفة موسكو نيوز فوجد أن ما تنشره مؤيد للعرب عموماً. كما اعتبرت هذه الصحيفة الاسرائيليين معتدين في حرب عام ١٩٧٣ وحاجّت بأن «للفلسطينيين الحق في الأراضي المحتلة»[٨٩].

وأبدت الصحف السوفياتية طوال مدة الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف عام ١٩٨٢ آراء شديدة في إدانتها للهجوم واتهمت اسرائيل بارتكاب عمل من أعمال إبادة الجنس الاجرامية في لبنان[٩٠]. وكتب دمجنكو في «البرافدا» في أواخر آب/اغسطس يمتدح البلاء الحسن الذي أبلته منظمة التحرير مؤكداً حاجة الفلسطينيين الى دولة خاصة بهم[٩١]. وانتقد آخرون الصهيونية واسرائيل والامبريالية لمحاولتها تصفية الشعب الفلسطيني. وبعد مذابح صبرا وشاتيلا في عام ١٩٨٢ استفزت بربرية ذلك العمل الرأي العام السوفياتي فألقى باللوم عما جرى على اسرائيل وعملائها. وجرى إبداء التعاطف بشدة مع الفلسطينيين وكذلك التأييد لقضيتهم ولمنظمة التحرير[٩٢].

ثامناً: أوروبا والفلسطينيون

لم تصبح فلسطين والفلسطينيون من القضايا البارزة بالنسبة الى أغلب الأوروبيين إلا أخيراً. بيد أن من أهم ما وقع هو حدوث تغيير ملموس في المواقف العامة الأوروبية حيال الفلسطينيين عقب الغزو الاسرائيلي للبنان في حزيران/ يونيو عام ١٩٨٢. وقد كتب هارفي موريس في مقال بعنوان «الرأي الغربي يتحول نحو منظمة التحرير الفلسطينية» مقتبساً ما

---

(٨٨) المصدر نفسه، ص ٣٢ - ٦١.

(٨٩) Zaremba, «An Exploratory Analysis of National Perceptions of the Arab-Israeli Conflict As Represented through World Newspapers: An International Communication Study,» p. 129.

(٩٠) The *Pravda* and *Izvestiya* reports were reproduced in: *The Current Digest of the Soviet Press* (CDSP), vol. 34, no. 31 (1 September 1982), pp. 8-10.

(٩١) Ibid., vol. 34, no. 34 (22 September 1982), pp. 13 and 14.

(٩٢) انظر خلاصات التقارير للجرائد السوفياتية في: Ibid. (June - November 1982).

ذكره خالد الحسن، أحد مسؤولي المنظمة، مخاطباً الصحافيين في لندن حيث قال: «لقد اطلعتم الناس على حقائق الأمور وإننا ممتنون لذلك. فلأول مرة نجد رأياً عاماً يتفهم القضية الفلسطينية»[٩٣].

أخذ حدوث التغيير وقتاً طويلاً. ففي زمن النقاش عن فلسطين في الأمم المتحدة، ثم عن قرار التقسيم في ١٩٤٧، كان الأوروبيون الغربيون على العموم غير مهتمين أو غير مطلعين أو مضللين في شأن الفلسطينيين. وفي الغالب لم يكن اهتمامهم إلا بتحسين حال اليهود الذين فقدوا ديارهم في الحرب العالمية الثانية، وبدولة إسرائيل المؤسسة حديثاً. ومن الواضح وجود بعض الفوارق بين قطر وآخر. ولكن حدث في جميعها تحول كبير نحو صورة أكثر إيجابية للفلسطينيين. مع ذلك قد يجدر تفصيل بعض الآراء في أقطار منفردة تتوافر فيها بحوث حول الموضوع قبل الخوض في المواقف العامة.

بما أن استطلاعات الرأي العام عن قضية فلسطين لا تتوافر في الغالب حتى في أوروبا لا بد لنا مرة أخرى من الاعتماد على الصحافة للكشف عن المواقف حول الموضوع، مع علمنا بأن هذا ليس مقياساً صحيحاً. مثلاً، ليس من الواضح إن كانت سويس ريفيو اوف ورلد افير Swiss Review of World Affairs صحيفة تعكس آراء السويسريين عن القضية الفلسطينية، خصوصاً وأنها تطبع بالانكليزية وموجهة بالأساس الى جمهور أمريكي. إن التعاطف الرئيسي لدى الصحيفة المذكورة هو مع إسرائيل باستمرار، حتى إسرائيل بيغن وشارون. لذا نجد كريستيان كايند يكتب في افتتاحية له في تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٨٢ عن «ردود الفعل الشاملة والمبرّرة» ضد عمليات الفلسطينيين العسكرية التي يعترف أنها ليست أكثر من وخزات في جلد الإسرائيليين. ثم يتساءل متنازلاً «أليس الثمن الذي يدفعه أولئك الذين يفترض أنهم ينتفعون من العمليات هو ثمن باهظ جداً؟»[٩٤] أما الفلسطينيون كبشر يشقى، حتى بعد مذابح صبرا وشاتيلا الرهيبة، فلا محل لهم في ضمير المستر كايند. على أنه أقر «أن إسرائيل ربما لن تتمكن بعد الآن من الرد على المطالبة بإعادة الأراضي المحتلة بحجة أن هذه الأراضي مطلوبة كمنطقة عازلة ضد التهديدات العسكرية»[٩٥].

أما ألمانيا فحالة خاصة وتستحق التحليل لوحدها باختصار. إذ تشير الأدلة المتوافرة بوضوح الى أن الألمان في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كانوا مؤيدين لإسرائيل الى أقصى الحدود كما كانوا يفتقرون كلياً الى التحسس بما يعانيه الفلسطينيون أو الى التعاطف معهم. وبلغت هذه المواقف ذروتها خلال حرب عام ١٩٦٧. لذلك كتب هلمت شيل أنه لم تنشر

(٩٣) Harvey Morris, «Western Opinion Shifting toward PLO,» *Today,* vol. 5, no. 1 (10 September 1982), p. 16.

(٩٤) Christian Kind, «The Ousting of Arafat,» *Swiss Review of World Affairs,* vol. 32, no. 7 (October 1982), pp. 6 and 7.

(٩٥) المصدر نفسه، ص ٧.

من رسائله المعارضة لموقف الألمان حتى ولا رسالة واحدة في الصحف الألمانية خلال تلك الحرب. وقال، لقد خيّم «صمت مطبق» في شأن الفلسطينين والعرب عموماً(٩٦).

وقد قدم فريدمان بتنر، في سعيه لتفسير هذا السلوك العجيب والموقف الغريب، فرضية معقولة جداً تخص الألمان بالذات. فهو يتساءل في مقال ممتاز له: تُرى ألم تكن حرب عام ١٩٦٧ هي، بمعنى من المعاني، «حرب ألمانيا؟» فقد كانت وسائل الاعلام الألمانية تتخذ جانباً واحداً بصورة كلية ودون تحرّج في تأييدها لإسرائيل، والظاهر أن الجمهور كان كذلك أيضاً. وكما كتب بتنر فإن «هذا (النصر الصاعق) أثار جذلاً لا حدود له لأنه لم يعف الفرد الألماني من مسؤوليته عن بقاء [اليهود] الأحياء فحسب بل أتاح له أيضاً أن يماهي نفسه مع الذين يقاتلون كما قاتل رومل حتى النصر فيحققون له بالنيابة رغباته السرية المكبوتة»(٩٧). ثم يجادل بتنر بالقول إن الشعور القديم المناهض لليهود تحول عندئذ الى العرب. وبذا فإن الفرد الألماني «في حبه المفاجىء لاسرائيل و(حبه للسامية) المصحوب بالضجيج لم يفعل سوى تحويل أهوائه المغرضة القديمة الى أشكال جديدة»(٩٨). مع ذلك فإن الألمان، مثلهم مثل الأوروبيين الآخرين، قد بدأوا مؤخراً، وخصوصاً في صيف وخريف عام ١٩٨٢، بانتقاد الإسرائيليين لما قاموا به من دمار واسع ولما سببوه للفلسطينيين واللبنانيين من شقاء(٩٩).

إن ندرة المقالات التي تنتقد إسرائيل، بل وحتى شيوع ما ينشر من مقالات مناهضة في الغالب للعرب والفلسطينيين، لا يعنيان بصورة آلية أن الشعب في ألمانيا الغربية يؤيد إسرائيل بكل جوارحه - بل ولا أنهم أكثر تأييداً لاسرائيل من كافة الأوروبيين الآخرين. والواقع أن من المهم أن نذكر أن الجمهور الألماني، في استطلاعين للرأي العام أجريا قبل عام ١٩٧٣، كان أكثر تعاطفاً مع العرب منه مع الاسرائيليين. وهكذا ففي عام ١٩٥٥ تعاطف ١٤ بالمائة من الجمهور في ألمانيا الغربية مع العرب ضد ٤ بالمائة فقط مع الاسرائيليين. بل إن الشعور المناصر للعرب كان أقوى في عام ١٩٥٦ حين كان ٢٤ بالمائة مع العرب مقابل ٥ بالمائة فقط مع الاسرائيليين. على أن الواضح أن أغلب الألمان فيما يبدو هم إما غير مهتمين وإما متعاطفين مع كلا الطرفين. بيد أنه بحلول عام ١٩٧٣ حدث تغير رئيسي فأظهر ٥٧ بالمائة من الألمان تعاطفهم مع إسرائيل مقابل ٨ بالمائة فقط أبدوا تعاطفهم مع العرب(١٠٠).

---

(٩٦) انظر: Ibrahim Ibrahim, «Palestine in German Public Opinion,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 10, no. 1 (Autumn 1980), pp. 130-135.

(٩٧) Friedemann Buttner, «German Perceptions of the Middle East Conflict: Images and Identifications during the June War,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 7, no. 2 (Winter 1977), pp. 66-81, 77 and 78.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٩٩) Smith, «The European Reaction to Israel's Invasion,» p. 40.

(١٠٠) Gunnel Rikardsson, «Newspaper Opinion and Public Opinion: The Middle East Issue,» in: Karl Erik Rosengren, ed., *Advances in Content Analysis* (Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1981), pp. 215-226.

والدولتان الأكثر تعاطفاً مع إسرائيل والأقل تأييداً للعرب والفلسطينيين هما نروج وهولندا، وتليها الدنمارك. أما السويد فحالة تستحق أن تفرد بالتعليق. فبينما نجد صحافتها عموماً مؤيدة لاسرائيل وأكثرية أهاليها يتعاطفون معها، يمكن أن نلمس زيادة ما في الشعور المؤيد للعرب في أوائل وأواسط السبعينات[١٠١]. ويجري هذا التغيّر رغم تحيّز وسائل الاعلام في تقديمها أنباء مؤيدة لإسرائيل ومناهضة للعرب أكثر مما هو العكس[١٠٢].

وكانت المواقف السائدة في انكلترا وفرنسا حتى حرب عام ١٩٦٧ مناصرة لإسرائيل. وأحد الأسباب المحتملة لهذا الوضع ما عبّر عنه بول كرول في دراسته للصحافة البريطانية، وإن كان ما قاله ينطبق على الغرب عموماً. فقد كتب يقول: «ينظر الى العلاقات الإسرائيلية مع الغرب باعتبارها علاقات تعاون في الأغلب، في حين أن علاقات دول الشرق الأوسط الأخرى (أي العرب) تنطوي في أكبر احتمال على عدم تعاون بل وحتى عداء»[١٠٣]. واستطاع مايكل أدامز، الذي عمل جاهداً، رغم ما واجه من خيبة مراراً، على تقديم صورة أكثر توازناً عن النزاع الفلسطيني - الاسرائيلي استطاع في أوائل السبعينات أن يفيد بتحسن الحال[١٠٤]. ولا نرى تغييراً حقيقياً في المواقف الأوروبية عن القضية الفلسطينية إلا بعد حرب عام ١٩٧٣ والمقاطعة النفطية القصيرة الأمد التي أعقبتها[١٠٥]. كانت الصحافة الأوروبية خلال المرحلة الأولى من حرب تشرين الأول/ أكتوبر، وهي تعكس المواقف العامة (فضلاً عن تعزيزها) صحافة معادية للعرب وصديقة لإسرائيل. وينطبق هذا على فرنسا وانكلترا انطباقه على هولندا والدنمارك، وهما المؤيدان القويان جداً لإسرائيل. أما اسبانيا والفاتيكان، حيث أبدي فيهما تعاطف مع الفلسطينيين، فقد كانا من الاستثناءات الواضحة[١٠٦].

ولكن سرعان ما أخذت البيانات الرسمية الصادرة عن الحكومات الاوروبية الأعضاء في الجماعة الاقتصادية الأوروبية تنبّه أو تنوّر الرأي العام. لذا بدأ هؤلاء الأعضاء، بصدور بيان الجماعة المؤرخ في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣، يميلون الى مسار أكثر حياداً في شأن النزاع العربي - الاسرائيلي؛ كذلك أخذ الرأي العام بالتغيّر[١٠٧]. وقد سهّل ذلك على الصعيد

---

(١٠١) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(١٠٢) Karl Erik Rosengren and Gunnel Rikardsson, «Middle East News in Sweden,» paper presented at: Seminar on East-West Communication, Beirut, July 1972, p. 14.

(١٠٣) Paul Croll, «The Middle East in the British Press,» paper presented at: Ibid., p. 12.

(١٠٤) Michael Adams, «European Media and the Arabs,» in: Abdeen Jabara and Janice Terry, eds., *The Arab World from Nationalism to Revolution*, AAUG Monograph Series, 3 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1971), pp. 86-93.

(١٠٥) Michael Adams and Christopher Mayhew, *Publish it Not: The Middle East Cover Up* (London: Longman, 1975), pp. 66-139.

(١٠٦) Ibrahim Sus, «Western Europe and the October War,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 3, no. 2 (Winter 1974), pp. 65-83.

(١٠٧) للإطلاع على دلائل التحسن في المواقف البريطانية العامة، أنظر: =

الرسمي. إن لم نقل سرّعه، إجراء الحوار العربي - الأوروبي[108]. وكان التحرك بطيئاً. لذا لم تؤكد الجماعة الاقتصادية الأوروبية إلا في عام ١٩٧٧ بأن «الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في الأفصاح الفعال عن هويته القومية» أمر جوهري لحل عادل للقضية الفلسطينية[109]. وفي عام ١٩٨٠ صدر تصريح فينيسيا عن المجلس الأوروبي فخطا خطوة أخرى نحو المطالبة بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة والاعتراف للفلسطينيين بتقرير مصيرهم و«إشراك منظمة التحرير في عملية السلام»[110]. فضلاً عن ذلك فإن الجماعة الاقتصادية الأوروبية أصدرت، إبان ذروة الغزو الإسرائيلي للبنان في حزيران/ يونيو عام ١٩٨٢، بياناً يكرر الآراء الواردة في تصريح فينيسيا ولكن مع إضافة مهمة. فقد اتفقت الجماعة على أن «تتوافر للفلسطينيين فرصة لممارسة حقهم في تقرير المصير مع كل ما ينطوي عليه ذلك»[111].

وهكذا حدث تغيير ما أكيد في أوروبا في السياسة الرسمية وفي المواقف العامة معاً[112]. وتزايد هذا التغيير نظراً لارتكاب الفظائع الإسرائيلية في لبنان في صيف عام ١٩٨٢ والمذبحة التي تلتها في صبرا وشاتيلا فذهب ضحيتها مئات الأبرياء. لذا كتبت باميلا آن سميث تقول «إن الغزو الاسرائيلي للبنان وحصار بيروت قد استقبلا بشعور عام من الامتعاض في أوروبا»[113]. مثلاً، كتبت صحيفة الديلي اكسبرس البريطانية في ٩ حزيران/ يونيو تقول: «تكونت إسرائيل من لاجئين ولكنها في تكوّنها وفي الدفاع عنها قد جعلت من الفلسطينيين الذين أجلتهم عن ديارهم لاجئين. إن إسرائيل تبلو أبناء عرب فلسطين بآثام أجيال من الأوروبيين»[114]. وحتى صحافة

«Balance in the Press.» *Journal of Palestine Studies*, vol. 9, no. 1 (Autumn 1979), pp. 184-186, and = E.M., «Ten Years of Arab-British Understanding,» *Middle East International*, no. 75 (September 1977), p. 25.

(١٠٨) علّق على هذا الحوار بعد التوقيع على المعاهدة الاسرائيلية - المصرية في آذار/مارس ١٩٧٩. انظر:

Tijil Declerq, «Evolution of European Attitudes and Policies on the Question of Palestine,» papers presented at: The UN Seminar on the Question of Palestine, 6, Valleta, Malta, 12-16 April 1982, pp.98-103 of Proceedings.

(١٠٩) Ahmad Sidqi al-Dajani, «The PLO and the Euro-Arab Dialogue,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 9, no. 3 (Spring 1980), pp. 81-98.

(١١٠) John Palmer, «In Pursuit of Peace,» *Europe*, no. 232 (September-October 1982), pp. 12-14.

(١١١) «Statement on the Mideast Issued by Leaders of the Common Market, June 29, 1982,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 11, no. 4 (Summer 1982), and vol. 12, no. 1 (Fall 1982), p. 343.

(١١٢) يحس تشارلز سانت - بروت بالحبوط لما يجد من تغيير قليل جداً في اوروبا حول القضية الفلسطينية، انظر:

Charles Saint- Prot, «Question of Palestine and European Public Opinion,» paper presented at: The UN Seminar on the Question of Palestine, 6, Valleta, Malta, 12-16 April 1982, pp. 88-92 of Proceedings.

وللإطلاع على رأي اكثر تفاؤلاً، انظر:

Ernest Ross, «Western Europe and Palestine,» paper presented at: Ibid., pp. 93-97 of Proceedings.

(١١٣) Smith, «The European Reaction to Israel's Invasion,» p. 38.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ٣٩.

ألمانيا الغربية كانت ناقدة. وعلى العموم كانت جنوب أوروبا أكثر تعاطفاً مع الفلسطينيين بكثير. كذلك فإن اسبانيا وإيطاليا والفاتيكان واليونان هي أكثر تلقياً من غيرها للحلول التي تنادي بدولة فلسطينية بزعامة منظمة التحرير. لذا أصبحت اليونان أول دولة من أعضاء الجماعة الأوروبية وحلف الأطلسي تعترف بمنظمة التحرير اعترافاً دبلوماسياً كاملاً، فتعكس بذلك تغييراً في التأييد الحكومي والشعبي[١١٥]. والواقع أن أول مكان توقف فيه ياسر عرفات، عندما انسحبت قوات منظمة التحرير من بيروت في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٨٢، كان اليونان حيث استقبلته الحكومة والشعب هو وزملاءه استقبال الأبطال.

وكانت الفاتيكان تنتقد أعمال إسرائيل، كما كانت من قبل تنتقد العقيدة الصهيونية. وانصب اهتمام الفاتيكان، بعد تأسيس إسرائيل، على مركز مدينة القدس. أما في الفترة الأخيرة فقد اهتمت بحقوق الفلسطينيين. لذا ففي تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٨٠ أبدى البابا جون بول الثاني قلقه على حقوق الفلسطينيين «الذين حرموا بشكل جليّ من وطنهم»[١١٦]. ثم استقبل قداسته ياسر عرفات في لقاء خاص وذلك بعد مغادرة منظمة التحرير بيروت في صيف عام ١٩٨٢.

من الواضح إذاً أن تقدماً ملموساً حدث في تغيير المواقف العامة في شأن فلسطين بين الأوروبيين. وكما كتبت سميث: «فإنه، بينما أيد إسرائيل عدد من الناس [في أوروبا] يبدو أن هناك إدراكاً متنامياً بأنه ما لم يتح للفلسطينيين أن ينشئوا دولة خاصة بهم فإن خطر وقوع انفجار أعظم في الشرق الأوسط سيستمر بالتزايد»[١١٧].

تاسعاً: الكنديون والفلسطينيون

إن الرأي العام الكندي حول القضية الفلسطينية يشابه على ما يظهر الرأي السائد في الولايات المتحدة والذي سنتناوله أدناه. وليس هذا من باب الصدفة الصرف، لأن وسائل الاعلام الجماهيرية الأمريكية لها تأثير كبير على نظائرها في كندا. كذلك فالكنديون، كالأمريكيين، تطور لديهم موقف أو توجه خاص «برعاة البقر والهنود الحمر» ينظرون من خلاله الى الأحداث الكبرى. وفي النزاع بين الفلسطينيين والصهاينة يميل الكنديون الى «نزعة باطنية» فيهم للتعاطف مع المستوطنين البيض ضد «السكان الأصليين»[١١٨].

---

(١١٥) Leonidas Kyrkis, «The Evolution of European Attitudes and Policies on the Question of Palestine,» paper presented at: The UN Seminar on the Question of Palestine, 6, Valleta, Malta, 12-16 April 1982, pp. 104-110 of Proceedings.

(١١٦) Richard P. Stevens, «The Vatican, the Catholic Church and Jerusalem,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 10, no. 3 (Spring 1981), p. 110.

(١١٧) Smith, «The European Reaction to Israel's Invasion,» p. 47.

(١١٨) R.T. Naylor, «Canadian Mass Media and the Middle East,» paper presented at: The UN Seminar on the Question of Palestine, 5, New York, 15-19 March 1982, p. 34 of Proceedings.

تظهر الدراسات عن وسائل الإعلام الكندية وجود إزدواجية في نشر أنباء الشرق الأوسط، إذ ينظر الى الاسرائيليين على العموم نظرة موضوعية والى الفلسطينيين بدرجة أقل من التأييد. بل إن الكراهية الفطرية للفلسطينيين ما هي إلا نوع من أنواع العداء العام نحو العرب والمسلمين. لذا يعرض العرب كقوم متخلفين وغير مؤتمنين. وفي حالة الفلسطينيين على الأخص ثمة فكرة إضافية تتصل بأعمال «الإرهاب». والحصيلة النهائية هي عملية عمومية في تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم[119]. يمكن أن نلمس هذا النشر المتحيّز في كل وسائل الاتصال تقريباً، بما في ذلك الصحافة والتلفزيون والأفلام[120].

هناك ناحيتان تمثلان بصيص أمل بعرض أكثر موضوعيةً للقضايا الفلسطينية في كندا. الأولى هي الصحافة الناطقة بالفرنسية والتي تميل الى أن تكون أكثر موضوعية وغير مؤيدة كلياً لإسرائيل. يعود هذا جزئياً الى أن مصادر الأنباء هي غير أمريكية بل فرنسية مثل صحيفة لوموند، وهي ذات سجل في الإنصاف والدقة أفضل من غيرها بكثير[121]. والثانية هي نقابات العمال في كندا والتي كونت لها مواقف ايجابية من القضية الفلسطينية. صحيح ان أكبر اتحاد للعمال، وهو «مؤتمر العمال الكندي»، كان ولا يزال مؤيداً لإسرائيل في عواطفه وبياناته ومساعداته المالية وشبكاته التنظيمية. ولكن، وحسب ما يقوله بريمبرغ، جرى في عام ١٩٧٥، وفي وثيقة داخلية «للمؤتمر»، إبداء رأي صريح في الحاجة الى الاعتراف «بحق الإسرائيليين والفلسطينيين معاً في وجود ذي سيادة داخل دولة مسالمة»[122].

والظاهر أن النقاش العلني حول القضايا الفلسطينية هو من الأمور النادرة جداً. حدث هذا النقاش ذات مرة في المؤتمر الرابع عشر لاتحاد عمال الموانىء عام ١٩٧٦. وفي نهايته صدر قرار متوازن ينتقد الارهاب من كلا الجانبين. على أن القرار دعا كذلك الى الانسحاب من الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ و«الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للفلسطينيين»[123].

هناك اتحادان آخران للعمال أظهرا اهتمامهما بالفلسطينيين وهما «اتحاد النقابات الكندية» و«اتحاد النقابات الوطنية». وأبدى هذا الأخير مثلاً تأييده «للتحرير العادل للشعب الفلسطيني»[124]. لذا فإن الحركة العمالية في كندا ليست أحادية الجانب كلياً بقدر تعلق الأمر

---

(١١٩) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(١٢٠) Ismail Zavid, «Brief Submitted to Canadian Radio-Television and Telecommunications Commission,» paper presented at: The Halifax Public Hearings Held at the Hotel Nova Scotia, Halifax, Nova Scotia, 29-30 September.

(١٢١) Naylor, «Canadian Mass Media and the Middle East,» p.48.

(١٢٢) Mordecai Briemberg, «Canadian Trade Unions and Palestine,» paper presented at: The UN Seminar on the Question of Palestine, 5, New York, 15-19 March 1982, p.86 of Proceedings.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٩١.

بالفلسطينيين. وبينما نجد أن الصورة ليست زاهية بالنسبة للفلسطينيين ولكنها أيضاً ليست ميؤوسة رغم الموقف المؤيد لإسرائيل في وسائل الاعلام الكندية.

عاشراً: الأمريكيون والفلسطينيون

أظهر الأمريكيون على العموم، من بين الغربيين، أقوى التحيّزات ضد الفلسطينيين وأشد التحزّبات لمصلحة الاسرائيليين. وقد جرى الافصاح عن هذه الصور السلبية للفلسطينيين في شتى وسائل الاعلام في أمريكا(١٢٥). والصورة التي تبرز للعيان هي صورة الجهل المطبق والإهمال المتعمد لمصير الفلسطينيين العرب؛ وذلك على الأقل لحين وقوع الغزو الاسرائيلي للبنان وحصار بيروت ومذابح صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢. والواقع أن أغلب الأمريكيين (شأنهم شأن أغلب الاسرائيليين)، وحتى وقت متأخر، لم يفكروا بالفلسطينيين كشعب بل «كلاجئين عرب»، أي لا كشعب ولا كفلسطينيين. إضافة الى هذا غالباً ما يعرض الفلسطينيون كرجال عصابات وكأناس يقترنون بالعنف والارهاب، ويرفضون بصورة غير عقلانية أن يعيشوا بسلام مع اليهود واسرائيل. وهدفهم، فيما يزعم، هو تحطيم اسرائيل وشعبها. لذا عرضت وسائل الاعلام الأمريكية الفلسطينيين إما كإرهابيين وإما كلاجئين معدمين، ونادراً ما عرضتهم كبشرٍ لهم حاجاتهم ورغباتهم ومطامحهم(١٢٦).

إن الآراء الأمريكية عن الفلسطينيين ليست حديثة العهد ويمكن إرجاع تطورها الى عوامل عدة(١٢٧). من بين هذه العوامل، الاستشراق والبحوث الغربية المتحيزة عن العرب والمسلمين عموماً، وهي الى حدٍ كبير من تراث الصليبيين(١٢٨). وقد أعطت كتابات المبشرين

---

(١٢٥) Michael W. Suleiman, «Stereotypes, Public Opinion and Foreign Policy: The Impact on American-Arab Relations,» *Journal of Arab Affairs*, vol. 1, no. 2 (April 1982), pp. 147-166.

(١٢٦) وثقت دراسات عديدة موقف وسائل الاعلام الجماهيرية الامريكية المناصر لإسرائيل والمناهض للفلسطينيين (والعرب). انظر مثلاً:

Edmund Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the Arab American Media* (Washington, D.C.: Institute of Middle Eastern and North African Affairs, 1977); Michael C. Hudson and Ronald G. Wolfe, eds., *The American Media and the Arabs* (Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980), and the references cited in: Michael W. Suleiman, *American Images of Middle East Peoples: Impact of the High School* (New York: Middle East Studies Association of North America, 1977).

حول تغطية التلفزيون، انظر:

William C. Adams, ed., *Television Coverage of the Middle East* (Notwood, N.J.: Ablex, 1981).

(١٢٧) للإطلاع على دراسة توثق الآراء الأمريكية المعادية للعرب و«سكان الشرق الأدنى» عموماً منذ ١٨٢٤، انظر:

Helen McCready Kearney, «American Images of the Middle East, 1824-1924: A Century of Antipathy,» (Ph. D. Dissertation, University of Rochester, N.Y., 1976).

(١٢٨) انظر عن الاستشراق: =

في القرن التاسع عشر، فضلاً عن أدب الرحلات، صورة سلبية وقدمت موقفاً معادياً(١٢٩). وذكر هامونز أيضاً أن من العوامل وجود عقيدة أمريكية في «الوحشية»(١٣٠). أما في الفترة الأخيرة فقد كان لثلاثة عوامل تأثير كبير في الآراء الأمريكية عن فلسطين خصوصاً. أحدها الفكرة التي يتبناها عدد من الجماعات المسيحية الأصلية ومفادها أن عودة اليهود الى فلسطين يجب أن تسبق المجيء الثاني للمسيح. لذا فإن هؤلاء «الصهاينة المسيحيين» قد أيدوا فكرة الدولة اليهودية للتعجيل في ما يسمى بعصر ظهور المسيح مجدداً(١٣١). ثم أن الصهاينة المتفذلكين استفادوا في تبريراتهم من هذه العواطف بالتأكيد ومازالوا يستفيدون منها حتى اليوم(١٣٢). وأخيراً، وعلى الأقل منذ تأسيس دولة اسرائيل، نظرت السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط الى اسرائيل «كحليف استراتيجي» في المنطقة. لذا فإن مسألة فلسطين بالنسبة الى الولايات المتحدة هي مسألة «لاجئين»، هذا الى أن ظهرت الحركة الوطنية الفلسطينية كقوة سياسية في الستينات.

إن هذه العوامل التي فعلت فعلها على مدى فترة طويلة من الزمن قد أنتجت صورة سلبية للفلسطيني/العربي في التقارير الاخبارية وفي البحوث العلمية، وكذلك في «الثقافة الشعبية الأمريكية»(١٣٣). وهكذا وقبل ظهور دولة اسرائيل بأمد طويل، كان قد تم الانضمام أصلاً الى المعركة الخاصة بكسب قلوب وعقول الأمريكيين بشأن قضية فلسطين، وكان الصهاينة قد تقدموا سلفاً تقدماً كبيراً في هذا المضمار(١٣٤).

ينصب اهتمامنا على ثلاث مسائل من بين القضايا الكثيرة المتصلة بالشرق الأوسط

Edward W. Said: *Orientalism* (New York: Pantheon Books, 1978), and *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World* (New York: Pantheon Books, 1981).

وعن الإسلام في الأدب الغربي، انظر:

Mohammad Hassan Asfour, «The Crescent and the Cross: Islam and the Muslims in English Literature from Johnson to Byron,» (Ph.D. Dissertation, Indiana University, 1973).

(١٢٩) انظر على الأخص:

Mark Twain, *The Innocents Abroad or the New Pilgrim's Progress* (New York: Harper and Row, 1911).

(١٣٠) Terry Brooks Hammons, «A Wild Ass of a Man: American Images of Arabs to 1948,» (Ph.D. Dissertation, University of Oklahoma, 1978).

(١٣١) Carl Frederrick Ehle, «Prolegomena to Christian Zionism in America: The Views of Increase Mather and William W. Blackstone Concerning the Doctrine of the Restoration of Israel,» (Ph.D. Dissertation, New York University, 1977).

(١٣٢) انظر على سبيل المثال:

Stephen Zunes, «Strange Bedfellows: Christian Right's Support of Israel,» *The Progressive*, no. 45 (November 1981), pp. 28 and 29.

(١٣٣) Sari J. Nasir, «The Image of the Arab in American Popular Culture,» (Ph.D. Dissertation, University of Illinois, 1962).

(١٣٤) Michael Arthur Dohse, «American Periodicals and the Palestine Triangle, April 1936 to February 1947,» (Ph.D. Dissertation, Mississipi State University, State College, 1966), and Alan R. Taylor, *Prelude to Israel* (Beirut: Institute for palestine Studies, 1970).

والسياسة الأمريكية نحو المنطقة. وهي: المواقف نحو العرب عموماً والفلسطينيين خصوصاً بالمقارنة مع المواقف نحو اسرائيل؛ الأراضي التي تحتلها اسرائيل وإمكانية تأسيس دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ والاعتراف الأمريكي بمنظمة التحرير الفلسطينية والتفاوض معها. وبالنظر للشقاء الانساني العظيم والخسارة الكبيرة في الأرواح من جراء الغزو الاسرائيلي للبنان، فقد حدث تغير ملموس في المواقف الأمريكية نتيجة لذلك الغزو. وسنفصل هذا التغيير فيما يلي.

من الصعب المقارنة بين أغلبية الأسئلة التي ترد في الاستفتاءات وذلك بسبب الصياغة المختلفة التي تستخدمها شتى وكالات استطلاعات الرأي، بل وحتى الوكالة ذاتها في فترة من الزمن. على أننا قد نجد لغة مطّردة في السؤال الخاص بالتعاطف وصيغته النموذجية هي: «في حالة الشرق الأوسط هل يكون تعاطفك أكثر مع اسرائيل أم أكثر مع الأمم العربية؟»[١٣٥] والدليل الواضح على أنه حتى صيف عام ١٩٨٢ كان التعاطف مع «الأمم» العربية منخفضاً جداً. ويشير الدليل كذلك الى أن التعاطف مع اسرائيل كان على أقصاه خلال فترات الحروب - حتى الغزو الأخير للبنان[١٣٦]. لذا ففي الاستقراءات التي أجرتها صحيفة الواشنطن بوست بالاشتراك مع محطة «أي بي سي» الأمريكية للتلفزة في آذار/مارس وآب/اغسطس وأواخر أيلول/سبتمبر عام ١٩٨٢، كانت النتائج كما يلي: ٥٥ بالمائة تعاطفوا مع اسرائيل في آذار/مارس، فانخفضت هذه النسبة الى ٥٢ بالمائة في آب/اغسطس ثم الى ٤٨ بالمائة في أيلول/سبتمبر. وفي الوقت ذاته قفز التعاطف مع العرب بنسبة خمسين بالمائة، من ١٨ بالمائة الى ٢٧ بالمائة خلال الفترة بين آب/اغسطس وأيلول/سبتمبر[١٣٧]. وكان واضحاً أن اسرائيل أصابها هبوط أكيد في التعاطف كما جاء في استقراءات أخرى حين وجه مثل هذا السؤال على وجه التحديد. لذا ففي تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٨٢ تعاطف ٣٩ بالمائة فقط من الجمهور مع اسرائيل مقابل ٥٩ بالمائة قبل سنة واحدة. من جهة أخرى، فبينما تعاطف ١٣ بالمائة مع الفلسطينيين قبل سنة، نجد هذه النسبة ترتفع الى ٢٣ بالمائة في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٨٢، وهي زيادة كبيرة[١٣٨].

---

(١٣٥) يجب أن نلاحظ ان السؤال يقيد خيارات المجيبين وبالتالي ينزع الى تضخيم الارقام التي تظهر «التعاطف» في حين قد لا تكون هذه المشاعر موجودة حقيقة. لذا فحين يعطى خيار ثالث بشكل صريح مثل «ام لديك مشاعر قوية من أي نوع نحو أي من الطرفين؟» فإن التأييد ينخفض لكلا الطرفين.

(١٣٦) Michael W. Suleiman, «American Public Support of Middle Eastern Countries, 1939-79,» in: Hudson and Wolf, eds., *The American Media and the Arabs*, pp. 13-36.

(١٣٧) Barry Sussman, «Beirut Massacre Sours American Views on Israel,» *Washington Post* (29 September 1982).

يجب أن نلاحظ ان استطلاعات الرأي الجارية في حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو لم تسجل هبوطاً كبيراً في التعاطف مع اسرائيل. انظر: «The U.S. Public and Israel,» *Opinion Outlook* (15 July 1982), pp. 1 and 2.

(١٣٨) Daniel Southerland, «Survey: U.S. Sympathy for Israel is Eroding,» *Christian Science Monitor* (18 November 1982), pp. 1 and 13.

ولعلها المرة الأولى منذ تأسيس دولة اسرائيل تقدم وسائل الاعلام الأمريكية تغطية شاملة للعمليات العسكرية الاسرائيلية التي سببت كثيراً من الدمار والشقاء الانساني. وهذا لا يعني أن اسرائيل انتقدت في صورة غير منصفة، كما لا يعني أن العرب والفلسطينيين نجوا من الانتقاد[١٣٩]. بيد أنه يعني أن الصحافة الأمريكية لم تعد مكرهة على تقديم «الجانب الجيد» فقط من اسرائيل[١٤٠]. ولعله يعني كذلك أنه حين تقدم الوقائع في صورة موضوعية الى الشعب الأمريكي فإنه يستجيب في صورة منصفة وبشعور من الشفقة.

إن التدمير والامعان في الأذى الذي جرى في لبنان سبب للأمريكيين جزعاً كبيراً وأدى الى «إعادة تقويم أليمة» لآرائهم عن الاسرائيليين، على الأقل في ظل حكومة بيغن - شارون. لذا ففي أواسط حزيران/يونيو لم يوافق الأمريكيون على الغزو الاسرائيلي، وذلك بفارق ٤٥ بالمائة مقابل ٣٢ بالمائة[١٤١]. وبحلول تشرين الأول/أكتوبر سجل ٦٩ بالمائة من الجمهور الأمريكي عدم موافقتهم على الغزو مقابل ٢١ بالمائة كانوا محبذين له. كذلك فإن ٧٢ بالمائة عارضوا التقدم الاسرائيلي نحو بيروت الغربية واعتقد (٥٣ بالمائة مقابل ٢٩ بالمائة) «أن المذبحة في مخيمي صبرا وشاتيلا ما كانت لتحدث لو أن الاسرائيليين التزموا بتعهدهم للولايات المتحدة بألاّ يحركوا قواتهم الى داخل بيروت الغربية»[١٤٢]. وقد جرى تسجيل خيبة أمل الأمريكيين بأعمال إسرائيل في لبنان وغيره بالعدد المتناقص من الامريكيين الذين يعتقدون «أن إسرائيل حليف موثوق». لذا ففي حين أن ٦٤ بالمائة رأوا في اسرائيل حليفاً موثوقاً فيه في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٨١، فإن ٤٠ بالمائة فقط رأوا ذلك في أواخر أيلول/سبتمبر عام ١٩٨٢. وفي الوقت ذاته فإن نسبة عدم التأييد لرئيس الوزراء بيغن ارتفعت بأكثر من الضعف من ٢٢ بالمائة الى ٤٧ بالمائة في الفترة المحصورة فقط بين آذار/مارس وأيلول/سبتمبر عام ١٩٨٢[١٤٣].

في الماضي كانت نسبة كبيرة من الأمريكيين (تناهز ٥٠ بالمائة وغالباً ما تتجاوزها) إما لا تعرف الكثير عن الوضع في الشرق الأوسط وإما تتعاطف مع كلا الطرفين بالتساوي. والظاهر أن العديد من هؤلاء أغضبهم التدمير المستهتر وازهاق أرواح المدنيين وذبح الفلسطينيين، فغدوا متعاطفين مع الفلسطينيين. وحوّل آخرون تعاطفهم الى الفلسطينيين

---

(١٣٩) انظر: Eric Hooglund, *U.S. Press Coverage of the Israeli Invasion of Lebanon* (Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, 1982).

(١٤٠) حلل روجر موريس التغطية الصحافية للغزو الاسرائيلي واستنتج في النهاية انها كانت موضوعية تماماً، وأنها بالتأكيد ليست مناهضة لإسرائيل كما اتهم البعض. انظر:

Roger Morris, «Beirut and the Press under Siege,» *Columbia Journalism Review* (November-December 1982), pp. 23-33.

(١٤١) «NBC News,» *Poll Results* (6 July 1982), p. 1, and *Newsweek* (16 August 1982), p. 14.

(١٤٢) «Decision, Making, Information,» Poll Commissioned by the Institute of Arab Studies.

(١٤٣) Sussman, «Beirut Massacre Sours American Views on Israel,».

وكانوا فيما مضى يتعاطفون مع الاسرائيليين «المستضعفين».

بعد حرب عام ١٩٦٧ كان السؤال الذي يوجه غالباً في الاستطلاعات الأمريكية هو ما الذي ينبغي عمله بالأراضي التي احتلتها اسرائيل. لم يكن هناك في البداية ذكر للفلسطينيين أو لدولة فلسطينية. وكانت صيغة السؤال عادة بعبارة: «ما الذي ينبغي عمله فيما ترى - هل يجب أن تطالب اسرائيل بإعادة جميع الأراضي المحتلة، أو بأن تحتفظ بها جميعاً، أو بأن تحتفظ ببعضها؟» وعلى العموم حبذ ٦٠ بالمائة أو أكثر من الجمهور الأمريكي بصورة مطردة اعادة الأراضي المحتلة فيما عدا «ما تحتاجه اسرائيل لحماية أمنها»[١٤٤]. كذلك فعندما أعطى الاستطلاع خيارات مختلفة، كما في ثلاثة استطلاعات أجراها غالوب في عام ١٩٧٧، حبذ ٤٣ - ٥٠ بالمائة اعادة الأراضي المحتلة كلاً أو جزءاً، إضافة الى ٣٠ - ٣٣ بالمائة لم يكن لديهم رأي[١٤٥].

لم تحدد وكالات استطلاعات الرأي، لمدة تناهز عشر سنوات بعد حرب عام ١٩٦٧، الغرض الذي ستستخدم من أجله «الأرض المعادة». ولكن، بعد نداء الرئيس جيمي كارتر من أجل وطن للفلسطينيين في آذار/مارس عام ١٩٧٧، تركز النقاش على الضفة الغربية وقطاع غزة كموقع محتمل في المستقبل لدولة فلسطينية. وبما أن الأسئلة التي تستخدمها شتى وكالات الاستطلاع تختلف في صياغتها، فإن النتائج تختلف كذلك تماماً. وبالنظر الى كون الجمهور ليس على اطلاع حسن بالشرق الأوسط، فإن إجاباته يمكن توجيهها بواسطة شكل الأسئلة. مثلاً، في استطلاعات غالوب التي جرت في عام ١٩٧٨ والتي أعطت ثلاثة خيارات منفصلة، حبذ ٥٠ بالمائة من المجيبين إقامة دولة فلسطينية مستقلة على الضفة الغربية أو دولة فلسطينية ترتبط بالأردن، وقال حوالى خمس المجيبين أن على الفلسطينيين «الاستمرار بالعيش حيث هم الآن»، وحوالى ٣٠ بالمائة لم يكن لديهم رأي[١٤٦]. كذلك فعندما قامت محطة «ان بي سي» الأمريكية للتلفزيون باستطلاع رأي الأمريكيين في عام ١٩٧٧ ووجهت لهم السؤال الآتي: «هل توافق أو لا توافق بأنه ينبغي أن يكون للفلسطينيين العرب بلاد خاصة بهم؟» وافق ٥٥ بالمائة على ذلك ولم يوافق عليه ٢٥ بالمائة ولم يقطع ٢٠ بالمائة برأي[١٤٧]. وبعد هذا بثلاث سنين سئل الأمريكيون في استطلاع أجراه هاريس عام ١٩٨٠ هل يوافقون أم لا يوافقون على ما يلي: «إن الشعب الفلسطيني هو الآن بلا وطن ويستحق دولة خاصة به، تماماً كما استحق اليهود وطناً لهم بعد الحرب العالمية الثانية»، وافقوا على ذلك بأغلبية ٧٢ الى

---

(١٤٤) «Gallup Poll of 9 July 1967,» and *Harris Survey* (26 January 1978), p.2, and (10 April 1978), p.3.

(١٤٥) *The Gallup Opinion Index* (April 1978), p. 12.

(١٤٦) Suleiman, «American Public Support of Middle Eastern Countries, 1939-79,» p. 23.

(١٤٧) Richard H. Curtiss, *A Changing Image: American Perceptions of the Arab-Israeli Dispute* (Washington, D.C.: American Educational Trust, 1982), p. 196.

١٢!»[١٤٨] كذلك وافق ٧٦ بالمائة، في استطلاع أجري عام ١٩٨٢، على أنه «استناداً الى اقتراح التقسيم لسنة ١٩٤٧ الذي أيدته الولايات المتحدة لإنشاء دولة فلسطينية وأخرى اسرائيلية، ينبغي ان يكون للفلسطينيين الحق في انشاء دولة خاصة بهم»[١٤٩].

والواقع أن التأييد لإقامة دولة فلسطينية هو تأييد قوي جداً إذا أخذنا في الاعتبار الاجابات الواردة عن سؤالين آخرين وجِّها في استطلاع للرأي أجراه هاريس عام ١٩٨٠. فقد وافق الأمريكيون (بنسبة ٧١ الى ١١) بأنه «يجب ايجاد وسيلة لضمان أمن اسرائيل وكذلك لإعطاء الفلسطينيين دولة مستقلة في الضفة الغربية». فضلاً عن هذا فقد رأى الأمريكيون بنسبة ٥٦ الى ١٦ «أن على اسرائيل أن توافق على دولة فلسطينية على الضفة الغربية، لكي يمكن ضمان أمنها من الهجوم». بل إن اليهود الأمريكيين حسب استطلاع هاريس، رفضوا هذا الاقتراح «بنسبة متقاربة جداً هي ٤١ الى ٣٩ بالمائة»[١٥٠]. ولا بد أن نضيف أن التأييد لإقامة دولة فلسطينية بين المثقفين والمطلعين أقوى منه بين غيرهم. لذا ففي استطلاع أجراه «لاد وليبسيت» في عام ١٩٧٥ لاستقراء رأي أساتذة العلوم السياسية في أمريكا اعتقد ٦٤ بالمائة من المشتركين بأنه يجب أن يتيسر للعرب أن يقيموا أمة منفصلة لفلسطين على الضفة الغربية من نهر الأردن[١٥١]. ليس من الغريب، إذاً، ألا يتفق الأمريكيون وبفارق خمسين مقابل ثلاثة وثلاثين، مع رأي الرئيس ريغان بأنه يجب ألا تكون هناك دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة. بل إن أغلبية ضخمة (بين ٥٥ و٦٥ بالمائة) وافقت بأن السلام لن يحل في الشرق الأوسط «إلاّ حين يكون للفلسطينيين دولة خاصة بهم» ـ كما رأى ٥٥ بالمائة أن على الولايات المتحدة أن تساعد في إنشاء مثل هذه الدولة[١٥٢].

وإذ نجد الجمهور الأمريكي ينزع الى تأييد إقامة دولة فلسطينية فإنه يميل الى اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية غير معنية بسلام عادل أو أنها «تريد سلاماً عادلاً على تردد فقط»[١٥٣]. إن هذه الصورة التي تعززها التقارير الصحافية عن «إرهاب» المنظمة هي التي تتحول الى تردد لدى الجمهور الأمريكي في قبول منظمة التحرير على أنها تمثل الفلسطينيين ـ وإن طرفاً

(١٤٨) William Safire, «Poll Probes Views of Jews, Non-Jews on Israel, Mid-East Related Issues,» *JTA Daily News Bulletin*, vol. 38, no. 189 (2 October 1982), p. 2.

(١٤٩) Southerland, «Survey: US Sympathy for Israel is Eroding,» p. 13, and Fouad Moughrabi, «American Public Opinion and the Palestine Question,» *Journal of Palestine Studies*, vol.15, no. 2 (Winter 1986), pp. 56-75.

(١٥٠) Safire, «Poll Probes Views of Jews, Non-Jews on Israel, Mid-East Related Issues,» p. 3.

(١٥١) Everett Carll Ladd (Jr.) and Seymour Martin Lipset, «War-Shy Professors Divided Over Middle East,» *The Chronicle of Higher Education* (1 December 1975), p. 10.

(١٥٢) «Decision, Making, Information,» (AAUG), questions 24, 25 and 33, and «U.S. Attitudes on the Middle East,» a report on a nationwide public opinion survey conducted by the Survey Research Center of the University of Michigan (February 1985), p. 3 (mimeographed).

(١٥٣) Curtiss, *A Changing Image: American Perceptions of the Arab-Israeli Dispute*, p. 206.

بعض التغيير مؤخراً على هذا الموقف ـ لذا ففي عام ١٩٧٧، اعتقد ١٤ بالمائة فقط من الأمريكيين أن منظمة التحرير تمثل الفلسطينيين، في حين كانت نسبة ذلك في عام ١٩٨٢ ٣١ بالمائة ولم يعط ٢٣ بالمائة رأياً[١٥٤]. وعلى الرغم من هذا فإن أغلبية واضحة من الأمريكيين (٥٧ بالمائة) تعتقد أن على حكومة الولايات المتحدة «أن تجتمع بمنظمة التحرير الفلسطينية في محاولة لتحقيق تسوية للوضع في الشرق الأوسط»[١٥٥]. ولعل هذا هو السبب في أن حوالى ٢٥ بالمائة فقط من الجمهور الأمريكي يؤيد فكرة اعتراف الحكومة الأمريكية بمنظمة التحرير[١٥٦]. وفي الفترة الأخيرة (١٩٨٢ و١٩٨٥) وافق ٦٤ الى ٦٦ بالمائة على أنه ينبغي اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في مفاوضات السلام[١٥٧]. إن التأييد الأمريكي للفلسطينيين، كما يقول ريتشارد كورتيس، هو أقوى مما يبدو. «والواقع أن استخدام منظمة التحرير الفلسطينية لما يبدو للأمريكيين أنه طرق ارهابية تناصر القضية الفلسطينية هو الذي يزعج الأمريكيين وليس القضية ذاتها»[١٥٨]. لهذا فإن الجمهور الأمريكي بحاجة الى اطلاعه على اهتمام منظمة التحرير بالسلام، وبتسوية دبلوماسية أو متفاوض عليها للمشكلة الفلسطينية ـ الاسرائيلية.

خلاصة واستنتاجات

من الممكن استخلاص استنتاجات وتعميمات عدة نتيجة لاستقرائنا للرأي العام العالمي عن القضية الفلسطينية:

أ ـ من الجلي جداً أن التأييد للفلسطينيين ولحقوقهم المشروعة تنامى في أرجاء العالم كافة في صورة عظيمة في السنين الخمس عشرة الى العشرين الماضية.

ب ـ في عام ١٩٤٨، حين قسمت فلسطين وشرد أهلها كان «الرأي العام العالمي» عن هذه القضية، كما عن عددٍ آخر غيرها، يتخذ شكله بواسطة الغرب الى حدٍ كبير. والواقع أن عدداً من أقطار العالم اليوم كانت آنئذٍ من المستعمرات. وبما أن الرأي الغربي كان الى جانب اسرائيل فإن كثيراً من المعلومات المتيسرة للعالم عن طريق وسائل الاعلام الاخبارية كانت كذلك الى جانب اسرائيل.

وفي الفترة الأخيرة أصبحت وكالات الأنباء في الغرب (AP, UPI, AFP, etc) أقل تحيزاً في شأن القضية الفلسطينية ـ الاسرائيلية، كما أن العالم الثالث قلّل من اعتماده على

---

(١٥٤) «Decision, Making, Information,» question 28.

(١٥٥) Shelly Slade, «The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes,» *Middle East Journal*, vol. 35, no. 2 (Spring 1981), p. 155.

(١٥٦) NBC, *Associated Press* (10 November 1981).

(١٥٧) «Decision, Making, Information,» question 31.

(١٥٨) Curtiss, *A Changing Image: American Perceptions of the Arab-Israeli Dispute*, p. 206, and Slade, «The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes,» p. 155.

وكالات الأنباء الغربية. كلا هذين التطورين حسّن من نوعية الاعلام فكانت النتيجة لمصلحة نشوء مواقف عامة أفضل عن فلسطين.

ج - عند ادراج فلسطين في جدول أعمال الأمم المتحدة كانت أغلبية العالم، باستثناء الأقطار العربية والاسلامية، تبدو مؤيدة لإنشاء دولة اسرائيلية. فلما أنشئت تلك الدولة أنكروا على الفلسطينيين العرب دولتهم الخاصة بهم وأخذت أغلبية العالم تنظر اليهم وتعاملهم وكأنهم مجرد «مشكلة لاجئين».

د - أخذ الرأي العام في الغرب (وكان في الماضي على أشد تأييد لاسرائيل وعلى أضعف تحسس بالشؤون الفلسطينية) يصير انتقادياً جداً لاسرائيل ومتعاطفاً مع الفلسطينيين وقضيتهم.

إن اسرائيل وجنوب افريقيا هما أقل الأقطار تأييداً للفلسطينيين[١٥٩]. ولكن، حتى في اسرائيل نفسها بدأ بعض النقاش يتركز على تقرير المصير للفلسطينيين بعد مذابح ١٩٨٢ في مخيمي صبرا وشاتيلا.

هـ - إن ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية وتطورها اللاحق من خلال منظمة التحرير كان لهما تأثير هائل على الرأي العالمي المتعلق بالقضية الفلسطينية.

و - لقد ظهر «إجماع عالمي فاعل» عن القضية الفلسطينية. يقول سموحة وبيريز:

«منذ ١٩٦٧ والآراء في أرجاء العالم حول الشرق الأوسط تتقارب بما يكفي للوصول الى اجماع عام عن نواح متعددة من النزاع. وخلافاً للإجماع الاسرائيلي الفاعل تتفق الأغلبية الساحقة للدول أن على اسرائيل: (١) التراجع إلى حدود ما قبل ١٩٦٧، (٢) نقض ضم القدس، (٣) الاعتراف بالفلسطينيين، (٤) القبول بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً للفلسطينيين، (٥) السماح بتأسيس دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، و(٦) السماح لبعض اللاجئين الفلسطينيين بالعودة»[١٦٠].

إن استعراضنا هذا بيّن بوضوح أن هذا «الاجماع العالمي الفاعل» قد تطور حقاً، وأنه يمثل «الحد الأدنى من القاسم المشترك» للمواقف الخاصة بفلسطين والفلسطينيين التي تتخذها أمم العالم اليوم.

---

(١٥٩) حول مواقف جنوب افريقيا نحو فلسطين والفلسطينيين، انظر:
Bernard Mugabane, «Israel and South Africa: The Nature of the Unholy Alliance,» paper presented at: The UN Seminar on the Question of Palestine, 1, Arusha, Tanzania, 14-18 July 1980, pp. 105-118 of Proceedings.

(١٦٠) Smooha and Peretz, «The Arabs in Israel,» p. 462.

الفصل التاسع

القوالب الذهنيّة والرأي العام والسياسة الخارجيّة: أثر ذلك على العلاقات الأمريكيّة - العربيّة

سنقوم في هذا الفصل بمحاولة لتفصيل بعض الآثار الضارة للقوالب السلبية التي يحملها الأمريكيون في أذهانهم حول العرب والوطن العربي. ولا يقتصر تأثير هذه الآراء السلبية على السياسة، وإن كانت هذه هي الحلبة الحاسمة. فالضرر يلمس كذلك ويبحث في إطار النزاع بين الولايات المتحدة والوطن العربي، فضلاً عن إطار العذاب الذي يلحق بالجالية العربية في الولايات المتحدة. إضافة الى ذلك فإن مفهوم مزاولة الديمقراطية يحيق به الخطر حين تحول تكتيكات الضغط والكليشات المبسطة وقمع الآراء المعارضة دون إجراء مناقشة سياسية عقلانية لقضية كبرى من قضايا السياسة الخارجية، ألا وهي قضية فلسطين.

- ١ -

خلال الخمس والعشرين سنة الماضية، ومنذ أن بدأت بدراساتي عن القوالب الذهنية التي يحملها الأمريكيون عن شعوب الشرق الأوسط، تم القيام ببحوث كثيرة حول هذا الموضوع[1]. وهذا يثلج الصدر نظراً لأن العمل في هذا الحقل كان يعتبر في الغالب هامشياً بالقياس الى «التفقه المهم» الآخر عن الشرق الأوسط[2]. والواقع أن الأمريكيين، وبينهم

---

(١) تضمنت جميع المؤتمرات تقريباً التي عقدت في السنين الأخيرة عن الشرق الأوسط تقديم أوراق وعقد ندوات تتناول الصور الذهنية لدى الأمريكيين أو الغربيين عن الشرق الأوسط وشعوبه. وقد جُمع عدد من الدراسات السابقة، حتى عام ١٩٧٧، في:

Michael W. Suleiman: *American Images of Middle East Peoples: Impact of the High School* (New York: Middle East Studies Association of North America, 1977), p. 68, and *The Image in Western Mass Media* (London: Outline Books, 1980).

(٢) يتجلى التغيير الجاري في المنظور عن هذا الموضوع بنشر ثلاث مقالات عن «وسائل الاعلام والعالم» ظهرت في =

رجال البحث العلمي وصنّاع السياسة المشتغلين بشؤون الشرق الأوسط، يستنكرون الإشارة الى أنهم متحيزون أو أنهم في أعمالهم يتأثرون بالقوالب الذهنية السائدة. على أن بحوثي الخاصة أظهرت أن الأمريكيين (والغربيين) يكونون في الغالب متحيزين ضد العرب ولكنهم في الوقت ذاته لا يدركون أنهم متحيزون أو أنهم يتبعون تفكيراً متحيزاً أو مقيداً بقوالب ذهنية حول الموضوع[٣].

لذا يجدر بنا أن نستخلص من الأدبيات عن الشرق الأوسط الأفكار الأساسية التي يستبطنها أغلب الغربيين، والأمريكيون منهم خصوصاً، نتيجة لتعرضهم لشتى أشكال وسائل الاتصالات، بما فيها الكتب المدرسية. وبعد قيامنا بهذا سنقوم ببحث ما ينطوي عليه مثل هذا التفكير القالبي بالنسبة الى العلاقات الأمريكية ـ العربية.

من المفيد، ومن دون أن نأتي تفصيلاً على التسلسل الزمني للصور العربية في أذهان الأمريكيين ،أن نستعرض القوالب الذهنية القائمة فعلاً. فلدى الأمريكيين بالفعل قوالب متعددة عن العرب، بعضها إيجابي أو محايد مثل إعجابهم بالحياة العائلية العربية والاحترام الذي يكنه العرب لكبار السن منهم[٤]. بيد أن أغلب القوالب الأمريكية عن العرب قوالب سلبية ويجري تعزيزها باستمرار. وينبغي أن نؤكد منذ البداية أنه عندما تطرق سمع الأمريكي كلمة «عربي»، أو عندما يقابل شخصاً ذا خلفية عربية، فهذا لا يعني أن جميع القوالب التالية ستعود الى ذاكرته. إلّا أنه يعني أن أفراداً أو جماعات مختلفة من الأمريكيين يحملون في أذهانهم مجموعة متنوعة من تلك القوالب يسهل في حالات «ملائمة» استحضارها في أذهانهم. ومن هنا تأثير الدعاية المناهضة للعرب وسهولة تأجيج المشاعر ضدهم في بعض الأحيان.

= عدد الخريف عام ١٩٨١ من مجلة:

Middle East Journal, vol. 35, no. 4 (Autumn 1981). They are: John K. Cooley, «The News from the Mideast: A Working Approach,» pp. 465-480; Robert Hershman and Henry L. Griggs (Jr.), «American Television News and the Middle East,» pp. 481-491, and Edward Mortimer, «Islam and the Western Journalist,» pp. 492-505.

(٣) أنظر: Suleiman, *American Images of Middle East Peoples: Impact of the High School*, p. 53.

وقد أظهرت دراسته هذه كذلك أن الأمريكيين يستجيبون بصورة مختلفة للسؤال ذاته حسب اسم المحقق في عيّنة استقرائية عشوائية عن الشرق الأوسط. نذكر على الأخص أن معلمي نيويورك هم أكثر احتمالاً في الجواب على استبيان عن الشرق الأوسط يرسله لهم شخص باسم «برادي» مثلاً أو «كوهين» من احتمال جوابهم على آخر يرسله شخص باسم «سليمان». من جهة أخرى كانت أكثر الاجابات الواردة من معلمي كولورادو مرسلة الى «برادي» وأقلها الى «كوهين».

(٤) أنظر: Shelley Slade, «The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes,» *Middle East Journal*, vol. 35, no. 2 (Spring 1981), pp. 143-162.

- ٢ -

إن أول النتائج وأهمّها هي عدم وجود كتابات تاريخية في أمريكا يجيء فيها ذكر العرب و/أو مساهماتهم وتاريخهم. فالأمر كما لو أن العرب لم يوجدوا، أو لم يكن لهم أثر في أمريكا، أو أن المؤرخين والعلماء الاجتماعيين يتجاهلونهم كلياً. وكما يقول لوختنبرغ:

«إن أبرز جانب من العلاقة بين الثقافتين العربية والأمريكية، من منظور المؤرخ الأمريكي، هو أن العرب بالنسبة الى الأمريكيين هم شعب عاش خارج التاريخ... ذلك أن المرء قد يقرأ أي سرد معتاد لهذا التاريخ عن أمريكا، حتى الأزمنة الحديثة، فيستخلص منه انطباعاً إما بأن العرب لم يكن لديهم تاريخ أو أنه تاريخ عديم الشأن تماماً»(٥).

على أنه في الفترات المتأخرة، وخصوصاً في القرن العشرين، وإذ أخذت المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط تتطور سريعاً، بدأت وسائل الاعلام الأمريكية تغطي المنطقة تغطية شاملة، فإذا «بصورة» محددة عن أبناء الشرق الأوسط وعن العرب خصوصاً تأخذ بالظهور. وهذا القالب هو الذي سنفصله هنا. إن عبارتي «العرب» و«المسلمين» هما، بالنسبة الى عدد من الأمريكيين، إن لم يكن إلى أغلبيتهم، متبادلتان. فالجهل بالاسلام والصور السلبية عنه (وهناك كثير منها)(٦) تكون بالتالي قابلة للنقل إلى العرب. إضافة الى ذلك، ولوجود عدد من الشعوب الاسلامية، فكلما وقعت مواجهة أو حال نزاع كبير بين قطر اسلامي والغرب، لا سيما الولايات المتحدة، تكون الحصيلة في الغالب بالنسبة الى الأمريكيين توجيه العداء لا الى ذلك القطر الاسلامي فحسب (مثلاً، تركيا في شأن الحرب العالمية الأولى أو إيران في أواخر السبعينات) بل الى «المسلمين» و«العرب» عموماً. ويصح الشيء ذاته، وعلى نحو أشد، حين تكون دولة المواجهة قطراً عربياً(٧).

وغالباً ما يظن المرء أن «العرب» والصحراء هما كلمتان مترادفتان تقريباً، أو على الأقل

---

(٥) William E. Leuchtenburg, «The American Perception of the Arab World,» in: George N. Atiyeh, ed., *Arab and American Cultures* (Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1977), pp. 15-25.

(٦) للاطلاع على تفاصيل تغطية وسائل الاعلام الأمريكية للاسلام خلال الأزمة الايرانية واحتجاز الرهائن الأمريكيين، أنظر:

Edward W. Said: *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World* (New York: Pantheon Books, 1981), and *Orientalism* (New York: Vintage Books, 1979).

(٧) أنظر الدراسات المختلفة في:

William C. Adams, ed., *Television Coverage of the Middle East* (Netwood, N.J.: Ablex, 1981).

وجرى إدخال أفغانستان لأن شبكات التلفزيون بدأت تعاملها كجزء من الشرق الأوسط. «وأضحت أفغانستان جزءاً من مجمع الغليان في الشرق الأوسطي، وغالباً ما تصحبها أنباء عن ايران». المصدر نفسه، ص ٢٤.

تنتمي إحداهما الى الأخرى. وبينما كانت هناك ذات يوم، في أوائل هذا القرن، صورة رومانسية بالأحرى ما فتئت تتطور عن الصحراء وسكانها المزعومين، أي البدو، فإن الرأي الحديث يؤكد على الجدب والافتقار للتطور. وإنه لمن النادر أن ينفتح الأمريكيون، هذا إن انفتحوا أصلاً، على صورة للعرب وهم «يجعلون الصحراء تزهر». والظاهر أن هذه الصورة وقف على الاسرائيليين. وعلى العكس، فالتأكيد المعتاد هو على أن العرب لا يفعلون إلا القليل، هذا إن فعلوا شيئاً، لتحسين أحوالهم أو انتاجية أرضهم التي منها يرتزقون[٨].

وفي الصحراء، حيث يوجد العرب، يجد المرء نفطاً كذلك. ومع أن النفط مصدر طاقة لا يستغنى عنها بالنسبة الى الغرب (وربما لأنها كذلك) فإن العرب يقرنون دائماً بجوانب النفط السلبية، مثل المقاطعة، والزيادات في الأسعار (فيشار الى العرب غالباً بأنهم «مبتزون» و«سرّاق»... الخ)، ومثل «كارتيل النفط» المتحكم بالسعر. إضافة الى ذلك، ليس هناك تفريق حتى من قبل المراسلين في وسائل الاعلام الأمريكية على مستوى الأمة، بين منظمة «الأوبك» ونظيرتها العربية «الأوابك». وغالباً ما تتحول الأوبك إلى «العرب» فيلامون على أعمالها. بل إن الصورة المفضلة لـ «الأوبك» بريشة رسامي الكاريكاتور هي برميل من النفط يبدو وكأنه شيخ عربي، أو الى جانبه شيخ عربي، يحمل أنبوب البنزين كأنّه بندقية وجّهت الى المستهلك الأمريكي. ولا يسجل للسعودية مثلاً، إلا في النادر فقط، فضل اعتدالها في الرأي ومحاولتها المحافظة على أسعار النفط في مستوى منخفض نسبياً. بل ويزيّف أحياناً حتى هذا العمل النافع، أو يعلل تعليل المغالطة، على أنه لم يجر لمساعدة الولايات المتحدة والغرب وإنما خدمة لمصلحة السعودية الذاتية. بعبارة أخرى، يجد العرب أنفسهم كالمحاصر من طرفين في لعبة حزازير، فهم «ملعونون إذا فعلوا شيئاً، ملعونون إذا لم يفعلوه». فإن رفعوا سعر النفط قالوا عنهم إنهم ينهمكون بابتزاز الأسعار، وإن حاولوا المحافظة على السعر منخفضاً قالوا «إنهم لا يحمّلوننا جميلاً!»

والجمهور العام في امريكا يتلقى، استناداً الى ما ينشره الصحافيون عن الشرق الأوسط، انطباعاً بأن العرب هم إما أغنياء بإفراط أو في فقر مدقع دون ذكر للطبقة الوسطى. أما الأغنياء بإفراط فيبذرون ثرواتهم، كما يقال لنا، على المنتوجات الاستهلاكية

---

(٨) انظر: William J. Griswold and Ayad Al-Qazzaz, *The Image of the Middle East in Secondary School Textbooks* (New York: Middle East Studies Association of North America, 1975), p. 5; Glenn Perry, «The Treatment of the Middle East in American High School Textbooks,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 4, no. 3 (Spring 1975), pp. 46-58, and Ayad Al-Qazzaz, Ruth Afifi and Audrey Shabbas, *The Arab World: A Handbook for Teachers* (San Francisco, Calif.: Tasco, 1978), pp. 3-16.

انظر أيضاً الدراسات المختلفة عن وسائل الاعلام في:

Baha Abu-Laban and Faith T. Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Realities,* AAUG Monograph Series, 5 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975), especially the piece by Ayad Al-Qazzaz, «Images of the Arab in American Social Science Textbooks,» pp. 113-132.

ومرابع أوقات الفراغ والمقامرة والليالي الحمراء. فضلاً عن «سخافات» الكرم كاستعمال سيارة رولز رويس في لندن لمدة يومين وخلعها على السائق في المطار عند المغادرة[٩]. أما العرب المدقعون، بمعنى أكثرية السكان، فقد حرموا من منافع الثروة الباذخة في بلادهم من حكام مستبدين، فاسدين، أشرار، لا يعبأون. أما الاستثناءات المحتملة فمنها الحكام الذين يعتبرون موالين للغرب ما داموا متفقين على الأقل كل الاتفاق مع الولايات المتحدة على قضايا السياسة الخارجية، لا سيما تجاه الشرق الأوسط.

لقد غيرت هوليوود الصورة الرومانسية زمن الحرب العالمية الأولى عن العرب (البدو) وعن الصحراء معاً فجعلتها صورة أفراد بملامح خبيثة، مدججين بالخناجر وهم يترصدون خارج خيمة أحدهم (أو عند باب بيته) على استعداد لطعنه عند أول فرصة من الخلف. بعبارة أخرى تقوم هذه الصورة عن العربي بتقديمه كذاباً مخادعاً لا يوثق به. وهو فضلاً عن ذلك شخص قذر ولا أخلاقي، بمعنى أنه لا يتبع قواعد الأخلاق الغربية. أما النساء العربيات فينظر إليهن على العموم إما على أنهن مكبوتات كلياً وقسراً أو على أنهن «رقيق» قانع وطيّع أو حريم للرجال[١٠].

كان ينظر الى العرب، على الأقل حتى وقوع حرب عام ١٩٧٣، (وبعدها على ما أظن، ولو بدرجة أقل)، على أنهم لا يتحدون إلا في معارضتهم لإسرائيل. بل ويعتقد، حتى في هذه الحالة، بأنهم غير قادرين على أن يتحدوا بصورة فعالة. فضلاً عن ذلك، ينظر الى الجنود العرب، مع بعض الاستثناءات، على أنهم مقاتلون غير جيدين، والى الآلة الحربية العربية على أنها غير فعالة. يضاف الى ذلك الرأي القائل بأن الأنظمة العربية هي أنظمة غير ديمقراطية و/أو غير مستقرة، وبالتالي فهي حليفات غير مرغوب فيها و/أو غير موثوقة بالنسبة الى الغرب والى الولايات المتحدة خصوصاً.

إضافة الى ما ذكر آنفاً تخص بعض القوالب جماعات أو أقطاراً معينة في الوطن العربي. إن ما يتعلق بالفلسطينيين على الأخص جدير بالتسجيل نظراً لأهميته ولما يكمن

---

(٩) والنقطة هنا ليس أن مثل هذه الأعمال لم تقع، بل أن حوادث منعزلة من هذا النوع تنشر ويؤكد عليها فتعزز بذلك صورةً ما سلبية. أما «المعونة الخارجية العربية» فلا تذكر إلاّ مرات قليلة جداً، هذا إذا جرى النشر عن أعمال الكرم العقلانية التي يقوم بها العرب. أنظر مثلاً:

«Arab Aid,» *ARAMCO World Magazine,* vol. 30, no. 6 (November-December 1979) , the Whole issue.

(١٠) هناك ورقتان تتضمنان دراسة للأفلام الأمريكية ذات ثيمات شرق أوسطية وهما:

Karen Cedzo, «The Arab Stereotype and the Mass Media: An Emphasis on Film,» paper presented at: Association of Arab-American University Graduates, Convention in Cleveland, Ohio, 25-27 October 1974, and O. Laurence Michalak, «Exoticism and Cruelty: The American Stereotype of Arabs,» (paper prepared for an Anthropology Course at the University of California, Berkeley, June 1975),

وراءه من دوافع سياسية. ويبدو، كما كتبت في موقع آخر، «أن هناك جهل تام بمصير الفلسطينيين العرب، أو إهمال متعمد لهم»[11]. والواقع أنه حتى وقت متأخر لم يكن الأمريكيون يفكرون بالفلسطينيين كشعب؛ كان يشار الى مثل هؤلاء الأفراد «كلاجئين عربا» أي لا كشعب ولا كفلسطينيين. أضف الى ذلك أنه غالباً ما ينظر الى الفلسطينيين كرجال عصابات وكأناس لهم صلة بالعنف والإرهاب. والفلسطينيون (والعرب عموماً) يرفضون العيش بسلام مع اليهود وإسرائيل. بل إنهم فيما يزعم يهدفون الى تحطيم الدولة وشعبها. ويقال لنا إن الفلسطينيين هم إما إرهابيون وإما لاجئون معدمون. ونادراً ما يعرضون ككائنات إنسانية لها حاجاتها ورغباتها ومطامحها.

- ٣ -

بما أن من الواضح أن الأمريكيين عموماً يحملون في أذهانهم عدداً من القوالب السلبية عن العرب، فإن من المهم جلاء ما تنطوي عليه هذه الحالة. إنها ابتداء تجعل من الصعب على الكتاب الصحافيين في أيّ من وسائل الاعلام، سواء الراديو أو التلفزيون أو الأفلام أو الكتب المدرسية، أن يكتبوا بموضوعية وأمانة وبصورة تفي الموضوع حقه. إن عليهم أولاً أن يتغلبوا على أهوائهم، وهي أهواء يشاركهم فيها زملاؤهم ورؤساؤهم والجمهور عموماً مشاركة واسعة. لذا فإذا عرضوا آراء أو حتى أنباءً تختلف عن الأفكار «المقبولة» فسيكون عليهم أن ينازلوا رؤساءهم أو يخاصموهم. وحتى لو أنهم كسبوا جولتهم هنا فإنهم إنما سيكتبون لقراء يحملون أفكاراً مسبقة ثابتة. وبالتالي فإن ما يكتبونه من تقارير غالباً ما ينظر اليها كتقارير سطحية أو مغرضة، ومن المحتمل في الحالتين أن تنسى أو تهمل بسهولة باعتبارها من قبيل الاستثناء لا القاعدة العامة المتبعة. أما البديل الذي هو الخيار الأسلم عاقبة فأن يمارس الكتاب الصحافيون درجة من الكبح المسبق بحيث يحجمون عن الكتابة المؤيدة جداً للعرب أو للمسلمين، حتى وإن كانت الحقائق تتطلب مثل هذه الكتابة. وبعكس ذلك يتجنب الكتّاب نشر ما هو سلبي جداً عن الصهاينة الاسرائيليين، حتى وإن كانت الحقائق أيضاً تتطلب مثل هذه الكتابة[12].

ولعل خير دلالة على مدى انتشار وعمق التفكير القالبي السلبي عن العرب في الولايات المتحدة هو ما سمّي بـ «خطة أبسكام Abscam». ففي عملية التدليس هذه التي

---

(١١) Michael W. Suleiman, «American Public Support of Middle East Countries, 1939-1979,» in: Michael C. Hudson and Ronald G. Wolfe, eds., *The American Media and the Arabs* (Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980), p. 24.

(١٢) للإطلاع على مناقشات مع كتاب صحافيين حول تغطية الشرق الأوسط، وموضوعيتها والمشاكل المتعلقة بها، انظر: Hudson and Wolfe, eds., Ibid., pp. 51-76, and Edmund Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media* (Washington, D.C.: Institute of Middle Eastern and North African Affairs, 1977).

جرت في عام ١٩٧٨ لجأت دائرة حكومية أمريكية، مكلفة بالمحافظة على القانون وردع الجريمة الى استخدام وسيلة خسيسة تستحق الشجب، استغلت فيها، وعززت كذلك، الصورة الرائجة عن الشيوخ العرب باعتبارهم أفراداً أثرياء بإفراط وكذابين وخداعين يلجأون الى الرشوة والفساد للحصول في صورة غير مشروعة على ما يريدون[١٣]. وأرى أن من المهم أن أناقش وقائع القضية وما انطوت عليه بشيء من التفصيل. فقد يتذكر القارىء أن «أبسكام» كانت خطة اخترع فيها مكتب التحقيقات الفدرالي (FBI) شيخاً عربياً وسمّاه كمبير عبد الرحمن (Kambir) وزوده بشركة تجارية مزيفة باسم «مشاريع عبد الـ المحدودة Abdul Enterprises Ltd.». ثم تظاهر وكلاء مكتب التحقيقات بالعمل لحساب كمبير وباشروا بدفع مئات الألوف من الدولارات لمسؤولين عموميين أمريكيين لقاء استغلال نفوذهم في حقول «الاستشارات والحصول على تأشيرات إقامة أمريكية لرجال أعمال عرب وبناء الفنادق واستحصال إجازة لفتح كازينو في اتلانتيك ستي في ولاية نيو جرسي»[١٤].

فلننظر أولاً الى الكاريكاتور أو القالب المتصور عن العربي في ذهن كل من وكلاء مكتب التحقيقات وأعضاء الكونغرس المشتركين في الموضوع. إن هذا الشيخ المصطنع هو ليس غنياً وفاسداً فحسب بل ويحمل كذلك اسماً غير عربي ـ كمبير ـ ولكن له نبرة عربية في آذان الأمريكيين. أضف الى ذلك أن «عبد الـ»، باعتباره اسماً للشركة التجارية الزائفة، يعكس أيضاً ويعزز الأفكار الرائجة عن الاسم العربي النموذجي. ويظهر أن أحداً من أطراف هذه العملية التدليسية الشائنة لم يكن يعرف، أو يتوقف هنيهة للتفكير، بأن «عبد الـ» بالعربية ليس اسماً سخيفاً لا معنى له فحسب ولكنه يكاد يكون تجديفاً، لأنه يهمل القسم الأهم، ألا وهو اسم الجلالة. إن المرء ليحسب من السخف أيضاً، حتى باللغة الانكليزية، اتخاذ اسم «The Servant of» وحده. إن نجاح هذه الخطة بيّن كذلك بوضوح النصر الهوليوودي السينمائي في تكوين الصورة الأمريكية عن العرب. إذ كيف لنا، بغير هذا، أن نفسر هذه الحالة التي خدع فيها على الأقل سناتور واحد من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي وسبعة من أعضاء مجلس النواب خديعة كاملة بهذه المحاولة النشاز في التمثيل على طريقة هوليوود ـ حالة تخلو فيما عدا ذلك من أية واقعية، أو حتى من شخصيات عربية حقيقية؟

إنه لمن المفزع حقاً، في عصر تُستهجن فيه الفكاهات العرقية وتنهمك فيه حكومة الولايات المتحدة ذاتها في برامج واسعة لحماية الأقليات ضد التمييز والتعرّض، ألّا يخطر ببال وكلاء مكتب التحقيقات الفدرالي الذين نفذوا «خطة أبسكام» أنهم يعيبون أحداً فرداً أو

---

(١٣) للاطلاع على الوقائع بشأن الحادث والأفراد المتورطين فيه، أنظر:

Facts on File, vol. 40, no. 2048 (8 February 1980), pp. 81 and 82.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٨٢.

جماعةً من الناس. بعبارة أخرى، إن هذا القالب السلبي عن العرب هو بدرجة من التغلغل بحيث يبدو حقيقياً! وكما أكدنا في السابق مراراً، ما كان من الممكن لخطط باسم «Jewscam» أو «Blackscam» أن يجري التفكير بها، بل التسامح فيها أو تنفيذها[١٥].

يتضح هذا الافتقار للتحسس بالشؤون العربية حتى في استطلاعات الرأي العام، فيتمخض عن ذلك تشويه نتائجها. وكما ذكرنا في مكان آخر[١٦]، فإن صيغة السؤال في استطلاعات الرأي العام عن قضايا الشرق الأوسط توضع بصورة غالباً ما توجه المجيبين الى وجهة مغايرة للرأي العربي، إما بإعطاء معلومات في مصلحة الطرف الآخر أو بحشد الحجج ضد الطرف العربي. وسواءً أكان هذا يجري عمداً أم عن غير قصد فإنه بالتأكيد نتيجة للكتابة السيئة والمشوهة عن العرب.

- ٤ -

لقد عانت الجالية العربية ـ الأمريكية، ويقدر عددها الآن بأكثر من مليوني نسمة، ولا تزال تعاني، من أمور عدة بسبب التفكير القالبي السلبي بالعرب. وهكذا يُجبر الأمريكيون العرب على الاستخزاء من أسلافهم ومن أوطانهم السابقة. لهذا يتجنب البعض ذكر تراثه العربي مثلاً، وينسب نفسه الى المنطقة الجغرافية التي نزح منها أو الطائفة الدينية التي ينتمي اليها. كذلك، وفي محاولة «للانصهار» الكلي في المجتمع الأمريكي غيّر البعض اسمه الى اسم آخر له نبرة أوروبية في الأذن، مثلاً غيره من حداد الى سميث. إن مثل هذا أضاف بالطبع الى شرذمة الجالية العربية ـ الأمريكية وتشتيتها جماعات على أساس الدين أو بلد المنشأ.

يكاد يكون الأمريكيون العرب الجماعة العرقية الوحيدة التي يحس الأمريكيون أن بوسعهم مهاجمتها والاستهزاء بها من دون خوف أو أذى أو عقاب. يجري هذا أحياناً في وسائل الاعلام كافة. وليس من المبالغة أن نقول إن الأمريكيين العرب يجدون من الصعب الاستمتاع بمشاهدة التلفزيون أو الذهاب الى النوادي الليلية أو دور السينما لخشيتهم من

---

(١٥) إن عدداً من إهانات كهذه للعرب وللأمريكيين من أصل عربي تبلّغ يومياً تقريباً الى مكاتب الجمعيات العربية ـ الأمريكية، وخصوصاً الى لجنة مناهضة التمييز الأمريكية ـ العربية، ومقرها الرئيسي واشنطن العاصمة.

(١٦) انظر: Suleiman, «American Public Support of Middle Eastern Countries, 1939-1979,».

وفيما يلي مثال نموذجي عن صيغة سؤال مضللة ومتحيزة وجهها هاريس ومشاركوه في تموز/يوليو وأيلول/سبتمبر ١٩٦٧: «(كما تعلمون) احتلت اسرائيل مدينة القدس كلها ولكنها فتحتها لجميع الناس الذين يريدون زيارتها، كذلك فتحت جميع المعابد الدينية. هل ترى أنه ينبغي السماح لاسرائيل بالاحتفاظ بالقدس، أم ترى أن المدينة يجب أن تصبح مدينة دولية؟».

سماع ملاحظات معادية ونابية موجهة الى شعوبهم[17]. فضلاً عن ذلك، هناك تقارير عدة عن التمييز في فرص العمل نتيجة للمواقف السياسية التي يتخذها الأمريكيون العرب من قضايا الشرق الأوسط. ويجري الآن تحدي بعض هذه الحالات و/أو الاحتكام في شأنها الى القضاء. وتنشر حالياً في صورة واسعة أخبار المضايقة السياسية لأفراد معيّنين من الجالية العربية ـ الأمريكية أو لجماعات منها أو للجالية بأسرها. ويعكس هذا، مرة أخرى، الموقف العدائي من جانب بعض الدوائر الحكومية (والذي يعكس بدوره التفكير القالبي السلبي لدى وسائل الاعلام). ووجهت وسائل الاعلام حملاتها أحياناً ضد جماعات معينة باعتبارها «إرهابية». مثلاً، نشرت صحيفة لوس انجلس تايمز في ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧٨ عنواناً رئيسياً على صفحتها الأولى يقول: «روابط معينة بالعرب تنطوي على خطر أعمال إرهابية في الولايات المتحدة». والأمثلة الأخرى تتضمن قضايا تخص أفراداً، هم كل من سامي اسماعيل وإلياس وأنطوان أيوب وزياد أبو عين[18] أما أخطر التجاوزات على حقوق الأمريكيين العرب كجماعة، وما رافقها من مراقبة غير قانونية ومضايقة سياسية فقد حدثت في عام ١٩٧٢ حين شنت إدارة نيكسون الحملة المسماة «خطة بولدر» [أي: الجلمود][19]. ولم يتم فضح تلك الحملة ووضع حد لها إلا بمقاومة قوية من الجالية العربية ـ الأمريكية وغيرها من مؤيدي الحقوق المدنية[20].

وفي الحقل السياسي ينشأ عدد من المنطويات الخطيرة كنتيجة للتفكير القالبي السلبي عن العرب. لذا فإن كلاً من المتطلعين الى منصب سياسي والذين انتخبوا إليه أصلاً ينتهي بهم الأمر في الغالب لا الى تأييد القضايا الاسرائيلية فحسب (بمعنى الوقوف ضد العرب) بل يجدون من المفيد لهم أن يقولوا شيئاً سيئاً عن العرب أو عن وجهة نظرهم. وقد أسرّ لي عضو سابق في مجلس النواب قائلاً: «حسبت أنني سأتضرر إذا وقفت بوجه إسرائيل والمصالح المؤيدة لها وأنه لن تتم معاونتي إذا وقفت علناً بجانب الرأي العربي. كان عليّ أن ألعب اللعبة بشكل آمن.» إنهم يتعلمون هذا الدرس مبكراً، وهو درس يتعزز في كل

(١٧) انظر على الأخص كتابات جاك شاهين التالية:

«The Image of the Arab on American Television,» in: Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media*, pp. 163-171; «American Television: Arabs in Dehumanizing Roles,» in: Hudson and Wolfe, eds., *The American Media and the Arabs*, pp. 39-44; «The Arab Stereotype on Television,» *The Link*, vol. 13, no. 2 (April-May 1980), pp. 1-13, and «The Influence of the Arab Stereotype on American Children,» *Arab Perspectives*, vol. 1, no. 9 (December 1980), pp. 15-20.

(١٨) للاطلاع على هذه وغيرها من حالات مهاجمة الأمريكيين العرب ومضايقتهم يمكن الرجوع الى نشرات وتقارير لجنة مناهضة التمييز الأمريكية ـ العربية.

(١٩) انظر: M.C. Bassiouni, ed., *The Civil Rights of Arab-Americans: The Special Measure* (North Dartmouth, Mass.: Association of Arab-American University Graduates, 1974).

(٢٠) Elaine C. Hagopian, «Minority Rights in a Nation State: The Nixon Administration's Campaign against the Arab-Americans,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 5, nos. 1 and 2 (Autumn 1975, Winter 1976), pp. 97-114.

انتخاب قومي. فالسياسي يتضرر «بالأخذ والرد» إذا بدا مؤيداً للعرب، حتى إن كان من المعتقد أن موقفه هذا يخدم المصلحة الوطنية. يضاف الى هذا أن السياسي يأمل خيراً إن سار في الاتجاه المعاكس. وعلى المتطلعين لمنصب الرئاسة خصوصاً أن يحذروا فيما يقولون أو يكتبون وأن يراعوا بدقة كيفية تصويتهم طيلة حياتهم السياسة. إن الظهور بمظهر المؤيد للعرب ينظر إليه كعائق أكيد، ولعله من قبيل الانتحار السياسي.

والذي يعرفه القاصي والداني أن سياسة الولايات المتحدة عن الشرق الأوسط، خلال سنوات الانتخابات ولا سيما خلال انتخابات الرئاسة، إما أن تتوقف وإما أن تكون مؤيدة في لهجتها لإسرائيل أو مناهضة للعرب، إرضاء لمؤيدي اسرائيل بالدرجة الأولى. وهنا أيضاً يشعر المرء أن الإساءة الى مؤيدي العرب يمكن أن تتم بمنجى من الحساب. وحتى بعد انتهاء الانتخابات يحس الرئيس وإدارته بضغط قوي يدفعه ألا يفعل شيئاً بطريقة قد تُأوّل على أنها مؤيدة للعرب. مثلاً، في النقاش الأخير الذي جرى في تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٨١ (أو بالأحرى الدراما) حول بيع طائرات الانذار المبكر وغيرها من المعدات العسكرية الى السعودية كان على الرئيس ريغان أن يستخدم جميع «سلطاته»[٢١] الرئاسية ليتمكن من ترتيب أغلبية بسيطة لمصلحته في مجلس الشيوخ (٥٢ ـ ٤٨) بعد هزيمة منكرة في مجلس النواب (١١١ ـ ٣٠١). من الواضح أن هناك عوامل أخرى لمعارضة هذا البيع ولكن العنصر المؤيد لإسرائيل، المناهض للعرب، لعب دوراً رئيسياً فيها وذلك برأي أكثرية المراقبين، بما في ذلك رأي الرئيس ريغان نفسه. وتحت مثل هذا الضغط ينحو الرئيس الضعيف، أو الذي انخفضت شعبيته أو أخذت بالتدهور، منحى القرار السهل أو «الرائج شعبياً». وتقدم لنا رئاسة جيمي كارتر مثالين حديثين. الأول في تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٧٧ حين صدر بيان مشترك أمريكي ـ سوفياتي حول كيفية المباشرة بعملية السلام في الشرق الأوسط، ثم تخلى عنه الرئيس بعد أيام معدودات تحت ضغط كبير من إسرائيل ومؤيديها[٢٢]. والمثال الثاني، والصارخ جداً، للخضوع تحت الضغط والتخلي عما نعتته إسرائيل بوقفة مؤيدة للعرب، هو «القلب» الذي جرى بعد تأييد الولايات المتحدة قراراً لمجلس الأمن الدولي

---

(٢١) حول مسألة سلطة الرئاسة، انظر:

Richard E. Neustadt, *Presidential Power: The Politics of Leadership from F.D.R. to Carter* (New York: Wiley, 1980).

(٢٢)صدر البيان المذكور في الأول من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٧ وتضمن مجموعة من الارشادات عن اقتراح مفاوضات عربية ـ اسرائيلية وعقد مؤتمر للسلام في جنيف، «على أن يشارك في أعماله ممثلون عن جميع الأطراف ذات العلاقة بالنزاع بينهم ممثلون عن الشعب الفلسطيني». وأشار البيان كذلك الى «حل القضية الفلسطينية بما في ذلك ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني». وفي الخامس من الشهر ذاته تمكن النشاط الناجح المؤيد لاسرائيل من إبطال بنود البيان المشترك عملياً، إذ أصدرت الولايات المتحدة واسرائيل بياناً اقتصر عليهما فقط. أنظر:

Facts on File, vol. 37, no. 1926 (8 October 1977), p. 759.

يدين المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧[٢٣].

وبسبب القوالب الذهنية السلبية أخذ ينظر بارتياب حتى إلى الاستثمارات العربية التي تأتي بالأموال والأعمال، وبالتالي تساعد كلاً من ميزان المدفوعات ومشاكل البطالة، كما صارت هذه الاستثمارات تثبَّط إن لم نقل تقيد بقيود شديدة. وتمثل العناوين الرئيسية المختلفة في الصحف هذا التفكير القالبي الذي يكاد يكون عنصرياً، وهي عناوين يقصد منها التلويح بشبح استيلاء «عربي» على الولايات المتحدة. ومن أمثلة العناوين: «العرب يشترون عقارات باذخة في هوليوود»؛ «العرب يسيطرون على مصارف في الولايات المتحدة»؛ «هل يهدد النقد العربي الولايات المتحدة بالخطر؟».

أما في قضية الفلسطينيين فإن التفكير القالبي السلبي قد جعل منهم «لا شعب» من الناحية العملية فقد سلبوا من إنسانيتهم، وكانت النتيجة هي أن يعاملوا هم والعرب الآخرون عموماً وكأنهم لا مطالب كثيرة لهم تناشد ضمائرنا، هذا إن كان لهم مطالب على الاطلاق. كذلك فإن كان الفلسطينيون هم «لا شعب» فمن السهل تمنّي زوالهم، ورفض التحدث اليهم أو الى ممثليهم، أي منظمة التحرير الفلسطينية، والالحاح في استبعادهم من أية صيغة لحل مقترح لهذه المعضلة المناكدة [النقّاقة]. مع هذا فأقل ما يمكن قوله ان مفارقات القدر أن يأتي ذكر الفلسطينيين في الأنباء يومياً، ومع هذا فهم يعاملون وكأنهم غير موجودين. والواقع أن ما يصور الموقف الأمريكي الرسمي حول الموضوع أحسن تصوير ما جاء في منظومة ساخرة تقول:

لما كنت أرتقي السلّم
التقيت رجلاً لم يكن هناك
ولم يكن هناك اليوم أيضاً
فأسأل الله أن يولّي!

إضافة الى ذلك فاللغة المستعملة لوصف الحوادث التي تشمل الفلسطينيين هي لغة كأنها معقمة تعقيماً صحياً في اختزالها وتكاد تكون مائعة لا تُلزم بشيء. إن صدامات الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية في ١٩٨٠/١٩٨١ تقدم لنا أمثلة جيدة على هذا النوع من الكتابة الصحافية. فبينما نزود بتفاصيل كثيرة وتصاوير عديدة وتغطية تلفزيونية عن المضايقة والقلق والخوف وعدم الاطمئنان والعذاب والجروح والوفيات والجنائز والحزن والغضب العارم

(٢٣) طالب القرار المذكور الصادر في ١ آذار/مارس عام ١٩٨٠ بإزالة المستوطنات الاسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة، بما فيها القدس. وجاء «قلب» الرئيس كارتر للأمر في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر حين أعلن أن الولايات المتحدة لم تكن تنوي التصويت مع القرار ولكنها فعلت ذلك نتيجة عطل في أجهزة الاتصالات داخل الادارة. انظر:
Facts on File, vol. 40, no. 3053 (14 March 1980), p. 179.

للاسرائيليين بعد هجوم تقوم به القوات الفلسطينية، وتنعت بأنها من الارهابيين، فإننا من ثم يتم إعلامنا «بالانتقام» الاسرائيلي وفيه «كما تقول مصادر فلسطينية» أو «لبنانية» قتل أو جرح عشرات أو مئات من الأفراد. وغالباً ما تكرر التقارير مجرد تكرار مدعيات اسرائيل بأن الهدف كان قواعد «لرجال العصابات» أو «للارهابيين». ويتم تجاهل حتى المدنيين اللبنانيين أو يدرجون فقط بين سكان مخيمات «الإرهابيين»[٢٤]. لا مفر، إذن، من الوصول الى النتيجة الآتية: إن حياة فرد عربي، بالنسبة الى المراسلين ومدراء الأنباء، لا تساوي حياة فرد اسرائيلي، وإلاّ فإن معاناتهم ليست بالأهمية أو الصلة ذاتها للأمريكيين. وفي حين حدثت ضجة حول قصف اسرائيل لبيروت في ١٧ تموز/يوليو عام ١٩٨١ الذي أودى بحياة أكثر من ثلاثمائة شخص مع حوالى ثمانمائة جريح، فإن حجم المأساة الحقيقي وسبي المئات من المدنيين لم يحظيا بالاهتمام الذي يستحقانه في الولايات المتحدة. إن مشاعر الحبوط والكرب لدى أولئك الناس لتذكّر، إن كان هناك ما يدعو للتذكير، أن اللبنانيين والفلسطينيين وكذلك العرب عموماً هم أيضاً بشر رغم القوالب المضادة.

إن الطريقة التي ينظر بها صانعو السياسة الى القضايا الكبرى تقرر الى حدٍ كبير السياسات التي تتبع لحلها. لذا فإن المواقف الأمريكية نحو العرب، وبينهم الفلسطينيون، جعلتهم أحياناً يرتكبون أخطاء جسيمة وعظيمة العواقب، تؤدي الى نشوء حالات عالمية مليئة بالأخطاء. وتضرب حرب عام ١٩٧٣ مثلاً جيداً على سوء التقدير من جانب صانعي القرار في أمريكا، وذلك أساساً نتيجة للتفكير القالبي عن العرب والفلسطينيين والاسرائيليين. وعلينا أن نتذكر أن هذه الحالة قد جرى الاعتراف بها بوجه عام وتناولتها الصحافة على نطاق واسع بعد وقوع الواقعة. فلما اندلعت الحرب لم تفاجأ الولايات المتحدة فحسب بل أصيبت بصدمة تامة وهي ترى ذلك العدد من أفكارها (التي تنعت الآن بالأوهام) حول المنطقة وقد تبدد هباء[٢٥]. وقد يضاف الى هذا أن تلك الأوهام المتبددة أو الافتراضات التي يعتز بها الأمريكيون تشمل كذلك استعداداً مسبقاً قوياً لقبول الرواية الاسرائيلية لأحداث الشرق الأوسط على أنها «الحقيقة»، حتى حين يكون عليهم أن يرتابوا، بينما يتشككون في الوقت ذاته بما يسرده العرب عن أي وضع معين مهما كانوا مخلصين وموضوعيين في سردهم. ويمتد هذا بحيث أن مثل هذا التفكير يستمر فيعيق جميع المحاولات

---

(٢٤) انظر على الأخص:

John Weisman, «Blind Spot in the Middle East: Why You Don't See More Palestinians on TV,» *TV Guide* (24 October 1981), pp. 6-8, 10, 12 and 14.

(٢٥) انظر: Michael W. Suleiman, «Perception of the Middle East in American News Magazines,» in: Abu-Laban and Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Realities*, pp. 28-44, and Edward W. Said, «Shattered Myths,» in: Naseer H. Aruri, ed., *Middle East Crucible: Studies on the Arab-Israeli War of October 1973*, AAUG Monograph Series, 6 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975), pp. 408-447.

التي تسعى الى الوصول الى تسوية مقبولة وممكنة للمنازعات الفلسطينية والعربية ـ الاسرائيلية.

ـ ٥ ـ

يتضح من دراسات متعددة عن المواقف الأمريكية حيال العرب أن الجمهور الأمريكي قد استبطن عدداً من القوالب الذهنية السلبية عن العرب. ولكن يجب أن نكرر أنه ليس جميع الأمريكيين أو حتى أغلبهم يحملون في أذهانهم مثل هذه القوالب السلبية فيستذكرونها حين يلتقون شخصاً عربياً أو يسمعون لفظة «عربي». بيد أن مثل هذه القوالب الذهنية يمكن، كما يقع في الغالب، أن تستغلها وسائل الاعلام الجماهيرية أو يضرب على وترها المسؤولون الرسميون لتوليد شعور مناهض للعرب عند اقتراح سياسات من الواضح أنها ليست في مصلحتهم أو مصلحة الجالية العربية ـ الأمريكية.

لماذا يحمل الامريكيون في أذهانهم قوالب سلبية عن العرب وما هي أنجع الطرق لتغييرها؟ تعتمد طريقة مكافحة التحيّز وتغيير القوالب الذهنية على تشخيص الأسباب التي تكمن وراء انتشار مثل هذه القوالب. فإذا اعتقدنا أن الرأي العام يحكم نفسه بنفسه حكماً ذاتياً، بمعنى أنه لا يخضع لنفوذ الحكومة أو تلاعبها ولا يدين بشيء إلاّ للجماعات الخاصة والمصالح المتنافسة، فالاهتمام ينصب اذن على مثل هذه الجماعات وعلى وسائل الاعلام. بيد أن هناك دليلاً يشير الى أن «الرأي يتبع السياسة» [٢٦]، وأن التغيير الرئيسي يجب أن يتم في أعلى مستويات الحكومة بشأن مواقفها حيال الشرق الأوسط وحيال العرب خصوصاً. وانني، إذ أشارك هذا الرأي الأخير، أعتقد كذلك أن ما يوجد في النظام الديمقراطي من آراء قوية ومنتشرة في أية قضية يمكن أن يضع حداً لا يتجاوزه صانعو السياسة إلاّ بالمخاطرة بنشوء استياء شعبي وامتعاض لدى الناخبين. مع ذلك، يجب أن تكون نقطة البداية تغييراً في النيات وتبدلاً أساسياً في السياسة على أعلى مستوى، والتي تؤثر عندئذٍ في حدوث تغير عام في مواقف الجمهور ووسائل الاعلام الواسعة الانتشار.

ولكن يجب أن نضيف أنه حتى التغييرات في المواقف التي تتخذ في أعلى المستويات ستواجه بالتأكيد ضغوطاً متنوعة هائلة من الصهاينة، ومؤيديهم في الولايات المتحدة [٢٧].

---

(٢٦) حول نزاعات الشرق الأوسط، انظر:

Shanto Iyengar and Michael Suleiman, «Trends in Public Support for Egypt and Israel, 1956-1978,» *American Politics Quarterly*, vol. 8, no. 1 (January 1980), pp. 34-60.

(٢٧) إن قوة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة قد بحثت من قبل عدد من المراقبين، وكان آخرهم وأكثرهم إحاطة ألفريد ليليانتال في كتابه:

= ***The Zionist Connection: What Price Peace?*** **(New Brunswick, N.J.: North Amercian, 1982).**

ولموازنة هذا اللوبي السياسي القوي بصورة فعالة فإن المطلوب هو قيام مجموعة قوية شبيهة به من منظمات تمثل الجانب العربي أو المصالح «الأمريكية» العامة. إضافة الى ذلك، وكما اتضح في أزمة السويس عام ١٩٥٦[٢٨]، فإن وجود زعامة قوية في الرئاسة الأمريكية أمر حاسم في أي مواجهة أمريكية كبرى مع اسرائيل.

= وبول فندلي، في كتابه:

They Dare to Speak Out: People and Institutions Confront Israel's Lobby (Westport, Conn.: Lawrence Hill, 1985).

(٢٨) Dwight D. Eisenhower, *Waging Peace, 1956-1961: White House Years* (New York: Doubleday, 1965).

الفصل العاشر

تقويم الجهد الاعلامي العربي في أمريكا الشمالية

إن الهدف الرئيسي لهذا البحث هو مراجعة الجهد الاعلامي في أمريكا الشمالية، خصوصاً في الولايات المتحدة وتقويمه. وتشير كلمة «عربي» هنا الى بيانات ونشاطات جامعة الدول العربية ووكالاتها ومكاتبها وجميع المنظمات أو المجموعات التي تعمل علانية مع الجامعة في تعزيز نشاطاتها الاعلامية. ويشير «الجهد الاعلامي» لجميع المشاورات والاقتراحات أو الحملات من قبل الجامعة أو من قبل بلدان عربية معينة لعرض وجهة النظر العربية على الامريكيين بطريقة ايجابية و/أو تفنيد التهجمات على العرب عموماً أو على أعضاء معينين في الجامعة العربية.

وقد جمعتُ معظم البيانات للدراسة من سجلات أرشيفية ومقابلات شخصية أجريت مع أعضاء هيئة الجامعة العربية المشاركين في الجهد الاعلامي. وقمتُ أيضاً بمراجعة الدراسات القليلة المتوافرة حول الموضوع وتقويمها، وكذلك «المشاريع» الشاملة المقترحة لاجراء إصلاح جذري.

عندما أسست الجامعة العربية في ٢٢ آذار/مارس عام ١٩٤٥، لم يتطرق الميثاق بأي شكل من الأشكال الى دائرة اعلامية أو الى نشاط ممكن في ذلك الحقل. وأحد أسباب ذلك هو أن الدول المؤسسة نفسها لم يكن لديها وزراء إعلام وكانت تعلم القليل عن الحاجة إلى الاعلام، أو عن أهميته. وربما كان هنالك أيضاً القليل من الاهتمام بتمثيل الجامعة في العالم الخارجي لأنها كانت قد أسست كأداة لتسهيل التنسيق والتخطيط والتعاون بين البلدان العربية نفسها، وبصورة رئيسية، في المجالات غير السياسية وغير الحساسة، إذ إن كل دولة

عضو كانت تبدي غيرة حذرة ضد أي انتهاك أو إخلال بسيادتها[1].

وكان أن كلفت الدول الأعضاء الجامعة في ٤ نيسان/ابريل عام ١٩٤٦، بعد عام من تأسيسها، بصياغة ونشر إعلام إيجابي أو دعاية للعرب على المسرح الدولي. ومنذ البداية كانت قضية فلسطين هي القضية «الإعلامية» الرئيسية التي كان على الجامعة أن تصارع من أجلها. ومن ثم، وبعد الهزائم السياسية الكثيرة التي مُنيَ بها الطرف العربي في الأمم المتحدة، أوصت الجامعة بتأسيس دائرة للإعلام والمنشورات وأنشأتها عام ١٩٥٣[2]. بمعنى آخر أنه في ذلك الحين فقط تبيّن للقادة العرب أن الاعلام وفن الاقناع، هما عنصران أساسيان من عناصر العملية السياسية، على المستوى الدولي، على الأقل، وأنهما أبعد شيء عن كونهما نشاطين مخزيين أو منحطين.

لكن التحرك كان بطيئاً جداً. وبالتالي لم يتم تأسيس معظم البنية القائمة حالياً إلّا في عام ١٩٥٩. وتتألف هذه البنية إضافة الى دائرة الاعلام والمنشورات، من اللجنة الدائمة للإعلام المؤلفة من رؤساء المكاتب الاعلامية في الدول الأعضاء. وتجتمع اللجنة مرتين سنوياً لصياغة الخيارات السياسية التي ينبغي بحثها واتخاذ قرار بشأنها من قبل مجلس وزراء الاعلام العرب الذي يفترض أن يكون أعلى هيئة مخططة للسياسة[3].

وبما أنّ اللجنة الدائمة لا تجتمع سوى مرتين فقط سنوياً، فإن عملها طوال السنة يجري تنفيذه من قبل المكتب الدائم للإعلام العربي المؤلف من الملحقين الصحافيين في سفارات الدول الأعضاء المختلفة الموجودين في المدينة التي يقوم فيها مقر الجامعة العربية. ويؤمّن تمويل هذا النشاط الاعلامي من مساهمات الدول الأعضاء[4].

وفي حين أن الجامعة العربية كانت وقت تأسيسها عام ١٩٤٥ غافلة تماماً عن دور الاعلام في السياسات الدولية[5]، فإنه يبدو أن أعضاء فيها قد تحولوا كلياً الى نقيض ذلك، فهم الآن يرون أن الإعلام يكوّن عملياً ظاهراً وباطناً أي تطوراً ثقافياً. وكما قال أحد وزراء الإعلام العرب:

---

(١) غسان العطية، «دور الجامعة العربية في الاعلام»، ورقة قدِّمت إلى: جامعة الدول العربية، الواقع والطموح: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: المركز، ١٩٨٣)، ص ٤١١ ـ ٤٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٣ ـ ٤١٤.

(٣) Abdulrahman Abdulla Zamil, «The Effectiveness and Credibility of Arab Propahanda in the United States,» (Ph. D. Dissertation, University of Southern California, 1973), p. 60.

(٤) قد يتبرع العامة أيضاً بالمساهمات، لكن هذه الأمور لم تتحقق أبداً. لمعلومات عامة عن ذلك وعن الجامعة، انظر: Mohammed Khalil, ed., *The Arab States and the Arab League: A Documentary Record*, 2 vols. (Beirut: Khayat's, 1962).

(٥) منذر ف. عنبتاوي، **أضواء على الاعلام الاسرائيلي** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٨)، ص ١٧٩.

«ان العصر الذي نعيشه انما هو عصر إعلام واتصال. لقد أصبح النشاط الاعلامي حجر الزاوية في كل عمل حضاري، به يقاس تقدم الأمم لأن التفاوت بينها إذا كان اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً في نتائجه فإنه إعلامي في جوهره وأسبابه العميقة»[6].

السياسة الاعلامية العربية

بعد أن أنشئت آلية بث الاعلام إلى العالم، كان على البلدان العربية أن تحدد ماهيّة رسالتها. وهذا الجهد متواصل بالطبع، لكن المواضيع والصيغ الرئيسية لم تتغير كثيراً على مرّ السنين، ولا سيّما منذ الاجتماع الأول لمجلس وزراء الاعلام العرب في القاهرة في ٧ ـ ١٠ آذار/مارس ١٩٦٤. وفي ذلك الاجتماع والاجتماعات اللاحقة، أشار المشاركون إلى أن الجهد الاعلامي العربي يجب أن يركز على عدالة القضية العربية، وكذلك على اهتمام العرب بالسلام الدولي والرخاء الانساني. وفي الوقت نفسه، يجب أن يطّلع العالم على الوطن العربي والنمو الاقتصادي ومحاولات التنمية العديدة الجارية فيه. علاوة على ذلك، فإن الحملات الاعلامية المعادية للعرب يجب أن تواجه وتفضح وتفنّد. وبتحديد أكثر، فإن المواضيع المتكررة هي التالية:

١ ـ يسعى العرب الى التقدم الاجتماعي والسياسي ويقاومون التعصب والعدوان والتمييز العنصري. إن العداء للسامية، وهو المنبع التاريخي للصهيونية، كان ظاهرة غربية لا عربية[7].

٢ ـ اسرائيل تشوّه عمداً الحقائق عن العرب وقد أعطت عنهم صورة سيئة حتى أن العالم، وخصوصاً الغرب، كوّن قوالب ذهبية سلبية عن العرب ومجتمعهم وثقافتهم وفنهم وحتى عن دينهم[8].

٣ ـ تعرّض العرب لكثير من الافتراءات وهم يحتاجون الى تصحيح صورتهم السيئة وتغيير

---

(٦) من خطاب لعبد الرزاق الكافي، في: **قرارات مجلس وزراء الاعلام العرب، ١٩٨٤** (تونس: جامعة الدول العربية، ١٩٨٤)، ص ٤١٠. ومن الآن وصاعداً، فإن الاشارة الى قرارات مجلس الوزراء العرب ستحدد فقط القرارات والسنة التي اتخذت فيها. وتجدر الاشارة الى أن هذه التقارير كانت تنشر في القاهرة حتى عام ١٩٧٨، وفي تونس بعد ذلك. وجميع منشورات الجامعة العربية المشار اليها هنا هي بالعربية إلّا إذا جرت الاشارة الى غير ذلك.

وهذه النظرة عن الاعلام هي الموضوع الرئيسي الذي قدم لتبرير اقتراح تأسيس وكالة خدمات اعلامية دولية، انظر: **اللجنة الدائمة للإعلام العربي، ١١ ـ ١٣ أكتوبر، ١٩٨٤** (تونس: جامعة الدول العربية، ١٩٨٤). على أي حال فقد أوضح الأمين العام للجامعة، الشاذلي القليبي، أن الاعلام هو واحدة من الأدوات التي يستطيع العرب الاستفادة منها لتغيير صورتهم والدفاع عن مصالحهم أو وجودهم. انظر: **القرارات... ١٩٨٤**، ص ٥٥.

(٧) انظر: **القرارات... ١٩٦٤**، ص ٣٢؛ **القرارات... ١٩٧٠**، ص ٢ ـ ٣، **والقرارات... ١٩٧٩**، ص ١١.

(٨) انظر: **القرارات... ١٩٦٤**، ص ٩، **والقرارات... ١٩٨٤**، ص ٥٢.

القالب الذهني السلبي عنهم. وعليهم أيضاً أن يطلعوا الغرب على الحضارة العربية الاسلامية العظيمة(٩).

٤ ـ تدّعي اسرائيل أنها تريد السلام لكنها مرائية وتصرفاتها تقود الى الحرب. إسرائيل هي دولة توسعية استغلالية تتصرف كعميلة للامبريالية في الشرق الأوسط وأماكن أخرى من العالم(١٠).

٥ ـ حُرم الفلسطينيون العرب من حقوقهم في فلسطين. وجعلتهم اسرائيل أيضاً من دون مأوى(١١).

إنّ الحقوق العربية والتراث العربي في فلسطين ينبغي أن يشرحا بوضوح. والمقاومة الفلسطينية المسلّحة انما هي النتيجة الطبيعية لإنكار الحقوق الفلسطينية(١٢).

فلسطين هي محطّ اهتمام الرأي العام العربي، والعرب سيقدّمون كل التضحيات الضرورية المادية والمعنوية لقضية فلسطين(١٣).

العرب ملتزمون باستعادة حقوق فلسطين القومية بما ينسجم وقرارات منظمة التحرير الفلسطينية كممثّل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني. إن هذا سيجعل الحل السلمي ممكناً إضافة الى الانسحاب الاسرائيلي من الأراضي المحتلة(١٤).

الاستراتيجية الاعلامية العربية

حسب رأي أعضاء الجامعة، إذاً، كان الهدف الأساسي للجهد الاعلامي ولا يزال، هو الدفاع عن العرب في وجه الهجمات الحاقدة ولا سيّما من الصهاينة في الغرب، وايصال صورة عن عالم عربي يعمل من أجل التقدم والرخاء والاستقرار. وإذا كانت تلك هي الرسالة، فمن هو المفروض فيه أن يعدّها، وكيف سيتم ايصالها، وإلى من، وبأية وسائل؟ ومن سيدفع كلفة ذلك؟

---

(٩) انظر: القرارات... ١٩٦٤، ص ١؛ القرارات... ١٩٧٩، ص ١١؛ القرارات... ١٩٨٠، ص ١٠؛ القرارات... ١٩٨١، ص ٢٥؛ القرارات... ١٩٨٢، ص ٤٠، والقرارات... ١٩٨٣، ص ٤٩.

(١٠) القرارات... ١٩٦٤، ص ٣، ٤ و٢٨؛ القرارات... ١٩٧٠، ص ٢، والقرارات... ١٩٧٩، ص ١.

(١١) القرارات... ١٩٦٤، ص ٣ و٢٧.

(١٢) القرارات... ١٩٧٠، ص ٣.

(١٣) القرارات... ١٩٧٩، ص ١١.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٢، والقرارات... ١٩٨٠، ص ٨.

بما أنه لم يكن عند الجامعة مشروع عمل مفصّل أو فلسفة محددة تنتهجها فعلياً بالنسبة الى الإعلام العربي ونشره في العالم الخارجي، علينا أن نصل الى هذه المعلومات بطريقة غير مباشرة عبر مراجعة التقارير السّنوية حول نشاط بعثات الجامعة العربية في الخارج. ومثل هذه المصادر قد تكون مختصرة أو مفصّلة بإسهاب لكنها تنظم عادة نشاطات هيئة الجامعة وفق التصنيفات التالية: خطابات، مؤتمرات، منشورات، معارض وتقارير إلى مقر الجامعة في تونس[١٥].

وكثيرا ما يكون مدير المكتب الرئيسي في أي بلد معين هو الذي يقوم بالنشاطات «المرئية» المهمة في ايصال وجهة النظر العربية الى البلد المضيف. وهذه هي الحال بالتأكيد في الولايات المتحدة. فمثلاً أورد تقرير عام ١٩٨٣ عن جهد الجامعة الاعلامي في الولايات المتحدة المناسبات العامة العديدة التي ظهر فيها د. كلوفيس مقصود كما يلي: خمسة وخمسون خطاباً ومحاضرة، اثنان وعشرون مؤتمراً صحافياً، ثلاثة وأربعون بياناً رسمياً، ومشاركة في ثلاثة عشر مؤتمراً وندوة. وذكر التقرير أن المراكز الاقليمية قدمت «الكثير» في مجال النهوض بأعباء الإعلام عندما طلب إليها ذلك وأنها كانت ترد على الدعاية الكاذبة أو المشوهة للسمعة[١٦]. إضافة الى ذلك، طبع المركز ووزع عدداً من الكتيبات الصغيرة ومجلة شهرية هي «Arab Perspectives». هذا، وأعدّ مركز الجامعة في أوتاوا تقريراً شهرياً عن نشاطات المجموعات المعادية، وبصورة رئيسية الصهيونية منها. وبين المواضيع المتعددة التي غطتها الدعاية المعادية: تقارير سلبية عن العرب، تقارير ايجابية عن اسرائيل، والسياسة الكندية حين يكون لها علاقة بالوضع في الشرق الأوسط[١٧].

وعلى مرّ السنين، كانت وجهة النظر العربية تقدم بدرجة أساسية، إن لم تكن كلية عبر الوسائل التالية: الخطابات والمحاضرات، المؤتمرات الصحافية، البيانات الرسمية والمؤتمرات، وبالتعاون مع «جمعيات الصداقة»[١٨]. ولكن كان مجلس وزراء الاعلام العرب يوصي غالباً بأشكال أخرى من الاتصالات نادراً ما كانت تستعمل، إما بسبب الافتقار الى الموارد المادية، أو بسبب عدم توافر الموظفين المدربين، أو نتيجة لانعدام الحماس لمشاريع معينة. وبين المشاريع المقترحة للتطبيق في أمريكا الشمالية المقترحات التالية: معرض جوّال

---

(١٥) انظر على سبيل المثال: تقرير عن نشاط بعثات جامعة الدول العربية من جانفي - سبتمبر ١٩٨٤ (تونس: جامعة الدول العربية، ١٩٨٤).

(١٦) التقرير السنوي لمكاتب جامعة الدول العربية في الولايات المتحدة، ١٩٨٣ (هذا التقرير هو تقرير مختصر في ٦ صفحات ويحمل غلافه رسالة من المدير).

(١٧) انظر التقارير الشهرية المختلفة عن الدعاية المعادية لعامي ١٩٨٣ و١٩٨٤ التي رفعها الى تونس مكتب الجامعة العربية في أوتاوا.

(١٨) وهذه ذكرها الأمين العام للجامعة بالوكالة أسعد الأسعد في خطاب اشتملت عليه: القرارات... ١٩٨٣، ص ٥٩٠ - ٥٦٢.

عن الحضارة العربية وخدماتها للإنسانية، ويشمل ذلك معارض للكتب وإنتاج الاسطوانات والأشرطة لتعليم العربية للأجانب، وتوفير دورات تعليمية قصيرة للطلاب الأجانب عن الحضارة العربية، تجري إقامتها في جامعة ما في الوطن العربي خلال الصيف؛ وتعزيز العلاقة بين الجامعة العربية والجاليات العربية في الخارج وتوسيعها، وإقامة معارض خاصة عن فلسطين والاحتفال بأسبوع فلسطين، وإنتاج أفلام سينمائية طويلة تقدم وجهة النظر العربية، وتعزيز وتوسيع الاتصالات بالشخصيات النافذة في أنحاء العالم في مجالات العلم والإعلام. وإعداد سلسلة من الكتب والأطالس والأفلام والعروض التلفزيونية وأشرطة الفيديو إلخ . . . حول قضايا عربية محددة، أو عن التقاليد الثقافية العربية، أو عن البلدان العربية المختلفة للتوزيع في الخارج، والاهتمام؛ بكتب وأفلام ورسوم (كارتون) الأطفال، ولا سيّما في المناطق التي تكون فيها صورة العرب مشوّهة؛ والتعاقد لإجراء مسح شامل للمغتربين العرب لتحديد كيفية الاستفادة المثلى من مواهبهم[١٩].

واضح من النماذج السابقة أن وزراء الاعلام العرب اقترحوا تقريباً جميع التكتيكات التي يمكن أن تخطر على بال، بأمل أن تكون بمثابة الرد الصحيح أو الصيغة السحرية التي ستقلب التيار لمصلحة العرب وضد الصهاينة/اسرائيل في الصراع لكسب قلوب وعقول الأمريكيين. وقد أصبح من الواضح أيضاً لهؤلاء الوزراء ونوابهم في السنوات القليلة الماضية أنهم اصدروا التوصيات نفسها مرات ومرات. . دون أي تبدل ملموس في الوضع. وقد بدأ التململ الناجم عن ذلك بالظهور عام ١٩٨١ عندما شجب علناً رئيس اللجنة الدائمة يومذاك الأحوال المحزنة في الحملة الاعلامية العربية، وأبدى أسفه لعدم توافر الموارد والقوة البشرية الضرورية للنجاح[٢٠]. وفي عام ١٩٨٢، أشار رئيس مجلس وزراء الاعلام العرب في ذلك العام إلى أن العرب استمروا في اللقاء ـ لما لا يقل عن خمسة عشر عاماً متتالية في حينه ـ من دون أن يكونوا قادرين على التوصل الى «استراتيجية» لكسب الحرب الاعلامية[٢١]، في حين كانت اسرائيل حرّة تقريباً في فعل ما يحلو لها، دون أن تمنعها الأمم المتحدة أو الرأي العام العالمي، وفي عام ١٩٨٤ أيضاً، ذكر رئيس مجلس وزراء الاعلام العرب المجموعة بأن اجتماعها الأول تم قبل ١٧ عاماً في أيلول/سبتمبر ١٩٦٧، لغرض وضع استراتيجية رابحة للإعلام في الخارج، ولكن مشروعاً كهذا لم يظهر[٢٢].

---

(١٩) رفعت هذه التوصيات في الاجتماعات السنوية لمجلس وزراء الاعلام العرب، وهي واردة هنا بالترتيب الذي أدرجت عليه في هذا البحث: القرارات. . . ١٩٦٤، ص ١٨؛ القرارات. . . ١٩٧٠، ص ٥؛ القرارات. . . ١٩٧٧، ص ١٤ ـ ١٥ و١٨ ـ ١٩؛ القرارات. . . ١٩٧٩، ص ١٦، ١٩ و٣٧؛ القرارات. . . ١٩٨١، ص ١٥، ٢٠ و٣٦، والقرارات. . . ١٩٨٢، ص ١٣ و١٥.

(٢٠) عيسى بن راشد آل خليفة، القرارات. . . ١٩٨١، ص ٦٣ ـ ٦٤.

(٢١) ميشال إده، القرارات. . . ١٩٨٢، ص ٤٤ ـ ٥٠.

(٢٢) محمد التازي، القرارات. . . ١٩٨٤، ص ٤٦ ـ ٥٠.

ولم تحصل صياغة استراتيجية اعلامية شاملة حتى الآن. وبدلاً من ذلك، هناك العديد من التكتيكات المقترحة التي قدمت بطريقة عشوائية مبعثرة تهدف إلى اعتراض تحركات اسرائيلية أو صهيونية محددة و/أو لإحداث بعض التغييرات في صورة العرب بين الأمريكيين. وإذا كان هنالك من افتراض أساسي، فهو الانطباع الضمني بأن الغربيين، وخصوصاً الامريكيين، يجهلون الحقائق الصحيحة عن العرب ووضع الشرق الأوسط عموماً، وأن إسرائيل والصهيونية عملتا على إبقائهم جاهلين الحقائق. ولذلك فإن الحل هو في استنباط بعض الوسائل لايصال الحقائق إلى الجماهير. وما أن يتم ايقاظ جماهير الغرب من غفوتها أو غيبوبتها حتى تقف مع العرب وقضاياهم العادلة، وخصوصاً في فلسطين، وتدير ظهرها بتحدٍّ إلى الصهيونية واسرائيل.

وكانت هذه النظرة قد ظهرت في أكثر من اقتراح أو مشروع من الاقتراحات والمشاريع الرئيسية الأربعة للعمل، التي قدمت إلى الجامعة بغية تحسين الجهد الاعلامي العربي في الولايات المتحدة. وبما أن هذه الاقتراحات هي الأكثر شمولية بين الاقتراحات التي عرضت أمام الجامعة، وبما أنها تأتي استجابة للحبوط والخيبة الكبيرين من النتائج الرديئة التي أظهرها نشاط الاعلام العربي على المسرح الأمريكي، فمن المفيد، ومن الضروري مراجعة الاقتراحات الأربعة كلها باختصار[٢٣].

المشروع (أ) هو المشروع الأكثر تفصيلاً وشمولاً في نهجه وخطة عمله المقترحة. على أية حال، فإن افتراضاته الأساسية هي أن إحداث تغيير في السياسة الخارجية الأمريكية صعب جداً وتكاليفه عالية. أما الطريقة الأسهل والأقل كلفة فهي تنوير الرأي العام الأمريكي حول القضايا العربية. وهذا بدوره، سيحمل صانعي السياسة الأمريكيين على اعتماد نهج أكثر اعتدالاً وتوازناً في قضايا الشرق الأوسط. وبغية تصحيح ضعف الجهد الاعلامي العربي. يقترح المشروع إعداد حملة علاقات عامة توجهها ثلاث مؤسسات، تقام خصوصاً لهذا الغرض. تقوم الأولى، التي تمولها مصادر عربية وأمريكية، بتوظيف خدمات مؤسسة علاقات عامة أمريكية لإنتاج وتصنيف ونشر إعلام دقيق عن العرب بين الأمريكيين، ويشمل ذلك الذين في القرى النائية الصغيرة. وتكون الثانية مجموعة ضغط سياسي، تنظم وتمول برمتها داخل الولايات المتحدة. ويركز عمل هذه المجموعة على مواجهة نشاطات اللوبي الاسرائيلي الذي يمتلك حالياً قدراً كبيراً من السيطرة على الكونغرس الأمريكي. وتكون المنظمة الثالثة مجموعة معفاة من الضرائب تكرّس جهودها للقيام بمشاريع طويلة الأجل في مجالي الأبحاث والنشر لتثقيف العامة عن العرب والشرق الأوسط عموماً.

---

(٢٣) هذه المشاريع الأربعة المقترحة بحثتها لجان مختلفة في الجامعة. أنظر: **دراسات وبرامج حول العمل العربي المشترك على الساحة الأمريكية** (تونس: جامعة الدول العربية، ١٩٨٣).

ويدعو المشروع (ب) إلى إنشاء مؤسسة عربية للعلاقات الدولية تعمل كوكالة اجتماعية وثقافية وإعلامية مستقلة ويكون هدفها الرئيسي تنمية صداقة وتفاهم أفضل بين العرب وبقية العالم. هذه المؤسسة التي يكون مركزها في الولايات المتحدة وفروعها في أوروبا، تعمل مصرفاً للبيانات الأولية ولخزن المعلومات عن الوطن العربي وانتاجها ونشرها على نطاق واسع. وتعمل المؤسسة أيضاً على تنظيم المجموعات المختلفة المتعاطفة والصديقة في أنحاء العالم وتوجيهها وتجنيدها في محاولة لمساعدتها على بلوغ الهدف المشترك في تفاهم أكبر بين العرب وغير العرب. ويجيء تمويل هذه المؤسسة من مصادر عربية خاصة وحكومية، لكنه يقترح أن يكون عملها منفصلاً، ومستقلاً عن الجامعة العربية أو أي حكومة عربية، مع أن هيئتها ستعيّن من قبل حكومات عربية. وفوْر الانتهاء من جمع رأس المال الضروري، يصار الى استثماره، ويستخدم إيراده فقط.

ويدعو المشروع (ج) أيضاً، كالمشروع (ب) أعلاه، إلى إنشاء مؤسسة مستقلة تديرها هيئة ادارية مشكّلة من عرب ـ أمريكيين مشهورين. وينبغي أن يكون التمويل الأولي كبيراً وأن يأتي من البلدان العربية. وتتعهد هذه المؤسسة جميع أنواع المشاريع الثقافية عن الوطن العربي، لكنها تتعهد أيضاً المشاريع التي تتعلق بالطاقة الشمسية والهنود الأمريكيين والأمريكيين من أصل اسباني أو من أمريكا اللاتينية، والسود، . . . الخ. وهي، بمعنى آخر، ستشترك في جميع النشاطات المشروعة التي تراها هيئتها التنفيذية فعّالة ومجدية لدفع قضية الصداقة والتفاهم بين العرب والامريكيين إلى الأمام.

ويقترح المشروع (د) تشكيل مؤسسة عربية ـ أمريكية مماثلة لصندوق مارشال الالماني. وينبغي أن يأتي التمويل هبة من الحكومات والشعوب العربية. ومن ثم تقام المؤسسة ككيان مستقل تديره هيئة أمريكية. ولن تكون نشاطاتها محصورة في نطاق ضيق، بل ستشمل جميع أوجه النشاط التثقيفي المشروع الذي يعمل لتحرير القضية العربية من قفص «الغيتو» (Ghetto) الذي وضعت فيه.

وقد درست هذه المشاريع الأربعة من قبل الجامعة العربية واعتبرتها غير ملائمة في أكثر من ناحية من النواحي. ولذلك فقد أشير، على سبيل المثال، إلى أن المؤسسات التثقيفية المقترحة ربّما تعتبر سياسية في عملها. . . وهذا الوضع يحتمل أن يخلق مشاكل قانونية ومشاكل تتعلق بالمصداقية. وهناك صعوبات أخرى محتملة ترتبط بأولويات العمل المقترح وبانعدام الوحدة بين الجاليات العربية ـ الأمريكية. وأخيراً وجدت سكرتارية الجامعة أنه من الممكن توقّع خلافات واضحة في الرأي بين الأطراف العرب ذوي العلاقة والهيئة الأمريكية البحتة، ازاء القضايا الحسّاسة. ولذلك، فإن البديل المقترح هو أن تستمر الجامعة العربية بوظائفها الاعلامية في الوقت الراهن على الأقل، ولكن بقدر أكبر من الكفاية والسعة، على أن يتم توفير موارد اضافية.

تقويم ونقد

يمكن اعتبار جواب الجامعة عن المشاريع الأربعة الذي جاء في شكل اقتراح بديل بمثابة رد على الانتقاد الضمني لها بأنها لم تقم بما هو كافٍ لترويج حملة اعلامية عربية جيدة. ورد الجامعة، بالتالي، هو أن مثل هذه الحملة تحتاج الى المزيد من المال، والموظفين الجيدين، وإلى كفاية أكبر في الادارة. هذا صحيح، ولكنه لا يصدق لوقت طويل. على أي حال، فمن الضروري بحث العيوب الرئيسية للجهد الاعلامي العربي قبل اقتراح أية تغييرات أو توصيات.

١ ـ المأخذ الأول، وربما المأخذ الأكثر خطورة على الجهد الاعلامي العربي هو أن الحكومات العربية منفردة، ومجتمعة عبر الجامعة، كانت تعمل على أساس افتراض خاطىء حول المعنى الصحيح «للإعلام». وبالتالي فهناك في جميع القرارات تقريباً التي اتخذها مجلس وزراء الاعلام العرب وبالتأكيد في مختلف تكتيكات ومشاريع العمل التي دعت اليها الجامعة، افتراض ضمني ولكنه واضح بأن (١) الإعلام هو نشر الحقائق ليس غير، و/أو أن (٢) الإعلام هو الدعاية، أي أنه شكل من الوعظ الهادف الى اجتذاب الآخرين الى قضية العرب أو وجهة نظرهم[٢٤]. هذا، ويجب على هؤلاء المهتدين الجدد أن يتقبلوا كلياً وبالكامل حجة الجانب العربي. وإذا لم يحدث ذلك فإنه يعتقد حينها أن الجهد الاعلامي قد فشل. كما أنه لا يوجد تفهم جيد، أو أن هناك إهمالاً واضحاً، لحقيقة أن الوظيفة الرئيسية للإعلام في القرن العشرين هي الاتصال بفعالية على مستويات عدّة ومع جماهير مختلفة بهدف محدد وهو تحقيق أهداف سياسية محددة بوضوح. وبالطبع، هناك فائدة تجنى من محاولة ايصال إعلام واقعي عن العرب والوطن العربي ومن السعي لايجاد متقبّلين لوجهة النظر العربية. ولكن إذا كان هذا ما يتوجب التركيز عليه، فذلك يحتاج الى استراتيجية معينة وهذه قد تطغى على الهدف الآخر الأهم وتسبب إخفاقه. إن هذا الهدف هو إقناع صانعي القرار السياسي في الغرب بتقبل السياسات الخارجية والأهداف السياسية العربية وتأييدها.

أما الضعف الآخر فينبع من معاملة «الإعلام» كحقل مستقل، وكأنه لا يرتبط أبداً بالوضع السياسي ـ الاجتماعي والثقافي والعسكري والسياسي الشامل[٢٥]. ولكن، وبكل بساطة، ليس من الواقعي أن ننتظر تحقيق خطى واسعة في حقل الإعلام إذا ما كانت

---

(٢٤) عن وجهات النظر المماثلة، انظر: تحسين محمد بشير، **النشاط الاعلامي العربي في الولايات المتحدة** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٩)، ص ٣١ ـ ٣٣.

(٢٥) في لقائي مع مسؤولين رفيعي المستوى في الجامعة العربية في تونس (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤) تبين أن هناك تفهماً لضعف هذا النهج. ومع ذلك فإن مسؤولي الجامعة عاجزون عن تغيير الوضع العربي الشامل أو حتى عن تغيير آراء صانعي السياسة في شتى الحكومات العربية حول هذا الموضوع.

الحقول الأخرى ضعيفة أو متخلفة أو غير فعّالة. بمعنى آخر، ليس من الممكن أن نستعيد بالإعلام ما ضاع في ساحة المعركة، أو نتيجة لاجتهاد سياسي خاطىء. كما أن أكثر حملات العلاقات العامة تقدماً وحداثة لن تحمل صانعي القرار الامريكيين على تغيير سياساتهم في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية أو اللبنانية، على سبيل المثال، إلاّ إذا أعطيت العوامل الاقتصادية والسياسية والعسكرية مكانتها للتأثير فيهم.

وتكشف مراجعة المواد الاعلامية العربية وبعض قرارات وزراء الإعلام العرب عن نزعة الى اللجوء الى العبارات العامة، والكليشيهات البديهية والمواعظ الخلقية، بدلاً من البحث الجادّ المعقول في المصلحة الذاتية أو المشتركة. ولكن الدول، على الرغم من مجاهرتها بحسن النيّة والإنصاف والعدل للجميع، لا تعمل كما هو معروف على أساس القوانين الخلقية ولكن وفق نظرتها الى المصلحة القومية. ولا يعني ذلك أنها ستهزأ عن عمد بالمبادىء الأخلاقية العامة. ولكنه يعني أن مناشدةً ما تقوم فقط على عرض الحقائق وإظهار الظلم الذي يعانيه الفلسطينيون أو العرب عموماً ربما تحظى ببعض التعاطف، لكنها لا يحتمل أن تحرك بحد ذاتها دولاً أخرى للعمل لمصلحة الفلسطينيين أو العرب. والأرجح هو أن يتحقق هذا عندما يستخدم «الإعلام» لإيصال رسالة ملازمة اقتصادية وسياسية و/أو عسكرية.

٢ ـ وهناك مجال آخر من الفوضى والضعف يتعلق بعدم وجود سياسة واستراتيجية واضحتين بشأن فلسطين واسرائيل. ونتيجة لذلك تعتبر اسرائيل في بعض الأحيان دولة مستقلة توسعية تعمل لأهدافها وغاياتها الخاصة بها وتستغل الصهيونية لانتزاع التأييد والتنازلات من الغرب، وخصوصاً الولايات المتحدة. وفي أحيان أخرى، تعد إسرائيل عميلة للامبريالية، وخصوصاً الامبريالية الأمريكية، في الشرق الأوسط.

أما حول مسألة فلسطين، فقد كان هناك الكثير من التذبذب والتغيير الى حين ظهور منظمة التحرير الفلسطينية ومن ثم الاعتراف بها ممثلاً شرعياً وحيداً للفلسطينيين عام ١٩٧٤. ومنذ ذلك الحين، كانت منظمة التحرير الفلسطينية تقوم بصياغة السياسة المتعلقة بفلسطين، التي قبل بها أعضاء الجامعة عموماً. وإذا ما ادعت الحكومات العربية مسؤولية التحدث نيابة عن الفلسطينيين من جديد أو إذا منع الفلسطينيون من التحدث بصوت واحد، فلا شك أن الجهد الاعلامي سيعاني من جراء ذلك.

٣ ـ المجال الثالث للضعف هو أن الجامعة العربية مؤلفة من ٢١ دولة مستقلة ومنظمة التحرير الفلسطينية. وبما أن الجامعة هي الناطق الرسمي لهذه الدول، فمن المستحيل بالنسبة لها أن تقدم شيئاً غير الرواية الرسمية للأحداث والحقائق والسياسات. بمعنى آخر أن طبيعة الجامعة وبنيتها تجبرانها على التعامل مع الاعلام كحقيقة و/أو كدعاية فقط. والنتيجة هي اعتبار الاعلام مجرد سلعة يجري تسليمها بخصوص مواضيع محددة يقدم العرب وجهة

نظرهم فيها[٢٦]. وفي ظل مثل هذه الظروف من الممكن الاشتراك بجدال بين فريق مؤيد وآخر معارض مثلاً، ولكن الحوار الحقيقي البنّاء والمثمر ليس ممكناً. ويترتب على ذلك أيضاً أن مؤتمراً برعاية الجامعة حول أية قضية معينة يتطلب مشاركة المؤيدين والأصدقاء والحلفاء. وهذا مفيد بعض الشيء في تقديم حجج اضافية مؤيدة للقضايا العربية، وكسب بعض الانتشار الاعلامي لها، وفي تقديم الدعم المعنوي للعرب وأصدقائهم. ولكن هذه النظرة للإعلام تعاني من كونها مقيدة الى حدّ بعيد من حيث نوعية الجمهور الذي تستطيع الوصول اليه، وكثيراً ما ينتهي بها الأمر لأن تكون منبراً يعظ المرء من عليه المقتنعين بوجهة النظر العربية لا أكثر. بمعنى آخر أنّ جدواها محدودة دون شك.

كذلك إذا ما أظهرت مثل هذه المؤتمرات أو البرامج الأخرى العرب في أفضل مظهر فقط، فسيعتبرها غير العرب مجرّد دعاية فجّة، حتى حينما تكون الخطابات والبحوث موضوعية ودقيقة. وفي مثل هذه الظروف، حتى البحوث الممتازة تصبح مشبوهة وتفقد بعض مصداقيتها ومفعولها.

إن السياسة داخل الجامعة توضع بقرارات جماعية، وقد يستطيع أي بلد عضو أن يعفي نفسه من الموافقة على قرارات معيّنة. ويؤدي هذا الوضع الى بعض النتائج السلبية. وإحدى هذه النتائج هي أنه من الصعب الاتفاق على السياسات والأهداف المهمة، وهي بسبب ذلك أما أن تهمل أو أن تبحث وتؤجل. لكنه حتى حين يتم التوصل الى مثل هذا الاتفاق، فإن واحداً أو أكثر من الأعضاء المهمين يستطيعون إذا ما عارضوا، إحباط تنفيذه برفض المشاركة الكاملة أو الفعالة، وخصوصاً في دفع متوجباتهم أو مساهماتهم المالية[٢٧].

وبهدف تجنّب حدوث خلافات اساسية وانشقاقات ممكنة، فإن السياسات والقرارات

---

(٢٦) هذا موضوع يطبّق بالضبط وبتدقيق شديد. ولذلك فإن مسؤولي الجامعة العربية يجب أن يكونوا حذرين للغاية من عدم عرض، أو السماح لأنفسهم بأن يبدوا وكأنهم يعرضون أية آراء أو تعليقات يمكن أن تفسر انتقاداً لأية ناحية من نواحي سياسة أو تحرك أية حكومة عربية. وإذا ما حدث ذلك، وحتى ولو كان العرض الشامل ايجابياً وفعالاً، فإن العواقب بالنسبة للفرد المتورط من المرجع أن تكون خطيرة وقد تعرض وظيفته أيضاً لخطر الضياع.

(٢٧) إن عدم دفع المتوجبات أو المساهمات المالية مشكلة مزمنة ومتكررة في الجامعة العربية. ومنذ فترة تعود لأوائل ١٩٦٨، كانت اللجنة الدائمة تهدد بوقف اجتماعاتها لحين حل المشكلة المالية. وكانت المسألة تثار كل عام تقريباً منذ ١٩٧٩. انظر: عطية، «دور الجامعة العربية في الاعلام،» ص ٤٣٢ و٤٣٣، وعلى سبيل المثال، انظر: **القرارات...** ١٩٧٩، ص ١٤؛ **القرارات...** ١٩٨١، ص ٣٩، **والقرارات...** ١٩٨٤، ص ٢٢ - ٢٩.

استناداً لبعض مسؤولي الجامعة العربية (المقابلات، ١٩٨٤)، فإن أحد المسببات الرئيسية للمشكلة المالية التي تواجهها الجامعة اليوم، هو حجز مصر لحوالى ٣٠ مليون دولار من أموال الجامعة (بينها حوالى ٧ ملايين مخصصة للاعلام) في أعقاب تعليق عضوية مصر ونقل مقر الجامعة الرئيسي الى تونس.

التي تلقى الموافقة هي في العادة ذات الطابع العام منها. والبديل الذي كان يستخدم غالباً هو إصدار تعليمات محددة لعقد مؤتمرات حول مسائل معينة أو لتنفيذ حملات موجهة في الأوساط الصحافية ضد العدو. والمأخذ على هذا البديل هو ان الرسالة التي يتلقاها الجمهور عند عدم وجود أهداف ومؤشرات سياسية شاملة، تكون غير واضحة ولا تعكس صورة كاملة عمّن هم العرب، أو عن كنه آرائهم وطموحاتهم بالنسبة لوطنهم، ولمنطقة الشرق الأوسط وللسلام العالمي والإقليمي، وللعلاقات العربية ـ الغربية أو حتى لفلسطين. وفي غياب مثل هذا الإعلام الذي يمكن أن يشكّل، وبصورة طبيعية، «قاعدة» أو وتداً تعلق عليه أخبار ومعلومات أخرى أكثر تحديداً، فإن أي معلومات «جديدة» حول ضمّ اسرائيل القدس أو مرتفعات الجولان أو عن اضطهاد الفلسطينيين واللبنانيين، أو عن المشروع الاسرائيلي لحفر نفق يصل البحر المتوسط بالبحر الميت... إلخ، سيفسرها أي جمهور مستهدف في الغرب على أنها احداث مستقلة يصار الى تقويمها كلّ على حدة وبصورة منفصلة، فيفترض، في جوهر الأمر، أن لإسرائيل حقوقاً متساوية ومخاوف مشروعة بالقدر نفسه. والنتيجة النهائية هي خسارة أكيدة للجانب العربي.

علاوة على ذلك، فإن الانقسامات في الوطن العربي والعجز عن صياغة أهداف واضحة ومحددة في السياسة الخارجية وكذلك الأمر في الاعلام، تعني أن الأحداث لا تستبق بل تلاحق. وبالتالي تعطي اسرائيل الحرية المطلقة في توجيه الضربة الأولى، وإعداد الخطط الشاملة، وانتزاع المبادرة بمعنى آخر أن اسرائيل تضع جدول الأعمال للعرب. والنتيجة هي أن دائرة الاعلام في الجامعة غالباً ما تكلف بعد أن يعلن العدو خطة للتحرك، بإعداد جهد إعلامي أو مؤتمر دولي، «لفضح» ذلك التحرّك وإدانته، وكأن الحملة تعدّ لكي تكون رداً كافياً على التحرك الاسرائيلي[٢٨]. ومع أن ذلك قد يجعل العرب مرتاحين لأن الحق والعدل في جانبهم، إلاّ أنه ليس من المحتمل أن يستقطب مثل هذا الجهد الإعلامي أصدقاء جدد كثيرين، كما أنه لن يبطل التحرك الاسرائيلي.

ولا يقتصر الأمر على عدم وجود استراتيجية عربية مفصلة ذات طابع ايجابي في ما يتعلق بماهية الرسالة، بل ان هناك ايضا عدم اجماع حول كيفية ايصال تلك الرسالة وإلى من؛ وكذلك الأمر حول من ينبغي أن يوصلها ومن يجب أن يدفع كلفة هذا الجهد. هناك، إذاً، العديد من المشاريع المقترحة لإيصال ما هو مفروض فيه أن يكون صيغة معروفة ومتفقاً عليها، أو مجموعة من المعلومات التي يعتبر أيضاً انه من الممكن إيصالها بسهولة لولا أن هناك

---

(٢٨) على سبيل المثال، بعد ضم اسرائيل الفعلي لمرتفعات الجولان، أدين التحرك واقترحت حملة اعلامية حول القضية، وقد شملت بدورها أيضاً اقتراح عقد مؤتمر دولي في لندن تحت عنوان «الجولان وسياسة اسرائيل التوسعية». انظر: القرارات... ١٩٨٢، ص ٢٦ و٢٧. ويمكن الاشارة الى أمثال أخرى عن القدس والضفة الغربية... الخ.

بعض الأفـراد أو الجماعـات البغيضة (أي الصهـاينة) ممن يعـارضون العـرب. ويكاد يكـون البحث معدوماً بالنسبة لماهية الجماهير الغربية وخلفيـاتها واحتيـاجاتهـا وطموحـاتها أو إمكـانية تقبلها للرسائل الاعلامية العربية. أما السيكولوجية الغربية والمشاريع الاستراتيجية والمصالـح القومية الغربية فتلقى القليل من الاهتمام أيضاً[٢٩].

وتعنى البلدان العربية، وكذلك الجامعة العربية تبعاً لذلك، بإيصال رسائلها بالـطريقة التي تعكس بدقة وجهات نظرها في جميع القضـايا الـرئيسية. ولأنهم لا يقبلون أي انحـراف عن هذا الخط، إلاّ إذا كان ذلك يعزز حجتهم ويبالغ فيهـا، فهم يفضلون إيصال رسـائلهم بأنفسهم، أو أن يعهدوا بها الى مجموعات أو أفراد يسيطرون عليهم، مثل الجـامعة العـربية، أو مؤسسـة علاقـات عامـة تستوفي أجـرها، أو عـبر اعلان مـأجور[٣٠]. وقـد يلقى الافراد أو المجموعات الصـديقة القبـول أيضاً، ولكن فقط، أو بصـورة رئيسية عـلى الأقل، في قضـايا محدّدة تكون الآراء حولها معـروفة سلفـاً. ويصبح الاعتـماد على مثـل هذه المجمـوعات لمـدة طـويلة الأجل أمـراً ينـطوي عـلى مشـاكـل، إذ انـه يخشى أن تبـدل مـوقفهـا في وقت مـا في المستقبل. ان وضعاً كهذا يفرض قيوداً كبيرة على مرونـة الجامعـة ويحرم الجهـد الاعلامي من عدد من أفضل المواهب المتوافرة لدعم حملتها الاعلامية الشاملة. لـذا، وحتى عندمـا نتحقق من أن جاليات المغتربين العرب متعاطفة عموماً مع القضايا العربية، فـإن الجامعـة حتى الآن لم تستطع الاستفادة من مـواردهم الكثيرة ولا حتى استغـلال دعمهم للوطن الأم. بل لم تجـر حتى الآن أي دراسة شاملة للجالية العربية في أمريكا. صحيح بالطبع ان هنـاك العديـد من منظمات المغتربين العرب وأن التعـاون بينها في الغـالب ضعيف نوعـاً ما. ولكن في حـين أنها تُحث دائـماً على تنـاسي الانقسامـات في مواطنهـا الأصلية وعـلى العمل بتعـاون وثيق. إلا أن الكـلام عن ذلك أسهـل من العمل خصـوصاً وأن الحكـومات في البلدان الأم تصر عـلى أن تكون هي الصلة أو القناة الوحيدة لأي نشاط يتعلق بمواطنيها السـابقين[٣١].

٤ ـ هناك عائق آخر في وجه جهـد إعلامي فعّـال وهو عـدم الاتفاق بـين الفرقـاء العرب الرئيسيين، داخل الجامعة وخارجها، عمن يجب أن يكون الجمهور المستهدف. ومنذ تأسيس

---

(٢٩) هذا الإهمال ليس نتيجة للجهل خاصة وأن بعض مسؤولي الجامعة العربية على الأقل على اطلاع بالكتابـات عن النظام السياسي الأمريكي وكيفية تحسين جهود الاتصـالات في الولايـات المتحدة. انـظر مثالاً عـلى ذلك: ميخـائيل سليمان، «اقتراحـات لتحسين الاتصـالات والعلاقـات العامـة العربيـة في الغرب،» ورقـة قدّمت الى: اجتـماع الجامعـة العربية، القاهرة، ١٩٧٣.

(٣٠) يقدر محمد حسنين هيكل ان البلدان العربية تنفق سنوياً على اعلانات تعتقد خـطأ أنها «إعلام» قـرابة ٥٠٠ مليون دولار. انظر: «المناقشات،» في: جامعة الدول العربية، الواقع والطمـوح: بحوث ومنـاقشات النـدوة الفكريـة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٤٥٠ ـ ٤٥١.

(٣١) انظر: القرارات. . ١٩٨١، ص ٢٠٠، والقرارات. . . ١٩٨٢، ص ١٣.

دولة إسرائيل عـام ١٩٤٨، جرى بحث نُهُج مختلفـة و/أو دعي إليها. ويفـترض أحدهـا أن صانعي القرار في دولة ديمقراطية كالولايات المتحدة انما يصـوغون السيـاسات وفقـاً لحاجـات ناخبيهم ورغباتهم المعلنة. وبناء على ذلك فإن السبيل الى تغيير السياسة الأمريكيـة في الشرق الأوسط هـو في الفوز بقلوب وعقـول الشعب الأمريكي، الـذي سيؤثـر بـدوره عـلى قـادتـه وصانعي سياسته. واللوبي الصهيوني قـويّ جداً في هـذه العملية، لكنـه يجب التغلب عليه. وما أن يتم ذلك حتى تصبح الولايات المتحدة أكثر تأييداً للعرب في سيـاساتهـا. ويدعـو هذا النهج الى حملة اعلامية تصل الى عـامة الجمهـور. وهناك نهج آخـر يقول بـأن القرارات التي تتعلق بشؤون السياسة الخارجية تتخذ من قبل نخبة في المستويـات العليا للحكـومة، حتى في الدول الديمقراطية كالولايات المتحدة، وتؤيـدها الأوسـاط الاعلاميـة المؤثرة ـ التي تحمـل فيما بعد هذه الآراء الى عـامة الشعب لتحـظى بتأييـده وموافقتـه. وبناء عـلى ذلك فـإن الجمهور المستهدف والمفضل للجهد الاعلامي العربي يجب أن يكون نخبة رجال السيـاسة الخـارجية. والأمر الذي لا يبين بوضـوح غالبـاً هو البت، ولـو بصورة غـير علنية وغـير كلية، في مـا إذا كانت الولايات المتحدة في الأساس صديقـة وحليفة للعـرب أو صديقـة وحليفة لأعـدائهم، وخصوصاً الصهيونية واسرائيل. وإذا كان الرأي الثاني هو الأصح، كـما استنتج فـايز صـايغ عام ١٩٧٠، فالجهد الاعلامي العربي في الولايات المتحدة هو إما بـدون فائـدة ويجب التخلي عنه، أو أنه يجب أن يوجه الى أولئك الأفراد وتلك المجموعات والقوى المهتمة بتغيير السياسة الخارجية الأمريكية داخل الولايات المتحدة[٣٢].

وهنا أيضاً، وبسبب الانقسامات في الـوطن العربي نجـد أنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، اتّباع سياسة متماسكة كاملة الحيوية. فالنهجان المشار اليهـما لا يلغي أحدهمـا الآخر بالضرورة. وتشير الدلائل المتوافـرة الى أن الرأي يتبـع السياسـة في الظروف العـادية، أي أن السياسة تصنع أولاً من قبل نخبة رجال السيـاسة الخـارجية وفقـاً لمفهومهـا للمصلحة القومية الأمريكية، ومن ثم تنقل الأوساط الاعلامية هذه السياسة الى عامة الشعب للحصول على دعمه[٣٣]. ولكن، وحيث تكون هنالك أقلية مهتمـة وملتزمة وفـاعلة، أو مجموعـة ضغط تدعم بقوة سياسة خارجية محددة، يتوجب على نخبة رجال السياسة الخارجيـة أن تأخـذ ذلك الـرأي بعين الاعتبـار[٣٤]، وبالتـالي فإن صـانعي السياسـة الأمريكيـة عاجـزون عن تجاهـل

---

(٣٢) فـايز صـايغ، كـما أشـير في: Zamil, «The Effectiveness and Credibility of Arab Propaganda in the United States,» pp. 121-123.

(٣٣) أنـظر: Robert Weissberg, *Public Opinion and Popular Government* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1976), pp. 24 and 25; M. Abravanel and B. Hughes, «The Relationship between Public Opinion and Government Foreign Policy: A Cross-National Study,» in: J. McGowan, ed., *Sage International Yearbook of Foreign Policy Studies* (Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1973), vol. 4, and Shanto Iyengar and Michael W. Suleiman, «Trends in Public Support for Egypt and Israel, 1956-1978,» *American Politics Quarterly,* vol. 8, no. 1 (January 1980), pp. 34-60.

(٣٤) لدراسـة تتعلق بـالشرق الأوسط، انظر: Montague Kern, *Television and Middle East Diplomacy:* =

المجموعات الصهيونية في الولايات المتحدة، وهم مضطرون للتعامل معها بطريقة ما، سواء بدعمها، أم بالانحياز الى جانبها تماماً، أم بمعارضتها من وقت لآخر. ولا يصبح الضغط الشديد من قبل القوى الموالية للصهيونية مصدر إزعاج لصانعي السياسة الأمريكية الا عندما يحدث صدام بين آراء ومصالح الحكومة من جهة، وبين آراء اللوبي الصهيوني ومصالحه من جهة ثانية(٣٥).

أما على مستوى عامة الشعب، فتكون القوالب الذهنية والتصورات (ايجابية أو سلبية) مهمة في تسهيل أو عرقلة عملية طرح القضايا الصحيحة كمسائل للبحث ليدرسها الجمهور المهتم، ثم صانعو السياسة في نهاية المطاف. وواضح أن من الأفضل بكثير أن تكون هناك صورة ايجابية بدلاً من أن تكون سلبية لدى السكان بصورة عامة، حيث أن ذلك سيسهل تحقيق المصداقية والقبول بالبيانات الاعلامية، كما يحققها الاسرائيليون ومؤيدوهم. كذلك يسهل هذا كثيراً على الاسرائيليين استخدام «رموز تكثيفية» لايصال صورة ايجابية عنهم أو صورة سلبية عن العرب بسرعة - كما يفعلون تكراراً وبفعالية - ولذلك تتقبل العامة الأمريكية غالباً، ودون كثير من التفنيد، تهم التطرف أو الارهاب أو العداء للسامية عندما يُقذف بها العرب أو بعض مؤيديهم. من جهة أخرى، من الصعب أن يفند أحد ادعاء اسرائيل بأنها «ديمقراطية»، ويجد الأمريكيون عموماً صعوبة في أن يصدقوا بأن الفلسطينيين العرب قد حرموا من حقوقهم الديمقراطية بطردهم من وطنهم. أيضاً، وعلى الرغم من التغطية الواسعة للغزو الاسرائيلي للبنان والعرض المتكرر للعنف الاسرائيلي، لا يعتبر الأمريكيون الاسرائيليين ارهابيين عموماً(٣٦).

President Carter's Fall 1977 Peace Initiative (Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1983), and Montague Kern, Patricia W. Levering and Ralph B. Levering, *The Kennedy Crises: The Press, the Presidency and Foreign Policy* (Chapel Hill, N.C.: University of North Carolina Press, 1983). =

(٣٥) عن مسألة النخب الهامة وكيفية تحديد جداول الأعمال «النظامية» و«الحكومية»، أنظر:

Robert Cobb and Charles Elder, *Participation in American Politics: The Dyanamics of Agenda Building*, 2nd. ed. (Baltimore, Mad.: Johns Hopkins University Press, 1983).

في هذه القضية، وكيف تتعلق بصنع السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، انظر:

William Baur Quandt, «Domestic Influences on United States Foreign Policy in the Middle East: The View from Washington,» in: Willard A. Belling, ed., *The Middle East: Quest for an American Policy* (Albany, N.Y.: State University of New York Press, 1973), pp. 263-285; *United States Policy in the Middle East: Constraints and Choices* (Santa Monica, Calif.: The Rand Corporation, 1970); Robert Holms Trice, Jr., «Domestic Political Interests and American Policy in the Middle East: Pro-Israel, Pro-Arab and Corporate Non-Governmental Actors and the Making of American Foreign Policy 1966-77,» (Ph. D.Dissertation, University of Wisconsin, 1974), and «Foreign Policy Interest Groups: Mass Public Opinion and The Arab-Israeli Dispute,» *Western Political Quarterly*, vol. 31, no. 2 (June 1978), pp. 238-252.

(٣٦) لبحث الرموز في السياسة، انظر:

Murray Edelman, *The Symbolic Uses of Politics* (Champaign; Ill.: University of Illinois Press, 1967).

وعن الرأي العام الأمريكي حول الشرق الأوسط وقدرة اسرائيل على استغلال صورتها الايجابية وصورة العرب =

على أي حال، فإن الرأي العام لا يصنع السياسة الخارجية، مع أنه يضع حدوداً لا يتجاوزها صانعو السياسة الا على مسؤوليتهم الخاصة[٣٧]. ومن جهة أخرى، تبحث نخبة رجال السياسة الخارجية وتقترح وتؤثر في السياسة وتصنعها في النهاية. وينبغي دون أن نتجاهل عامة الشعب، أن يتوضح أن المهمة الرئيسية للجهد الاعلامي العربي هي في التعرف على الطرف المؤثر والتأثير فيه، ولأن الموارد قليلة لن تكون أية حملة اعلامية ناجحة إلاّ إذا وجهتها ودعمتها استراتيجية واضحة وأهداف محددة بدقة يقدمها ويدفع بها قادة سياسيون راغبون في فرض الضغط على نظرائهم في الغرب، سواء أكان هؤلاء أصدقاء أم حلفاء أم مناوئين.

٥ ـ كانت البنية الادارية والوظيفية داخل الجامعة العربية تشكل أيضاً عاملاً في أداء العرب الضعيف في مجال الاعلام. وينبغي أن يكون ذلك متوقعاً، إذ إن البنية الادارية تعكس فقدان الوحدة بين الدول الأعضاء. لذا فإن البلدان العربية المختلفة تريد أن تتحقق من عدم تنفيذ أي برنامج إعلامي تعترض عليه لأي سبب من الأسباب. والنتيجة هي أن أعضاء اللجنة الدائمة (أي نواب وزراء الاعلام) ومجلس وزراء الاعلام يهدرون الكثير من الوقت الثمين في مناقشة عقد مؤتمرات محددة والموافقة عليها. وهكذا لا يتجادل هؤلاء المسؤولون ذوو المناصب العالية حول المواضيع الرئيسية التي تبحث في مؤتمرات كهذه وحسب، بل يتجادلون أيضاً حول زمان عقد المؤتمر ومكانه، وحتى في أمر المشاركين المحتملين في بعض الأحيان. بل إن الأكثر إضاعة للجهد والوقت هو المباحثات التي تجري لمتابعة عقد هذه المؤتمرات، سواء عقدت أم لم تعقد، والإلحاح المتزايد على ضرورة عقدها في الزمان والمكان المحددين[٣٨].

= السلبية، انظر:

Michael W. Suleiman: «National Stereotypes as Weapons in the Arab-Israeli Conflict,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 3, no. 3 (Spring 1974), pp. 109-121; «American Public Support of Middle Eastern Countries: 1939-1979,» in: Michael C. Hudson and Ronald G. Wolfe, ed., *The American Media and the Arabs* (Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980), pp. 13-36, and «Stereotypes, Public Opinion and Foreign Policy: The Impact on American-Arab Relations,» *Journal of Arab Affairs,* vol. 1, no. 2 (April 1982), pp. 147-166.

(٣٧) هناك الكثير من الأدلة لإظهار قلة تأثير رغبات عامة الشعب على السياسة الخارجية. انظر على سبيل المثال:

Bernard C. Cohen *The Public's Impact on Foreign Policy* (Boston: Little, Brown, 1973); James Rosenau, «Foreign Policy as an Issue Area,» in: James Rosenau, ed., *Domestic Sources of Foreign Policy* (New York: Free Press, 1967), pp. 31-47; Barry B. Hughes, *The Domestic Contest of American Foreign Policy* (San Francisco: W.H. Freeman, 1978); Abravanel and Hughes, «The Relationship between Public Opinion and Government Foreign Policy: A Cross-National Study,» and Cobb and Elder, *Participation in American Politics: The Dynamics of Agenda Building.*

(٣٨) النماذج عن المؤتمرات المحددة التي اقترحت في السنوات القليلة الماضية، هي: «القدس ومستقبلها،» في: القرارات... ١٩٧٩، ص ١٥؛ القرارات... ١٩٨٠، ص ١٠؛ القرارات... ١٩٨١، ص ٢٨؛ القرارات... ١٩٨٢، ص ٢٠، والقرارات... ١٩٨٣، ص ٢٢ ـ ٢٣؛ «صورة العرب في وسائل الاتصال،» في: القرارات... ١٩٧٩، ص ١٥، والقرارات... ١٩٨٠، ص ١٠؛ «أحوال العرب في الأراضي المحتلة،» في: القرارات... =

وبما أن الدول الأعضاء في الجامعة لم تكن قادرة على الاتفاق على جهد إعلامي شامل، فقد عهد بهذه المهمة، تنصلاً، الى دائرة الاعلام في الجامعة، التي كان ينتظر منها في السنوات القليلة الماضية أن تصوغ السياسات والحملات الاعلامية لتعرضها على اللجنة الدائمة ومجلس وزراء الاعلام. ولكن الدائرة هي نفسها تعاني من عدم كفاية الموارد (سواء في عدد الموظفين المؤهلين أم في خدمات المساعدات والتمويل) التي تمكنها من اقتراح مشاريع ضخمة، ناهيك عن تنفيذها. وعلى الرغم من هذه النواقص، عملت الدائرة بالفعل مع اللجنة الدائمة على التقدم بمشاريع عديدة تمت الموافقة عليها أيضاً من قبل مجلس وزراء الاعلام لتبقى مجرد قرارات على الورق لا أكثر بسبب قلة التمويل. وبما أن جهد الجامعة الإعلامي يموَّل بواسطة مساهمات الدول الأعضاء، وان المساهمات المالية التي وفرت كانت مؤخراً قليلة عموماً. فإن الوضع حرج نوعاً ما. والحقيقة أنه لم تتوافر أي أموال تقريباً في العامين الماضيين، لتنفيذ أي شيء ما عدا مهمات إعلامية بسيطة. ويجدر التذكير أيضاً بأنه كان هناك دائماً ضعف بنيوي واضح، وهو أن النسبة المئوية الساحقة (٧٥ ـ ٨٠ بالمائة) من موازنة الاعلام تذهب لتغطية الايجارات والأجور[٣٩]. بالتالي، ومع الأزمة المالية الراهنة، فإن الجهد الاعلامي العربي لا يقوم إلاّ بالقليل عدا دفع الأجور والايجارات. وحتى في ظل ظروف كهذه قد تكون مكاتب الجامعة الاعلامية في أمريكا الشمالية قادرة على تبليغ «الرسالة» الى الجماهير الأمريكية، إذا كان هناك فعلاً من رسالة واضحة ومحددة، وإذا كان موظفو الجامعة هؤلاء أحراراً نسبياً في تأدية مهامهم بالطريقة المثلى التي يرونها. ولكن الوضع لسوء الحظ، مختلف عن ذلك. فمثلاً يبدو أن للسفراء العرب القول الفصل وسلطة الفيتو على ما يقال للناس[٤٠]. علاوة على ذلك، فإن الموظفين يمضون الكثير من وقتهم في الرد على جمهورهم الخاص من الناخبين، أي في الجامعة العربية ذاتها. فالتقارير التالية مطلوبة من جميع مسؤولي الجامعة: تقرير سياسي اسبوعي عن الأنباء الوثيقة الصلة بالوطن العربي؛ تقارير برقية عن الأحداث الطارئة أو المهمة، تقرير شهري عن نشاطات المكتب، تقرير شهري عن الجهود الاعلامية المعادية أو المناوئة، تقرير نصف سنوي عن نشاطات المكتب لتقديمه الى اللجنة الدائمة، وتقرير سنوي شامل[٤١]!

= ١٩٧٩، ص ١٥؛ والقرارات... ١٩٨٠، ص ٨؛ «مخططات اسرائيل في جنوب لبنان،» في: القرارات... ١٩٧٩، ص ١٥؛ «اتفاقيات كامب ديفيد والحقوق الفلسطينية،» في: القرارات... ١٩٧٩، ص ٢؛ القرارات... ١٩٨٠، ص ٨، والقرارات... ١٩٨٢، ص ٢٠؛ «التسلح النووي في الشرق الأوسط،» في: القرارات... ١٩٨٢، ص ١٩؛ «مرتفعات الجولان والسياسة التوسعية الاسرائيلية،» في: القرارات... ١٩٨٢، ص ٢٧، و«المستوطنات الاسرائيلية،» في: القرارات... ١٩٨٣، ص ٢٣، ... الخ.

(٣٩) العطية، «دور الجامعة العربية في الاعلام،» ص ٤٣٤.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٣٢٦ و٤٣١.

(٤١) اللائحة ملحقة بمذكرة تحدد بالتفصيل مهام بعثات الجامعة في الخارج لعام ١٩٨٤. وكانت مذكرة ١٩٨٣ قد طلبت تقريرين فصليّين آخرين!.

افتراضات اساسية

ترتكز التوصيات التالية على البحث والتقويم السابقين للجهد الاعلامي العربي. وهي ترتكز أيضاً على افتراضات معينة يجب أن توضح وتحدد كما سأحاول أن أفعل الآن.

١ ـ التوصيات مبنيّة على الواقع الحالي في الوطن العربي وأمريكا الشمالية. وسيجري التركيز على ما هو واقعي وممكن. وليس على الحلول المثالية التي لا يمكن تحقيقها.

٢ ـ الاعلام ليس غاية بحد ذاته بل أداة لطرح سياسات معينة. وتكون قوته بقوة الرسالة المقترحة (وليس أقوى منها بالتأكيد) أو بقوة صاحب الرسالة أو المصدر الأصلي الذي يتحدث عنه الاعلام. علاوة على ذلك، فالإعلام هو أداة واحدة أو سلاح واحد فقط من عدة أسلحة ممكنة يستطيع استعمالها صانعو السياسة. وصانعو السياسة العربية يجب أن لا ينتظروا من الحملات الاعلامية أن تكسب لهم معارك عسكرية أو اقتصادية.

٣ ـ إذا لم يكن للعرب أهداف واضحة ومحددة يعملون لتحقيقها بوضوح، فلن تنجح حتى أفضل الجهود الاعلامية وأكثرها تمويلاً.

٤ ـ يتعلق ضعف الجهد الاعلامي العربي خارج الوطن العربي إلى حد بعيد بضعف ذلك الجهد داخل الوطن العربي نفسه.

٥ ـ لا تشكل الجامعة العربية أداة أو وكالة مثالية لأغراض نشر الاعلام، والعائق الرئيسي هو أن الجامعة تجمّع لدول ذات سيادة، لكل منها نظرتها الخاصة والمحددة الى «المصلحة القومية». وفي حين أن هناك في بعض الأحيان تلاقياً في المفاهيم ووجهات النظر لبعض الدول الأعضاء، ليست هناك ضمانة لهيمنة ماهية المصلحة نفسها. يضاف الى ذلك أنه ليست هناك آلية تنفيذية تجعل الدول الأعضاء تتبع التوجيهات، ناهيك عن القرارات، الصادرة عن الجامعة ككل ـ حتى عندما تكون هذه الدول الأعضاء قد وافقت على هذه التوجيهات أو القرارات ـ وبالتالي فإنه حين لا يوجد إجماع أو حتى اتفاق عام موسع على قضايا السياسة الخارجية الرئيسية... الوضع الذي كان سائداً لمعظم الفترة التي أعقبت تأسيس الجامعة... يصبح الجهد الاعلامي مشلولاً، أو في أفضل الأحوال عديم الفعالية.

٦ ـ ان جميع الأقطار العربية، كجميع الدول ذات السيادة، يمكنها بل ينبغي لها أن تزاول الدعاية لتعرض مواقفها الرسمية. ولكن الاعلام يختلف عن الدعاية وينتشر بصورة افضل عن طريق الوكالات غير الرسمية. وبالتالي، يحتمل أن يخلق تأسيس وكالة أنباء

عربية، كما اقترح البعض ذلك[٤٢]، مشاكل مصداقية خطيرة داخل الوطن العربي وخارجه معاً، وخصوصاً في اوروبا وأمريكا الشمالية. ومن الممكن أن تواجه وكالة تقتصر على نقل «وجهة النظر العربية» أو على نشر الدعاية العربية، مشاكل مشابهة، مع أنها ستكون أقل خطورة[٤٣].

٧ ـ على الرغم من الخلافات والانقسامات داخل الوطن العربي، فإن الاستراتيجية المشتركة ممكنة التحقيق، ومرغوب بها وضرورية. وينبغي أن تركز استراتيجية كهذه على الأهداف الشاملة والتطلعات المشتركة، ويجب أن تطلع العالم، ومن ضمنه الغرب، على التراث الثقافي، ومساهمات وانجازات العرب والاسلام.

٨ ـ لكي تكون البرامج الاعلامية العربية فعّالة، يجب أن تعد على أساس طويل الأجل، وأن يكون تمويلها مضموناً، بهدف تجنب الانقطاع والفوضى.

٩ ـ كان الجهد الاعلامي العربي يركز بصورة رئيسية على مسألة فلسطين. وبعد قيام منظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف بها ممثلاً شرعياً وحيداً للفلسطينيين، ينبغي أن يكون لمنظمة التحرير الفلسطينية المسؤولية الأولى للاعلام عن قضية فلسطين.

استنتاجات وتوصيات

بناء على الافتراضات أعلاه، يوصى بالتالي:

١ ـ أن يركز الجهد الاعلامي للجامعة العربية بصورة رئيسية على الانجازات العربية الثقافية والعلمية والتربوية، وعلى نقل الأنباء عن مثل هذه الانجازات الى العالم الخارجي. وفي المجالات الأخرى، وخصوصاً القضايا السياسية، ينتظر من مكاتب الجامعة أن تعرض الآراء المتفق عليها، والمقبولة من جميع الأعضاء. وفي العمل على تحقيق هذا البرنامج، يجب أن تشمل جهود الجامعة:

أ ـ تأسيس مراكز ثقافية عربية على غرار المجلس البريطاني (British Council) أو

---

(٤٢) انظر: **اللجنة الدائمة للاعلام العربي، ١١ ـ ١٣ أكتوبر، ١٩٨٤**، ص ٦٧ (ثلثا هذه الوثيقة تقريباً كرّسا لعرض هذا الاقتراح).

(٤٣) يوصي زامل بذلك ويوضح أن هذا الاقتراح كان قد قُدّم من قبل الجماهيرية الليبية في شباط/فبراير ١٩٦٩.

Zamil, «The Effectiveness and Credibility of Arab Propaganda in the United States,» p. 263.

وهناك اقتراح مماثل ملحق بالمشروع (أ) أعلاه، انظر: **دراسات وبرامج حول العمل العربي المشترك على الساحة الأمريكية**.

معهد غوته. ويجب أن تكون هذه المراكز مجهزة جيداً بالموظفين الاكفاء الذين يجري اختيارهم على أساس نظام استحقاق، وليس بتسمية الدول الأعضاء. ويجب أن تُزوّد هذه المراكز بالمكتبات المناسبة المجهّزة بالكتب والصحف والدوريات التي تهتم بالوطن العربي وتركز على المجال الثقافي ـ العلمي ـ التربوي. ويجب أن تجهز بمختارات واسعة من المواد السمعية ـ البصرية أيضاً، ويشمل ذلك السلايدات (الشرائح، الصور)، والملصقات والأفلام وأشرطة الفيديو... الخ. وتستخدم المراكز كمكتبات للأبحاث ومؤسسات للإعارة معاً بهدف توسيع تأثيرها والوصول الى أمكنة خارج المدن الرئيسية.

ب ـ يجب أن تُدخل هذه المراكز الثقافية العربية في موازناتها خططاً لتلبية طلبات المحاضرين والأفلام والمعارض والمؤتمرات. وينبغي أن تكون أيضاً في موقع يخوّلها المبادرة بمثل هذه النشاطات حول مواضيع خاصة مختارة سلفاً. على سبيل المثال، قد تشمل هذه النشاطات مؤتمرات «الحوار» التي تجمع بين رجال الأدب العرب والأمريكيين المتخصصين في مجال معين، مثل «وسائل الاتصال العربية ـ الغربية» أو تستطيع التركيز على جبران خليل جبران كعربي وأمريكي مثلاً.

ج ـ يجب أن تقوم المراكز بتنظيم وتسهيل تبادل الزيارات للشخصيات البارزة في الفن والأدب والصحافة والقانون... الخ، من الوطن العربي وإليه. ولا تكون هذه «الزيارات» لأغراض الاستجمام كلياً أو بصورة رئيسية، بل لتحقيق تفهّم أفضل نوعاً ما للعرب في أمريكا الشمالية.

د ـ إضافة الى تبادل الزيارات القصيرة، يمكن للبعثات والزمالات الدراسية أن تتيح لبعض الأشخاص المختارين أن يمضوا فترات أطول من الزمن لإجراء أبحاث وأعمال مشتركة مع المجموعة المضيفة.

٢ ـ نظراً لكون جميع البلدان العربية تقريباً على علاقات واسعة مع القوى الكبرى، خصوصاً الولايات المتحدة، وأوروبا الغربية والاتحاد السوفياتي، فمن البديهي أن تؤسس عدة مراكز أبحاث ودراسات تركّز على تلك المناطق والبلدان. وقد يكون من المستحسن إنشاء أحد هذه المراكز في الجامعة العربية أو كوكالة للجامعة العربية، ولكن في موقع آخر، خصوصاً إذا ما كانت تسهيلات الأبحاث والاتصالات تقتضي ذلك. ومن الصعب حقاً أن تستطيع البلدان العربية أن تعدّ سياسة رشيدة طويلة الأجل في مواجهة هذه القوى الكبرى دون أن تتوافر لدى صانعي سياساتها الأبحاث والمعلومات المناسبة. وتقوم هذه المراكز أيضاً بدراسات واسعة في مجال السياسة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، مع التركيز الخاص على الرئاسة، والكونغرس، وصفوة رجال السياسة، ووسائل الاعلام، والرأي العام، والجالية العربية ـ الأمريكية. ويجب أن تقيم أيضاً مصارف للبيانات (Data Banks) التي توفر معلومات يسهل الحصول عليها لفائدة الباحثين وصانعي السياسة.

٣ ـ هناك ضرورة لتأسيس مؤسسة أبحاث عربية، على غرار مؤسسة فورد، على أن يكون التركيز الرئيسي لجميع نشاطاتها على الدراسات والأبحاث عن العرب، والوطن العربي والعلاقات العربية ـ الغربية[٤٤]. وينبغي أن يكون واضحاً أن هذه المؤسسة لن تكون أداة دعاية ولا وكالة لنشر معلومات يومية عن الوطن العربي. وتقام هذه المؤسسة في أمريكا الشمالية لترعى وتشجع وتدعم الأبحاث الثقافية والنشر من قبل الأفراد، والمجموعات والمؤسسات والجامعات، وستكوّن نتيجة ذلك معلومات أفضل وأكثر دقة عن الوطن العربي مما سيساعد في تبديد الانطباع السلبي والمعلومات الخاطئة الموجودة حالياً في الغرب. ولا سيما في أمريكا الشمالية. وينبغي أن تقام هذه المؤسسة كهيئة مستقلة تديرها لجنة أمريكية من المدراء تتشكل من المثقفين والعلماء والكتّاب البارزين المهتمين بالوطن العربي والملتزمين بكتابات أفضل وأكثر موضوعية عن العرب وتاريخهم وثقافتهم وسياساتهم.

وتستطيع مؤسسة كهذه أن تشجع أيضاً كتابات أفضل عن الوطن العربي بتقديمها جوائز عن الأعمال الممتازة وتكريمها كبار المساهمين من أجل تفاهم أفضل بين العرب والأمريكيين. وتستطيع أيضاً أن تمول و/أو تدعم انتاج الأفلام وصنع المواد السمعية ـ البصرية عن الوطن العربي.

وبما أن المؤسسة ستهتم أيضاً بالعلاقات العربية ـ الأمريكية، فينبغي أن تشجع الدراسات الموسعة والطويلة الأجل المتعلقة بالرأي العام الأمريكي والمواقف الأمريكية العامة تجاه العرب كما تنعكس في الكتب الدراسية والأفلام السينمائية والتلفزيون. . . إلخ.

ويتوجب أن يعمل كل من مراكز دراسات القوى الكبرى ومؤسسة الأبحاث العربية بعيداً عن الضغوط الحكومية المكشوفة أو المتطرفة لكي يؤدي كل منهما عمله بصورة صحيحة ويأتي بنتائج جيدة. ويجب أن تساهم الحكومات العربية والأفراد العرب الذين يتبرعون لأعمال الخير في تأسيسهما كاستثمار من أجل مستقبل أفضل.

٤ ـ ما أن يفهم ان الاعلام والدعاية ليسا صنوين، حتى يصبح من الواضح أن التقارير عن العرب لا تحتاج، ولا ينبغي لها في الحقيقة، أن تكون جميعها ايجابية، دون ذكر أية مشاكل أو شوائب. وينبغي أن يكون التركيز على تقديم العرب في مجموع أحوالهم، أي ما هو جيد وما هو بحاجة الى التغيير. وليس معنى هذا أن هناك ضرورة للإشارة الى الأخطاء والمآخذ طيلة الوقت. بيد أن معناه أن التقارير الايجابية عموماً التي تشير الى بعض الأخطاء أو المآخذ لا يجب أن تكون مقبولة وحسب، بل يجب أن تشجع لأنها على الأقل تحمل، من

(٤٤) قُدّم اقتراح مماثل قبل حوالى ١٥ عاماً مضى. انظر: Michael W. Suleiman, «The Repatriation of Arab Elites,» *Middle East Forum,* vol. 47, nos.3 and 4 (Autumn and Winter 1971), pp. 71-81.

المصداقيّة قدراً أكبر بكثير من الجهود التي تهدف الى صبغ جميع النشاطات العربية باللون الأبيض.

كذلك فإن تقديم نظرة ايجابية عن إنجازات العرب وأهدافهم يكون فعالاً أكثر بكثير من الامعان في تقديم نظرة سلبية عن العدو ونشاطاته. بمعنى آخر، **يجب أن يكون التركيز على العرب**، وليس على أعدائهم. كذلك فإن الجماهير تريد أن تعرف ما على العرب أن يقدموا في هذا السياق من **حلول**، وليس مجرد ما يقولونه لتفنيد ما يفعله أو يقوله الصهاينة/الاسرائيليون. نذكر في هذا الصدد أن الجهود التجريبية الأخيرة التي قامت بها الجامعة العربية لتحديد أهداف ايجابية، هي جهود جديرة بالثناء وينبغي أن تشجع وتجعل أكثر وضوحاً وإحكاماً. وينبغي أن تشكل هذه المبادىء، وقد أدرج بعضها أدناه، منطلقاً لجميع الجهود الاعلامية.

٥ ـ من المبادىء الثابتة التي يجدر أن تتبناها أجهزة الاعلام العربي في الخارج:

أ ـ فلسطين هي المحور الأساسي لمشكلة الشرق الأوسط، ولا يمكن تحقيق سلام شرق أوسطي دون إيجاد حل لها. ومن الضروري أن يكون هناك تقبل عام للحقوق الفلسطينية في تقرير المصير والوطن وفي أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين.

ب ـ يريد العرب السلام، لكن اسرائيل تفرض استمرار الصراع والحرب برفضها الانسحاب من الأراضي المحتلة، وحؤولها دون آمال الفلسطينيين ورغباتهم. وقد أكد العرب في الآونة الأخيرة رغبتهم في السلام، عبر مشروع فاس (قمة فاس في المغرب).

ج ـ جهود العرب للتنمية الاجتماعية والاقتصادية هي جزء من مبادرة السلام العربية.

د ـ قدمت الحضارة العربية مساهمات أساسية للحضارة العالمية والانسانية. ويحتاج هذا الأمر أن يكون معروفاً بشكل أفضل.

هـ ـ السلام يتحقق عبر الحوار البنّاء والاعلام الصادق[٤٥].

هذه المبادىء العامة يجب أن تشكل الإطار والخطوط العامة لجميع المشاريع المحددة التي تقدم أو الحملات الإعلامية التي تنفذ. وهي تشكل أيضاً النقاط الرئيسية التي ينبغي نقلها إلى الجمهور أيّاً كان موضوع البحث. ويجب أن يركز هذا البحث على النقاط الأساسية بدلاً من التركيز على التفاصيل التي تُنسى بسهولة، أو على المشاريع أو التحركات الإسرائيلية المضادة، التي تعزّز عن غير عمد بهذه الطريقة.

---

(٤٥) اللجنة الدائمة للاعلام العربي، ١١ ـ ١٣ أكتوبر، ١٩٨٤، ص ٣.

٥ ـ بالنسبة للجمهور المستهدف، فإن الدلائل تشير إلى أن القادة هم الذين يتخذون القرارات في قضايا السياسة الخارجية، حتى في الديمقراطيات كالولايات المتحدة أو كندا، وتتبع هذه القرارات فيها بعد بموافقة الجمهور. لذلك، يجب أن يكون التركيز على المؤثرين سياسياً. وهؤلاء، ضمن الحكومة، هم: الرئيس وأركانه في البيت الأبيض، ووزارتا الخارجية والدفاع، والكونغرس. أما خارج الحكومة، فهناك وكالات الاعلام الرئيسية، أي شبكات التلفزيون الرئيسية، وخصوصاً CBS وNBC وABC. وجريدة الواشنطن بوست *(Washington Post)* والنيويورك تايمز *(New York Times)* والصحفيين المشتغلين عموماً في الاعلام المتنفذ. إن كل هذا يمارس تأثيراً كبيراً في تشكيل الرأي العام.

أما بالنسبة للجمهور الأمريكي نفسه، فمن المحتمل أن يكون الجهد الاعلامي مثمراً بدرجة أكثر إذا ما ركز على قطاعات معينة من السكان. إذ إن غير البيض عموماً، والسود والأسبان الأمريكيين تحديداً، يحتمل أن يكونوا اكثر تجاوباً. علاوة على ذلك فإن المجموعات الكنيسية الراسخة أظهرت أيضاً اهتماماً أكبر بايجاد حلّ عادل للمسألة الفلسطينية وبأعطاء القضية العربية فرصة للدفاع عن وجهة نظرها بصورة منصفة[٤٦]. وهناك نقابات العمال الأمريكية وكذلك تجمعات المعلمين والمحامين، وهي مؤثرة ويجب مفاتحتها والتقرب منها. وبين المجموعات الحرة، هناك نوادي العلاقات العامة والخدمات، وكذلك هناك منظمات مثل غرفة التجارة، والروتاري وكيوانيس (Kiwanis)، ومجموعات مختلفة للشؤون الخارجية، وهي عناصر مهمة في قولبة السياسة.

إضافة الى ذلك، فإن الجالية العربية ـ الأمريكية يجب أن تكون أحد الأهداف الرئيسية. ويحتاج العرب ـ الأمريكيون لمسح أعدادهم وتنسيق نشاطات مجموعاتهم المختلفة، وتعبئة الجالية لخدمة مصالحها الخاصة. ويستطيعون بقيامهم بذلك أيضاً أن يشكلوا تحالفات سياسية مع المجموعات المتفقة معهم في الرأي، وخصوصاً من بين السود والاسبان الأمريكيين. وبالطبع ستكون عمليات المسح المنتظمة والدائمة للرأي العام عاملاً مساعداً الى حد كبير في التعرف الى الحلفاء الممكنين ومناطق المشاكل المحتملة، وكيفية التغلب عليها.

ويستطيع العرب ـ الأمريكيون وحلفاؤهم أن يلعبوا دوراً في محاولة التأثير في السياسة عبر الضغط السياسي. لكن من الضروري أن يكون هناك تنظيم على مستوى أعلى بكثير، وجمع للبيانات مع الدعم المالي. بمعنى آخر، يتطلب الأمر أن ينفذ الضغط بصورة متواصلة ومن قبل اختصاصيين ملتزمين فعلاً بالقضية، مثل العرب الأمريكيين أو المجموعات الصديقة.

---

(٤٦) أنظر: Basheer K. Nijim, ed., *American Church Politics and the Middle East* (Belmont, Mass.: Association of Arab-American University Graduates, 1982).

٦ ـ وكما أشار الأمين العام للجامعة الشاذلي القليبي، فإن الاعلام هو فقط إحدى الوسائل التي تستخدم في دفع المصالح العربية الى الامام. فإضافة الى الاعلام، يشتمل النشاط الدبلوماسي على ضغوط سياسية واقتصادية وعسكرية. إن العرب مهتمون بإيجاد حل سلمي وهم يريدون تجنب الخيار العسكري، إذا كان ذلك ممكناً. لذلك عليهم أن يستخدموا الضغوط الاقتصادية والسياسية بصورة افضل، وهي مشروعة تماماً. وفي الحقيقة أن استخدامها الفعال يمكن أن يغطي الفارق بين النجاح والفشل في كل من المجالين الإعلامي والسياسي، ويمكن أن يقلل فرص الصدام العسكري.

باختصار، كان الجهد الاعلامي العربي خلال السنوات الأربعين الماضية مفتقراً الى الاطلاع على هذا الفرع من المعرفة أو مطلعاً عليه بشكل رديء. وكان يوجه بطريقة عشوائية بعض الشيء بسبب عدم فهم ماهية «الاعلام» أو بسبب قلة الاهتمام، أو بسبب الانقسامات السياسية في الوطن العربي، أو ببساطة بسبب فقدان الارادة، إذ إن من السهل إلقاء اللوم على الآخرين أو على أحداث طارئة.

ولكن برز في الآونة الأخيرة وعي حقيقي بأهمية الاعلام في تحقيق الأهداف السياسية العربية. ومع أن هذه الأهداف لا تزال غير واضحة جيداً، وأنها لا يؤخذ بها بالتساوي من قبل جميع أعضاء الجامعة العربية، فإنه لا يزال ممكناً تحسين الجهد الاعلامي بقدر كبير، كما بيّنا أعلاه. وللقيام بذلك، يحتاج القادة العرب الى التركيز على ما هو مشترك وايجابي والانتفاع منه. كما ويحتاجون أيضاً الى القيام باستثمار مالي كبير وإلى اظهار الثقة بالأفراد والمجموعات الملتزمة بالعمل من أجل مستقبل أفضل للعرب وبلادهم، مع أنها لن تردد بيانات مسؤولي الحكومات بحذافيرها. هذه الأعمال ضرورية حتى تنفذ المشاريع الطويلة الأجل بنجاح. وإلا سيستمر الوضع سيئاً بمعنى استمرار تشويه صورة العرب في الخارج، وتكوين انطباعات سلبية عنهم، وانعدام الصلة بمراكز القوى في أمريكا الشمالية، واستمرار الموقف السياسي الضعيف لجميع البلدان العربية الناجم عن ذلك، وعجزهم عن تحقيق حل عادل ومشرف لقضيتهم رقم ١: المسألة الفلسطينية.

الفصل الحادي عشر

خاتمة: نجاعة إجراء حوار عربي - أمريكي

إن البرهان واضح، إذاً، على أن الآراء الأمريكية عن العرب هي آراء سلبية تماماً، كما أن جذور التغرّض عميقة ومتأصلة. ثمة عوامل عديدة مسؤولة، كما رأينا، عن هذه الحال المؤسفة. وتميل هذه العوامل على العموم الى تعزيز أحدها الآخر، فإذا بالنتيجة هي صورة عامة أسوأ حتى مما يظهر في أجزائها المختلفة. والواقع أن الآراء والتوجهات الأمريكية حيال العرب هي من السوء اليوم كما كانت عليه أبداً، فيما عدا تحسن موقت وطفيف، لكنه ملموس، طرأ في أوائل الثمانينات (خلال الغزو الاسرائيلي للبنان)[1]، وهذا على الرغم من المجهود المكثف الذي تقوم به الجالية الأمريكية من أصل عربي. ليس غريباً والحال هذه ألا يصدر أي احتجاج في الولايات المتحدة ضد إدارة ريغان عن تهجماتها الكلامية والمادية معاً ضد العرب عموماً وليبيا خصوصاً[2]. كما أن التوتر المتصاعد والعنف الكلامي المتزايد ضد الارهابيين «العرب» خلق مناخاً أقل ما يقال فيه أنه متسامح مع الارهاب الموجه ضد الأمريكيين من أصل عربي. لذا فبينما دين مقتل ليون كلينغوفر على الباخرة «أكيلي لورو» مراراً وتكراراً وبصورة متوترة باعتباره جريمة نكراء، لم ينشر إلاّ القليل جداً، بل لم يسمع إلاّ أقل من ذلك من الادانة، عن مقتل ألكس عودة الذي تلاه في كاليفورنيا[3]. والأنكى من ذلك وعلى الرغم من البراهين المتكررة التي لا تدحض عن ذيوع القوالب الذهنية السلبية

---

(١) Roger Morris, «Beirut and the Press under Siege,» *Columbia Journalism Review* (November-December 1982), pp. 23-33.

(٢) من الاستثناءات القليلة انظر: Claudia Wright, *The Politics of Liquidation: The Reagan Administration Policy toward the Arabs* (Belmont, Mad.: Association of Arab-American University Graduates, 1986).

(٣) كان هذا الوضع من مصادر المرارة بين الأمريكيين من اصل عربي، وقد انعكس ذلك في شتى المنشورات الصادرة عن الجمعيات العربية ـ الأمريكية.

عن العرب، في الولايات المتحدة نجد أن أغلب الأمريكيين، وبينهم أغلبية النخبة المثقفة، ليسوا على علم بالمعضلة القائمة وغالباً ما ينكرون وجودها[٤]، الأمر الذي يجعل من الصعب جداً، إن لم نقل من المستحيل، العثور على حل.

ثمة سؤال يطرح نفسه هنا: هل أن الحل ممكن؟ من نافلة القول ان الحل، أي حل، يستلزم مواجهة الأسباب الحقيقية. إن عدداً من النشطين في مقاومة الصورة العربية السلبية في أمريكا قد ركزوا جهودهم على العمل في اللوبي السياسي، وخصوصاً ضد المجموعات الصهيونية/الاسرائيلية القوية وأجهزة دعاياتها. لذا تصبح وسائل الاعلام الهدف الرئيسي لحملة تستند معطياتها المركزية الى أن الجمهور الأمريكي تحجب عنه المعلومات في صورة منتظمة ومتعمدة أو يضلل في شأن العرب والمسلمين والفلسطينيين. . . الخ، وهذا بدرجة أساسية، إن لم نقل كلية، من جراء النفوذ الصهيوني الجامح في الصحافة والاذاعات. ويتمم هذا التحليل الافتراض الآخر بأن المسؤولين وأهل الصحافة والجمهور عموماً يُكرهون على مسايرة هذه الحال الكريهة وغير المرغوب فيها والتي، ما ان تتضح الحقيقة ويكون الأمريكيون أحراراً في قبولها صراحةً، حتى يسارع أولئك المذكورين الى قبولها كذلك على الرحب والسعة.

لا ريب أن اللوبي الصهيوني قوي وناجح جداً في تبيان وجهة نظره فضلاً عن حصوله على كثير من التأييد من وسائل الاعلام وصناع القرار على السواء. ولكنْ، وكما أظهرت بحوثنا الآنفة، يعود قسم غير قليل من نجاح الجهود الصهيونية/الاسرائيلية في حقل الاعلام الى أن الجمهور مهيأ الذهن سلفاً لعدم قبول وجهة النظر العربية، والى أن عدداً من المسؤولين الحكوميين يرون، حقاً أو باطلاً، في الحركة الصهيونية ودولة اسرائيل ما يعول عليه في خدمة المصالح الأمريكية في المنطقة. لذا فإن الحملة العربية المضادة لا يقدر لها، والحال هذه، أن تصادف نجاحاً كبيراً إذا استهدفت مجرد وسائل الاعلام واللوبي الصهيوني. إن مثل هذا المجهود مطلوب بالتأكيد ولكنه يجب أن يكون جزءاً من استراتيجية عامة ترسم وتخطط ما هو ناجع و/أو فعال وما هو ليس كذلك.

«إن القوالب الذهنية يجب ألا ينظر اليها كأشياء تتسبب بنفسها بل كأعراض لأسباب خارجية أخرى». هذه هي النتيجة التي توصل اليها كل من وليام بوخانن وهادلي كانتريل في دراستهما الرائدة المعنونة «كيف ترى الأمم احداها الأخرى». بالتالي يترتب على هذه النتيجة أنه «إذا كان الأمريكيون ينظرون الى العرب نظرة سلبية فذلك لأنهم يشعرون أن هؤلاء الناس (أي العرب)

---

(٤) هذا الافتقار الى الوعي هو بحد ذاته دلالة على مدى الجهل أو العمى في شأن القضايا الرئيسية، وخصوصاً في علاقتها بالعرب والمسلمين. إن عدم الوعي بالتشويه والتحيّز هو أحد النتائج التي توصلت اليها «لجنة الصور» المشار اليها سابقاً، وقد انعكست في تقاريرها المختلفة.

يهددوننا، وقد قاتلوا ضدنا . . . ونحن لا نفهم ما يقولونه، لذا فهم لابد أن يكونوا قساة، مغرورين، متجبرين . . . الخ»[٥].

ما هو، إذاً، في العرب والعروبة الذي يجعل منهما تهديداً للولايات المتحدة؟ وهل من الممكن إزالة مثل هذه الأحوال التهديدية وتحقيق تحسن في العلاقات والتصورات؟ إن العرب كما ذكر سابقاً (أو على الأقل أكثرهم) هم جزء من جماعة أكبر، ونعني المسلمين. كذلك فإن الأمريكيين (أو على الأقل أكثرهم) هم جزء من جماعة أكبر، ونعني المسيحيين والغربيين. وكانت هناك، لفترة تزيد على ألف سنة، اتصالات (ودية أحياناً وغير ودية أحياناً أخرى) بين الجماعتين، أي بين العرب/المسلمين وبين الأمريكيين/المسيحيين/الغربيين. هذه المواجهات القديمة تؤثر في الجماعتين اليوم على أساس نوع العلاقة (ودية أو خلاف ذلك) بينهما. وعلى حد قول بوخانن وكونتريل: «إن المادة الخام التي تتكون منها القوالب الذهنية تنتقل من جيل الى جيل وقد يستوعبها الطفل قبل أن يعي معنى كلمة، أمة، أو شعب، ولكن طريقة مزج هذه المواد لكي تنتج في أي لحظة صورة سارة أو غير سارة ستختلف فيما يبدو باختلاف حال العلاقات السائدة بين حكومات الشعبين»[٦].

لذا فالقوالب الذهنية مرنة ـ أو أنها أكثر مرونة مما يظن عامةً. يصح هذا كذلك في شأن الآراء والتوجهات الأمريكية نحو العرب والمسلمين. ويتضح من البيانات المستخلصة من استطلاعات الرأي العام، وكذلك من الدراسات التحليلية لمضامينها، أنه إذ نجد المواقف الأمريكية إزاء العرب والمسلمين سلبية على العموم فإنها كذلك، وبوضوح، أكثر سلبيةً وأكثر عداءً بالتأكيد حيال عرب معينين وجماعات بعينها من المسلمين[٧]. ينعكس هذا أيضاً في تصريحات المسؤولين الأمريكيين الذين يفرقون بين العرب والمسلمين المعتدلين (أي الجيدين) من جهة، وبين العرب والمسلمين الراديكاليين (أي السيئين) من جهة أخرى. وقد نظر الأمريكيون على العموم، خلال هذا القرن وخصوصاً منذ الحرب العالمية الثانية، الى الأنظمة العربية الراديكالية أو الثورية على أنها حركات معادية أو مناهضة للمصالح الأمريكية. وتتضح توجهات سلبية مشابهة نحو القومية العربية الوحدوية والحركة الوطنية الفلسطينية والجماعات الاسلامية الراديكالية. من جهة أخرى فإن القومية المحلية أو القطرية في بلدان عربية معينة ومؤسسة الاسلام والفلسطينيين المستعدين لقبول تسوية لاتشمل دولة ذات سيادة يعتبرون غير تهديديين وبالتالي ينظر اليهم ايجابياً[٨]. بيد أن القوالب الذهنية تكون في

---

(٥) William Buchanan and Hadley Cantril, *How Nations See Each Other: A Study in Public Opinion* (Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1953), pp. 57 and 58.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٧) انظر: Richard H. Curtiss, *A Changing Image: American Perceptions of the Arab-Israeli Dispute,* 2nd. ed. (Washington, D.C.: American Educational Trust, 1986), and Shelley Slade, «The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes,» *Middle East Journal,* vol. 35, no. 2 (Spring 1981), pp. 143-162.

(٨) انظر: Wright, *The Politics of Liquidation: The Reagan Administration Policy toward the* =

بعض الأحيان في درجة من القوة بحيث يعجز صناع القرار عن رؤية تغيير حقيقي في الوضع. كانت تلك هي الحال مثلاً حين خلف السادات عبد الناصر رئيساً لمصر وبدأ يلوّح للولايات المتحدة بأنه يريد تغيير اتجاه بلاده وشعبها من القومية العربية الى الوطنية المصرية. ولم تدرك الولايات المتحدة معنى هذا إلّا بعد حرب عام ١٩٧٣ فبدأت تنظر الى مصر السادات كحليف ممكن وبالتالي تنظر اليها والى شعبها نظرة الرضا والتحبيذ.

إن العلاقات الأمريكية ـ العربية، كما رأينا، متعددة الوجوه ومعقدة بعوامل تتعلق بالمصالح القومية المتصورة والخلافات الثقافية/الدينية والتركة التاريخية التي كانت أحياناً خصامية. كما أنها علاقات تتعقد بشكل أكثر خطورة لأن العرب غير متحدين في دولة واحدة ولأنهم كمسلمين (وأغلب الأمريكيين يظنون أن الكلمتين مترادفتان)، يعانون من دعاية سيئة كلماحدث نزاع بين الولايات المتحدة وأي قطر اسلامي. من جهة أخرى فإن الصورة الايجابية عن بعض الأقطار العربية أو الاسلامية لا تنتقل أوتوماتيكياً الى «العرب» إما لأنها ليست ايجابية بما يكفي وإما/أو لأن الصورة الايجابية مقتصرة على زعيم أو قطر صديق لأمريكا. لذا فإن الصورة الايجابية جداً عن أنور السادات، وخصوصاً بعد زيارته للقدس والمعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية واتفاقيات كامب ديفيد شهدت بعض التغيير (وإن لم يكن كما ينبغي) نحو الأحسن بنظر أمريكا تجاه مصر والمصريين. على أن الآراء الأمريكية عن العرب ظلت أساساً كما هي، خصوصاً لأن معظم العرب اختلفوا مع، وغالباً ما دانوا، السياسات والنشاطات بالذات التي جعلت للسادات اسماً شعبياً رائجاً جداً في الولايات المتحدة والغرب على العموم[٩].

ما الذي يمكن عمله لعكس المواجهة بين العرب والولايات المتحدة؟ هل أن الحوار العربي ـ الأمريكي (أو العربي ـ الغربي) ممكن، فإذا جرت محاولته هل سيكون مجدياً؟ لا يكون الحوار المعقول والمثمر ممكناً إلّا بين طرفين متكافئين، أي أن ينظر طرفا الحوار أحدهما الى الآخر على أنه كفء له، أو على الأقل ليس غير كفء بشكل بالغ. كما ينبغي أن تكون لهما مصالح متبادلة أو مشتركة. بعبارة أخرى انهما بحاجة الى علاقة الند للند التكافلية ويكون أحدهما معتمداً على الآخر فيها اعتماداً تبادلياً. أما العلاقة الطفيلية التي يمتص فيها أحد الطرفين الطرف الآخر فليس من شأنها أن تغري بإجراء حوار صحيح.

ومع أن من الممكن تشخيص عدد من المصالح المتبادلة أو المشتركة بين العرب

Arabs, p. 1, and James A. Bill, «Resurgent Islam,» *Foreign Affairs*, vol. 63, no. 1 (Fall 1984), = pp. 108-127.

(٩) Shanto Iyengar and Michael W. Suleiman, «Trends in Public Support for Egypt and Israel, 1956-1978,» *American Politics Quarterly*, vol. 8, no. 1 (January 1980), pp. 34-60, and Doreen Kays, *Frogs and Scorpions: Egypt, Sadat and the Media* (London: Frederick Muller, 1984).

على الرغم من ان (Kays) يحاول تضخيم زيادة الشعبية العربية نتيجة لنشاطات السادات.

والولايات المتحدة فإن المعضلة التي نواجهها هنا هي أن العرب ليسوا وحدة واحدة وهم بالتأكيد لا يتكلمون بصوت واحد؛ كما لا تسعى الاجزاء المختلفة الى تحقيق أهداف متشابهة، ناهيك عن الهدف الواحد. ولو كان العرب متحدين كلياً أو لو كان لديهم قليل من وحدة الغرض على الأقل، لكان الحوار مع الولايات المتحدة ممكناً عندئذٍ. كانت هذه هي الحال، مثلاً، حين كان عبد الناصر في ذروة شعبيته وقوته بصفته الزعيم المعترف به للقومية العربية في الخمسينات. في ذلك الوقت بدأت الولايات المتحدة تتطلع الى وسائل لإجراء حوار مع دعاة القومية العربية، ولو أن المحاولة قد فشلت في النهاية أو أحبطت[١٠]. كذلك سعت ادارة كارتر في السبعينات الى إجراء حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية حين كانت المنظمة في ذروة شعبيتها وقوتها وسمعتها[١١].

فالحوار ممكن، إذاً، حتى بين الأعداء. إن أي حوار يمكن أن يكون أكثر احتمالاً في نجاحه إذا كان للطرفين تراث مشترك أو قيم متشابهة. وإلا، وإذا كان أحد الطرفين لا يحترم الآخر أو يتعالى على شعبه باعتباره أدنى منزلة، فإن المباحثات تجري عندئذٍ بتردد كبير، وينظر الى الأمر كله على أنه شر لا بد منه في أفضل الأحوال، فيتم التخلي عنه عند ظهور بديل آخر. كان هذا مصير المحاولتين للحوار مع عبد الناصر ومع منظمة التحرير الفلسطينية. وفي كلتا الحالتين كان من شأن ضعف الجانب العربي أن يجنّب الولايات المتحدة الحاجة لاجراء حوار صحيح مع العرب وإقامة علاقة وثيقة معهم. فضلاً عن أن نفور الرئيس الأمريكي الراحل ليندون جونسون الشخصي من عبد الناصر وافتقاره إلى تفهّم العرب والتعاطف معهم قلل من فرص الحوار الى حد كبير. ويصح هذا، بل حتى بدرجة أشد، في حالة الرئيس ريغان وموقف إدارته من منظمة التحرير الفلسطينية ومن العرب عموماً[١٢].

إن أقطار الوطن العربي هي، على انفراد، أي قطراً قطراً، أضعف حيال الولايات المتحدة من أن تتمكن من إجراء حوار صحيح معها، وهي في الغالب كثيرة الاعتماد عليها أيضاً، وهذا في الوقت الذي ليس لدى هذه الأقطار من تأييد الجماعات القوية داخل الولايات المتحدة ما يزودها بحرية تصرف إضافية. وبالنتيجة تجد حتى الأقطار العربية الصديقة للولايات المتحدة صعوبة كبيرة في الحصول على العون الاقتصادي أو العسكري الذي تحتاجه. أما الحوار العربي - الأوروبي، وبالضبط لأن الأقطار الاوروبية الغربية ليست

---

(١٠) Henry William Brands (Jr.), «What Eisenhower and Dulles Saw in Nasser: Personalities and Interests in U.S.-Egyptian Relations,» *American-Arab Affairs,* no. 17 (Summer 1986), pp. 44-54, and Malcolm Kerr, «Coming to Terms with Nasser: Attempts and Failures,» *International Affairs,* vol. 43, no. 1 (January 1967), pp. 65-84.

(١١) Jimmy Carter, *Keeping Faith: Memoirs of a President* (New York: Bantam Books, 1983).

(١٢) Donald Neff, «Libya and the United States,» *American-Arab Affairs,* no. 17 (Summer 1986), pp. 1-10.

من الدول العظمى كالولايات المتحدة؛ ولأنها أكثر اعتماداً على المصادر العربية الاقتصادية ومن ضمنها مصادر الطاقة؛ ولأن الصور التي في أذهانهم عن العرب/المسلمين هي أحياناً أقل سلبيةً منها في الولايات المتحدة؛ ولأن الضغوط والمشاعر المناصرة لاسرائيل فيها هي ليست بقوتها نفسها في أمريكا، فإن لذلك الحوار، أي العربي - الاوروبي، فرصة أفضل في النجاح. ولكنْ هنا أيضاً يكون للتوجه العربي الموحد فرصة أفضل في النجاح.

إن النشر السيىء في الصحف، والقوالب الذهنية السلبية، واللوبي الصهيوني وغيره من مجموعات الضغط، تساهم كلها في احباط نشوء علاقة طيبة بين العرب والأمريكيين. على أن هذه كلها هي في نهاية الأمر عوامل مساعدة ثانوية. إن أهم معيار هو هل أن الطرفين ينظر أحدهما الى الآخر نظرة ودية أم تهديدية؟ في الماضي كانت القضايا العربية الصرف، أي التي تهم الوطن العربي ككل، (مثل القومية العربية، مناهضة الاستعمار، مسألة فلسطين والحركة الوطنية الفلسطينية) هي التي تسبب النزاع بين العرب والولايات المتحدة. ومع عدم وجود أي شيء ينطوي على مناهضة أمريكا في أي قضية من هذه القضايا، فإن العوامل الأخرى المذكورة آنفاً يحتمل أن تتدخل فتجعلها هي أو غيرها من القضايا مصدراً رئيسياً من مصادر النزاع بين العرب والأمريكيين. والأهم من ذلك، وطالما ظل النزاع العربي - الاسرائيلي ومسألة فلسطين من دون حل، فإن القوى الصهيونية ستستخدم جميع المصادر التي تحت تصرفها (وبينها حملات الاعلام السلبية ضد العرب والضغوط السياسية على المسؤولين الحكوميين) لكي تجعل الولايات المتحدة تقبل وتتبنى وتنفذ وجهة نظر قائمة على نظرية «المصلحة القومية» والتي تعتبر من التهديدات الخطيرة أي طرف أو جماعة أو حكومة أو حركة عربية يُظن أنها تكوّن تهديداً لاسرائيل. كان الصهاينة حتى الآن ناجحين في هذا كل النجاح حقاً، بل لم يبلغوا مثل هذا النجاح قط إلّا في السنين الأخيرة منذ تولي الرئيس ريغان السلطة. وإذ كان للاستعداد العاطفي المسبق والنزوع الفكري والتكوين النفسي لدى الرئيس ريغان ولدى وزيري خارجيته علاقة كبيرة بهذا التطور فإن هؤلاء المسؤولين كانوا سينظرون بالتأكيد في البحث عن بدائل أخرى لو كان العرب أكثر اتحاداً ولو تمكنوا من تقديم موقف قوي ومؤكد عن القضايا الرئيسية.

فما الذي يمكن عمله في مثل هذه الظروف لتحسين العلاقات العربية - الامريكية فضلاً عن التصورات المتبادلة؟ من الواضح أن الجواب بالنسبة الى الذين يرون أن الصدام بين العرب وبين الأمريكيين هو صدام حتمي ويستعصي على التوفيق، وهؤلاء موجودون في كلا طرفي النزاع، وبالنسبة للصهاينة والاسرائيليين الذين يحبذون هذا الصدام لأغراضهم الخاصة، من الواضح أن جوابهم جميعاً هو أنه لا يمكن أو لا ينبغي القيام بأي عمل لتحسين الوضع.

ولكن، إذا كان كلا الطرفين راغباً في علاقة ودية وتعاونية، فيمكن عندئذٍ السعي الى

ايجاد ما يرضي الطرفين عن طريق الحوار. وللتحضير لهذا يمكن لكل من الطرفين أن يناقش أو يستعرض الوضع ليبين أن بلوغ هدفه (أو أهدافه) لا يعني بالضرورة عدم تحقيق الطرف الآخر لهدفه (أو أهدافه)[13]. بعبارة أخرى، إن هذا ليس لعبة للمقامرة على كل شيء أو لا شيء. والواقع أن من الممكن القول بالتأكيد أن البقاء من دون حل هو أخطر وأبهظ ثمناً بالنسبة الى جميع الأطراف من تسوية متفاوض عليها[14]. ولسوء الحظ واجه كلا الطرفين صعوبة كبيرة للوصول الى هذه المرحلة، وذلك الى حدٍ ما، بسبب العوامل المتعددة المبحوثة آنفاً. وعلى أي حال فإن أي حوار يقتضي وجود شريكين مهتمين وملتزمين فيما يرجى. وقد وجد العرب أن من الصعوبة، والصعوبة البالغة أحياناً، أن يجعلوا الولايات المتحدة تغير من آرائها حول قضايا الشرق الأوسط وشعوبه. ولكي يفعلوا ذلك بنجاح من الضروري أن يبرهنوا للمسؤولين الأمريكيين بطريقة مقنعة بأن المصالح الأمريكية ستُخدم بشكل أفضل إذا اتبع سبيل آخر مختلف في العمل. والتوجه المقترح يجب، على الأقل، أن يطالب بالتوازن في تعامل أمريكا مع العرب والاسرائيليين، مع الاشارة إلى أخطار المماهاة التامة مع اسرائيل والالتزام المكرس لها. ينبغي أن يشار كذلك الى حاجة أمريكا لعلاقة ودية مع الوطن العربي والحاجة الى تحاشي اللجوء الى المواجهة والعنف. كذلك يمكن بل وينبغي أن يحاجج في شكل مقنع أن حلاً عادلاً للمسألة الفلسطينية، يشمل حق تقرير المصير للفلسطينيين، من شأنه أن يحافظ على المصالح الأمريكية وحتى على ترويجها، لا أن يمثل تهديداً لها. إن ما يكوّن المصلحة القومية وكيفية خدمتها، سواءً في الولايات المتحدة أم في غيرها، هي من القضايا التي يجري حولها كثير من النقاش والخلاف في الرأي. بالتالي، فإن ما هو في حاجة الى تغيير، داخل الولايات المتحدة، هو آراء النخبة عن المصلحة القومية في الشرق الأوسط و/أو كيفية دفع هذه المصلحة الى الأمام. وقد جرى بهذه الطريقة، في الأزمنة الحديثة، تغيير السياسات والمواقف المتعلقة بالصين وفيتنام مثلاً.

ولكن الضغوط لتغيير الآراء الأمريكية لا تقتصر مطلقاً على المحيط الداخلي في الولايات المتحدة، كما أظهر كذلك مثالا الصين وفيتنام. وفي حالة العرب. فإن الوحدة بشكلٍ ما، حتى لو اقتصرت على اتفاق على تحديد واضح للقضايا الكبرى التي تواجه الوطن العربي وكيفية السير في خدمة الأهداف العربية المشتركة، ستضطر الولايات المتحدة بالتأكيد الى إعادة تقويم لوضع أمريكا وافتراضاتها عن الشرق الأوسط والوطن العربي على الأخص.

---

(١٣) فعل هذا، عن الجانب الفلسطيني وليد الخالدي في مقاله:

«Thinking the Unthinkable: A Sovereign Palestinian State,» *Foreign Affairs*, vol. 56, no. 4 (July 1978), pp. 695-713.

ومن نافلة القول ان الوحدة بين الفلسطينيين شيء جوهري لأي حوار ناجح مع الولايات المتحدة.

(١٤) Seth P. Tillman, *The United States in the Middle East: Interests and Obstacles* (Bloomington: Indiana University Press, 1982).

بيد أن الوطن العربي في الوقت الحاضر متفرق الشمل وهو بالتالي غير قادر على تقديم شريك صالح وموثوق فيه كطرفٍ في حوار. وحتى يقوم العرب بإصلاح ذات البين فيما بينهم، بل ما لم يقوموا بذلك، فإن جميع المحاولات الأخرى لتحسين الوضع العربي والصورة العربية في الولايات المتحدة ستكون فيما يحتمل أقل من ناجحة نجاحاً ساحقاً.

الفصل الثاني عشر

مراجع مختارة عن وجهات النظر والتقارير الإعلامية الأمريكية عن العرب

١ ـ الانكليزية

Abourezk, James (Senator). *Arabs: The Convenient Scapegoat.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, 1980.

———. «The United States and the Middle East.» (Interview). *Journal of Palestine Studies:* Vol. 4, no. 1, Autumn 1974. pp. 3-9.

———. «Winning America's Ear.» *Middle East International:* No. 67, January 1977. pp. 16-18.

«Abscam Shows the Arabs As Victims of an Ugly Racial Stereotype.» *The Kansas City Times:* 4 March 1980. pp. A-9.

Abu-Helu, Yaqub Abdalla. «Images of the Arabs and of Their Conflict with Israel Held by American Public Secondary School Social Studies Teachers.» (Ph.D. Dissertation, Stanford University, 1978). 312 p.

Abu-Laban, Sharon M. «Stereotypes of Middle East Peoples: An Analysis of Church School Curricula.» in: Abu-Laban, Baha and Faith T. Zeadey (eds.). *Arabs in America: Myths and Realities.* Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975. pp. 149-169.

Adams, William C. (ed.). *Televesion Coverage of the Middle East.* Norwood, N.J.: Ablex Publishing Corporation, 1981. 167 p.

——— and Phillip Heyl. «From Cairo to Kabul with the Networks, 1972-1980.» in: Adams, William C. (ed). *Television Coverage of the Middle East.* Norwood, N.J.: Ablex Publishing Corporation, 1981. pp. 1-39.

Agha, Olfat Hassan. *The Role of Mass Communications in Inter-State Conflict: The Arab-Israeli War of October 1973.* Cairo: The American University in Cairo, 1978. 88 p. in English, 4 p. in Arabic. (The Cairo Papers in Social Science, Monograph 3)

———. «The Role of Mass Communication in Interstate Conflict: The Arab Israeli War of October 6, 1973.» *Gazette:* Vol. 24, no. 3, 1978. pp. 181-195.

Ahmed, Leila. *Edward Lane: A Study of His Life and Work and of British Ideas of the Middle East in the 19th Century.* London: Longman, 1978. 232 p.

Ajay, Alex, Karen Farsoun and Samih Farsoun. «Mid-East Perspectives from the American Left.» *Journal of Palestine Studies:* Autumn 1974. pp. 94-119.

Alami, Adawia. «Misconceptions in the Treatment of the Arab World in Selected American Textbooks for Children.» (M.A. Thesis, Kent State University, 1957). 165 p.

———. «The Treatment of the Arab World in Selected American Textbooks for Children.» in: *Essays on the American Public Opinion and the Palestine Problem.* Beirut: Palestine

Research Center, 1969. pp. 119-183.
Al-Azmeh, Aziz. *Ibn Khaldoun in Modern Scholarship: A Study in Orientalism.* London: Third World Center for Research and Publication, 1981. 330 p.
———. «The Articulation of Orientalism.» *Arab Studies Quarterly:* Vol. 3, no. 4, Fall 1981. pp. 384-402.
Algar, Hamid. «The Problems of Orientalists.» *Al-Ittihad:* Vol. 7, no. 1, March 1970. pp. 14-18.
Alter, Allen. «580 U.S. News People Cover Sadat's Visit.» *Editor and Publisher:* No. 110, 26 November 1977. pp. 9,44.
Alter, Robert. «Rhetoric and the Arab Mind.» *Commentary:* Vol. 46, no. 4, October 1968. pp. 61-65.
«The American Media and the Palestine Problem.» (Interviews with journalists Peter Jennings, Ronald Koven, James McCartney, Lee Eggerstrom and Marilyn Robinson). *Journal of Palestine Studies:* Vol. 5, nos. 1 and 2, Autumn 1975 - Winter 1976. pp. 127-149.
The Arab Image in the Western Mass Media. London: Outline Books, 1980. 280 p.
«Arabs, Israelis and Americans.» *The Cambridge Report:* Vol. 4, Summer 1975. pp. 140-194.
Aruri, Naseer H. «The Middle East on the U.S. Campus.» *The Link:* Vol. 18, no. 2, May-June 1985. pp. 1-14.
Asi, Morad Osman. «Arabs, Israelis and U.S. Television Networks: A Content Analysis of How ABC, CBS, and NBC Reported the News between 1970-1979.» (Ph.D. Dissertation, Ohio University, 1981). 177 p.
———. «Arabs, Israelis, and TV News: A Time-Series, Content Analysis.» in: Adams, William C. (ed.). *Television Coverage of the Middle East.* Norwood, N.J.: Ablex Publishing Corporation, 1981. pp. 67-75.
Aswad, Barbara. «Biases and Inaccuracies in Textbooks: Depictions of the Arab World.» in: Abraham, Sameer Y. and Nabeel Abraham (eds.). *The Arab World and Arab-Americans: Understanding a Neglected Minority.* Detroit, Michigan: Wayne State University, Center for Urban Studies, 1981. pp. 73-79.
Bagnied, Magda Ahmed. «U.S. Television Network Coverage of Sadat's Peace Initiative.» (Ph. D. Dissertation, University of Cairo, Mass Communication, 1982). 302 p.
——— and Steven Schneider. «Sadat Goes to Jerusalem: Televised Images, Themes, and Agenda.» in: Adams, William C. (ed.). *Television Coverage of the Middle East.* Norwood, N.J.: Ablex Publishing Corporation, 1981. pp. 53-66.
Baha el-Din, Ahmad. «World Media and the Arabs: An Arab Perspective.» in: Jabara, Abdeen and Janice Terry (eds.). *The Arab World: From Nationalism to Revolution.* Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1971. pp. 77-85.
Batroukha, Mohammed Ezzedin. «The Editorial Attitudes of the New York Times and The Christian Science Monitor toward the Arab-Israeli Dispute, January 1, 1955-June 30, 1956: A Content Analysis Study.» (Ph. D. Dissertation, Syracuse University, 1961). 433 p.
Beit-Hallahmi, Benjamin. «Some Psychosocial and Cultural Factors in The Arab-Israeli Conflict: A Review of the Literature.» *Journal of Conflict Resolution:* Vol. 16, no. 2, June 1972. pp. 269-280.
Belkaoui, Janice Monti. «Image Creation in the Prestige Press: A Case Study of Arab and Israeli Images.» (M.A. Thesis, Carleton University, Sociology and Anthropology, 1976).
———. «Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966-74.» *Journalism Quarterly:* Vol. 55, no, 4, Winter 1978. pp. 732-738, 799.
Bell, Steve. «American Journalism: Heritage, Practices, Constraints, and Middle East Reportage.» in: Hudson, Michael C. and Ronald G. Wolfe (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. pp. 51-58.

De Boer, Connie. «The Polls: Attitudes toward the Arab-Israeli Conflict.» *Public Opinion Quarterly:* Vol. 47, no. 1, Spring 1983. pp. 121-131.
Bolling, Landrum R. (ed.). *Reporters Under Fire : US Media Coverage of Conflicts in Lebanon and Central America.* Boulder, CO.: Westview Press, 1985. 155 p.
Bradley, Douglass. «Was Truth the First Casualty?: American Media and the Fall of Tal Zaatar.» *Arab Studies Quarterly:* Vol. 4, no. 3, Summer 1982. pp. 200-210.
Brownell, Will. «Hollywood's Primal Arab.» *Arab Perspectives:* Vol. 1, no. 4, July 1980. pp. 5-11.
Caradon, Lord. «Images and Realities of the Middle East Conflict.» in: Hudson, Michael C. and Ronald G. Wolfe (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. pp. 79-83.
Chafets, Ze'ev. *Double Vision: How America's Press Distorts America's View of the Middle East.* New York: Morrow, 1984. 349 p.
Childs, Marquis. «It was Sadat's Show from Start to Finish.» *Washington Post:* 29 November 1977. pp. A-19.
Childers, Erskine B. *The Road to Suez: A Study of Western-Arab Relations.* London: Macgibbon and Kee, 1962. Chap. II: «The Western Image of the Arab.» pp. 36-61.
Cleveland, R. «Some Middle East Experts More Dangerous than Non-professionals.» *Arab World:* Vol. 14, no. 12, December 1948. pp. 10-14.
Cleveland, Ray L. «The Palestinians and the Diminution of Historical Legitimacy.» in: Perry, Glenn E. (ed.). *Palestine: Continuing Dispossession.* Belmont, MA.: Association of Arab-American University Graduates, 1986. pp. 95-117.
Cockburn, Alexander. «International Terrorism and Double Standards.» *Wall Street Journal:* 15 April 1982. p. 27.
Cooley, John K. «The News from the Mideast: A Working Approach.» *Middle East Journal:* Vol. 35, no. 4, Autumn 1981. pp. 465-480.
Corbon, Father Jean. *Western Public Opinion and the Palestine Conflict.* Beirut: Fifth of June Society, 1969. 18 p.
Cox, Harvey. «Understanding Islam: No More Holy Wars.» *Atlantic:* January 1981. pp. 73-80.
Crow, Ralph. «Is There Bias?: What the American Press Printed about the Qibya Incident.» *Middle East Forum:* No. 32, March 1957. pp. 12-14.
Curtiss, Richard H. *A Changing Image: American Perceptions of the Arab-Israeli Dispute.* Washington, D.C.: American Educational Trust, 1982. 216 p.
Damon, George H. (Jr.) the assistance of Laurence D. Michalak. «A Survey of Political Cartoons Dealing with the Middle East.» in: Ghareeb, Edmund (ed.). *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1983. pp. 143-153.
Daniel, Norman. *Islam and the West: The Making of an Image.* Edinburgh: The University Press, 1966. 448 p.
Daugherty, David and Michael Warden. «Prestige Press Editorial Treatment of the Mideast during 11 Crisis Years.» *Journalism Quarterly:* Vol. 56, Winter 1979, pp. 776-782.
Dehmer, Alan. *Unholy Alliance: Christian Fundamentalism and the Israeli State.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, 1984. 22 p. (ADC Issues, 16)
Diamond, Edwin and Paula Cassidy. «Arabs vs Israelis: Has Television Taken Sides?» *TV Guide:* 6 January 1979. pp. 6-8, 10.
Dohse, Michael Arthur. «American Periodicals and the Palestine Triangle, April 1936 to February 1947.» (Ph.D. Dissertation, Mississippi State University, 1966). 270 p.
Domestic Communications Aspects of the Middle East Crisis. Washington, D.C.: American Institute for Political Communication, 1967. 8 p.
Drummond, William J. and Augustine Zycher. «Arafat's Press Agents.» *Harper's:* No. 252, March 1976. pp. 24-30.

Dunsmore, Barrie. «Television Hard News and the Middle East.» in: Hudson, Michael C. and Ronald G. Wolfe (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. pp. 73-76.

Ehle, Carl Frederick (Jr.). «Prolegomena to Christian Zionism in America: The Views of Increase Mather and William E. Blackstone Concerning the Doctrine of the Restoration of Israel.» (Ph.D. Dissertation, New York University, Religion, History, 1977). 375 p.

Erskine, Hazel. «The Polls: Western Partisanship in the Middle East.» *Public Opinion Quarterly:* Vol. 33, no. 4, Winter 1969-1970. pp. 627-640.

Essays on the American Public Opinion and the Palestine Problem. Beirut: Palestine Research Center, 1969. 192 p.

Faris, Nabih. «The United States' Image of the Near East.» *Middle East Forum:* Vol. 36, February 1960.

Farmer, Leslie. «All We Know Is What We Read in the Papers.» *Middle East Newsletter:* Vol. 2, no. 2, February 1968. pp. 1-5.

Farsoun, Karen. Samih Farsoun and Alex Ajay. «Mid-East Perspectives from the American Left.» *Journal of Palestine Studies:* Vol.4, no 1, Autumn 1974. pp. 94-119.

Feaver, Douglas B. «Envoy Says Post's Israel Commentary Is Among the Most Negative.» *Washington Post:* 10 November 1982. p. A3.

Feith, Douglas J. «Israel, the Post, and the Shaft.» *Middle East Review:* Vol. 12, Summer 1980. pp. 62-66.

Feldman, Harold. «Children of the Desert: Notes on Arab National Character.» *Psychoanalytic Review:* Vol. 45, no. 3, Fall 1958. pp. 40-50.

Findley, Paul. *They Dare to Speak Out : People and Institutions Confront Israel's Lobby.* Westport, Conn.: Lawrence Hill, 1985. 362 p.

Fink, Reuben (ed.). *America and Palestine: The Attitude of Official America and the American People toward the Rebuilding of Palestine As a Free Democratic Jewish Commonwealth.* New York: Arno Press, 1977. (Reprint of the 1944 edition, published by Harold Square Press, New York). 522 p.

Forrest, A.C. «Myths about the Middle East.» *Middle East Newsletter:* Vol. 3, no. 3, April 1969. pp. 3-7.

Friedlander, Jonathan (ed.). *The Middle East: The Image and the Reality.* Los Angeles, Calif.: The Regents of the University of California, 1980. 150 p.

Friedman, Jane. «Has T.V. Tilted Against Israel?» *Panorama:* December 1980. pp. 40-43.

Geyer, Georgie Anne (Interviewed) in: Ghareeb, Edmund (ed.). *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1983. pp. 67-76.

———— . «The American Correspondent in the Arab World.» in: Hudson, Michael C. and Ronald G. Wolf (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. pp. 65-72.

Ghareeb, Edmund. « The American Media and the Palestinian Problem.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 5, Fall-Winter 1976. pp. 127-149.

———— . «The Media and U.S. Perceptions of the Middle East.» *American-Arab Affairs:* No. 2, Fall 1982. pp. 69-78.

———— . *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1983. 402 p.

Glubb, Faris. «Who Is Misreporting?» *Middle East International:* No. 173, 23 April 1982. p. 7.

Gordon, Avishag H. «The Middle East October 1973 War As Reported by the American Networks.» *International Problems:* Vol. 14, Fall 1975. pp. 76-85.

Graham, Helga. *Arabian Time Machine.* London: Heinemann, 1978. Part 7: «Two Views of Arabs in the West.» pp. 309-330.

Granberg-Michaelson, Wesley. *The Evangelical Right and Israel: What Place for the Arabs?* 10 p. (ADC Issues, 8)

Greenfield, Meg. «Our Misperceptions of Islam.» *Washington Post:* 21 March 1979. pp. A-23.

Greider, William. «Acceptable Villains Make Our Troubles so Manageable.» *Washington Post:* 15 July 1979, pp. E1, E4.

Griswold, William J. *The Image of the Middle East in Secondary School Textbooks.* New York: Middle East Studies Association of North America, 1975. 101 p.

———— . «Images of the Middle East.» *Rocky Mountain Social Science Journal:* Vol. 11, no. 1, January 1974. pp. 25-36.

Gruen, George E. «Arab Petropower and American Public Opinion.» *Middle East Review:* Vol. 7, Winter 1975-1976. pp. 33-39.

H.H. «The Middle East Crisis of 1967 and the New York Times.» in: *Essays on the American Public Opinion and the Palestine Problem.* Beirut: Palestine Research Center, 1969. pp. 35-87.

Hadar, Leon T. «Behind the New York Times Middle East Coverage.» *Middle East Review:* Vol. 12, Summer 1980. pp. 56-61.

Haiek, Joseph R. (ed.). *Arab American Almanac.* Los Angeles, Calif.: The News Circle Publishing Co., 1984. 322 p.

Hallaj, Muhammad. «From Time Immemorial: The Ressurection of a Myth.» *The Link:* Vol. 18, no. 1, January-March 1985. pp. 1-14.

———— . «Palestine: The Suppression of an Idea.» *The Link:* Vol. 15, no. 1, January-March 1982. 15 p.

Hammons, Terry Brooks. «A Wild Ass of a Man: American Images of Arabs in 1948.» (Ph.D. Dissertation, University of Oklahoma, 1978). 174 p.

Hatem, Muhammad Abdel-Kader. *Information and the Arab Cause.* London: Longmans, 1974. 320 p.

Havandjian, Nishan Rafi. «National Differences in the Press Coverage of the Lebanese Civil War.» (Ph.D. Dissertation, University of Texas, Austin, 1979). 252 p.

Heggoy, Alf Andrew (ed.). *Through Foreign Eyes: Western Attitudes toward North Africa.* Washington, D.C.: University Press of America, 1982. 194 p.

Heisey, Ray D. «The Rhetoric of the Arab-Israeli Conflict.» *Quarterly Journal of Speech:* February 1970, pp. 12-21.

Hershman, Robert and Henry L. Griggs (Jr.). «American Television News and the Middle East.» *Middle East Journal:* Vol. 35, no. 4, Autumn 1981. pp. 481-491.

Hertzberg, Arthur [et al.]. *A Commentary Report: American Reactions to the Six Day War.* New York: Commentary, 1967. 30 p.

Hester, Al. «Five Years of Foreign News on U.S. Television Evening Newscasts.» *Gazette:* Vol. 24, Spring 1978. pp. 86-95.

———— . «Middle-Eastern News on U.S. TV.» *Communications and Development Review:* Vol. 1, nos. 2 and 3, Summer-Autumn 1977. pp. 25 and 26.

Hornblower, Margot. «Experts Bemoan America's Distorted Idea of Nature of Islam.» *Washington Post:* 11 December 1979. pp. A-10.

Howard, Harry N. «The Instant Potboilers and the «Blitzkreig» War.» *Issues:* Vol. 21, Autumn 1967. pp. 48-52.

Hudson, Michael C. «The Media and the Arabs: Room for Improvement.» in: Hudson, Michael C. and Ronald G. Wolfe (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. pp. 91-103.

———— and Ronald G. Wolfe (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. 105 p.

Hussain, Asaf, Robert Olson and Jamil Qureshi (eds.). *Orientalism, Islam, and Islamists.* Brattleboro, VT: Amana Books, Inc., 1984. 300 p.
Ingram, O. Kelly. «Christian Zionism.» *The Link:* Vol. 16, no. 4, November 1983. pp. 1-13.
Jabara, Abdeen. «The American Left and the June Conflict.» in: Abu-Lughod, Ibrahim (ed.). *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective.* Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1970. pp. 169-190.
Jacobs, Deborah. «Teaching the Arab World: Evaluating Textbooks.» *The Social Studies:* Vol. 72, no. 4, July-August 1981. pp. 150-153.
Jarrar, Samir A. «Images of the Arabs in United States Secondary School Social Studies Textbooks: A Content Analysis and a Unit Development.» (Ph.D. Dissertation, Florida State University, 1976). 217 p.
Kaitz, Merrill. «Sadat's Visit in America's Press.» *Moment:* Vol. 3, January-February 1978. pp. 63-65.
Kanafani, Ghassan. «Bridging the Gap in East-West Communications.» *Middle East Newsletter:* Vol. 4, no. 3, May-June 1972. pp. 4-5.
Karl, Patricia A. «In the Middle of the Middle East: The Media and U.S. Foreign Policy.» in: Ghareeb, Edmund (ed.). *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1983. pp. 283-298.
Kays, Doreen. *Frogs and Scorpions: Egypt, Sadat and the Media.* London: Frederick Muller, 1984. 271 p.
Kearney, Helen McCready. «American Images of the Middle East, 1824-1924: A Century of Antipathy.» (Ph.D. Dissertation, University of Rochester, 1976). 558 p.
Kempster, Norman and Ronald J. Ostrow. *The Arab Influence* (A series of articles reprinted from the *Los Angeles Times,* 22-27 November, 1978). 24 p.
Kennedy, Leonard Milton. «The Treatment of Moslem Nations, India, and Israel in Social Studies Textbooks Used in Elementary and Junior High Schools of the United States.» (Ph.D. Dissertation, Washington State University, 1960). 161 p.
Kenworthy, L.S. «Murals of the Middle East in Our Minds.» *Social Education:* Vol. 25, no. 1, January 1961. pp. 41-46, 50.
Kern, Montague. *Television and Middle East Diplomacy: President Carter's Fall 1977 Peace Initiative.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1983. 50 p.
Khalidi, Walid. «Arabs and the West.» *Middle East Forum:* December 1957.
Khalifa, Muhammad. *The Sublime Quran and Orientalism.* London: Longman Group, 1983. 262 p.
Knee, Stuart E. «American Arabs and Palestine.» *Patterns of Prejudice:* Vol. 11, no. 6, November-December 1977. pp. 25-31,34.
Ladd, Everett Carl (Jr.) and Seymour Martin Lipset. «War-Shy Professors Divided over Middle East.» *The Chronicle of Higher Education:* 1 December 1975, pp. 1 and 2.
Laqueur, Walter. «Israel, the Arabs, and World Opinion.» *Commentary:* Vol. 44, August 1967. pp. 49-59.
Lendenmann, G. Neal. «Arab Stereotyping in Contemporary American Political Cartoons.» in: Ghareeb, Edmund (ed.). *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1983. pp. 345-353.
Leuchtenburg, William E. «The American Perception of the Arab World.» in: Atiyeh, George N. (ed.). *Arab and American Cultures.* Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1977. pp. 15-25.
Levine, Samuel H. «Changing Concepts of Palestine in American Literature to 1867.» (Ph.D. Dissertation, New York University, 1953). 322 p.
Lewis, Bernard. «The Question of Orientalism.» *New York Review of Books:* Vol. 29, no. 11, 24 June 1982. pp. 49-56.

Lichter, S. Robert. «Media Support for Israel: A Survey of Leading Journalists.» in: Adams, William C. (ed.). *Television Coverage of the Middle East.* Norwood, N.J.: Ablex Publishing Corporation, 1981. pp. 40-52.

Lilienthal, Alfred. M. *There Goes the Middle East.* New York: Devin-Adair, 1958. pp. 54-73, 88-114, 203-252.

———. *The Other Side of the Coin.* New York: Devin-Adair 1965. Especially chapters 5,6 and 7, pp. 89-163, and pp. 368-379.

———. *What Price Israel?*. Chicago, Ill.: Henry Regnery, 1953. pp. 121-147, 255-256.

———. *The Zionist Connection: What Price Peace?.* New Brunswick, N.J.: North American, 1982. Especially parts 2 and 3, pp. 103-532.

Lipset, Seymour Martin. «Carter vs. Israel: What the Polls Reveal.» *Commentary:* Vol. 64, no. 5, November 1977. pp. 21-29.

———. «Further Commentary on American Attitudes.» *Public Opinion Quarterly:* Vol. 1, no. 2, May-June 1978. pp. 16-17.

———. «The Polls on the Middle East.» *Middle East Review:* Vol. 11, no. 1, Fall 1978. pp. 24-30.

——— and William Schneider. «Polls for the White House and the Rest of U.S.» *Encounter:* Vol. 49, no. 5, November 1977. pp. 24-26, 29-34.

Little, Donald B. «Three Arab Critiques of Orientalism.» *Muslim World:* Vol. 69, no. 2, April 1979. pp. 110-131.

Magee, Judith Helen. «Images of Arabs and Israelis in the Denver Press.» (Ph.D. Dissertation, University of Colorado, Boulder, Anthropology, Cultural, 1977). 215 p.

Makari, George J. «On Seeing Arabs.» *Arab Studies Quarterly:* Vol. 7, no. 1, pp. 58-66.

Al-Mangy, Adnan. «International and Foreign Affairs on Network Television News.» *Journal of Broadcasting:* Vol. 14, Winter 1970. pp. 499-509.

Massad, Winifred W. «Analysis of the Treatment of the Middle Eastern Arab States in Selected United States High School World History Textbooks.» (Ph.D. Dissertation, Miami University, Education, 1976). 130 p.

Mathews, John. «U.S. Educators Aren't Laughing at Those Arab Jokes.» *Washington Star:* 7 January 1976. pp. A1, A17.

Menconi, Evelyn A. «An Analysis of Teachers' Perceptions of the Arab World.» (Ph. D. Dissertation, Boston University, School of Education, 1981). 185 p.

———. «Studying the Arab World: Overcoming Textbook Deficiencies.» *Audiovisual Instruction:* Vol. 21, no. 2, February 1976. pp. 20-21.

Mensch, Eugene Michael. «American Images of Arabs: A Data-Based Analysis.» (M.A. Thesis, Naval Postgraduate School, 1978). 189 p.

Metwalli, Ahmed Mohamed. «The Lure of the Levant, the American Literary Experience in Egypt and the Holy Land: A Study in the Literature of Travel, 1800-1865.» (Ph.D. Dissertation, State University of New York, Albany, Language and Literature, 1971). 399 p.

Michalak, Laurence. *Cruel and Unusual: Negative Images of Arabs in American Popular Culture.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, [1984?] 22 p. (A.D.C. Issue Paper, 15)

——— and Ameur Ben Arab. «Conflicting Images: Films on Arabs vs Film by Arabs.» *Interntional Development Review:* Vol. 2, 1972. pp. 31-33.

Miller, Jake C. «Black Viewpoints on the Mid-East Conflict.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 10, no. 2, Winter 1981. pp. 37-49.

Mishra, V.M. «News from the Middle East in Five U.S. Media.» *Journalism Quarterly:* Vol. 56, Summer 1979. pp. 374-378.

Mortimer, Edward. «Islam and the Western Journalist.» *Middle East Journal:* Vol.35, no. 4, Autumn 1981. pp. 492-505.

Moughrabi, Fouad. «American Public Opinion and the Palestine Question.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 15, no. 2, Winter 1986, pp. 56-75.
———— . «The Arab Basic Personality: A Critical Survey of the Literature.» *International Journal of Middle East Studies:* Vol. 9, 1978. pp. 99-112.
———— . «A Political Technology of the Soul.» *Arab Studies Quarterly:* Vol. 3, no.1, Winter 1981. pp. 66-88.
Mouly, Ruth W. *U.S – Arab Relations: The Evangelical Dimension.* Washington, D.C.: National Council on U.S. – Arab Relations, 1985. 46 p.
Mousa, Issam Suleiman. *The Arab Image in the U.S. Press.* New York: Peter Lang Publishing Inc., 1984. 187 p.
«Myths about the Middle East.» (Editorial) *Nation:* Vol. 233, no. 19, 15 December 1981. pp. 593-597.
Maclean, John. «The U.S. Press and the Middle East (II).» in: Richardson, Lucy E. (ed.). *The Middle East: Press Perspectives and National Policies.* Washington, D.C.: Center for Middle East Policy, 1983. pp. 24-25.
Nabti, Michel George. «Coverage of the Arab World in American Secondary School World Studies Textbooks: A Content Analysis.» (Ph.D. Dissertation, Stanford University, 1981). 340 p.
Naim, Samir. «Towards a Demystification of Arab Social Reality: A Critique of Anthropological and Political Writings on Arab Society.» *Review of Middle East Studies:* Vol. 3, 1978. pp. 48-63.
Nasir, Sari Jamil. «The Arab World in U.S. Movie Titles,» *Journalism Quarterly:* Vol. 40, Fall 1963. pp. 351 and 352.
———— . «The Image of the Arab in American Popular Cultures.» (Ph.D. Dissertation, University of Illinois, Social Psychology, 1962). 187 p.
«Nation-Wide Public Opinion Survey of US Attitudes on the Middle East.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 14, no. 4, Summer 1985, pp. 117-121.
Nes, David. «American Public Opinion and Israel.» *Middle East International:* No. 48, June 1975. pp. 12-14.
Newsom, David D. «The Arabs and U.S. Public Opinion: Is There Hope?» *American-Arab Affairs:* No. 2, Fall 1982. pp. 61-68.
Nielson, Howard C. «Examining U.S. Perceptions and Attitudes toward the Middle East.» *American-Arab Affairs:* No. 10, Fall 1984. pp. 9-14.
Otero, G.G. *Teaching about Perception: The Arabs.* Denver, CO.: University of Denver, Center for Teaching International Relations, 1978. 129 p.
Othman, Jihad Mahmoud. «A Critique of International Materials for Near Eastern Studies.» (M.A. Dissertation, University of Washington, Seattle, 1981). 151 p.
Owen, Jean. «The Polls and Newspaper Appraisal of the Suez Crisis.» *Public Opinion Quarterly:* Vol. 21, no. 3, Fall 1957. pp. 350-354.
Oxtoby, Willard G. «The War of Words: A Look at the Literature in America and the Middle East.» (New Haven: New Haven Committee on the Middle East Crisis, 1968), pp. 31-36 (mimeographed).
———— . «Western Perceptions of Islam and the Arabs.» in: Hudson, Michael C. and Ronald G. Wolfe (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. pp. 3-12.
Padelford, Edward A. «The Regional American Press: An Analysis of its Reporting and Commentary on the Arab-Israeli Situation.» (Ph. D. Dissertation, American University, 1979). 347p.
Pearson, Robert Paul. «Through Middle Eastern Eyes: The Development of Curriculum Materials on the Middle East.» (Ph. D. Dissertation, University of Massachusetts, Education, 1973). 343 p.

Peck, Malcolm C. «Teaching Materials and Sources of Information on the Middle East for Secondary School Teachers.» *Social Education:* Vol. 40, no. 2, February 1976. pp. 93-95.

Peretz, Don. «Arabs vs Israelis: Fiction and Fact.» *Issues:* Vol. 13, Fall 1959. pp. 1-14.

———. «Reporting Lebanon the «Christian» Way.» *Middle East Insight:* Vol. 2, no. 4, September 1982. pp. 46-52.

Perry, Glenn E. «The Reality and Distorting Lenses.» in: Perry, Glenn E. (ed.). *Palestine: Continuing Dispossession.* Belmont, MA.: Association of Arab-American University Graduates, 1986. pp. 3-14.

———. «Treatment of the Middle East in American High School Textbooks.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 4, no. 3, Spring 1975. pp. 46-58.

Pershern, Katherine B. «Images of the Middle East and Vietnam: The Relationship of Religious Affiliation and Political Cynicism.» (M.A. Thesis, University of Wyoming, Laramie, Political Science, 1974). 110 p.

Peters, Rudolph. «The Mysteries of the Oriental Mind: Some Remarks on the Development of Western Stereotypes of Arabs.» in: El-Sheikh, Ibrahim A. and C. Aart van de Koppel (eds.). *The Challenge of the Middle East.* Amsterdam, the Netherlands: University of Amsterdam, Institute for Modern Near Eastern Studies, 1982. pp. 73-90, 195-198.

Pierce, Patricia Dawes. «Deciphering Egypt: Four Studies in the American Sublime.» (Ph. D. Dissertation, Yale University, 1980). 178 p.

Piety, Harold A. «Bias on American Editorial Pages.» in: Ghareeb, Edmund (ed.). *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1983. pp. 125-142.

———. «Zionist Bias in American Editorial Pages.» in: Ghareeb, Edmund (ed.). *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: Institute of Middle Eastern and North African Affairs, 1977. pp. 135-152.

Protinsky, Ruth Anne. «An Analysis of the Treatment of Middle Eastern Arabs in Virginia Elementary Social Studies Textbooks.» (Ph.D. Dissertation, Virginia Polytechnic Institute and State University, Education, 1979). 152 p.

Pruett, Gordon E. «The Escape From the Seraglio: Anti-Orientalist Trends in Modern Religious Studies.» *Arab Studies Quarterly:* Vol. 2, no. 4, Fall 1981. pp. 291-317.

Al-Qazzaz, Ayad. «Image Formation and Textbooks.» in: Ghareeb, Edmund. (ed.). *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1983. pp. 369-380.

———. «Images of the Arab in American Scocial Science Textbooks.» in: Abu-Laban, Baha and Faith T. Zeadey (eds.). *Arabs in America: Myths and Realities.* Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975. pp. 113-132.

———. «Textbooks and Teachers: Conveyors of Knowledge and Agents of Socialization.» in: Friedlander, Jonathan (ed.). *The Middle East: The Image and the Reality.* Los Angeles, Calif.: The Regents of the University of California, 1980. pp. 79-85.

Richardson, Lucy E. (ed.). *The Middle East: Press Perspectives and National Policies.* Washington, D.C.: Center for Middle East Policy, 1983. 40 p.

Roeh, Itzhak. «Israel in Lebanon: Language and Images of Storytelling.» in: Adams, William C. (ed.). *Television Coverage of the Middle East.* Norwood, N.J.: Ablex Publishing Corporation, 1981. pp. 76-88.

Rubenberg, Cheryl A. «Pro-Israeli Influence on the Media and U.S. Middle East Policy. *Mideast Monitor:* Vol. 2, no. 2, March 1985. pp. 1-4.

Rubin, Barry. «The Media and the Middle East.» *Middle East Review:* Vol. 7, Winter 1975-1976. pp. 28-32.

Sahwell, Aziz S. *Exodus: A Distortion of Truth.* New York: Arab Information Center, 1960. 34 p.

Said, Abdul Aziz and Alain Sportiche. «Requirements for a Stable Peace: Arab and Israeli Images.» in: Allen, Harry S. and Ivan Volgyes (eds.). *Israel, the Middle East, and U.S. Interests.* New York: Praeger, 1983. pp. 18-25.

Said, Edward W. «The Arab Portrayed.» in: Abu–Lughod, Ibrahim (ed.). *The Arab Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective.* Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1970. pp. 1-9.

———— . *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World.* New York: Pantheon Books, 1981. 186 p.

———— . *Orientalism.* New York: Pantheon Books, 1978. 368 p.

———— . «Orientalism and the October War: The Shattered Myths.» in: Abu-Laban, Baha and Faith T. Zeadey (eds.). *Arabs in America: Myths and Realities.* Wilmette, Ill: Medina University Press International, 1975. pp. 83-112.

———— . «Orientalism Reconsidered.» *Race and Class:* Vol. 27, no. 2, 1985. pp. 1-15.

Salt, Jeremy. «Fact and Fiction in the Middle Eastern Novels of Leon Uris.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 14, no. 3, Spring 1985. pp. 54-63.

Sam'o, Elias. «The Arab-Israeli Conflict As Reported by the Kalb Brothers.» in: Abu-Laban, Baha and Faith T. Zeadey(eds.). *Arabs in America: Myths and Realities.* Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975. pp. 45-52.

Sandbank, Kenneth, «Literary Representation and Social Legitimation: J.L. Burckhardt's Approach to «The Orient».» *International Journal of Middle East Studies:* Vol. 13, no. 4, 1981. pp. 497-511.

Sayegh, Fayez A. *Zionist Propaganda in the United States: An Analysis.* Edited by Arlene F. Sayegh and Samir Abed-Rabbo. Pleasantville, N. Y.:The Fayez A. Sayegh Foundation, 1983. 53 p.

Schneider, Steven M. «A Content Analysis of Sadat's 1977 Visit to Israel.» in: Cole, Richard L. (ed.). *Introduction to Political Inquiry.* New York: Macmillan Publishing Co., 1980. pp. 245-259.

Sedki, George Y [ounan]. «The Treatment of Arabs in World History Books Used by Senior High Schools of the City and Country of Saint Louis, Missouri, 1974-75.» (Ph. D. Dissertation, St. Louis University, 1976). 408 p.

Shaheen, Jack G. «American Television: Arabs in Dehumanizing Roles.» in: Hudson, Michael C. and Ronald G. Wolfe (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. pp. 39-44.

———— . «The Arab Image in American Mass Media.» *American-Arab Affairs:* No. 2, Fall 1982. pp. 89-96.

———— . «The Arab Stereotype on Television.» *The Link:* Vol. 13, no. 2, April-May 1980. 13 p.

———— . «Images of Saudis and Palestinians: A Review of Major Documentaries.» in: Adams, William (ed.). *Television Coverage of the Middle East.* Norwood, N.J.: Ablex Publishing Corporation, 1981. pp. 89-105.

———— . *The T.V. Arab.* Bowling Green, Ohio: Bowling Green State University Popular Press, 1984. 146 p.

Shouby, E «The Influence of the Arabic Language on the Psychology of the Arabs.» *Middle East Journal:* Vol. 5, no. 3, Summer 1951. pp. 284-302.

Simonson, Solomon. «An Analysis of Arab and Israeli Propaganda.» *Vital Speeches:* Vol. 34, 1 June 1968. pp. 494-497.

Slade, Shelley. «The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes.» *Middle East Journal:* Vol. 35, no. 2, Spring 1981. pp. 143-162.

Smith, Terence. «The U.S. Press and the Middle East (I).» in: Richardson, Lucy E. (ed.). *The Middle East: Press Perspectives and National Policies.* Washington, D.C.: Center for Middle East Policy, 1983. pp. 18-23.

Spragens, William. «Camp David and the Networks: Coverage of the 1978 Summit.» in: Adams, William C. (ed.). *Televesion Coverage of International Affairs*, Norwood, N.J.: Ablex Publishing Company, 1982. Vol. 2.

Sreebny, Daniel. «American Correspondents in the Middle East: Perceptions and Problems.» *Journalism Quarterly:* No. 56, Summer 1979. pp. 368-388.

Stevens, Richard P. «The Palestinian Issue and Western Public Opinion.» The United Nations Seminar on the Question of Palestine, 2, Vienna, 25-29 August 1980. pp. 398-403 of Proceedings.

———. «Zionism Re-examined: U.S. Tool or Israeli Lobby?» in: Pennar, Margaret (ed.). *The Middle East: Five Perspectives.* North Dartmouth, MA.: Association of Arab-American University Graduates, 1973. pp. 29-32. (AAUG Information Paper, 7)

Stock, Raymond. «Prestige Press at War: The New York Times and Le Monde in Lebanon, August 1-September 26, 1982.» *Middle East Journal:* Vol. 39, no. 3, Summer 1985. pp. 317-340.

Stork, Joe. «The American New Left and Palestine.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 2, no. 1, Autumn 1972. pp. 64-69.

Suleiman, Michael W. *American Images of Middle East Poeples: Impact of the High School.* New York: Middle East Studies Association of North America, Inc., 1977. 72 p.

———.«American Mass Media and the June Conflict.» in: Abu–Lughod, Ibrahim (ed.). *The Arab-Israeli Confrontation of June, 1967: An Arab Perspective.* Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1970. pp. 138-154.

———. «American Public Support of Middle Eastern Countries: 1939-1979.» in: Hudson, Michael C. and Ronald G. Wolfe (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. pp. 13-36.

———.«The Arab Information Effort in North America: An Assessment.» *Arab Studies Quarterly:* Vol. 8, no. 3, July 1986.

———.«The Effect of American Perspectives of Arabs on Middle East Issues.» in: Ghareeb, Edmund (ed.). *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1983. pp. 337-344.

———.«An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American Newsmagazines, July-December 1956.» (M.A. Thesis, University of Wisconsin, Madison, Political Science, 1961). 125 p.

———. «The Middle East in American High School Curricula: A Kansas Case Study.» *Middle East Studies Association Bulletin:* Vol. 8, no. 2, 1974. pp. 8-19.

———. «National Stereotypes As Weapons in the Arab-Israeli Conflict.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 3, no. 3, Spring 1974. pp. 109-121.

———. «Perceptions of the Middle East in American Newsmagazines.» in: Abu-Laban, Baha and Faith T. Zeadey (eds.). *Arabs in America: Myths and Realities.* Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975. pp. 28-44.

———.«World Public Opinion and the Question of Palestine.» in: Perry, Glenn E. (ed.). *Palestine: Continuing Dispossession.* Belmont, MA.: Association of Arab-American University Graduates, Inc., 1986. pp. 49-93.

Terry, Janice J. «A Content Analysis of American Newspapers.» in: Jabara, Abdeen and Janice Terry (eds.). *The Arab World: From Nationalism to Revolution.* Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1971. pp. 94-113.

———. *Mistaken Identity: Arab Stereotypes in Popular Writing.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council, 1985. 135 p.

———. «The Western Press and the October War: A Content Analysis.» in: Abu-Laban, Baha and Faith T. Zeadey (eds.). *Arabs in America: Myths and Realities.* Wilmette, Ill.: Medina University Press Interntional, 1975. pp. 3-27.

———— . «Zionist Attitudes toward Arabs.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 6, Autumn 1976. pp. 67-78.

———— and Gordon Mendenhall. «1973 U.S. Press Coverage on the Middle East.» *Journal of Palestine Studies:* Vol.4, Autumn 1974. pp. 120-133.

Thimmesch, Nick. «American Media Perspectives on the Arab World.» in: Houdson, Michael C. and Ronald G. Wolfe (eds.). *The American Media and the Arabs.* Washington, D.C.: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1980. pp. 59-62.

———— . «Arabs: The Latest Scapegoats.» *Washington Post:* 9 February 1979. p. A 17.

———— . «The Media and the Middle East.» *American-Arab Affairs:* No. 2, Fall 1982. pp. 79-88.

Tibawi, A.L. «English-speaking Orientalists: A Critique of Their Approach to Islam and Arab Nationalism.» *Muslim World:* Vol. 53, nos. 3 and 4, July and October 1963. pp. 185-204; 298-313.

———— . «On the Orientalists Again.» *Muslim World:* Vol. 70, no. 1, January 1980. pp. 56-61.

———— . «Second Critique of English-speaking Orientalists and Their Approach to Islam and the Arabs.» *Islamic Quarterly:* Vol. 23, no. 1, January-March 1979. pp. 4-8.

Trice, Robert H. «The American Elite Press and the Arab-Israeli Conflict.» *Middle East Journal:* Vol. 33, no. 3, Summer 1979. pp. 304-325.

Tyrrell, R. Emmett (Jr.). «Chimera in the Middle East.» *Harper's:* November 1976. pp. 35-37.

———— . «News or Soap Opera?.» *Washington Post:* 26 January 1981. pp. A-17.

Wagner, Charles H. «Elite American Newspaper Opinion and the Middle East: Commitment Versus Isolation.» in: Beling, Willard A. (ed.) *The Middle East: Quest for American Policy.* Albany, N.Y.: SUNY Press, 1973. pp. 306-344.

Weisman, John. «Blind Spot in the Middle East: Why You Don't See More Palestinians on TV.» Part 1: *TV Guide:* 24 October 1981. pp. 6-8, 10, 12 and 14. Part 2: Ibid., 31 October, 6 November 1981. pp. 10-12 and 14. Part 2 is entitled: «Blind Spot in the Middle East: Why the Palestinians Are Losing the Propaganda War.».

Wilson, Ernest J. «Orientalism: A Black Perspective.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 10, no. 2, Winter 1981. pp. 59-69.

Wingerter, Rex B. «The Palestine-Israel Conflict in the U.S. Courtroom.» *The Link:* Vol. 18, no. 3, September 1985. pp. 1-13.

Wright, Claudia. «U.S. Coverage of the Middle East.» *Mideast Monitor:* Vol. 2, no. 1, January 1985. pp. 1-4.

Young, Lewis. «American Blacks and the Arab-Israeli Conflict.» *Journal of Palestine Studies:* Vol. 2, no. 1, Autumn 1972. pp. 70-85.

Zamil, Abdulrahman Abdulla. «The Effectiveness and Credibility of Arab Propaganda in the United States.» (Ph. D. Dissertation, University of Southern California, 1973). 299 p.

Zaremba, Alan Jay. «An Exploratory Analysis of National Perceptions of the Arab-Israeli Conflict As Represented Through World Newspapers: An International Communications Study.» (Ph.D. Dissertation, State University of New York, Buffalo, 1977). 294 p.

Ziadeh, Farhat J. and H. Allen Colvin. *An Evaluation of the Treatment of Egypt in American Primary and Secondary School Literature* (Final Report, ERIC Document, Reproduction Service No. Ed. 128921, 1976). 130 p.

٢ ـ بعض المصادر العربية

ابراهيم، محمد السعيد. **إسرائيل في التصور الأمريكي**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٩.

بشير، تحسين محمد. **النشاط الاعلامي العربي في الولايات المتحدة**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٩. ٥٥ ص.

الجمال، راسم محمد. **الاعلام العربي المشترك: دراسة في الاعلام الدولي العربي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥. ١٦٤ ص.

حافظ، محمود. **الاعلام العربي والاعلام الصهيوني**. القاهرة: جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٣.

الحسن، خالد. «الاعلام الصهيوني في أمريكا وكيفية مواجهته.» ورقة قُدِّمت الى: ندوة الاعلام الصهيوني ومتطلبات المواجهة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥. ٣٦ ص.

الراهب، هاني. **الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٤. ١٧٠ ص.

ربيع، حامد عبد الله. **الحوار العربي الأوروبي واستراتيجية التعامل مع الدول الكبرى**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠. ٢٠٨ ص.

ـــ. **فلسفة الدعاية الاسرائيلية**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٠. ٢١٩ ص.

الزامل، عبد الرحمن. **أزمة الاعلام العربي**. بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤. ٢٩٩ ص.

سالم، نادية حسن محمد. **صورة العرب والاسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية**. القاهرة: جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨.

سليمان، مايكل (ميخائيل). «الرأي العام الأمريكي والمسألة الفلسطينية.» **شؤون فلسطينية**: العدد ٩٢ و٩٣، تموز/يوليو ـ آب/اغسطس ١٩٧٩. ص ١٤٩ ـ ١٦٧.

شفيق، محمد نوري. **الدعاية الصهيونية المنظمة**. عمان: المطبعة الوطنية، ١٩٥٦. ٩٨ ص.

العطيّة، غسان. «دور الجامعة العربية في الاعلام.» ورقة قدّمت إلى: **جامعة الدول العربية، الواقع والطموح: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**. بيروت: المركز، ١٩٨٣. ص ٤١١ ـ ٤٣٦. تعقيب ومناقشة، ص ٤٣٧ ـ ٤٥٧.

عنبتاوي، منذر. **أضواء على الاعلام الاسرائيلي**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٨. ١٨٨ ص.

عوض الله، غازي زين. **العربي في الصحافة الأميركية**. جدة: مؤسسة تهامة للنشر، ١٩٨٦. ١٢٠ ص.

عويني، محمد علي. **الاعلام العربي الدولي**. القاهرة: مطبعة الأنجلو ـ المصرية، ١٩٨٤.

كامل، أحمد. **نظريات الاعلام وقضية فلسطين**. بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٠. ٢٢٤ ص.

هاشم، عقيل. **تخطيط الاعلام العربي**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٨. ١٦٨ ص.

هلال، علي الدين. «التطويق الصهيوني للرأي العام الأمريكي.» **السياسة الدولية**: العدد ٣٣، تموز/يوليو ١٩٧٣. ص ٣٤ - ٤٧.

ياسين، السيد. **الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلي والمفهوم العربي**. القاهرة: مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٤. ٢٦٩ ص.

Acknowledgements

Grateful acknowledgement is made to the following for permission to reprint previously published material:

Association of Arab-American University Graduates, «Perceptions of the Middle East in American Newsmagazines,» in: Baha Abu-Laban and Faith T. Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Realities* (1975), and «World Public Opinion and the Question of Palestine,» in: Glenn E. Perry, ed., *Palestine: Continuing Dispossession,* 1986.

Journal of Palestine Studies, «National Stereotypes As Weapons in the Arab-Israeli Conflict.» (Spring 1974).

Middle East Research Group, «Stereotypes, Public Opinion and Foreign Policy: The Impact on American-Arab Relations,» *Journal of Arab Affairs* (1982).

Georgetown Unvierstiy, Center for Contemporary Arab Studies, «American Public Support of Middle Eastern Countries: 1939-1979,» in: Michael C. Hudson and Ronald G. Wolfe, eds., *The American Media and the Arabs* (1980).

Middle East Studies Association of North America, *American Images of Middle East Peoples: Impact of the High School* (1977).

فهرس

(ب)

(ت)

(ص)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

من منشورات
مركز دراسات الوحدة العربية

- الأدب العربي: تعبيره عن الوحدة والتنوع ـ بحوث تمهيدية (٤٤٠ ص ـ ٩ $) .... مجموعة من الباحثين
- حيازة التكنولوجيا المستوردة من أجل التنمية الصناعية. مشكلات الاستراتيجية والادارة في الوطن العربي (٢٥٢ ص ـ ٥ $) .... مجموعة من الباحثين
- وحدة المغرب العربي (٢٥٤ ص ـ ٥ $) .... ندوة فكرية
- التنمية المستقلة في الوطن العربي (١٠٠٢ ص ـ ٢٢ $) .... ندوة فكرية
- الهوية القومية في السينما العربية (٢٧٦ ص ـ ٥,٥٠ $) .... مجموعة من الباحثين
- العقد العربي القادم: المستقبلات البديلة (٤٦٨ ص ـ ٩,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- تجديد الحديث عن القومية العربية والوحدة (٢٧٢ ص ـ ٥,٥٠ $) .... د. سعدون حمادي
- الابعاد التربوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي (٥٢٤ ص ـ ١٠,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. (نقد العقل العربي (٢)) (٦٠٠ ص ـ ١٢ $) .... د. محمد عابد الجابري

سلسلة الثقافة القومية:

- حقوق الانسان في الوطن العربي (١) (١٨٠ ص ـ ٢ $) .... حسين جميل
- عن العروبة والاسلام (٢) (٤٧٦ ص ـ ٥ $) .... د. عصمت سيف الدولة
- الوطن العربي: الجغرافية الطبيعية والبشرية (٣) (١٨٤ ص ـ ٢ $) .... ناجي علوش
- جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥: دراسة تاريخية (٤) (١٢٨ ص ـ ١,٥٠ $) .... أحمد فارس عبد المنعم
- الجماعة الاوروبية: تجربة التكامل والوحدة (٥) (٢٨٨ ص ـ ٣ $) .... د. عبد المنعم سعيد
- التعريب والقومية العربية في المغرب العربي (٦) (٢٠٠ ص ـ ٢ $) .... د. نازلي معوض أحمد
- الوحدة النقدية العربية (٧) (١٦٨ ص ـ ١,٥٠ $) .... د. عبد المنعم السيد علي
- أوروبا والوطن العربي/سلسلة الثقافة القومية (٨) (٣٦٨ ص ـ ٢,٥٠ $) .... تاليف د. نادية محمود محمد مصطفى

مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية:

- موقف فرنسا والمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ (١) (٥٤٠ ص ـ ١١ $) .... د. علي محافظة

- تطور الوعي القومي في المغرب العربي (سلسلة كتب المستقبل العربي (٨)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $) ..... مجموعة من الباحثين

الدكتور ميخائيل سليمان

- ولد في طبرية بفلسطين عام ١٩٣٤
- حصل على الماجستير والدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة ويسكونسن في الولايات المتحدة الأمريكية.
- يعمل استاذاً للعلوم السياسية في جامعة «كانساس ستيت» في الولايات المتحدة. وكان رئيساً لقسم العلوم السياسية من ١٩٧٥ ـ ١٩٨٢ في الجامعة نفسها.
- له دور نشط في منظمات الجماعات العربية في الولايات المتحدة وكان رئيساً لجمعية خريجي الجامعات العرب الأمريكيين ـ عضو مجلس المدراء لجمعية الدراسات الشرق ـ أوسطية في امريكا الشمالية (ميسا) ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢، ورأس لجنة «ميسا» حول صور الشرق الأوسط في كتب المدارس الثانوية الأمريكية.
- عضو مجلس تحرير ثلاث مجلات تصدر في الولايات المتحدة: «المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط» و«فصلية الدراسات العربية» و«مجلة الشؤون العربية».
- تدور اهتماماته البحثية حول الجماعة العربية في الولايات المتحدة ـ السياسات العربية ـ المواقف وتكوين الآراء في الوطن العربي والولايات المتحدة معاً، بالإضافة إلى: «الأحزاب السياسية في لبنان» و«صور شعوب الشرق الأوسط لدى الأمريكيين».

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون
ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤
برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي: ٨٠٢٢٣٣